

International Islamic University
Islamabad –Pakistan
Faculty of Usuluddin
Department of Aqeedah& Philosophy



الجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد
كلية الدراسات الإسلامية (أصول الدين)
قسم العقيدة والفلسفة

الآراء الكلامية لخواجه أحمد الدين أمرتسري/١٩٣٦م

(دراسة تحليلية نقدية)

مرحلة الدكتوراه

إعداد الطالب

الباحث: محمد إسماعيل

رقم التسجيل: ١٨/F/PHDAP/FU-٣٧٢

تحت إشراف

فضلية الأستاذ الدكتور / محمد عارف (عبد الحكيم)

قدم هذا البحث للحصول على درجة الدكتوراه في العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين في الجامعة

الإسلامية العالمية بإسلام آباد

العام الجامعي: ١٤٤٥هـ - ٢٠٢٥م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لجنة المناقشة للبحث المقدم لنيل درجة الدكتوراه

بكلية أصول الدين (قسم العقيدة والفلسفة)

الجامعة الإسلامية العالمية - إسلام آباد

تمت مناقشة الرسالة التي قدمه الطالب

محمد اسماعيل

موضوع الرسالة

الآراء الكلامية لخواجه أحمد الدين (أمرتسري/ ١٩٣٦ م)

(دراسة تحليلية نقدية)

رقم التسجيل: ١٨/F/PHDAP/FU-٣٧٢

بإشراف

فضلية الأستاذ الدكتور / محمد عارف (عبد الحكيم)

العام الجامعي: ٢٠٢٥ م

أسماء أعضاء لجنة المناقشة وتوقيعاتهم

رقم	اعضاء لجنة المناقشة	الإسم	التوقيع
١	المشرف على البحث	الأستاذ الدكتور / محمد عارف عبد الحكيم	
٢	المناقش الداخلي	الدكتور إبراهيم ميان جان	
٣	المناقش الخارجي	الأستاذ الدكتور علي أصغر جشتي	
٤	المناقش الخارجي	الدكتور جنيد أكبر	
٥	رئيس اللجنة	الأستاذ الدكتور عبد الكريم الرحيلي	

الإهداء

أهدي عملي المتواضع هذا إلى ظل الوالدين، الظل الذي ظل يمحطني برعايته وحبه ويرعاني بصدقه وإخلاصه ويفيدني عسى أن أكون ترجمان آماله.

وإلى من سهر الأيام والليالي لأجلي ومن رباني فأحسننا تربيتي وتعليمي وقد أنزل الله فيهما قرآنا يتلى إلى آخر الزمان **وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا^(١)**.

وإلى أساتذتي الأجلاء الذين أسهموا في تكوين شخصيتي العلمية والتربوية.

وإلى العلماء الأفاضل الذين حملوا العلم ونفوا عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

وإلى المجاهدين في سبيل الله الذين باعوا أنفسهم وأمواهم لوجه الله تعالى قاصدين رفع راية الإسلام في الأرض.

وإلى إخوتي الأعزاء والأصدقاء.

وإلى المسلمين جميعاً في هذه الأمة لعل الله أن يجعله خالصاً لوجه الكريم وينفعني به ويوفقني للعمل بها وينفع به المسلمين في هذا العالم ويبعد عني الشر في السراء والضراء آمين.

كلمة شكر وتقدير

الحمد لله الكريم المنان، ذي الطول والفضل والإحسان الذي هدانا للإيمان، وفضل ديننا على سائر الأديان بإرساله إلينا أكرم خلقه، فمحا به عبادة الأوثان، وأيده بمعجزة القرآن المتسمرة على تعاقب الأزمان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة محصلة للغفران منقذة صاحبها من النيران موصلة له إلى سكنى الجنان. وصل اللهم على محمد النبي الأمي وعلى آله وسلم صلاة تكون لك رضا ولحقه أداء، وأحينا اللهم على سنته وتوفنا على ملته غير مبدلين ولا مفرطين ولا مفتونين بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين.

وبعد:

فانطلاقاً من قوله تعالى: وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ^(١)، وقوله: وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَّالَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ^(٢) أتوجه بوافر الحمد والشكر لما وفقني إلى انجاز هذا العمل المتواضع، لأن بنعمته تتم الصالحات.

وامتثالاً لقوله: "من لم يشكر الناس لم يشكر الله"^(٣)، أقدم شكري وتقديري للجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد التي أتاحت لي فرصة الدراسة بها، وهيأت لي الكثير من أسباب التحصيل العلمي، وكما أقدم شكري لكلية (أصول الدين) الدراسات الإسلامية، بشكل عام، وقسم العقيدة والفلسفة بشكل خاص. أقدم شكري لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد عارف (عبدالحكيم) الذي تفضل بقبول الإشراف على هذه الرسالة، في مرحلة الدكتوراة وبذل معي من الجهد والوقت، وإعاني بنصائحه الغالية المفيدة وملاحظاته العلمية القيمة، فبارك الله في عمره وعلمه.

وأشكر لجميع أساتذتي خاصة الاستاذ الدكتور عبد الوهاب جان ودكتور عبد الباسط لمساعدتهما معي وأشكر زملائي وإخوة وأخواني الذين رغبوني في انجاز هذا العمل المتواضع وغيرهم، ومنهم خاصة محمد مرتضى ومحمد خالد ودكتور محمد انعام الحق وعظيم أختي ودكتور محمد رشيد فجزاهم الله جميعاً عني كل خير.* وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد وعلى آله وأصحابه ومن سار على دربه إلى يوم الدين.

(١) سورة إبراهيم ٧.

(٢) سورة لقمان ١٤.

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه ٣٣٩/٤ عن أبي هريرة وقال هذا حديث حسن صحيح. باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، من أبواب البر والصلة، رقم الحديث (١٩٥٤) تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (ج ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي. مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م. قال أبو عيسى: هذا حديث صحيح، وصرح كذلك بتصحيحه شيخنا ناصر الدين الألباني رحمه الله تعالى.



المقدمة

وهي تشتمل على ما يلي:

- التعريف بالموضوع
- أهمية الموضوع
- أسباب اختيار الموضوع
- الدراسات السابقة
- مشكلة البحث
- منهج البحث
- خطوات البحث
- خطة البحث

المقدمة

الحمد لله على ما أوضح لنا معالم الدين، ومن علينا بالكتاب المبين، وشرع لنا من الحلال والحرام، ما جعله الدنيا حكماً تقررت به مصالح الخلق ثبت به قواعد الحق، ووكل إلى ولاية الأمور ما أحسن فيها التقدير وأحكم به التدبير، فله الحمد على ما قدر ودبر. والصلاة والسلام على إمام المتقين، وسيد المرسلين، وخاتم النبيين المنزل عليه الكتاب تبياناً لكل شيء، وهدى إلى كل خير، ورحمة لقوم يؤمنون. أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً، محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه في كل زمان ومكان، وجعلنا الله ممن اقتفى أثره، واقتبس من نوره، واتبع صراطه المستقيم.

وبعد!

فقد مر على الإنسانية حين من الدهر وهي تعيش في الظلام، وتتخبط في الأوهام، إلى أن نور الله الكون بإرسال سيد الإنسانية محمد ﷺ، وأنزل معه كتابه المنير، ليخرج البشرية من الظلمات إلى النور، كما قال الله يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا وقال أيضاً: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا. وقد كان القوم عرباً خلصا يفهمون القرآن بسليقة ظواهره وأحكامه، إلا ما دق وخفي عليهم، كما روي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) (الأنعام: ٨٢) شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالُوا: أَيُّنَا لَمْ يَظْلَمْ نَفْسَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَيْسَ كَمَا تَظُنُّونَ؛ إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ: (يَا بُنَيَّ لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) لقمان: ١٣ (١)

وهكذا كلما صعب على الصحابة شيء من القرآن الكريم فيرجعون إلى النبي ويسألونه، ثم نشأت الفرق الإسلامية المختلفة في العقيدة والمذاهب وتنوعت العلوم وظهرت عقائد متباينة المتنوعة ومازالت تنمو وتزيد وتتسع ومنها ما هو في دائرة المقبول ومنها في دائرة المرفوض ومنها ما يتردد بينهما.

وفي القرن التاسع عشر الميلادي، ظهرت الحضارة الغربية الحديثة التي خيمت على العالم الإسلامي، فذب الضعف في أوصاله، فبات في انهيار شديد بالتيارات الغربية التي تركع للعقل وتسجد له!، فتسربت بعض الشبهات إلى العلوم الإسلامية حتى جعل بعض علماء المسلمين العقل مصدراً أساسياً بل وحيداً للدين، وأنكروا حجية السنة النبوية، ونادوا بالاكْتفاء بالقرآن الكريم، ثم فسروه بعقولهم وأهوائهم، وعُرفوا بالقرآنيين، أو بالمدرسة القرآنية. وكان لها رواد ودعاة منهم (خواجه أحمد الدين آمرتسري) الذي فسر القرآن بالعقل والرأي المجرد، وكان ممن التحق بالمدرسة

المسيحية المسماة بمدرسة المبشرين^(١)، وتأثر بالفكر العقلاني الغربي، وأنشأ جماعته الخاصة باسم "أمة إسلامية"، ومجلةً تتكلم باسم الجماعة وتنشر أفكارها وآراءها، مما جعل الكثير من المثقفين والجهلة ينضمون لجماعته. وكان من الواجب أن يقوم طلبة العلم بدراسة هذا المنهج والاتجاه لكي يفرق بين الأصيل والدخيل ويميز الصحيح من السقيم. ومن هنا كان توضيح العقيدة الإسلامية الصحيحة وبيانها والدعوة إليها من أكد الواجبات؛ لأنها هي الطريق لمعرفة الخالق سبحانه والطريق الموصل إليه، وبيان العقائد الصحيحة الواردة من الكتاب والسنة من العقائد الباطلة التي استنتجتها العقول بالشبهات والخرافات، لا سيما مع اشتباه الحق بالباطل على كثير من المسلمين.

وإسهاما مني في هذا المجال أحببت أن أكتب في بيان العقيدة الصحيحة والتحذير من الأفكار الباطلة ومصادرها اخترت الآراء الكلامية لخواجه أحمد الدين امرتسري (القرآني) نموذجاً موضوعاً لرسالتي هذه التي أتقدم بها إلى قسم العقيدة والفلسفة لكلية أصول الدين (الدراسات الإسلامية) لنيل درجة الدكتوراه ونسأل الله أن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم، وينفع به المسلمين.

الموضوع المختار لكتابة البحث هو "الآراء الكلامية لخواجه أحمد الدين امرتسري"، فقامت بجمع آرائه الكلامية وتناولتها بالتحليل والنقد في ضوء أقوال علماء أهل السنة والجماعة كي يوضح ما هو الحق وما هو الباطل.

أهمية الموضوع

إن أهمية موضوع الدراسة تظهر من أنها دراسة للمدرسة العقلانية والمدرسة القرآنية الهندية والعلاقة بينهما، وتأثر الثانية بالأولى، وانتشارها في شبه القارة الهندية، ومعرفة رواد وقادة هذه المدرسة، ونشرهم الشبهات بين المسلمين، على طريقة التفسير كتاب رب العالمين حسب هواهم؛ كتفسير "بيان القرآن" للشيخ أحمد الدين الذي شحنه بتأويلات واهية للمسائل الاعتقادية، وانفراده بتلك التأويلات في مجتمع شبه القارة الهندية، بل في عالم الاسلامي.

(١) هي الجهود المنظمة لنشر الديانة المسيحية، غالباً ما تقوم هذه البعثات بإرسال أفراد وجماعات، ويدعى هؤلاء باسم المبشرين، حيث يقوم المبشرون بالتنقل عبر الحدود لغرض التبشير. وتعرف الكنيسة الكاثوليكية التبشير بأنه عمل رعوي موجه إلى الذين لا يعرفون رسالة المسيح طبقاً لوصايا العهد الجديد فإن المسيح قد أوصى تلاميذه ومن خلالهم جميع المسيحيين أن ينشروا الديانة إلى كافة أصقاع الأرض، وهي كانت من كلمات المسيح الأخيرة ما يجعلها تكتسب أهمية كبيرة الكنيسة تعتبر التبشير حق إلهي وتصريح من واجبه ومن حقها البديهي أن تبشر العالم أجمع بالإنجيل، باستقلالية تامة عن أي سلطة ونفوذ بشري، مهما كان، وأن تستخدم لذلك الأسلوب المناسب لكل مجتمع إلى جانب التبشير الديني والوعظ الديني ونشر المعتقدات المسيحية، تقوم البعثات المسيحية بأعمال إنسانية خاصة بين الفقراء والمحرومين. ويعمل العديد من المبشرين من خلال أنشطة في العمل الإنساني مثل تحسين التنمية الاقتصادية، ومحو الأمية، ونشر التعليم، والرعاية الصحية، وبناء دور الأيتام. المذاهب المسيحية تسمح بتوفير المساعدات دون الحاجة إلى التحول الديني. ساهم المبشرين المسيحيين العديد من المساهمات الإيجابية في جميع أنحاء العالم. بحسب دراسة حديثة، اوهو مصطلح مسيحي يقصد به نشر الإنجيل وتعاليم يسوع بين مجموعة من البشر لدعوتهم إلى التحول إلى المسيحية وتعرف الكنيسة الكاثوليكية التبشير بأنه: «عمل رعوي موجه إلى الذين لا يعرفون رسالة المسيح، طبقاً لوصايا العهد الجديد فإن المسيح قد أوصى تلاميذه ومن خلالهم جميع المسيحيين أن ينشروا الديانة إلى كافة أصقاع الأرض، وهي كانت من كلمات المسيح الأخيرة» «ما يجعلها تكتسب أهمية كبيرة». الكنيسة تعتبر التبشير «حق إلهي» وتصريح: «من واجبه ومن حقها البديهي أن تبشر العالم أجمع بالإنجيل، باستقلالية تامة عن أي سلطة ونفوذ بشري، مهما كان، وأن تستخدم لذلك الأسلوب المناسب لكل مجتمع.

وأما أسباب اختياري للموضوع فتتلخص في النقاط التالية

أولاً: أن شرف الشيء بموضوعه ولا أشرف من تأمل أسس الدين وأصوله، التي نعبّر عنه بالعقيدة ومن هنا جاء اختياري لموضوع عقدي مهم، وذلك تحدثاً بنعمة الله سبحانه علي بأن من الله علي إكمال الدراسة في مرحلة الدكتوراة في قسم العقيدة والفلسفة.

ثانياً: أن المدرسة العقلانية لها أثر كبير في نشر الشبهات المخالفة للدين الإسلامي الحنيف، ومازال المسلمون يعانون ممن يتبنون تلك الشبهات ويدعون إليها وينصرون لها ممن هم من بني جلدتهم، ويظهرون على الساحة بنعرات ودعاوى جديدة في كل مرة، فبيان هذا الأثر مما يتحتم على طلبة العلم، حتى لا يندفع السذج منهم بتلك النعرات البراقة والدعاوى الخطيرة.

ثالثاً: من آثار تلك المدرسة العقلانية ظهور بعض فرق جديدة تنتسب إلى الإسلام، كالمدرسة القرآنية (القرآنيون) المعروف أهلها بالقرآنيين قد انتشر في شبه القارة الهندية، بدعم من الغرب، وكانوا مطية لخراب العقيدة والأسس الدينية، ونشر الأفكار المخالفة للدين الإسلامي الحنيف، ونسبتها إل النصوص الشرعية التي يفسرونها حسب هواهم لتحقيق أهداف خفية، وقد عقد القرآنيون مؤتمراً عالمياً عام ٢٠٠٨م وصرحوا بإمامة كبار العقلانيين العرب.

رابعاً: أن المدرسة القرآنية (القرآنيون) التي ظهرت بعد الغزو الفكري العقلاني كان لها رواد ودعاة في شبه القارة الهندية، وكان لهم دور في نشر الأفكار المخالفة لما عليها الأئمة السابقون من إنكار للسنة وتأويل للأسس الاعتقادية في الإلهيات والنبوات والسمعيات، وكان منهم أحمد الدين الذي يعتبر ثالث الأثافي للمدرسة القرآنية في شبه القارة الهندية مع السيد أحمد خان، وعبد الله جكرالوي، وكان له الأثر الكبير لدى أتباع تلك المدرسة فيما بعد، فبيان تأويلات ذلك المؤسس في المسائل الاعتقادية والفكرية وتحليلها ونقدها من أهم الواجبات على طلبة العلم.

خامساً: أن الموضوع جديد فلم أجد من الباحثين من سبقني بالدراسة التحليلية النقدية لهذه الآثار ولشخصية أحمد الدين بصورة تفصيلية مع أهميته ونفعه للمسلمين عامة ولطلبة العلم خاصة.

الدراسات السابقة في الموضوع

توجد دراسات ومؤلفات عديدة كتبت عن أحمد الدين مما يتعلق بجوانب من تاريخه وأفكاره، منها على سبيل المثال ما يلي:

- ١ _ دراسة نقدية لتفسير أحمد الدين "رسالة ماجستير" محمد اياز الجامعة بشاور سنة ٢٠١٠
- ٢ _ عبد الله جكرال وفننة إنكار حديث حافظ عبد الجبار سلفي سنة ٢٠١٩
- ٣ _ كتاب وا محمداه إن شائك هو الأبر لسيد حسين العفاني
- ٤ _ خواجه أحمد الدين أمرتسريومقدمة تفسيره "بيان للناس" دراسة تحليلية نقدية" مقالة "محمد عمر فاروق "مجلة" إحياء العلوم كراتشي ٢٠٢

٥_ القرآنيون في "شبه القارة الهندية" مقالة لدكتور محمود بن أحمد الدوسري "مجلة" ألالوكة الشرعية^(١) لكن لم أطلع على دراسة سابقة تخص آراءه الكلامية وتحليلها ونقدها.

أهداف البحث

تسعى هذه الدراسة إلى معالجة النقاط وتحقيق الأهداف التالية: بيان مدى أثر المدرستين على العقائد إيجاباً وسلباً من خلال أبرز التاويلات لديهما؛ لاسيما لدى أحمد الدين في مجال العقيدة. ومناقشة كثير من الشبهات المتنوعة في مجال العقيدة في ضوء الشريعة الإسلامية تسهم هذه الدراسة في إلقاء مزيد من تحليل الموضوعات الفكرية أمام القاري يأمل الباحث أن تقدم البحث جانباً من توضيح المسائل العقدية في ضوء الشريعة الإسلامية.

إشكالية البحث

لا شك أن لكل بحث لابد له مشكلة تمثل الحافز والمحرز الذي يدفع الباحث من أجل إيجاد حل لها، قد ينطلق الباحث من معيار قيمي ديني أو من معيار فلسفي فكري، أو بعد مادي، فكانت محاولتنا تكمن في تناول إحدى تلك المعالجات ألا وهي توضيح معيار قيمي ديني وفكري، وإن اطلاعي المستمر على الآراء الاعتقادية للمدرسة العقلية ومدرسة القرآنيين في نشرها ومناظرة الشبهات فيها، وتميزها في الاشتغال بتلك القضايا والمسائل عن علماء أهل المدارس الأخرى، وبقاء آثارها العقدية حتى الآن؛ سيساعد في معالجة المشكلة التي تتمثل في التساؤلات الآتية:

الأول: ما الأفكار التي انفرد بها أحمد الدين في كتبه ومقالاته؟ وما منهجه؟ وما مصادره في ذلك ومن هم الذين تأثر بهم وتلقى منهم الأفكار؟

الثاني: ما درجة ومكانة أحمد الدين الأمر تسري عند أهل العلم خاصة والناس عامة، وما أسباب انتشار أفكاره وذيوعها بين الناس لاسيما بين المثقفين منهم؟

(١) شبكة الألوكة هي شبكة إسلامية دعوية، إعلامية، ثقافية، علمية، وأدبية، تتألف من ثلاثة عشر موقعاً، يشارك فيها نخبة من الكتّاب والمفكرين، أُسِّسَت عام ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م. في السعودية سعد بن عبد الله بن عبد العزيز دعم الشبكة اللغتين العربية والإنجليزية، وتحتوي على الكثير من المواد باللغات العالمية.

الثالث: هل للمدرسة العقلانية الغربية أثر في ظهور وتكوين بعض المدارس الفكرية الخاصة في شبه القارة الهندية ؟ وما مدى ذلك الأثر؟

الرابع: ما الأفكار التي أنتجتها المدرسة العقلانية في شبه القارة الهندية؟

الخامس: ما أوجه التوافق والتباين في تفسيرات أو تاويلات المدرسة العقلية والمدرسة القرآنية (القرآنيين) في شبه القارة الهندية؟

منهج البحث

أما المنهج الذي اتبعته في كتابة هذا البحث فهو المنهج الوصفي التحليلي النقدي، يقوم على جمعالبيانات حول الموضوع، وتحليلها، ونقدها في ضوء النصوص الشرعية.

خطوات البحث

اتبع البحث خطوات أهمها مايلي:

- ١- قسمت البحث إلى ابواب وفصول ومباحث ثم خصصت لكل فصل الموضوع من الموضوعات هذ البحث.
- ٢- سأعرض لموقف أحمد الدين وآرائه العقديّة، وتناول الشبهات العقديّة، وذلك من خلال كتبه ومؤلفاته ومناظراته، ثم أقوم بالدراسة والتحليل والنقد إن لزم الأمر، مستندا بأقوال العلماء والمفسرين، مع ذكر موقف المدرستين أحيانا
- ٣- تخريج جميع الآيات الواردة في البحث، وذلك بذكر اسم السورة ورقم الآية.
- ٤- تخريج الأحاديث من مصادرها فإن كانت في الصحيحين أو في أحدهما اكتفيت به
- ٥- الالتزام بترجمة المفهوم بدقة وأمانة دون ترجمة الحروف والكلمات فقط.
- ٦- شرح الألفاظ الغريبة والمصطلحات العلمية التي تحتاج إلى بيان

خطة البحث الإجمالية

لقد قسمت بحثي هذا إلى مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة. أما المقدمة فقد اشتملت على بيان أهمية الموضوع والأسباب الداعية لإختياره والدراسات السابقة، ومشكلة البحث، ومنهج الذي اتبعته في البحث، وأما التمهيد: فقد تضمن نبذة المذاهب المختلفة في شبه القارة الهندية

الباب الأول: التعريف بالمدرسة القرآنية (القرآنيون) في شبه القارة الهندية وفيه فصلان

الفصل الأول: المدرسة القرآنية (القرآنيون) في شبه القارة الهندية، وفيه مباحث

المبحث الأول: نشأة المدرسة القرآنية (القرآنيون) وجذورهما التاريخية

المبحث الثاني: ظهورها في شبه القارة الهندية وانتشارها

المبحث الثالث: أصول المدرسة القرآنية (القرآنيون) ومناهجها

المبحث الرابع: أبرز رجالاتها في شبه القارة الهندية

الفصل الثاني: آراء القرآنيين الاعتقادية وتأثرهم بالمدرسة العقلانية، وفيه مباحث

المبحث الأول: آراء المدرسة القرآنية (القرآنيون) الاعتقادية جملة

المبحث الثاني: علاقة القرآنيين بالمدرسة العقلانية في المناهج والمصادر الاعتقادية

المبحث الثالث: أوجه التوافق بين المدرسة العقلانية والقرآنيين في الآراء الاعتقادية

المبحث الرابع: أوجه التباين بين المدرسة العقلانية والقرآنيين في الآراء الاعتقادية

الباب الثاني: خواجه أحمد الدين الأمرتسري وعوامل بناء شخصيته الفكرية وفيه فصلان

الفصل الأول: نبذة مختصرة عن خواجه أحمد الدين الأمرتسري، وفيه مباحث

المبحث الأول: نبذة يسيرة عن حياته الشخصية

المبحث الثاني: الحالة السياسية في شبه القارة الهندية

المبحث الثالث: الحالة الدينية والفكرية في شبه القارة الهندية

المبحث الرابع: أعماله الفكرية والحركية في شبه القارة الهندية

الفصل الثاني: عوامل بناء شخصية أحمد الدين، الفكرية، وفيه مباحث

المبحث الأول: علاقة أحمد الدين بالإنجليز المحتلين لشبه القارة الهندية

المبحث الثاني: علاقة أحمد الدين بالمدرسة العقلانية عموماً

المبحث الثالث: أهم رجال الفكر الذين تأثر بهم وتعلمد عليهم أحمد الدين

المبحث الرابع: منهجه في نشر فكره وعقيدته في شبه القارة الهندية

الباب الثالث: آراء خواجه أحمد الدين الأمرتسري الاعتقادية، وفيه فصلان

الفصل الأول: آراء أحمد الدين الدينية عموماً، وفيه مباحث

المبحث الأول: منهجه في تقرير المسائل الاعتقادية

المبحث الثاني: موقفه من المسائل الاعتقادية عموماً ومصادره في ذلك (العقل اللغة الراي)

المبحث الثالث: موقفه من أركان الإسلام عموماً.

المبحث الرابع: تفردات أحمد الدين الاعتقادية المتنوعة.

الفصل الثاني: آراؤه الاعتقادية في أبواب العقيدة الرئيسة، وفيه مباحث

المبحث الأول: آراؤه الاعتقادية في باب الإلهيات

المبحث الثاني: آراؤه الاعتقادية في باب النبوات

المبحث الثالث: آراؤه الاعتقادية في السمعيات

المبحث الرابع: آراؤه الاعتقادية المتعلقة بالملائكة

خاتمة البحث: فيه نتائج البحث والتوصيات

الفهارس

فهرس الآيات

فهرس الأعلام الغربية المترجم لهم

فهرس أهم المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

المبحث الرابع: أوجه التباين بين المدرسة العقلانية والقرآنيين في الآراء الاعتقادية

الباب الأول

التعريف بالمدرسة القرآنية (القرآنيون) في شبه القارة الهندية، وعلاقتها بالعقلانية، وفيه فصلان

الفصل الأول: المدرسة القرآنية (القرآنيون) في شبه القارة الهندية، وفيه مباحث

المبحث الأول: نشأة المدرسة القرآنية (القرآنيون) وجذورها التاريخية

المبحث الثاني: ظهورها في شبه القارة الهندية وانتشارها

المبحث الثالث: أصول المدرسة القرآنية (القرآنيون) ومناهجها

المبحث الرابع: أبرز رجالاتها في شبه القارة الهندية

الفصل الثاني: آراء القرآنيين الاعتقادية وعلاقتها بالمدرسة العقلانية، وفيه مباحث

المبحث الأول: آراء المدرسة القرآنية (القرآنيون) الاعتقادية جملة

المبحث الثاني: علاقة القرآنيين بالمدرسة العقلانية في المناهج والمصادر الاعتقادية

المبحث الثالث: أوجه التوافق بين المدرسة العقلانية والقرآنيين في الآراء الاعتقادية



المبحث الرابع: أوجه التباين بين المدرسة العقلانية والقرآنيين في الآراء الاعتقادية

الفصل الأول

المدرسة القرآنية (القرآنيون) في شبه القارة الهندية، وفيه مباحث

المبحث الاول: نشأة المدرسة القرآنية (القرآنيون) وجذورها التاريخية

المبحث الثاني: ظهورها في شبه القارة الهندية وانتشارها

المبحث الثالث: أصول المدرسة القرآنية (القرآنيون) ومناهجها

المبحث الرابع: أبرز رجالها في شبه القارة الهندية

المبحث الاول: نشأة المدرسة القرآنية (القرآنيون) وجذورها التاريخية

تمهيد:

قد ظهرت الفرق المختلفة في القرن الأول والثاني من الهجرة، وأخبر به النبي ﷺ فمن تلك الفرق، فرقة الخوارج^(١) التي عرضت في تعيين معنى الآية عما ثبت من السنة النبوية، وسبب ظهورها منها تأويلات النصوص حسب اهواءهم لحصول مقاصدهم السياسية والاجتماعية وغيرها، كما في مسألة التحكيم بين علي ومعاوية رضي الله عنهم ففسر الخوارج قوله الله تعالى: **إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ**^(٢) بما فهم عقلهم، بأن الحكم ليس إلا الله حتى ردّ عليهم علي رضي الله عنه فقال "كلمة حق أريد به الباطل، وقال لابن عباس رضي الله عنه، إذهب إليهم ولا تناظر معهم بكتاب الله، فإنه ذو وجوه، ولكن خاصم معهم بالسنة النبوية . يوجد السواد الأعظم الذي قام على الصراط المستقيم، وعين مفاهيم الآيات القرآنية في ضوء الحديث والسنة النبوية،^(٣) مع أن هناك ومن تلك الفرق فرقة المعتزلة،^(٤) التي غلبت على أفكارهم الفكر اليوناني وفلسفته، وأرادوا أن يقدموا تشريح الأحكام، وتوضيحها وفقالفكر اليوناني، ولكن السنة النبوية كانت حائلة لأفكارهم فقاموا برد الأحاديث والسنة النبوية، ورأوا ما جاز أن يكون كذباً أو خطأ، فلا يحل الحكم به في دين الله عز وجل، ولا أن يضاف إلى الله تعالى، ولا إلى رسوله.^(٥)

وقد ظهر في القرن السابع عشر الميلادي الفكر اليوناني، وفلسفته في شكل الفلسفة الغربية وأثرت الفلسفة الغربية على أفكار بعض مسلمي الهند الدينية والاجتماعية، وتشككت في أصول الدين وفروعها، ورأى علماء الغرب أن أكثر من أصول الدين وفروعه لم يوافق العقل، فظهر من خلال المسلمين العلماء الذين قاموا بتعيين مفهوم الشرائع الإسلامي، وبيان معنى النصوص الدينية من القرآن والحديث والسنة النبوية ﷺ، وعينوا دائرة الاعتماد عليهم، فمنهم من دافعوا الإسلام أصولاً وفروعاً، وردوا شبهات الغرب على الإسلام، وقدموا حقيقة مفاهيم القرآن والحديث، بأنها لم تخالف العقل بل توافق بالعقل السليم، ومنهم من دافعوا مع أنهم قبلوا إعتراضات الغرب وشبهاتهم

(١) الخوارج هي جماعة ممن كانت في حرب صفين مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ثم خرجت عليه، وهي وقائلة بتكفير صاحب الكبيرة وتخليده في النار، ومنها الأزارقة والإباضية . انظر : الملل والنحل، لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، مؤسسة الحلبي ط ٣، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، ج ١ ص ١١٤ و ١١٥.

(٢) القرآن ١٢: ٤٠.

(٣) انظر: فتح القدير، لمحمد بن علي الشوكاني، ج ١، ص ١٤ لبنان بيروت، ط ١، ١٤١٤.

(٤) المعتزلة: فرقة قد ظهرت في القرن الثاني الهجري، بدأت من واصل بن عطاء الغزالي وأتباعه، الذي اعتزلوا عن مجلس الحسن البصري، لاختلافهم معه في مسألة مرتكب الكبيرة، وبذلك سمو المعتزلة ذمماً، وسموا أنفسهم بأصحاب العدل والتوحيد، وقد اعتمدوا على العقل المجرد في فهم العقائد الإسلامية، وقد تمثل أساس أفكارهم في خمسة أصول (التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر انظر فرق معاصرة، لغالب بن علي عواجي، المملكة العربية السعودية، المكتبة العصرية الذهبية، جدة، ط ٤، ١٤٢٢ : هـ ٢٠٠١ م ج ٣ ص ١١٦-١١٦.

(٥) انظر: الإحكام في أصول الأحكام، لأبي محمد علي بن أحمد الأندلسي القرطبي، ج ١، ص ١١٩ بتحقيق: الشيخ أحمد محمد شاكر بيروت، لبنان: دار الآفاق الجديدة، ط ب ت.

وقاموا بتعيين مفاهيم التشريع الإسلامي من جديد، حتى توافق تلك المفاهيم الجديد بالعقل، واتبعوا في هذا التعيين منهج الغرب بأن يفوقوا العقل، وتركوا طريقة السلف ومنهجهم في الاعتماد على الروايات الصحيحة الثابتة وتعامل الأمة، والعقل كان معاوناً بها، وهم آمنوا بنبينا محمد ﷺ، من حيث أنه رسول من الله، ولكن أنكروا مكانة أقواله وحجية سننه، بسبب اختلاف ألفاظ الرواة، فاعتمدوا على القرآن الكريم من حيث مصدر التشريع الإسلامي فقط، وعلى العقل لتعيين مفهوم التشريع الإسلامي، واهتموا بتقديم التطبيق بين كلام الله والفلسفة الغربية الكونية، فسموا أنفسهم بقرآنيين، واشتهروا بـ: منكري الحديث.

تسمية "القرآنيين":

المدرسة القرآنية أو أهل القرآن، اسم لحركة إسلامية تنادي بالعمل بالقرآن دون السنة، ويسمون أنفسهم أهل القرآن. وفيه إشارة لرفضهم للمذاهب الأخرى والفرق التي لا ترى رأيهم، ويعد الاختلاف الأساس عن جمهور الأمة في فكر التيار القرآني هو عدم الأخذ بالأحاديث والسنة النبوية، فالقرآنيون يكتفون بالقرآن مصدراً للتشريع لاعتقادهم أن الله قد وعد بحفظ القرآن فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر الآية/ ٩) وأن القرآن هو الكتاب الوحيد الذي اجتمع كافة المسلمين على صحته، بينما الأحاديث، فيها اختلاف كبير على صحتها بين الفرق الإسلامية المتعددة، بل في كل فرقة من هذه الفرق يوجد اختلاف بين علمائها. كما لا يعتد القرآنيون بأقوال السلف، أو إجماع العلماء، أو القياس وغيرها من مصادر التشريع الإسلامي السنية أو الشيعية، أو الإباضية أو غيرها من الفرق التي يطلق عليها القرآنيون مسمى "الأديان الأرضية"، ومن هذا المنطلق فإنهم يخالفون الفكر الإسلامي السائد كله.

نشأة المدرسة القرآنية:

يعتبر بعض الباحثين أن فكرة إنكار السنة، ظهرت لأول مرة على يد الخوارج الذين رفضوا إقامة حد رجم الزاني ومسح الخفين وغيرها من التشريعات المنقولة عبر الرواية عن الرسول ﷺ، والتي لا توجد في القرآن، أما أتباع هذا المنهج فيعتقدون، أنهم على النهج الصحيح والأصيل الذي كان عليه خاتم النبيين ﷺ، فهو متبع لما أنزله الله عليه ودليلهم في هذا الآية ﴿أَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾^(١) ويستدلون بآيات كثيرة أخرى ومنها ﴿كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢)

وبعض فقهاء القرآنيين يحتجون بروايات، جاءت في كتب أهل السنة والجماعة عن كبار الصحابة، وعلى رأسهم عمر بن الخطاب، بأنه رفض تداول الحديث بين المسلمين. وفي العصر الحديث: ظهرت فكرة إنكار السنة

(١) المائدة: ٤٨

(٢) الأعراف: ٢.

في الهند في فترة الاحتلال الإنجليزي، على يد سر سيد أحمد خان^(١) الذي فسر القرآن بمنهج عقلي، ووضع شروطا تعجيزية لقبول الحديث، مما جعله ينكر أغلب الأحاديث، ثم تلاه عبد الله جكرالوي في باكستان الذي كان يشتغل بدراسة الحديث، ومن ثم اصطدم بالعديد من الشبهات حوله، فتوصل في النهاية إلى إنكار كافة الأحاديث، وأن القرآن هو ما أنزل الله على رسوله محمد ﷺ، وأسس جماعة تسمى (أهل الذكر والقرآن) التي دعا من خلالها إلى أن القرآن هو المصدر الوحيد لأحكام الشريعة، وألف في ذلك كتباً كثيرة، وتبنى نفس الفكر أحمد الدين الأمرتسري مؤسس جماعة أمة مسلمة، التي كان يدعو فيها إلى أفكاره. وأخيراً ظهر غلام أحمد برويز الذي يقول: "كنت ذات يوم أطلع التفسير فواجهت بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَأَ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا....﴾"^(٢) وقد ذكر القرآن تفصيل اتهام والإيذاء وعناد بني إسرائيل لموسى عليه السلام فقط، دون حدوث أي شيء كما ذكر المفسرون في تفاسيرهم، وأني وجدت قصة في تفسير هذه الآية من حديث أبي هريرة، الذي رواه البخاري والترمذي، من اتهام بني إسرائيل لموسى عليه السلام بالبرص، وفرار الحجر بثيابه، وضرب موسى للحجر بعصاه، ارتجفت واستغرقتي التفكير، ووقعت في الشبهات". فلأجل ذلك أنكر حجية السنة النبوية، وبدأ يدعو إلى أفكاره من خلال مجلة طلوع الإسلام، التي أسسها لهذا الغرض. ولا تزال أفكار هذه الحركات بشبه القارة الهندية إلى الآن. ويعتبر أحمد صبحي منصور الزعيم^(٣) الروحي للقرآنيين في مصر والعالم العربي.^(٤)

القرآنيون وتاريخهم:

تعود حركة (القرآنيون) إلى شبه القارة الهندية في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي، وانتشرت أفكارها في نهايات القرن المذكور، وخصوصاً في منطقة (البنجاب) حيث تحولوا إلى تيار وليس أفراداً فحسب، وهذه الخصوصية في القرآنيين الباكستانيين؛ لأنهم تحولوا إلى ظواهر لم تقتصر على فردانيتهما، أما القرآنيون في العالم العربي أو تركيا أو إيران فهم أفراد في الغالب، وليس تياراً له تراتبيه الإدارية وامتداده الشعبي.^(٥)

(١) سوف آتي التفصيل عن جميع هؤلاء الزعماء المذكورة، في القادم "إن شاء الله"

(٢) الأحزاب: ٦٩

(٣) أحمد صبحي منصور ولد في مارس (١٩٤٩) مفكر إسلامي مصري . كان يعمل مدرساً في جامعة الأزهر، لكنه فصل في الثمانينيات بسبب إنكاره للسنة النبوية القولية، وتأسيسه المنهج القرآني الذي يكفي بالقرآن مصدراً وحيداً للتشريع الإسلامي . سافر إلى الولايات المتحدة وقضى فيها بعض الوقت، ثم عاد إلى القاهرة ليعمل في مركز ابن خلدون . وبعد المشكلات القضائية التي واجهها المركز ومديره في عام ٢٠٠٠، هاجر إلى الولايات المتحدة، ليعمل مدرساً في جامعة هارفارد، وفي الوقفية الوطنية للديمقراطية، ثم أنشأ مركزه الخاص تحت اسم المركز العالمي للقرآن الكريم. ينشط اليوم في نشر مقالاته في بعض مواقع الإنترنت، واشتهر بموقفه المعارض لفكر الجماعات الإسلامية

(٤) موقع لدكتور احمد كلحي الأربعة، ٣ أكتوبر ٢٠١٢ موسوعة المذاهب والفرق الإسلامية القرآنيون

(٥) راجع: القرآنيون تاريخهم ونشأتهم وآراؤهم لحيدر حب الله حجة السنة في الفكر الإسلامي قراءة وتقوم: ٥٧ ٣٣٢ نشر مؤسسة الانتشار العربي بيروت الطبعة الأولى ٢٠١١م.

واشتهرت الحركة بموقفها هذا في الهند منذ نهاية القرن التاسع عشر؛ خاصة عقب انتشار الأفكار التبتية السيد أحمد خان^(١) الذي نجح في هذا بالتعاون مع آغاخان الثالث^(٢) إمام طائفة الإسماعيلية الآغاخانية^(٣) وتمويله السخي، بافتتاح أول جامعة إسلامية عصرية في عليكرة^(٤) تجمع علوم التراث مع العلوم العصرية، وقد تسلم العلماء البريطانيون إدارتها لمدة سنتين، وما لبث أحمد خان أن تولى إدارتها بنفسه منذ عام ١٨٨٠ بعد أن استقال من منصبه في القضاء، وبقي يديرها حتى وفاته^(٥)

وقام سيد أحمد خان عام ١٨٧٧ م، بإنشاء جامعة عليكرة (Alighrah) لتكون مركزاً للدراسات الإسلامية في مدينة عليكرة، بولاية أوتار براديش، كان يطلق على مكتبة الجامعة اسم مكتبة ليتون. (Lyton) غير أن الجامعة قد بقيت في مقاطعة أوتار براديش بالهند، ومضت تنتعش حتى ذاع صيتها في جميع أنحاء العالم، بفضل اثنين من

(١) ولد أحمد خان في دلهي سنة ١٢٤٢ هـ / ١٨١٧ م لأسرة نبيلة فارسية الأصل عمل لدى البريطانيين موظفاً في شركة الهند الشرقية ثم في أكثر من وظيفة حتى شرع في محاولة إنهاء ثورة الهنود على البريطانيين عام ١٨٥٧، مكوفى بلقب صاحب نجمة الهند وعضوية شرفية في الجمعية الملكية الآسيوية في لندن. عمل في أثناء ذلك على التلاعب بالقرآن الكريم عبر تفسيره تفسيرات مبتدعة، تنفي كثيراً من حقائقه معتمداً على ما يظنه العقل فحسب ثم أخذ يدعو إلى تأويل الأحاديث النبوية ثم نادى بالتشكيك فيها واستمر في دعوته حتى وفاته سنة ١٨٩٨ م. ترجم أحمد أمين في كتابه زعماء الإصلاح للسيد أحمد خان ترجمة مطولة شغلت الصفحات ١٢١ - ١٣٨ منه إلا أن أحمد أمين قدّم صورة لأحمد خان حرص فيها على تلميعه بحيث يبدو عبقرياً مُصلحاً أتى بما لم تستطعه الأوائل. إضافة إلى أنه لم يتطرق إلى قضية إنكار السنة في فكر أحمد خان مع أنه ذكر جرأته في آرائه التي كُفِّرَ وحُورِبَ من أجلها ومنها ادعاؤه أن لفظ القرآن الكريم من عند النبي صلى اله عليه وسلم وأن الوحي كان بمعناه فحسب. ولكن الطريف في ما ترجم أحمد أمين به لأحمد خان أن هذا الأخير انتمى إلى دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتى للنقيضين أن يجتمعا؟ اللهم إلا إن كانت مرحلة مؤقتة في حياته. يُنظر لأجل ترجمته أيضاً: الفرق الإسلامية منذ البدايات ص ٣٧٥ - ٣٧٧، ١١١

(٢) إمام الطائفة الإسماعيلية الآغاخانية الثالث والأربعون ولد في كراتشي سنة ١٨٧٧ م لسلالة الآغاخان الأرستقراطية استلم زعامة الطائفة وهو في الثامنة من عمره نبواً مكانة اجتماعية وسياسية مرموقة في المجتمع الهندي بسبب نفوذ أسرته الكبير وراثتها الفاحش ثم امتد نفوذه إلى التدخل في العديد من قضايا العالم الإسلامي وتوسّع دولياً حتى ترأس عصبة الأمم سنة ١٩٣٧ وقام بمهام دولية عديدة منها التوسط بين ألمانيا النازية والحلفاء. كان يجيد لغات عديدة مطلعاً على الفلسفة واللاهوت اتم هتماً بنشر التعليم في بلاد الهند والعالم الإسلامي، أمر أتباعه بأن تحلج نساؤهم الحجاب بدعوى أنه يتعارض، والعقائد الإسماعيلية ووجههم إلى لزوم تعليم المرأة ونزولها جنباً إلى جنب الرجل في ميادين الحياة. تزوج أربع مرات وتوفي في سويسرا سنة ١٩٥٧ وتُقل رفته إلى حيث دُفن في أسوان في مصر بعد عامين. ترجم له د. مصطفى غالب ترجمة مطولة في كتابه تاريخ الدعوة الإسماعيلية ص ٣٢١ - ٣٧٨.

(٣) الآغاخانية فرقة تتبع الآن إمامها كريم آغاخان الرابع وهو ينتسب بسلسلة. لا يعترف بها إلا طائفتُهُ إلى سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنهما ولأجل ذلك يقولون عنه: كريم شاه الحسيني. ترى هذه الطائفة أن إمامها هو الإمام التاسع والأربعون لسلالة الأئمة التي تبدأ بعلي رضي الله عنه وتتفرع إلى الفرع الإسماعيلي تميزاً عن متابعة إمامة موسى الكاظم ابن جعفر الصادق رحمهما الله كما عند الشيعة الإمامية. ثم تتلاقى الإمامة الإسماعيلية والخلافة الفاطمية بدءاً من عبيد الله بن ميمون القداح، الملقب بالمهدي، الذي يُشكك أكثر المؤرخين بانتسابه إلى الإسلام فضلاً عن أن يكون ابن السلالة المشرفة. وتنشئ الإسماعيلية فرقتين: نزارية ومستعلية وتستمر أولاهما في بلاد فارس بجهود شيخ ما سمي بجماعة الحشاشين الحسن بن الصباح ثم تتفرق الطائفة إلى ثلاث فرق: الآغاخانية في بلاد الشام وأواسط آسيا، واثنتان تنكران إمامة علي محمد زينو ص ٤٠.

(٤) مدينة في إقليم أوتربرديش الهندي، تقع جنوب شرقي دلهي على نهر الغانج، يُنظر: د. شوقي أبو خليل أطلس دول العالم الإسلامي: ص ١٥٨ المصور (٢٥) الهند. والفرق الإسلامية منذ البدايات ص ٣٧٦ لسعد رستم نقلاً عن الموسوعة العربية الصادرة عن هيئة الموسوعة العربية التابعة لرئاسة الجمهورية العربية السورية، المجلد الأول: ص ٤٩٣ باختصار وإضافات.

(٥) الفرق الإسلامية منذ البدايات ص ٣٧٦ لسعد رستم نقلاً عن الموسوعة العربية الصادرة عن هيئة الموسوعة العربية التابعة لرئاسة الجمهورية العربية السورية، المجلد الأول: ص ٤٩٣ باختصار وإضافات.

أبرز أساتذتها، هما الأستاذ البريطاني (سير والتر رايلي) ^(١)، والعلامة شبلي النعماني المؤرخ الهندي ومؤسس ندوة العلماء بمدينة لكناؤ، والذي كان له الفضل في رفعها إلى درجة جامعة بعد نداء للاكتتاب تبناه زعيم طائفة الإسماعيلية، الراحل أغا خان، وتم جمع أكثر من ٣٠ مليون روبية.

وفي سنة ١٩٢٠ م تحولت إلى ما هي معروفة الآن باسم الجامعة الإسلامية عليجر، أقدم الجامعات في الهند، وأكثرها صيتاً وشهرة. وجاء بعد أحمد خان الشيخ شراغ علي الذي صرح "بأنّ الحديث في حد ذاته، لا يمكن الاعتماد عليه" ^(٢)

وفي عام ١٩٠٢ م أنكر أحد الذين تأثروا بأحمد خان، وهو عبد الله جكرالوي، مؤسس الحركة القرآنية، السنة كلّها، مُتخذاً مسجداً في لاهور ^(٣) مقرأً لحركته تلك وقد دعا إلى الاكتفاء بالقرآن وصنّف الرسائل في ذلك وقال: إن الناس افتروا على النبي ورووا عنه الأحاديث وشرع لجماعته الذين سماهم (أهل الذكر) الذكر هنا بمعنى القرآن وليس بالمعنى المعروف عند الصوفية (طريقة جديدة للصلاة) وقال: إن الأذان والإقامة بالشكل الذي يفعله المسلمون، بدعة. إلى غير ذلك من الأقوال ^(٤) ثم جاء في هذه السلسلة عددٌ ممن حملوا لواء هذه الأفكار كان أبرزهم ومرسخ فكرهم ومنظرٌ ومؤسس فرقته بشكلٍ رسمي غلام أحمد برويز ^(٥)

والغريب أنّ الباحثين في عصرنا أغفلوا ذكر هؤلاء في الحديث عن القرآنيين، بل ذكروا تاريخ القرآنيين منذ القرن الثاني للهجرة، يقول خادم حسين إلهي بخش (الأستاذ المساعد بكلية التربية جامعة أمّ القرى الطائف في رسالته) "إنّ رفض السنة يعود تاريخه إلى القرن الثاني الهجري، إلا أنّ مصادر التاريخ لا تحدّثنا عن أفراد أو جماعات منسوبة إلى الإسلام، ودعت إلى نبذ السنة بعد ذلك القرن" ^(٦)

(١) (السير والتر رالي) المتوفى في ٢٩ أكتوبر ١٦١٨) نبيل وكاتب وشاعر وفارس وجاسوس ومستكشف إنجليزي، وهو الأخ غير الشقيق الأصغر لهمفري جيلبرت، وابن عم ريتشارد غرينفيل يعرف بأنه بإشاعته استخدام التبغ في إنجلترا. ولد رالي لأسرة بروتستانتية في ديفون، إنجلترا.

(٢) الفرق الإسلامية منذ البدايات ص ٣٧٧ لسعد رستم نقلاً عن زوابع في وجه السنة نقلاً عن أعظم الكلام ١ / ٢٠.

(٣) لاهور هي مدينة باكستانية كانت عاصمة الغزنويين وملوك المغول فيها العديد من المساجد والحدائق. وتقليدياً: فإنهم يقولون في باكستان: إن إسلام آباد هي العاصمة السياسية وكراتشي العاصمة الاقتصادية، أما لاهور بتاريخها العميق فهي العاصمة الثقافية. وهي المنبر الذي أعلن من فوقه قرار إنشاء دولة باكستان فيما عرف بقرار لاهور الشهير الذي اتخذ عام ١٩٤٠ م. موقع الموسوعة الحرة (ويكيبيديا): (لاهور ar.wikipedia.org/wiki).

(٤) يُنظر: الفرق الإسلامية سعد رستم ص ٣٧٧.

(٥) ولد غلام أحمد برويز في إقليم البنجاب شمال غربي الهند عام (١٩٠٣ م) لأسرة سنية حنفية صوفية تخرج في جامعة البنجاب سنة وقد بقي على هذا المنهج المحارب للسنة حتى وفاته سنة (١٩٨٥ م)، يُنظر: الفرق الإسلامية منذ البدايات لسعد رستم ص ٣٧٨ - ٣٨٢

(٦) الحاكم النيسابوري: أبو عبد الله محمد بن محمد المتوفى سنة: ٤٠٥ هجرية في كتابه المستدرک علی الصحیحین: ٣ / ١٤٦ و ١٤٧ طبعة: دار المعرفة / بيروت.

القرآنيون (أو منكرو السنّة) سمّوا أنفسهم بهذا الاسم لاعتقادهم أنّ القرآن الكريم وحده مصدر التشريع والدين، وأنّ السنّة النبويّة ليست وحيًا يجب اتّباعه. فاختاروا لأنفسهم اسم "القرآنيون" أو "أهل القرآن" تمييزًا عن جمهور المسلمين الذين يجمعون بين القرآن والسنّة كمصدرين أساسيين للدين.

أسباب نشأة لمدرسة القرآنية:

مما لا شك فيه أن الحركة القرآنية ثمرة طبيعية للحركة التي بذر بذورها أعضاء حركة سر سيد^(١) بالمخالفة لجميع الأمة الإسلامية، والدعوة إلى الاعتماد على القرآن وحده في الدين، والسنّة لا تكون دليلًا شرعيًا، فتأثر منه محب الحق العظيم آبادي في الهند كما أثر على عبد الله جكرالوي في لاهور.^(٢) وأسّس محب الحق الحركة القرآنية هناك، وظل يدافع عنها حتى أواخر الخمسينيات من القرن العشرين. وجاء بعده أحمد الدين الأمرتسري المتوفي سنة ١٩٣٦م، فأسّس جماعة (أمة مسلمة) سنة ١٩٢٦م ومن أسباب نشأة حركة القرآنيين ما يلي:

- ١- ما أصاب المسلمين من الجمود الثقافي والاجتماعي، وجهل الكثيرين منهم بأمور دينهم، مما نتج عنه فقدان العلم الصحيح بين الدوائر الإسلامية وأصبحت هذا سبب انشاء المدرسة العقلية.
 - ٢- استغلال الاستعمار تربية بعض المنحرفين ممن تسموا بالمسلمين، مباشرة أو بالوساطة، واشترك أفكارهم لصالحها، ولو على حساب الدين. وكان على رأس هؤلاء غلام أحمد القادياني، وعبد الله جكرالوي وأتباعهما.
 - ٣- اعترافهم بالنظريات العلمية الأوروبية، المنتشرة خلال النصف الأول من القرن العشرين، وتفسير الحقائق الإسلامية على ضوء تلك النظريات والتوفيق بينها وبين الإسلام، ومنهم أتباع سيد أحمد خان، ثم تبعهم أهل القرآن هذا الانسجام بسبب الارتباط الروحية بين الفريقين.
 - ٤- ولعل السبب المباشر لظهور أهل القرآن هو إحساسهم بالحاجة إلى التحرر من مختلف المذاهب، نحو (الحنفية، والشافعية، والمالكية) وجميع المسلمين، ولكن لجهلهم بالإسلام وأسّس الحكمة ضلوا علي حالهم^(٣).
- هناك أسباب أخرى كثيرة لنشأتهم، لعل منها: حب الشهرة واتباع الشهوة والرئاسة وحصول المكانة المرموقة عند الاستعمار وكسب الأموال وغيرها .

(١) المراد من حركة سر سيد أحمد خان، دعوة المسلمين إلى تقليد الاستعمار في كل أمور الدنيا والدين، وأن هذا هو طريق التقدم والرفي والحضارة عنده، وأن المسلمين إذا أرادوا الحضارة فعليهم أن يقلّدوا الاستعمار في كل شيء، وعلى هذا الأساس قامت حركة سر سيد أحمد خان. فقد أنكرت ما تنكره الثقافة الغربية ولو كان دينًا وأثبتت ما تثبته ولو كان مخالفًا للدين وإجماع المسلمين.

(٢) إنكار حديث إيك فتنة إيك شارش . للبروفسير محمد فرمان، ص ١٧٩. وانظر نصره الحديث. ص ٢ للشيخ حبيب الرحمن، وسنت كي ايني حيثيت لأبي الأعلى المودودي: ص ١٦، فرقة أهل القرآن، وموقف الإسلام منها، ص ٤ رسالة ماجستير من الشيخ خادم حسين إلهي بخش في جامعة الملك عبد العزيز سنة ١٤٠٠هـ.

(٣) فرقة أهل القرآن وموقف الإسلام منها، ص ٧. لخادم حسين إلهي بخش؛ إشراف صلاح عبد العليم. [رسالة علمية] رقم الطلب: ٢٢٥. الناشر: مكة المكرمة.

يقول الشيخ أبو الحسن الندوي^(١) "أما القيادة الثانية، التي تزعمها سر سيد، على أساس تقليد الحضارة الغربية، وأُسُسها المادية، واقتباس العلوم العصرية، بحذاويرها على علاقتها، وتفسير الإسلام والقرآن تفسيراً يطابق ما وصلت إليه المدنية، والمعلومات الحديثة في آخر القرن بما لا يثبت به الحس والتجربة، ولا تقرره علوم الطبيعة في بادئ النظر من الحقائق الغيبية وأمور ما بعد الطبيعة"^(٢) كنظرية الارتقاء في خلق آدم ووجود الجنس البشري وتأويل الآيات القرآنية على ضوء هذه النظرية^(٣)

جذورها التاريخية:

إن الإنطلاقة الأولى لفكرة الاستغناء عن السنة، والإكتفاء بالقرآن ترجع جذورها إلى عصر الرسالة، وهي من الرزايا العظيمة، والكوارث القادحة التي قصمت ظهر المسلمين، وأدت إلى ضلال أكثرهم عن الهدى، وهذه الرزية تُعرف تاريخياً بيوم رزية الخميس.^(٤)

(١) أبو الحسن الندوي (١٤٢٠ - ١٣٣٣ هـ) ١٩٩٩ - ١٩١٤ م (عالم مسلم هندي، وداعية مفكر، وأديب مرب أول رئيس لرابطة الأدب الإسلامي العالمية. وُلِدَ بقرية تكيه بمديرية راي بريلي في الولاية الشمالية أتر برديش بالهند، نُشِرَ له أوَّل مقالٍ بالعربية في مجلة المنار للسيد رشيد رضا عام ١٩٣١م حول حركة أحمد بن عرفان) الشهيد في بالاكوت عام ١٨٣١م) من مؤلفاته: ظهر له أوَّل كتاب بالأردية عام ١٩٣٨م بعنوان سيرة سيد أحمد شهيد ونال قبولاً واسعاً في الأوساط الدينية والدعوية. ألَّف كتابه مختارات في أدب العرب عام ١٩٤٠م، وسلسلة قصص النبيين للأطفال وسلسلة أخرى للأطفال باسم: القراءة الراشدة في الفترة ما بين ١٩٤٢-١٩٤٤م. بدأ في تأليف كتابه المشهور ماذا خسر العالم بالخطاط المسلمين عام ١٩٤٤م، وأكمّله عام ١٩٤٧م، وقد طُبِعَت ترجمته الأردية في الهند قبل رحلته الأولى للحج عام ١٩٤٧م.

(٢) انظر: الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، لأبو الحسن الندوي. ص/ ٧١ أما رأيه في السُنَّة فسيأتي في ص ٨٥. وفرقة أهل القرآن ص ٧٧

(٣) انظر: إبليس وآدم لبروز. ص ٦/ ٣٥ نقلاً عن فرقة أهل القرآن وموقف الإسلام منها. ص/ ٧.

(١) رزية الخميس هي حادثة وقعت قبيل وفاة النبي محمد يوم الخميس. سمى الحادثة ابن عباس رزية الخميس أي مصيبة يوم الخميس. وردت رزية الخميس في العديد من المصادر التاريخية عند الشيعة وأهل السنة. وتباينت مواقف الطرفين من رزية الخميس. فأجمع أهل السنة على الوقوف مع طرف عمر وأنه هو الصواب. بينما أجمع الشيعة على وجوب تنفيذ أمر النبي. في ٢٥ صفر، سنة ١١ هـ مرض النبي محمد وكان في آخر أيام حياته. فطلب كتابة كتابٍ واصفاً إياه أنه كتاب لا يضلّ المسلمون بعده أبداً. فاختلف الحاضرون. فقال عمر بن الخطاب: إن النبي ﷺ غلب عليه الوجع، وحسبنا كتاب الله. فقال بعض الصحابة بقول عمر، بينما أمر الآخرون بالاستجابة لما يطلبه النبي. فتنازعوا في ذلك، فأمرهم النبي أن يخرجوا. ذكرت أكثر المصادر أن الذي عارض كتابة النبي للكتاب هو عمر بن الخطاب ولم تصرح بعض المصادر باسمه وردت رزية الخميس في عدة مصادر تاريخية عند الشيعة وأهل السنة. فعند السنة، جاءت في صحيح البخاري، صحيح مسلم، مسند أحمد بن حنبل، سنن البيهقي، طبقات ابن سعد. أما في كتب الشيعة: الإرشاد، أوائل المقالات، غيبة النعماني، ومناقب ابن شهر آشوب. عن ابن عباس قال يوم الخميس وما يوم الخميس، اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه فقال، اتنوني اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً، الخ، وأوصاهم بثلاث قال "أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم وسكت عن الثالثة أو قال فسيتها. البخاري، صحيح البخاري، ج ١، ص ٣٧، ج ٤، ص ٦٦، ج ٥، ص ١٣٧ - ١٣٨، ج ٧، ص ٩.

وهذا التيار الفكري الناشئ له أصوله التاريخية، القائمة على أساس نقض السنة النبوية ورفضها، وتظهر جذوره من تسلسل أصوله وتشابها بالخوارج^(١) والرافضة^(٢) والمعتزلة (سوف آتي تفصيلها في ما بعد)، فإذا لا بد من ذكر تشابها بالفرق في كتاباتهم دون اتصالٍ مُسبقٍ أو تنسيقٍ مُتَّفَقٍ عليه، شأنهم شأن الفرق والجماعات الأخرى الضالة وبيان جذورها، ومن أهمها:

المدرسة العقلية:

وتعود جذور القرانين إلى المدرسة العقلية حيث يقول أحمد صبحي منصور إن جذور القرانين بدأت منذ حركة الشيخ محمد عبده الإصلاحية عام ١٩٠٥.

فيقول أن محمد عبده^(٣) رفض من بعض الأحاديث الاحاديث مثل حديث سحر النبي ﷺ وانتقد البخاري^(٤)، وأنكر الشفاعة، ولكن تلميذه محمد رشيد رضا خالف مبادئه، وتعاون مع السلفية وهو أستاذ لحسن البنا مؤسس

(١) الخوارج، يُطلق عليهم أيضا الشراة أو المكفرة أو المارقة، هي أقدم فرقة إسلامية حيث ظهرت خلال عهد النبي محمد صلى الله عليه وسلم على يد ذو الخويصرة التميمي الذي اتهم النبي محمد صلى الله عليه وسلم بالظلم في توزيع الغنائم بعد إحدى الغزوات. وأهم عقائدهم التكفير بالذنوب والمعاصي، وإستحلال السيف على المسلمين. وينقسمون لفتتين وهم الشراة الذين يخرجون بالسيف على الحاكم بعد مبايعتهم له، والقعدية وهم من يحرضون على الخروج بالسيف على الحاكم وتأليب الناس عليه بذريعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. بدأ تأثيرهم خلال الفتنة الأولى (٦٦١-٦٥٦)، حيث كان الخوارج الأوائل هم من ثاروا على عثمان بن عفان ثم صاروا من شيعة علي بن أبي طالب وقد تمردوا على علي لاحقا لقبوله لمبادرات التحكيم لتسوية الصراع مع منافسه معاوية في معركة صفين عام ٦٥٧. وأكدوا أن "الحكم لله وحده" وهو ما أصبح شعارهم. وأن المتمردين مثل معاوية يجب قتالهم والتغلب عليهم وفقا للأوامر القرآنية. هزم علي الخوارج في معركة النهروان عام ٦٥٨، لكن تمردهم استمر. أغتيل علي بن أبي طالب عام ٦٦١ على يد الخارجي عبد الرحمن بن ملجم الذي كان يسعى للانتقام من الهزيمة في النهروان. وقال الشهرستاني في الملل والنحل

ل: ص ١١٤ / كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين لهم بإحسان والأئمة في كل زمان». وزاد ابن حزم في الفصل في الملل والأهواء والنحل بأن اسم الخارجي يلحق كل من أشبه الخارجي على الإمام علي أو شاركهم في آرائهم في أي زمن. وهو يتفق مع تعريف الشهرستاني. وعرفهم الدكتور علي عبد الفتاح المغربي في كتابه (الفرق الكلامية الإسلامية) بأنهم هم الذين خرجوا على علي بن أبي طالب وهم حزب سياسي ديني، قام في وجه السلطة القائمة من أجل الدين كما فهموه، وهم لا يعدون أنفسهم خارجين عن الدين بل خارجين من أجل الدين، ومن أجل إقامة شرع الله، متمسكين بمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولقد تشبثوا بهذا المبدأ وتطبيقه، حتى أصبح علامة من علاماتهم، وراموا إلى إقامة دولة إسلامية تقوم على الدين وأحكامه. كتاب: الفرق الكلامية الإسلامية (مدخل ودراسة)، تأليف: علي عبد الفتاح المغربي، الناشر: مكتبة وهبة، الطبعة الثانية: ١٩٩٥م، ص: ١٦٩-١٧٠.

(٢) الرافضة أو الروافض (المفرد: رافضي) (وهو مصطلح قديم لتسمية الشيعة الاثني عشرية ويُعرف المصطلح بين عموم أهل السنة قديماً، أما حديثاً فيستعمل بشكل كبير من قبل بعض حركات وجماعات الإسلام السياسي المحافظة، وتشير الكلمة لعدم اعتراف (رفض) الشيعة بالخلفاء أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان خلفاء شرعيين للنبي محمد ويعتبرون علي بن أبي طالب أحق بخلافة النبي. ومعنى الكلمة المعجمي هو «الترك». وقد ذكر ابن منظور: «الرفض تركك الشيء تقول: رفضني فرفضته، رفضت الشيء أرفضه رفضاً. تركته وفرقته، والرفض، الشيء المتفرق والجمع: أرفض». قال ابن تيمية في أصل تسمية الرافضة: «من زمن خروج زيد - يقصد زيد بن علي - افترقت الشيعة إلى رافضة وزيدية، فإنه لما سئل عن أبي بكر وعمر فترحم عليهما، رفضه قوم فقال لهم: رفضتموني. فسموا رافضة لرفضهم إياه، وسمي من لم يرفضه من الشيعة زيدياً لانتسابهم إليه .. منهاج السنة النبوية لابن تيمية ص ٣٥ ج ١

(٣) قد ذكرت تراجم جميع الأعلام المذكورة في المبحث القادم علي التفصيل.

(٤) كتاب دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين ص ٢٢٣ مكتبة السنة - نقله عن الإمام محمد عبده إنكار حديث سحر النبي صلى الله عليه وسلم

جماعة الإخوان المسلمين، واستطرد قائلاً إن آثاراً من مدرسة محمد عبده ظلت باقية وآخر من كان فيها الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر الأسبق الذي توفي في ستينات القرن الماضي، وكنت لا أزال طالبا في التعليم الأزهرى، وقبله الشيخ مصطفى المراغى شيخ الأزهر في الأربعينات، وكان الشيخ محمود شلتوت حين ذاك مديراً لمكتبه.

وقد كانت بداية الدكتور منصور من خلال عمله بالتدريس في الأزهر عام ١٩٧٧ ولكنه اصطدم بعلماء الدين السنة من الصوفية والسلفية الذين اضطهدوه على حد زعمه، وانتهى الأمر بفصله عن العمل عام ١٩٨٧ وإدخاله السجن شهرين في نهاية نفس العام متهما بإنكار السنة، عمل بعدها بشكل مستقل يدعو لأفكاره من خلال كتبه، ومقالاته وأبحاثه وندواته، في مركز ابن خلدون وغيره.

يقول د. منصور: أصبحنا مجموعة كبيرة من أساتذة جامعات ومحامين وغير ذلك وازداد التعاطف معنا، وكنت قبلها أخطب في مساجد القاهرة وغيرها وفي عام ٢٠٠٢ اضطر للهجرة لأمريكا لاجئاً سياسياً، بعد إغلاق مركز ابن خلدون وموجة اعتقال شملت صفوف النشطين من القرآنيين، أدخلتهم السلطات المصرية السجن بتهمة ازدراء الأديان. بعدما استقرت أحواله في أمريكا ظهر على ساحة الإنترنت العربي داعياً لمنهجه الجديد، فأسس المركز العالمي للقرآن الكريم IQC في ولاية فيرجينيا وموقعه على الإنترنت أهل القرآن ومن خلاله بدأ ينشر مقالاته وكتبه وأبحاثه للتعريف بمنهجه والدعوة إليه^(١)

ويتساءل: ما الحاجة إلى السنة النبوية الشريفة وكتاب الله موجود بأيدينا؟

ويجيب: هذه المقولة ليست مقولة جديدة، بل هي فكرة قديمة تبنتها جماعة من أصحاب النبي ﷺ حسب زعمه قُبيل وفاته ثم طبقوا هذه الفكرة وعملوا بها زمناً طويلاً بعد موته ﷺ ثم تكرر طرحها بواسطة جهات وجماعات مختلفة، وأهداف متفاوتة.

وإنَّ ما يُطلق عليهم في وقتنا المعاصر اسم (الفرقة القرآنية) إنما يُمثّلون حلقة في سلسلة طويلة من فرق وطوائف شتّى حاربت السنة النبوية المشرفة بكلِّ ما أُوتيت من قوة على ما مرَّ بنا، فهي حتى الآن تُمثّل نهاية هذه السلسلة الطويلة التي حاربت السنة، ولا ندري هل فيما يأتي يتولّد عنها تيارات أخرى أم لا؟

وتجدر الإشارة إلى أنَّ القرآنيين ليسوا إلّا تيّاراً فكريّاً يُمكن أن يُطلق عليه اسم "مدرسة فكرية"، فهم لا يُشكلون فرقة كالفرق المعروفة تاريخياً أو حتى في عصرنا الحديث، كما أننا نجازف إذا أطلقنا عليهم اسم "جماعة" إلّا إذا اعتبرناها جماعةً في طور النشأة، إذ أن أصحاب هذا التيار لا يوجد بينهم رابط إلّا الإتفاق على بعض المبادئ العامة.

الخوارج: وتعود جذور القرآنيين إلى الخوارج بسبب التشابه الفكري والعقائدي في إنكارهم السنة النبوية وإهانة الصحابة وفي تنفيذ الأحكام.

بدأ إنكار السُّنة على أيدي "الخوارج" الذين طعنوا في عدالة الصحابة رضي الله عنهم بعد (حادثة المراجعة أو التحكيم المشهورة) ومن الخوارج مَنْ فسقوا الصحابة رضوان الله عليهم، وهم قليل، وأكثر طوائف الخوارج وصفوا بجمهرة صحابة النبي بالكفر، بل منهم من جعلهم كالمشركين في عدم قبول الحرب والسِّبِّ والجزية، وبسبب انحرافهم مخالفتوا الأمة الإسلامية، وقاموا بالمسارعة في تكفير الأمة بأنواعٍ من الكفر، فأكثرهم يرون أنَّ دار مخالفتهم دار حرب، يُقتل فيها النساء والصبيان، وأن جميع المسلمين كُفَّار مثل كُفَّار العرب.

وأما في الأحكام: فقد أنكروا عقوبة الرِّجْم في الزاني المحصَّن، كما أنكروا الخوارج يقول "انها ليس في القرآن" وقد وضعوا حدَّ السرقة ولم يتبعوا السُّنة والإجماع في منع من الحرز السرقة وعقابها، وكذلك قطع اليد من الرُّسْع، كما أجازوا رفض الأمانات الكفار التي أمر الله تعالى بأدائها، ويَحِلُّ أكل أماناتهم، وأجاز فريق منهم نكاح بنت البنت، وبنت الابن لأنَّ القرآن لم يَذْكُرْهُنَّ ضمن المحرَّمات، وأوجب الصلاة والصيام على الحائضة في حيضها^(١) إلى غير ذلك من أنواع الضلال، الذي وقعوا فيه من أصول الدِّين، وأحكام الشريعة، بسبب رفضهم السُّنة النبوية المطهرة، وزعموا أنهم يأخذون قواعد أحكام دينهم عن القرآن، ولم يعلموا أنهم رفضوا القرآن يوم رفضوا السُّنة..

الرافضة: وتعود جذور القرآنيين إلى الرافضة بسبب التشابه الفكري.

إن هناك تيارات كثيرة خرجت على إجماع الأمة منذ القرن الأول، وتختلف طرق هذا الخروج وأشكاله، لكنهم يشتركون في الوقوع في أخطاء منهجية في توجيه النص الشريف، وفي الاعتماد على الشبهات لا الأدلة الواضحة؛ شرعية كانت أو عقلية، فهم يزعمون التمسك بالعقل، لكنهم يخالفونه ويخالفون الشرع في وقت واحد، ومثال ذلك: أن الشيعة اعتمدوا فكرة الإمام المعصوم الذي يرث النبي المعصوم بدون دليل شرعي، ودليلهم العقلي هو أنه لا يحفظ الشريعة إلا معصوم، ونحن نرى أن المعصوم هو رأي الأمة وإجماعها، وهو المسؤول عن حفظ الشريعة، وهو الأقدر على هذا كما يتضح من التاريخ، وأما الإمام المعصوم فنحن لم نره منذ حوالي ١٢٠٠ سنة.

وكما أن "الرافضة" لم يقبل السنة النبوية صلى الله عليه وسلم إلا القليل مما نُقِلَ إليهم ممن يعتقدون لهم (الإمامة) على زعمهم، وهم من اتباع آل النبي، ﷺ وهم بضعة عشر صحابياً فقط، الذين رضي عنهم الرافضة وأخذوا عنهم، لقد انكر قدرًا كبيرًا من السنة النبوية بشدة، لأنها جاءت عن جمهرة الصحابة الذين لا يرضهم الرافضي، ومن هنا قدامطعنوا في عدالة الصحابة رضي الله عنهم لأنهم قد بايعوا أبا بكر رضي الله عنه خليفة لرسول الله صلى

(١) انظر: الفرق بين الفرق، ص ٣١٤ لعبد القاهر البغدادي ت ٤٢٩ هـ من الكتب المشهورة، لمن أراد أن يعرف تاريخ الفرق الإسلامية، من حيث النشأة والرجال والأفكار.

الله عليه وسلم، ولم يُبايعوا عَلِيَّ رضي الله عنه، الذي كان هو الخليفة كما يزعمون، ولم تكتف الرافضة بإنكار السنة النبوية بل أضافوا جريمةً أخرى وهي أنهم كذبوا على رسول الله ﷺ، ووضعوا أحاديث ونسبوا زوراً وبهتاناً إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وكتب أشياء على هيئة أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم في مدح وتعظيم أئمتهم، واستقامتهم، واثبات عقيدتهم، وفي ذم من خالفهم ومعفقاتهم، وقد كان للأحاديث المكذوبة الموضوعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم دور مهم عندهم في حُجَّة التشريع وأصول الدين

المعتزلة: وتعود جذور القرآنيون إلى المعتزلة بسبب التشابه الفكري والعقائدي في ردّ نصوص كثيرة، وإنكارهم عن السنة النبوية.

لما كانت المعتزلة لا يؤمنون إلا بما يتفق مع عقولهم، وأصولهم الخمسة، وكان هناك من الأحاديث النبوية ما يهدم مذهبهم، ويناقض أدلتهم، كان موقفهم من السنة موقف العداء لها، فقد ذمُّوا مَنْ تعلَّم الحديث، لقد قلَّلوا من فائدته، والاستدلال به، وقالوا أنه ليست حاجة إليه، وعلى إثر ذلك بدأت عداوتهم للصحابة رضي الله عنهم واتَّهامهم في دينهم، وأما آيات القرآن الكريم فقد أولوها بما يُوافق أصولهم وأهواءهم، وما تعارض من الأحاديث الصحيحة مع أصول المعتزلة إمَّا يؤوِّلونه تأويلاً يُشبه الرد، وإمَّا يُصرِّحون بالردِّ بِحُجَّة أنه الخبر آحاد، والآحاد لا يحتج بها في العقائد، وهم في كلِّ ذلك يتطاولون على رواة السُّنة ويطعنون فيهم سواء من الصحابة رضي الله عنهم أو من التابعين، فمن بعدهم من أئمة المسلمين. وبلغ بالمعتزلة عداؤهم للسنة النبوية أن ردُّوا نصوصاً كثيرة، ومن ذلك^(١)

- ١- نفيهم لصفات الله تعالى.
- ٢- نفيهم للقدر.
- ٣- إنكارهم لرؤية الله تعالى يوم القيامة.
- ٤- إنكارهم لشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم.
- ٥- إنكارهم لمعجزات النبي صلى الله عليه وسلم كأنشقاق القمر، وفي يده تسبيح الحصى، ونبع الماء بين أصابعه،
- ٦- إنكارهم للحدود التي تثبت بالسُّنة كحد شارب الخمر، وحد السرقة.
- ٧- إنكارهم لحجية الإجماع والقياس.
- ٨- تخليدهم صاحب الكبيرة في النار.
- ٩- إنكارهم لعذاب القبر.

ولا نبالغ إذا قلنا إن منهج المعتزلة بوابة كبرى، ولجَّ منها أعداء الإسلام والسُّنة، لمهاجمة الشريعة الإسلامية، وإثارة الشبهات حولها، إذ صَوَّروا الإسلام في صورة الخرافات والأساطير. وأخطأوا في أمرين: شددوا في شروط قبول السنة؛ خاصة في العقيدة، وبالغوا في تأويل النصوص،

(١) انظر: موقف المعتزلة من السنة النبوية ومواطن انحرافهم عنها حسين، أبو لبابة دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض، ص ١١٣

جامعة عليجر^(١)

وتعود جذور القرآنيين إلى عليجر أيضاً، التي تجمع علوم التراث مع العلوم العصرية، وقد تسلم العلماء البريطانيون إدارتها لمدة سنتين وما لبث أحمد خان أن تولى إدارتها بنفسه منذ عام ١٨٨٠ بعد أن استقال من منصبه في القضاء وبقي يُديرها حتى وفاته.^(٢) توفي السيد أحمد خان عام ١٨٩٩م، ولكنه خلف رجلاً مثل حالي^(٣) وشبلي^(٤) ومحسن الملك،^(٥) حملوا رسالته بعض هؤلاء الرجال مع آخرين، أسسوا المؤتمر الإسلامي في مطلع القرن ٢٠م، وفي عام ١٩١٣م أصبح القائد الأعظم محمد علي جناح عضواً في المؤتمر الإسلامي وفي عام ١٩٣٠م عقد المؤتمر الإسلامي في مدينة (اله آباد) برئاسة الشاعر محمد إقبال، وفي هذا المؤتمر نادى إقبال بدولة للمسلمين، وقام القائد الأعظم محمد علي جناح بالجهاد في سبيل الفكرة، حتى إستقل جمهورية باكستان الإسلامية. غير أن جامعة عليجر الإسلامية، بقيت في مقاطعة أوتر براديش بالهند، ومضت تنتعش حتى ذاع صيتها في جميع أنحاء العالم، بفضل اثنين من أبرز أساتذتها، هما الأستاذ البريطاني سير والتر رايلي، والعلامة شبلي النعماني المؤرخ الهندي ومؤسس ندوة العلماء بمدينة لكناو، والذي كان له الفضل في رفعها إلى درجة جامعة بعد نداء للاكتتاب تبناه زعيم طائفة الإسماعيلية الراحل آغا خان، وتم جمع أكثر من ٣٠ مليون روبية.

القرآنيون الجدد:

تجددت الدعوة إلى الاكتفاء بالقرآن الكريم، والاستغناء عن السنة النبوية الشريفة بل إنكارها، ونبذها في العصر الحاضر من قبل بعض الجماعات في مصر والهند، وبعض البلاد الأخرى فكتبوا المقالات والكتب، وأصدروا المجلات، ونشروا المنشورات، وفتحوا مواقع على شبكة الانترنت، لترويج هذه الفكرة الفاسدة.

(١) قام السير سيد أحمد خان عام ١٨٧٧م بإنشاء جامعة عليكرة (Aligrah) لتكون مركزاً للدراسات الإسلامية في مدينة عليكرة بولاية أوتار برادش، كان يطلق على مكتبة الجامعة اسم مكتبة ليتون، تدرس العلوم الإسلامية بالإضافة إلى العلوم الحديثة.

(٢) يُنظر: دول العالم الإسلامي د. شوقي أبو خليل أطلس ص ١٥٨ الهند

(٣) خواجه أطاف حسين هالي، الشاعر والناقد الشهير للغة " الأردية " في الهند. ولد هالي عام ١٨٣٧ في بانبيات . كان اسم والده خواجه إيزو بخش - وكان عمره ٩ سنوات فقط عندما توفي والده وبعد وقت قصير من إصابة والدته بمرض عقلي، قام شقيقه الأكبر أمداد حسين بتربيته. ووفقاً للدستور الإسلامي، فقد حفظ القرآن أولاً. وبعد ذلك بدأ بدراسة اللغة العربية . وفي عمر ١٧ عاماً، تزوج رغماً عن إرادته. الآن ينوي الذهاب دلهي ودرس النحو والمنطق العربي لمدة عامين.

(٤) شبلي النعماني (١٣٣٢ - ١٢٧٥ هـ / ١٨٥٧ - ١٩١٤ م) علامة مسلم ومؤرخ أديب، من أهل الهند، وكاتب مصنف. وهو ابن عمّة العلامة المفيسر عبد الحميد القراهي.

(٥) محسن الملك) ولد: ٩ ديسمبر ١٨٣٧ - توفي: ١٦ أكتوبر ١٩٠٧) كان حيدر آباد زعيماً اقتصادياً وسياسياً في منطقة ديكان .جامعة عليكرة الإسلامية كانت موثوقة أيضاً من مؤسسي رابطة المسلمين . كان صديقاً مقرباً للسير سيد أحمد خان وهو أيضاً واعظ رئيسي بكلية التربية المحمدية. نواب صاحب كان صاحب صفات كثيرة، حكمة، ذكاء، فصاحة وكرم، أول ما ذكرها هو الحكمة. كان محسن الملك شخصاً مفعماً بالحياة وسرعان ما أصبح مفتوناً.

والمسلم المتعلم البصير لا بُدَّ، وأن يشك في نوايا هذه الجماعات، وأهدافه أو من حقه أن يُبدي حساسية عالية تجاه هذه التحركات، ومن حقه أيضاً أن يرجع إلى الماضي ليكتشف الأسباب الحقيقية الكامنة وراء نبذ السنة النبوية الشريفة وترك العمل بها قرابة قرن بحجج واهية. ثم ألحق في أن يتساءل عن أسباب رجوع أصحاب هذه الفكرة إلى السنة النبوية، بعد أن نبذوها وراء ظهورهم لكن بعد أن تم تدوينها من قبل السلطة الحاكمة آنذاك حسب معايير خاصة.

هذا وأن من له أدنى معرفة بمصادر التشريع الإسلامي، لا يمكنه قبول رأي هذه الجماعة، وذلك لأن فكرتهم الفاسدة هذه تخالف القرآن، ولا تتفق مع صريح آياته أبداً، بل ويتضح له أن هذه الجماعات كانت ولا تزال تريد فتح باب التلاعب بقيم القرآن وتعاليمه، حسب ما تقتضيه مصالحهم، ليتسنى لهم تطبيق خططهم الخطيرة، تجاه الدين الإسلامي، لكن بإسم الدعوة إلى العمل بالقرآن، والدفاع عنه حيث أنها تُسمِّي نفسها تارة بالقرآنيين، وأخرى بأهل القرآن. وأما الآراء همسوف أحللها في المبحث القادم تحليلاً علمياً أميناً ودقيقاً، مع بيان تناقضاتها وضعف أدلتها وما يناقضها من الشرع والعقل،

حجة القرآنيين حسب ما يسمون به أنفسهم:

القرآنيون يسمون أنفسهم باهل القرآن من وجوه

أولاً: يقول القرآنيون أو أهل القرآن، حسب ما يسمون به أنفسهم، إنهم يتبعون القرآن وحده لأنه المصدر الوحيد للشرعية الإسلامية حسب زعمهم محتجين بقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ أن القرآن لم يفرط في شيء يحتاج إليه المسلمون، وأنه نزل تبياناً لكل شيء، لأنه سنة الله الذي كان خاتم النبيين محمد ﷺ مأموراً بإتباعه وحده. و من خلال هذه المغالطة، يحاول هؤلاء الجماعة التشويش على أفكار شبابنا المسلمي الساذج والبسطاء، ممن ليست لهم المعلومات الكافية أو القدرة على التمييز.

الثاني: انهم ظنوا ان الإنطلاقة الأولى لفكرة الاستغناء عن السنة، والإكتفاء بالقرآن ترجع جذورها إلى عصر الرسالة، و هي من الرزايا العظيمة، والكوارث القادحة التي قصمت ظهر المسلمين، وأدّت إلى ضلال أكثرهم عن الهدى، وهذه الرزية تُعرف تاريخياً بيوم رزية الخميس.^(١) فالذي نقرؤه في المصادر: أنَّهم القرآنيون الأوائل هم الذين رفعوا شعار "حسبنا كتاب الله"

(١) رزية الخميس هي حادثة وقعت قبيل وفاة النبي محمد يوم الخميس. سُمِّي الحادثة ابنُ عباسٍ رزية الخميس أي مصيبة يوم الخميس. وردت رزية الخميس في العديد من المصادر التاريخية عند الشيعة وأهل السنة. وتباينت مواقف الطرفين من رزية الخميس. فأجمع أهل السنة على الوقوف مع طرف عمر وأنه هو الصواب. بينما أجمع الشيعة على وجوب تنفيذ أمر النبي. في ٢٥ صفر، سنة ١١ هـ مرض النبي محمد وكان في آخر أيام حياته. فطلب كتابة كتابٍ واصفاً إياه أنه كتاب لا يضلُّ المسلمون بعده أبداً. فاختلف الحاضرون. فقال عمر بن الخطاب: إن النبي ﷺ غلب عليه الوجع، وحسبنا كتاب الله. فقال بعض الصحابة بقول عمر، بينما أمر الآخرون بالاستجابة لما يطلبه النبي. فتنازعوا في ذلك، فأمرهم النبي أن يخرجوا. ذكرت أكثر المصادر أنَّ الذي عارض

الثالثة: القرآن كامل لا يحتاج إلى مصدر آخر، لأنه قال تعالى: ﴿مَا فَرَقْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ الأنعام: ٣٨ فيزعمون أن كل التشريع موجود في القرآن وحده، ولا حاجة للسنة. (١)

الرد: الآية لا تعني أن القرآن فيه تفصيل كل جزئية عملية، بل المقصود أن فيه أصول الهداية. ولذلك أمر الله بالرجوع إلى الرسول صلى الله عليه وسلم في بيان الكتاب: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ النحل: ٤٤. فلو كان القرآن كافياً في كل التفاصيل لما كان هناك حاجة للبيان النبوي. (٢)

الرابعة: قالوا: إن النبي مأمور فقط بتبليغ القرآن، وليس تأسيس شريعة أخرى. (٣)

الرد: النبي صلى الله عليه وسلم مأمور بالبلاغ والبيان معاً، والسنة وحي غير متلو. قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ النجم: ٣-٤. وقد اتفق جمهور المفسرين على أن هذا يشمل أقواله وأحكامه. (٤)

الخامسة: السنة منقولة بالآحاد والظن، فلا تصلح للتشريع، بينما القرآن قطعي. (٥)

الرد: السنة فيها متواتر يفيد القطع، وفيها آحاد صحيح معمول به بالإجماع. وقد بنى الأئمة (الشافعي، أحمد، مالك) كثيراً من الأحكام على أخبار الآحاد الصحيحة. والرسول صلى الله عليه وسلم أرسل معاذاً وأبا موسى إلى اليمن ليعلموا الناس بالدين، وكان نقلهما خبر آحاد، ومع ذلك أقام به الحجة. (٦)

السادسة: قالوا: حديث النبي يمكن أن يدخله الكذب والتحريف، فلا يصح أن يكون حجة في الدين. مصدر: عبد الله جكرالوي، تذكرة الرسول، ص ٨٨.

الرد: هذا طعن في حفظ الأمة، مع أن الله تكفل بحفظ الذكر: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، والذكر يشمل القرآن والسنة (كما فسره كثير من المفسرين). وقد اعتنى المحدثون بتمييز الصحيح من الضعيف حتى صار علماً قائماً بذاته. (٧)

كتابة النبي للكتاب هو عمر بن الخطاب ولم تصرح بعض المصادر باسمه وردت رزية الخميس في عدة مصادر تاريخية عند الشيعة وأهل السنة. فعند السنة، جاءت في صحيح البخاري، صحيح مسلم، مسند أحمد بن حنبل، سنن البيهقي، طبقات ابن سعد. أما في كتب الشيعة: الإرشاد، أوائل المقالات، غيبة النعماني، ومناقب ابن شهر آشوب. عن ابن عباس قال يوم الخميس وما يوم الخميس، اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه فقال، اتنوني اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً، الخ، وأوصاهم بثلاث قال "أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم وسكت عن الثالثة أو قال فنسيتها. البخاري، صحيح البخاري، ج ١، ص ٣٧، ج ٤/ ص ٦٦، ج ٥/ ص ١٣٧ - ١٣٨، ج ٧/ ص ٩.

(١) غلام أحمد برويز، معرفة القرآن، ج ١، ص ٤٢.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٢، ص ٥٨٦.

(٣) أحمد الدين أمرتسري، بيان الفرقان، ج ١، ص ١٥.

(٤) الطبري، جامع البيان، ج ٢٧، ص ٧٥.

(٥) غلام أحمد برويز، طلوع الإسلام، ص ١١٢.

(٦) الرسالة الشافعي، ص ٤٠١ (تحقيق أحمد شاكر).

(٧) السيوطي، تدريب الراوي، ج ١، ص ٣٢.

اقول: حجج القرآنيين تقوم على تأويلات مبتورة للآيات، وردّ السنّة يؤدي إلى إسقاط جزء من الوحي الذي أوحاه الله إلى نبيه صلى الله عليه وسلم، وهو ما أجمع العلماء على بطلانه.

المبحث الثاني: ظهورها في شبه القارة الهندية وانتشارها

الأول: ظهورها في شبه القارة الهندية

أما ظهور القرآنيون فيبدء من وضع الإنجليز أيديهم على شبه القارة الهندية، دانت لهم كثير من الطوائف غير المسلمة كالهندوس والبوذيين وغيرهم وأما المسلمون كانوا أقل من الهندوس؛ لكن كانوا متعلما ومتحضرا، ولم ينقادوا للإنجليز وقاوموا استعمارهم بالعديد من الثورات كان أشهرها ثورة مايو عام ١٨٥٧ م، وبعد ذلك دبر المستعمر الإنجليزي حُطّة مأكرة واستقطبوا أشخاصا من المسلمين باعوا دينهم مقابل السلطة والمال فكان هؤلاء العملاء يؤلفون المؤلفات تظاهرا بالإسلام والحرص عليه والدعوة وإليه وفي ثنايا هذه المؤلفات السم الزعاف، والشبهات الخبيثة التي يبتونها تشكيكا للمسلمين في دينهم ومن أبرز هؤلاء العملاء: القادياني ميرزا غلام أحمد الذي ادعى النبوة وأحمد رضا خان الذي غالى في حبّ النبي صلى الله عليه وسلم وأضفى إليه بعض صفات الله تعالى وسر سيد أحمد خان الذي باع دينه واشترى به ولاءه المطلق للإنجليز.^(١)

واستمر طريق الضلال هذه تنتقل عبر التاريخ بطوائفها المختلفة، في شرق الأمة المسلمة وغربها، حتى كانت في اواخر القرن التاسع عشر واولائل القرن العشرين، حيث نبتت نابتة سوءت المسلمين في بلاد الهند، وذلك بنشأة بطائفة ما سُمّي القرآنيون، التي ادعت انها لا تعتمد الا على القرآن وحده، ورفضت السنّة النبوية المطهرة وأخذت تدعو إلى نخلتها بهمة ونشاط برعاية الاستعمار الإنجليزي، ثم انتقلت من الهند إلى باكستان بعد احراره باسم البروزيين، وقد استغل المستعمرون هؤلاء الدعاة المنحرفين من أجل تحقيق أهداف، السيطرة على المسلمين وإضعافهم بتمزيقهم وتفريق جماعتهم، فاستثمر الإنجليز عليهم أموالا، ويسّروا لهم سبل نشر دعوتهم الضالة، إلا أنهم لم ينتشروا ولم يكتب لآرائهم الذبوع على عكس البابية والبهاية^(٢)

(١) القرآنيون في "شبه القارة الهندية" (اللوكة الشرعية السعودية) إشراف سعد بن عبد الله حميدز

(٢) البابية والبهاية حركة، أسسها الميرزا علي محمد رضا الشيرازي، نبعت من المذهب الشيعي الشيعي سنة ١٢٦٠هـ/١٨٤٤م، تحت الاستعمار الروسي واليهودية العالمية والاستعمار الإنجليزي، لإفساد العقيدة الإسلامية وتقسيم الوحدة المسلمين، وصرفهم عن قضاياهم الأساسي، ١٢٦٠-١٢٣٥هـ (١٨١٩م)، ففي السادسة من عمره تلقى تعليمه الأولي على يد دعاة الشيعة من الشيعة، وفي السابعة عشر من عمره عاد للدراسة واشتغل بدراسة كتب الصوفية والرياضة الروحية وخاصة كتب الحروفيين وممارسة الأعمال الباطنية المتعبة. وفي السنة ١٢٥٩ م ذهب إلى بغداد وبدأ يرتاد مجلس إمام الشيعة في زمانه كاظم الرشتي ويدرس أفكاره وآراء الشيعة. في ليلة الخميس ٥ جمادى الأولى ١٢٦٠ هـ. ٢٣ مارس ١٨٤٤م أعلن أنه الباب نسبة إلى ما يعتقد الشيعة الشيعة من ظهوره بعد وفاة الرشتي المتوفى ١٢٥٩ هـ، وأنه رسول كموسى وعيسى ومحمد. عليهم السلام. بل وعياداً بالله.. فأمن به تلاميذ الرشتي، واختار ثمانية عشرة مبشراً لدعوته، إلا أنه في عام ١٢٦١ هـ قبض عليه فأعلن توبته على منبر مسجد الوكيل، بعد أن عاث هوا وأتباعه كانوا يفسدون في الأرض فساداً وتقتيلاً وتكفيراً للمسلمين. في عام ١٢٦٦ هـ ادعى الباب حلول الإلهية في شخصه حلولاً مادياً وجسمانياً لكن بعد أن ناقشه

التي انتشرت على يد المستعمر.^(١) وقد تصدّى علماء شبه القارة الهندية لفكرة أهل القرآن منذ وجودها، لما يترتب عليها من خطر وردّة عن الدّين وقاموا بتفنيد شبهاتهم، وذلك بدراسات علمية كشفت ضلال هذه الطوائف، وفندت جوانب الزّيف والانحراف لهذه الطوائف الضّالة.

الثاني: إنتشارها

لقد ذكرنا سابقاً أنّ كُتُب التاريخ لا تتحدّث عن أفراد أو جماعات ارتبطت بالإسلام، وتؤكد علي رفض السُنّة بعد القرن الثاني أو على الأكثر بعد القرن الثالث، وأنّ الأُمّة الإسلامية ما زالت آمنة طوال أحد عشر قرناً، إلّا أنّ الفتنة قد ظهرت بعد ذلك من قبل المستعمرين.

يقول الأستاذ المودودي رَحِمَهُ اللهُ: "ومع حلول القرن الثالث عشر الهجري تجددت هذه الفتنة، فتنة إنكار السُنّة وحجّيتها من جديد فكانت ولدت في العراق ونشأت في الهند، وإنّ بدايتها لتعود في الهند إلى سيد أحمد خان، ومولوي جراح علي، ثم كان هناك فارسها الشجاع مولوي عبد الله جكرالوي، ثم تولى الراية مولوي أحمد دين امرتسري، ثم تقدم بها مولانا أسلم جراجيوري، وأخيراً تولى رياستها غلام أحمد برويز، الذي أوصلها إلى ساحل الضلال^(٢)."

وفي اواخر القرن التاسع عشر الميلادي، بدأت الدعوات الهدامة تغزو الهند إثر إصابة المسلمين بجمود ثقافي واجتماعي، غير أن مفعولها سرى على شكل واضح في ولاية بنجاب المركزية، وما أسوأ حظ هذه البقعة من الأرض حيث جعلت مسرحاً لحركتين مدمرتين للإسلام القاديانية والقرآنية.

ففي سنة (١٩٠٠) م ظهر في تلك البقعة، ميرزا غلام أحمد القادياني، وادعى النبوة، ثم بدأ غلام نبي المعروف بعبد الله جكرالوي، فأنكر السُنّة كلها وأسس مذهبه باسم (أهل القرآن) في سنة ١٩٠٢ م وفي البداية

العلماء حاول التظاهر بالتوبة والرجوع، البهائيون يعتقد أن الباب هو الذي خلق كل شيء بكلمته، وهو المبدأ الذي ظهرت عنه جميع الأشياء. ويقول البهائيون بالحلل والالاتحاد، والتناسخ وخلود الكائنات، وأن الثواب والعقاب إنما يكونان للأرواح فقط، ويقدر البهائيون العدد ١٩ ويجعلون عدد الشهور ١٩ شهراً، وعدد الأيام ١٩. البهائيون يؤمن بنبوة بوذا وإبراهيم، وزارذشت، وأمثالهم، من حكماء الهند والصين. يوافق البهائيون اليهود والنصارى في القول بصلب المسيح، ويقولون القرآن تأويلات باطنية ليتوافق مع مذهبهم، (انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ج ١، ص ٤٠٩، ٤١٥، وموسوعة الفرق والمذاهب، وزارة الأوقاف المصرية، ص ١٣٩، ١٥٨).

(١) كتاب شبهات القرآنيين حول السنة النبوية لمحمود مزروعة ص ٢٧

(٢) سنت كي ايني حيثيت لشيخ مودوي / ص ١٦.

تزعم حركة أهل القرآن شخصيتان؛ هما: محب الحق عظيم آبادي ^(١) في بهار شرقي الهند، وعبد الله الجكرالوي ^(٢) في لاهور في آن واحد؛ غير أن الأول لم يخالف المسلمين في الأعمال الظاهرة، بل كان متمثلاً لها كأبي فرد من المسلمين باستنباط ذلك من القرآن الكريم دون اللجوء إلى السنة الشريفة، مع ما سجله من المخالفات الظاهرة كإنكاره وجود منصب الإمامة في الإسلام لعدم ذكر القرآن له وغير ذلك ^(٣)، وأما عبد الله فقد خالف المسلمين منذ الابتداء وقام بتشكيل فرقة جديدة باسم (أهل الذكر والقرآن).

اتفقت المصادر التي بحثت عن نشأة جماعة أهل القرآن على أنهم الثمرة الطبيعية للحركة التي بذر بذورها أعضاء حركة السيد أحمد خان ^(٤). ثم جاء في هذه السلسلة العليقة عددٌ ممن حملوا لواء هذه الأفكار الضالة، في الوقت الحاضر وانتشروا في شكل أربع فِرَقٍ أو طوائف (من القرآنيين)، وأجمعت على أمرين:

١- الاختصار على القرآن وحدّه في معاملات الدنيا والآخرة.

٢- القول بأن السنة النبوية ليست مُحجّة في الدين فلا مجال لإدخالها فيه.

ومن تلك الجماعات المذكورة ما يلي:

١- طائفة "الأمة المسلمة" أهل الذكر والقرآن: وتُعرف باسم "الأمة المسلمة" أهل الذكر والقرآن وتضم أتباع عبد الله الجكرالوي المؤسس لها وتمثّل فكره بالإضافة لفكر أحمد الدين الأمرتسري وقد أخذها الضعف والوهن ولم يعد لها أي نشاط يذكر، وأصبح نشاطها محدوداً ومقتصرًا على أعضائها القليلين. ولهذه الطائفة أماكن عبادة خاصة على طريقتهم، ويُسمّون معابدهم هذه مساجد، إصراراً منهم على أنهم هم المسلمون ليس غيرهم، وهذه المعابد موجودة في بعض مدن باكستان، الذي لا يزيد حجمه عن غرفة كبيرة، وعلي اعتقادهم هم يصلون فيها صلاة الجمعة، وثلاث صلوات يومية، ولكل صلاة ركعتان، وسجدة واحدة في كلّ ركعة، وهم لا يقومون من الركوع بل ينزلون

(١) هو الحافظ السيد محب الله ولد في آخر السبعينات من القرن التاسع عشر وكان حنفي المذهب في أول الأمر ثم تحول عنه وأصبح عضواً غير بارز في زمرة أهل القرآن وله مؤلفات عديدة: ١، دعوة الحق ٢، شرعة الإسلام ٣، منهاج الحق ٤، بلاغ الحق وقد صنف كتابه الأول والثاني قبل الانضمام إلى أهل القرآن والثالث أثناء تذبذبه والأخير فيه التصريح بعدم أخذ السنة في الدين توفي في أواخر الخمسينات من القرن العشرين.

(٢) هو مولوي الشيخ عبد الله بن عبد الله الجكرالوي نسبة إلى بلدة جكرالو التي وُلد بها وهي إحدى قرى إقليم البنجاب بباكستان حالياً وعاصمته لاهور وقد وُلد عبد الله حوالي (١٨٣٠ م) في أسرة علم ودين وكان والده يتبع مشيخة إحدى الطرق فلما وُلد ابنه وسمّاه عبد الله حمله إلى شيخ الطريقة فباركه ودعا له وسمّاه: غلام نبي أي خادم النبي أو عبد النبي ومن العجيب أن يتحوّل هذا الذي سُمّي عبد النبي نعوذ بالله من عبودية لغيره سبحانه إلى عدوّ للنبي صلى الله عليه وسلم ويُعلن الحرب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى سنته ويخلع طاعته ويُصبح في رأس قائمة منكري السنة النبوية المطهرة واستمر على ضلاله وغيّبه في إنكار السنة النبوية حتى هلك سنة (١٩١٤ م) وانظر أيضاً: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة (ص: ٢٦) شبهات حول السنة النبوية د محمود محمد مزروعة وهو بحث مقدم إلى ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه بتاريخ (٣٠/٧/١٤٢١ هـ) المحور الخامس: دفع الشبهات المزعومة حول القرآن الكريم /ص/ ٤٣٩.

(٣) كتاب السنة في مواجهة الأباطيل - محمد طاهر حكيم /ص/ ٧٧.

(٤) المراد به حركة السيد أحمد خان الممثلة في دعوة المسلمين إلى تقليد المستعمرين في كل أمور الدنيا والدين وأنّ هذا هو طريق التقدم والرفق والحضارة وأنّ المسلمين إذا ما أرادوا أن يلحقوا بركب الحضارة فعليهم أن يُقلّدوا الإنجليز في كل شيء على هذا الأساس قامت حركة السيد أحمد خان فقد أنكرت ما تنكره الثقافة الغربية ولو كان ديناً وأثبتت ما تنبته ولو كان مخالفاً للدين ولإجماع المسلمين.

منه إلى السجود مباشرة، وهذه الطائفة صغيرة نسبياً، كما أن الكثيرين من أتباعها قد انضموا إلى حركات أخرى مثل حركة طلوع إسلام.^(١)

٢- طائفة ظهور الإسلام: وتُعرف باسم "طلوع إسلام" أسسها غلام أحمد برويز عند ما كان في الهند، ثم صحبها معه إلى باكستان، وهذه الطائفة هي أنشط طوائف القرآنيين، تنكر السنة النبوية تماماً، وقد زاد من أتباعها أنها ورثت الكثير من أتباع الطوائف الأخرى، مثل طائفة أهل الذكر والقرآن، ومجلتها الشهيرة (طلوع إسلام) التي سُميت الطائفة باسمها، ولها منتدياتها الخاصة، كما أنّ لها بعض التأثير في المجال الإسلامي في باكستان.^(٢)

٣- طائفة تثقيف الإنسانية: وتُعرف باسم "تحريك تعمير إنسانيّة" وهي طائفة حديثة، التي لا تنتمي إلى أحدٍ من زعماء منكري السنة الذين تحدّثنا عنهم، ولكنها تنتمي إلى أحد الأثرياء الذين تأثروا بأفكار السابقين من منكري السنة، وبخاصة (برويز) وهذا الرجل يُعرف باسم عبد الخالق، وهو الذي أنشأ هذه الطائفة ويرأسها، ويُنفق عليها من ماله .

وقد مضى على هذه الطائفة قرابة الأربعين عاماً، وهي تُحاول أن تجد لنفسها مكاناً في ساحة المكذّبين بسنة خير المرسلين صلى الله عليه وسلم، والمرتدين عن الإسلام، لكن تأثيرها لا يكاد يُذكر، والله الحمد والمِنَّة.^(٣) وبعدهُ فهذه نبذة موجزة عن أبرز رؤساء طائفة القرآنيين، وأشهر الطوائف المنكرة للسنة النبوية، والمتأولة في الآيات القرآنية في شبه القارة الهندية، التي تميل إلى تلك البدعة المنكرة، والتي ارتد أصحابها عن الإسلام كما أفتى بذلك آلاف العلماء من جميع الأقطار والأمصار.^(٤)

دعاة القرآنيين في البلاد العربية:

ومن أشهر الدعاة في مصر، الذين نشطوا في الكتابة في هذه الدعوة وهذا الفكر: أحمد صبحي منصور صاحب موقع أهل القرآن في مصر، وصالح أبو بكر المصري ألف كتاباً في الطعن في صحيح البخاري سماه الأضواء القرآنية دعائهم في سوريا ولقي هذا الاتجاه دعماً في سوريا، ومن أشهر دعائه أيضاً سامر إسلام بولي السوري، زكريا أوزون لبناني مقيم في سورية، نيازي عز الدين مهندس سوري، وفي بلاد الخليج العربي من أشهر دعائهم ابن قرناس وهو كاتب سعودي يكتب باسم مستعار.

(١) كتاب شبهات القرآنيين حول السنة النبوية لمحمود مزروعة - ص ٤٦

(٢) موقع شبكة الألوكة القرآنيون في "شبه القارة الهندية" د. محمود بن أحمد الدوسري ٢٠٢٢

(٣) كتاب شبهات القرآنيين حول السنة النبوية لمحمود مزروعة - ص ٤٨

(٤) انظر: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة : ص/ ٥٧ ٦٣ - ص/ ٤٥١ - ٤٥٤

المبحث الثالث: أصول المدرسة القرآنية (القرآنيون) ومناهجها

تمهيد:

المدرسة القرآنية هي مدرسة متأثرة جدًا بالفرق الباطلة وبأفكارها وفي مقدمته الخوارج؛ أي وهم كالخوارج في المصادر والعقائد، أنهم ينكرون مشروعية الإجماع والشرعية، وقد تدعى هذه الطائفة أنه لاحجة في شيء من أحكام الشريعة إلا القرآن^(١). وقد أطلق أتباع هؤلاء، وأتباع بعض غلاة الرافضة في الأزمنة المتأخرة على أنفسهم اسم "القرآنيون" وحجتهم الحديث الموضوع "ما جاءكم عنى فاعرضوه على كتاب الله، فما وافقه فأنا قلته، وما خالفه، فإن لم أقبله" وهم في تعاملهم مع كتاب الله بين موقفين، فتارة يركزون على المعنى الظاهر النص دون البحث عن المعنى الذى يهدف إليه، وهذا رأى، أحمد أمين، وأبو زهرة، وتارة يؤولون النصوص بما يناسب رغباتهم، وقد غلطوا حين ظنوا أن تأويلهم هو ما تهدف إليه النصوص، وعلى هذا الرأى ابن عباس، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن قيم الجوزية.^(٢) وكان لموقفهم هذا من القرآن الكريم، وجهلهم بالحديث، وعدم تحملهم، أن عقائدهم جاءت مخالفة لأحكام الشريعة الإسلامية، بل منه ما جاء مخالفاً لنصوص القرآن الكريم. فمنهم من يرى أن التيمم جائز، ولو على رأس بئر، ومنهم من يرى أن الواجب من الصلاة إنما هو ركعة واحدة بالعادة وأخرى بالعشى، ومنهم من يرى الحج في جميع شهور السنة، ومنهم من يبيح دم الأطفال والنساء ممن لا ينتمى إلى عسكرهم^(٣)، ومنهم من جوز نكاح بنت الابن وبنت الأخ والأخت، ومنهم من أنكر أن تكون سورة يوسف من القرآن، وأن من قال لا إله إلا الله فهو مؤمن عند الله ولو اعتقد الكفر بقلبه، وعظم البلاء بهم وتوسعوا في معتقدهم الفاسد، فأبطلوا رجم الحصن، وقطعوا يد السارق من الإبط، وأوجبوا الصلاة على الحائض في حال حيضها، وكفروا من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إن كان قادراً، وإن لم يكن قادراً فقد ارتكب كبيرة، وحكم مرتكب الكبيرة عندهم حكم الكافر، وكفوا عن أموال أهل الذمة، وعن التعرض لهم مطلقاً، وفتكوا فيمن ينسب إلى الإسلام بالقتل والسبي والنهب، فمنهم من يفعل ذلك مطلقاً بغير دعوة منهم، ومنهم من يدعوا أولاً ثم يفتك^(٤)، وغير ذلك الكثير والكثير. يقول فضيلة الدكتور أبو زهو رحمه الله " وهذا مما يدل على جهل عميق حتى بالقرآن الكريم، وأكثر ذلك أتاها كما قلنا من أنهم لا يعتدون برواية جمهور المسلمين، وكيف يأخذون دينهم عن قوم هم كفار في نظرهم، وإنما يعتمدون ما رواه لهم

(١) أصول الدين للبغدادى ص ١٩، هو عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفرايني، أبو منصور (المتوفى: ٤٢٩ هـ) الناشر: مدرسة الإلهيات بدار الفنون التركية، إسطنبول - تركيا. الطبعة: الأولى، ١٣٤٦ هـ. ١٩٢٨ وانظر: الملل والنحل للشهرستاني ١/١١٤، ١١٥.

(٢) دراسات في الحديث النبوي للدكتور محمد مصطفى الأعظمي ٢٣/١. والتنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع للإمام محمد الملطى ص ٥٢، والعقيدة والشرعية لجولد تسيهر ص ١٩٣.

(٣) انظر: فتح الباري ١٢/ ٢٩٦، ٢٩٧ أرقام ٦٩٣٠-٦٩٣٢، وانظر: الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٨٨، والملل والنحل للشهرستاني ١/ ١١٣-١١٩، ومقالات الإسلاميين ١/ ١٧٣.

(٤) انظر: فتح الباري ١٢/ ٢٩٧، ٢٩٨ أرقام ٦٩٣٠-٦٩٣٢، وانظر: أصول علم الحديث بين المنهج والمصطلح للدكتور أبو لبابة حسين ص: ١٦٢-١٧٢.

أئمتهم، وهم كما قلنا خلو من العلم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل خلوا من فهم أحكام القرآن على وجهها الصحيح.^(١)

وبسبب علاقتها بالخارج، قد أنشأت قواعد خاصة لنفسها وبناءً على هذه القواعد، وبناءً على هذه الأصول والمناهج، فإنها دائماً ما تحرف وتغير الآيات القرآنية حسب عقولهم، سواء كانت تتعلق بالمعتقدات أو العبادات أو السحر والتنجيم. وهنا اذكر أولاً أصولهم بالاختصار وأما تفصيلها وامثلتها، فسيأتي أثناء الكلام حول مناهجهم .

المطلب الأول: أصول المدرسة القرآنية:

إن للقرآنيين أربعة أصول أساسية، وهي: الأخذ بالقرآن دون السنة، الاعتماد الكامل على اللغة المعجمية في فهم الدين، والتأويل، وتحكيم العقل. وتلك الأصول في الحقيقة تمثل مناهجهم وتدور حولها جميع طرق تفسيرهم وأفكارهم وسوف اذكر منها بعض نماذج:

الأصل الأول: يكفينا كتاب الله لأنه يكفينا في كل ما يتعلق بالحياة^(٢):

فعبد الله ومؤلفو بلاغ القرآن، ينكرون كفاية القرآن وكمالَه بذكر التفاصيل والجزئيات^(٣)، وأما برويز وأستاذُه الحافظ أسلم، وآخرون فإنهم يزّون كمال القرآن بشموله الأصول كلّها، وذكر قليل من التفاصيل^(٤)، وأما التفاصيل التي لم تذكر في القرآن فيتولّى تقنينها تحت (مركز الملة) ومركز الملة هي أعلى سلطة بين القرآنيين في الحكومة الحاكمة بالقرآن وحده. ويتفق القرآنيون على أنه لا توجد آية منسوخة في القرآن.

الأصل الثاني: الاعتماد الكامل على اللغة العربية في فهم الدين وكتابه الجيد، إلا إذا قصّد استنباط نظرية مُعَيَّنة. وبناءً على هذا المسلك اللغوي أنكر أكثر القرآنيين معظم الحقائق، بل منعوا عن كتابتها^(٥).

ويقول الحافظ أسلم: "الأمر المؤكد أن الصحابة قد علموا أن النبي ﷺ نهي عن كتابة السنة، ولقد علموا أن الأمم السابقة لم تضلّ إلا بسبب كتابة أحاديث أنبيائهم"^(٦)

(١) كتابات أعداء الإسلام ومناقشتها - مصادر الخوارج في العقائد لدكتور شهاب الدين أبو زهو / ص ٦٩.

(٢) انظر مقام حديث، ص / ٢٢.

(٣) انظر برهان الفرقان، لعبد الله. ص / ٢، وترجمة القرآن ١ / ١١ وانظر مجلة، بلاغ القرآن، ص / ٢٥ / عدد فبراير / ١٩٧٥

(٤) انظر تبويب القرآن لبرويز ١ / ٤٤٦، ومقام حديث للحافظ أسلم ص / ١٤٢.

(٥) انظر مقام حديث ص ٧. وانظر وا محمداه إن شانتك هو الأبتسيد حسين العفاني ج: ص: ٤٩١، ٤٩٥

(٦) انظر مقام حديث، ص ١٠٤

وقال: "والثبوت للدهشة، أنه لو كان للأحاديث الصفة الدينية لَمَا اِشْتَدَّ نَهْيُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ كِتَابَتِهَا، وَلِهَيَّأُوا طَرِيقًا سَهْلَةً لِحِفْظِهَا وَكِتَابَتِهَا"^(١)

ويقول خواجه أحمد الدين: "اعلم أن طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم كانت طاعةً مُقَيَّدَةً بزمّنه، وامتنال أحكامه لا يزيد على حياته، وهذا الباب مغلق منذ وفاة النبي عليه الصلاة والسلام"^(٢) وقالوا: "إنَّ السُّنَّةَ قد نَقِدتْ سَنَدًا وَمَتْنًا، وما جاء فيها التَّقْدُّ فهو لا يَصْلُحُ أن يكون دينًا".^(٣)

وقال الحافظ أسلم: الاعتراضات على الإسلام من غير أهلها، يتمتع هذا النظام القرآني بالتحريم والإطلاق والتقييد لما يراه غير موافق لظروفه من الأحكام القرآنية. نظرية نظام القرآن الاقتصادي واشتراكية الأموال.^(٤)

يقول برويز: "وفي ظلّ هذا النظام، أي نظام الاقتصادي للقرآن، فإن جمع المواد لا يجوز البتّة، وقد جاء الوعيد الشديد على من يجمعها. ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُوهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾"^(٥) أموال التبرعات في النظام القرآني لا يمكن أن تبقى في أيدي أصحابها، ولا يسعنا أن نتصور الملكية الفردية تحت حكم هذا النظام، بل نَعَمُّ الأرض والأموال والمصانع، والتجارة، للملكية الجماعية، حتى يلي هذا النظام، القيام بتلبية ما يحتاج إليه الناس.^(٦)

فالرجل برويز، أتى بأفكار الاشتراكيين الاقتصادية، فكساها ثياباً قرآنية، حتى نشره بين المسلمين، ونفى الملكية الفردية؛ لأنها تخالف في نظره صريح الكتاب والسنة والإجماع، فأين هو من قول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾^(٧) وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبَعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنَّا وَلَا أَدَّى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾^(٨).

الأصل الثالث: التأويل وتحكيم العقل: في بيان مراد الله، بقطع النظر عن اللغة ومعناها الظاهر، لاستنباط نظريات معينة، تتقبله القرآنيون حسب أهوائهم ورغبتهم، ومن هذه النظريات (نظرية مركز الملة). أول من صخب بها الحافظ أسلم، ووضّح حدودها ومعالمها تلميذه برويز، ويتلخّص مفهوم المركز الملة في النقاط التالية.

(١) انظر مقام حديث، ص ١١٠

(٢) مجلة البيان (ص ٣٢) عدد أغسطس (١٩٥١ م)، نقلاً عن "القرآنيون وشبهاتهم حول السنة"، (ص ٢٣١)

(٣) مقام حديث، (ص ١٥٤). نقلاً عن "القرآنيون وشبهاتهم حول السنة" (ص ٢٣٣)

(٤) القرآنيون لخدام حسين إلهي بخش (ص ٢٨٠٢٨١)

(٥) التوبة ٣٤

(٦) قرآني قوانين لبرويز (ص ١٥٧١٥٩).

(٧) يس: ٧١

(٨) النور: ٥٨

- ١- الآيات التي وردت في طاعة الله ورسوله مفهومها الآن، طاعة مركز الملة.
- ٢- مركز الملة، هو النظام الذي يعمل وفق القرآن.
- ٣- ومن صلاحيات هذا المركز تحديد حكم الشرع في الأحكام التي لم ترد في القرآن دون الإخلال بالضوابط السابقة.
- ٤- من حق من يخلّف هذا النظام ألا يتفق النظام القرآني السابق الذي عيّنها حسب بصيرته.^(١)

ومن أصولهم أيضا

- ١- عدم الرجوع إلى حديث الشريف: ولا قيمة لكل هذا التراث الحديثي عندهم.
- ٢- مرجعية اللغة في فهم القرآن، فقد هاجم القرآنيون أسباب النزول، لأنها تقيد من وجهة نظرهم دلالة القرآن الكريم وهاجموا كذلك الحديث الشريف للسبب نفسه ومن ثم قالوا: لا طريق لفهم القرآن إلا اللغة العربية وبذلك أنكروا وجود أي دور للطرق والعلوم الأخرى ولعلّ هذا ما يلفت نظرنا لبعض النتائج المستغربة بعض الشيء عندهم لكونها معتمدة بشكل حادّ على الجذر اللغوي كما في موضوع الطواف وفق ما أسلفنا بيانه، فحينما أنكروا حجّة السنّة ورجعوا إلى حاقّ اللغة، ليثبتوا أنّ الطواف هو التردّد على الشيء وليس الدوران حوله.^(٢)
- ٣- استخراج مجموعة من القواعد ثم الذهاب إلى المصاديق الخارجية المستحدثة لعرضها على هذه القواعد القرآنية فإن ناقضت واحدة منها حكم بعدم إباحتها وإن لم تناقض أيّاً منها حكم بإباحته، إلا أن نرجع إلى الروايات التي تتحدّث عن الكلب العقور، والمثلة فيه لنستكشف دلالتها على حكم التشريع مثلاً، بل علينا الاكتفاء بالتأصيلات القرآنية حينما ننظر للوقائع الخارجية، فإن كانت الوقائع تتعارض مع تلك التأصيلات، فيحكم بحرمته، وإلا فهي جائزة.

ذكر نماذج من آرائهم حسب أصولهم المذكورة:

- ١- الوضوء واجب عند كلّ صلاة، حتى وإن لم يكن المكلف محدثاً بالحدث الأصغر والأكبر، لأنّ الله تعالى قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾^(٣) فظاهر هذه الآية وجوب الوضوء عند القيام للصلاة بلا ربطٍ لذلك بقضايا الحدث.
- ٢- أكّد القرآن الكريم على عدم وجود الإكراه فيه فكلّ الأحكام التي جاءت بها السنّة نظير: الجهاد الابتدائي فرض الدين على الناس حدّ الردّة لا يمكن الالتزام بها لقوله تعالى ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ

(١) انظر واحمداه إن شانتك هو الأبتّر لسيد حسين العفاني ج: ص ٤٩٤ ومجلة بلاغ القرآن عدد يناير ١٩٧٥

(٢) أنظر القرآنيون تاريخهم نشأتهم وآراؤهم لحيدر حب الله - ص/ ٥١

(٣) المائدة: ٦

فَلْيَكْفُرْ^(١) فالقرآنيون يعدّون أنفسهم غير معيّنين بجميع الأحكام والإجماعات ونصوص الفقهاء التي تتحدّث عن بعض الأحكام التي من هذا القبيل لأنّ المبدأ القرآني يثبت الحرّية الدينيّة وقد حاولوا حثيثاً الاقتراب في نتائجهم من الفكر الإنساني الغربي الحديث.^(٢)

٣- حينما تحدث مشكلة بين الزوج والزوجة، ينصّ القرآن الكريم على ضرورة وجود حكم من أهل الزوج وحكم من أهل الزوجة؛ قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾^(٣) وهذا الحكم لا يفتي به الفقهاء ليكون قرار الحكّمين ملزماً قضائياً، بل يجعلون ذلك استحبائياً لمن يريد الإصلاح بينهما، لكنّ بعض القرآنيين رأى وجوب هذه الطريقة لفكّ النزاعات، فيجب تشكيل محكمة عائلية تكون لها قدرة النفوذ على الطرفين، وتتشكّل من طرفين أحدهما من عائلة الزوج، والثاني من عائلة الزوجة، وأحموا الفقهاء على حدّ وصفهم بهجران الآية وعدم العمل بها^(٤)

٤- ذهب بعض القرآنيين إلى أنّ عقوبة الزنا قرآنيّاً ليست إلا الجلد، وكلّ هذه التفاصيل من الإحصان وغيره.. إلخ جاءت في النصوص الروائيّة المرفوضة، قال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٥) فلا وجود للرجم ولا وجود لشروط الفقهاء في موضوع حدّ الزنا.^(٦)

٥- الاسترقاق عند بعض القرآنيين مبدأ يرفضه القرآن الكريم حيث قال الله عزّ وجل عن أسرى الحرب: ﴿حَتَّى إِذَا أَتَخْتَنُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾^(٧). فمع أنّ الاسترقاق كان مشهوراً إلا أنّ القرآنيين يرون أنّ القرآن لم ير له شرعيّة؛ غاية ما في الأمر أنّه كان في عصر نزول الكتاب الكريم رقيقاً لم يتعرّض لهم إلا بالدعوة لتحريرهم في بعض الحالات ومن ثمّ فليس هناك من حالة يُطلق عليها استرقاق جديد، لأنهم اعتبروا أنّ الآية الكريمة في مقام بيان التفاصيل وهي تذكر تفصيلين غير متعارفين مع أنّ هناك تفصيلاً متعارفاً، وهو الاسترقاق ومع ذلك لم يُشر إليه وهذا دليل حاسم على أنّ القرآن أوقف نظام الاسترقاق وأمّا نظام الرقيق الذين اسْتُرقوا من قبل فعمل على تحريرهم، بمجموعة من التكاليف الشرعيّة في باب الكفارات وغيرها.^(٨)

(١) الكهف: ٢٩

(٢) لقرآنيون تاريخهم نشأتهم وآراؤهم مركز الإشعاع الإسلامي لحيدر حب الله ٢٠١٧

(٣) النساء: ٣٥

(٤) نفس المصدر

(٥) النور: ٢

(٦) المصدر السابق

(٧) محمد: ٤

(٨) نصوص المعاصرة مركز إجابات للدراسات الدينيّة بيروت ٢٠١٥

وهذه النظرة للموضوع تخالف ما يذهب إليه جمهور علماء المسلمين، من أنّ الآية الكريمة وإن لم تدلّ على تشريع الاسترقاق إلا أنّ الأحاديث وردت في ذلك بكثرة.

٦- ذهب بعض القرآنيين إلى أنّ المحرم على المرأة كشفه هو ما كان زينة فقط لا جميع بدنها وذلك لقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَحِيمًا﴾^(١) وكذلك آية الزينة التي تأمر بعدم إبدائهنّ لزيّنتهنّ إلا على أزواجهنّ ومحارمهنّ. بينما ذهب الاتجاه المشهور من الفقهاء إلى أنّ المرأة كلّها زينة، وعليها ستر جميع بدنها، إلا الوجه والكفين، تأثراً بالنصوص الروائية لتواترها وشهرتها وتسالم المسلمين عليها، فالحرم عند القرآنيين هو إظهار المرأة للزينة التي تضعها على جسدها لا لجسدها والمحرم هو كشف جسدها عندما يكون في ذلك تعريضها للخطر والعدوان لا مطلقاً.^(٢)

٧- حصر كثير من القرآنيين محرمات الحج بالرفث والفسوق والجدال فقط وذلك لما جاء في قوله تعالى ﴿الْحُجَّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحُجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحُجِّ﴾^(٣) وما زاد عن ذلك فليس داخلاً ضمن المحرمات على خلاف مشهور الفقهاء الذين حرّموا الكثير من الأشياء على المحرم الحج والمعتريضاف إلى ذلك أنّ الجدال في لغة العرب يعني المجادلة والمراء وليس بمعنى لا والله وأي والله كما هو متداول في الكتب الفقهية عند بعض المذاهب وهذا يعني ضرورة ترك هذا التحريف في تفسير الآية لغوياً والرجوع لنصّ الكتاب وفقاً لمرجعية اللغة. وحينما تقول لهم: إنّ الأحاديث بين المسلمين بمختلف طوائفهم، هي بمجموعها فوق حدّ التواتر في الدلالة على حرمة التظليل والنظر في المرأة وغير ذلك فإنهم سيقولون لك: ليس لنا علاقة بتواترها بل نحن معنيون بما قرره القرآن الكريم فقط.

٨- يذهب بعض القرآنيين إلى أنّ محرمات الأطعمة والأشربة هي تلك التي جاءت في القرآن الكريم حصراً أمّا المحرمات الكثيرة التي حملتها النصوص الروائية فلا تعنيهم بشيء؛ قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ...﴾^(٤) وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٥).

فغير هذه الأشياء يجوز أكله وشربه مطلقاً ما لم يكن فيه ضرر وكلّ تلك المنظومة التحريمية للأطعمة والأشربة في الحديث الشريف لا أساس لها في الإسلام.

(١) الأحزاب: ٥٩

(٢) القرآنيون تاريخهم نشأتهم وآراؤهم لحيدر حب الله مركز الإشعاع الإسلامي للدراسات والبحوث الإسلامي

(٣) البقرة: ١٩٢

(٤) الأنعام: ١٤٥

(٥) المائدة: ٩٠

٩- ذهب بعض القرآنيين أيضاً إلى أنّ آية المحارم في القرآن الكريم إنّما هي بصدد بيان التفاصيل وحيث إنّها كذلك ولم تذكر العمّ والخال، فهذا يعني عدم جواز إبداء الزينة أمامهم مع أنّ إجماع المسلمين على جواز كشف الحجاب وإبداء الزينة أمام العمّ والخال، قال تعالى ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾^(١) وبالتالي فهذا البعض من القرآنيين في حلّ من ذلك الإطباق الإسلامي والتسالم والتوارث جيلاً عن جيلهم في حلّ أيضاً من سيرة المتشرعة والأحاديث السنّة والشيعة^(٢).

١٠- فهم بعض القرآنيين من آية الإرث نتائج، لم يذهب إليها مشهور فقهاء المسلمين، فالله تعالى يقول: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ خِطِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً﴾^(٣) إنّ هذه الآية الشريفة وغيرها تدلّ وفقاً لفهم بعض القرآنيين على أنّ المسلم يرث الكافر والكافر يرث المسلم، لأنّ القرآن لم يقل: في أولادكم المسلمين أو إذا كانوا كافرين لا يرثون منكم بل هو مطلق من حيث الإسلام والكفر، فينبغي أن يرث المسلم الكافر ويرث الكافر المسلم^(٤).

(١) النور: ٣١

(٢) نفس المصدر

(٣) النساء: ١١

(٤) المصدر السابق

المطلب الثاني: مناهج القرآنيون:

التمهيد انقسمت مناهج القرآنيين على قسمين: القسم الأول: المناهجة الخاصة: وهي ثلاثة:

- ١- المنهج القرآني
- ٢- منهج اللغوي
- ٣- منهج التأويل وتحكيم العقل

القسم الثاني: المناهجة العامة المتفرقة (مثل مناهج أهل البدع والأهواء) وسوف أذكرهم بالترتيب. دون ذكر الامثلة من أجل التكرار وسيأتي ذكر الأمثلة تحت آراءه في ما بعد ان شاء الله

الأول: المنهج القرآني، وهي تفسير القرآن بالقرآن دون السنة:

وقبل أن نتكلم حول هذا المنهج لدى القرآنيين، لا بد أن نعرف الطرق الموصلة إلى تفسير القرآن بالقرآن. هناك طريقتان الممتدان لمعرفة تفسير القرآن بالقرآن.

أن يكون النبي قد فسر آية بآية أخرى.^(١) وقد أرشد إلى هذا المنهج، وفسر آية من القرآن بآية أخرى كما في الصحيح، منها قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ الآية^(٢). وهذا منهج نبوي في التفسير^(٣). ولكن تفسيره للقرآن محدد وفي عدد محدود من الآيات، فلذلك هذا الطريق لا يكفينا لمعرفة تفسير جميع القرآن، بل لابد أن نرجع إلى اجتهاد المفسرين، سواء من الصحابة أو التابعين أو من جاء بعدهم. وأشار إلى ذلك القاضي شمس الدين الخوي^(٤)

(١) تفسير القرآن الكريم مصادره وإجتهاده ص ٤٩ . ٥٠ لعبد الله الزبير بن عبد الرحمن، (مكة، دار الشؤون الثقافية والنشر رابطة العالم الإسلامي) بدون سنة الطبعة.

(٢) دراسات في علوم القرآن لزاخر بن عواض الألمعي، ص ١٦٦ (الرياض، فهرسات مكتبة الملك فهد الوطنية) ط ٢، سنة ١٤٢٣ هـ..

(٣) هناك بعض مناهج النبي في تفسير القرآن، ومن ذلك المنهج ما يلي: أن يتدأ الصحابة بالتفسير، فينص النبي على تفسير أية أو لفظه، وله أسلوبيان: . أن يذكر التفسير ثم يذكر الآية المفسرة، مثال ذلك: عن أبي هريرة أن النبي قال: "إذا أحب الله عبداً نادى جبريل...، فذلك قول الله إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا).. أن يذكر الآية المفسرة ثم يذكر تفسيرها مثال ذلك تفسير في قوله تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي " أن يشكل على الصحابة فهم أية، فيفسرها النبي لهم. مثال ذلك قوله تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ). حيث شق على الصحابة في فهم هذه الآية. أن يذكر في كلامه ما يصح أن يكون تفسيراً للآية. مثال ذلك قوله تعالى: (فَجَاءَ يُؤْمِنُ بِهِمْ) عن ابن مسعود قال: قال رسول الله: "يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها". أن يتأول القرآن فيعمل بما فيه من أمر ويترك ما فيه من نهي. مثال ذلك قوله تعالى: (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا). عن عائشة قالت: كان رسول الله يُكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: سبحانك اللهم وبحمدك، الخ (مساعدة بن سليمان الطيار، فصول في أصول التفسير (الرياض، دار ابن الجوزي) ط ٣، ١٤٢٠ هـ، ص ٢٨٢٧.

(٤) هوشم الدين، أحمد بن الخليل بن سعادة بن جعفر قاضي القضاة، شمس الدين أحمد بن الخليل بن سعادة بن جعفر الخوي، الشافعي. ولد: سنة ثلاث وثمانين. وقرأ العقلليات على فخر الدين الرازي، والجدل على الطاووسي. وسع: من المؤيد الطوسي. وكان من أذكاء المتكلمين وأعيان الحكماء والأطباء، ذا دين وتعبد، وله مصنف في النحو، وآخر في الأصول، وآخر فيه رموز فلسفية. قال ابن أبي أصيبعة: قرأت عليه (التبصرة) لابن سهلان.

- أن تفسيره على وجه الإلزام والقطع لا يعلم إلا بأن يسمع من رسول الله، وذلك متعذر، إلا في آيات قلائل^(١).
- ١- اجتهاد المفسر بجمع نظائر الآيات وأشباهها، ومفردات ألفاظها، والوقوف على عللها، وحكم لإلحاق ما فيه ذات العلة والحكمة بها، ونحو ذلك مما يعين على الوصول للمعنى المراد^(٢). وهذا يدل على أن تفسير القرآن بالقرآن مخوف بالاجتهاد وإعمال الرأي، كما زعم بعض العلماء المعاصرين الذين أوجبوا أخذه ولكن لم يفصلوا ذلك.
- ٢- يجدر أن أشير إلى أول من اتبع هذه الطريقة، هو رسول الله ﷺ ثم تبعه الصحابة منهم: ابن عباس، ثم يليهم التابعون كالحسن البصري، ومحمد بن كعب القرظي^(٣) وغيرهم. وأما المفسرون المهتمون بهذا المنهج فمنهم: ابن قتيبة^(٤)، وابن تيمية^(٥)، وابن كثير في كتابه (تفسير القرآن العظيم)، وابن الأمير الصنعاني^(٦)، في كتابه (مفاتيح الرضوان في تفسير الذكر بالآثار والقرآن)، وأبو الوفاء ثناء الله الهندي الأمر تسري^(٧) في كتابه (تفسير القرآن بكلام الرحمن)

وسمع منه: الجمال ابن الصابوني، وابنه قاضي القضاة شهاب الدين محمد. وخوي: من إقليم أذربيجان. مات: في شعبان، ٦٣٧، كهلا، بحمى دقية، وولي قضاء دمشق فحمد. سير اعلام النبلاء ٦٥/٢٣

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن ١٦/١ (القاهرة، مكتبة دار التراث) محقق محمد أبو الفضل إبراهيم، بدون سنة.
(٢) تفسير القرآن الكريم مصادره واتجاهاته لعبد الله الزبير بن عبد الرحمن ص ٥١، (مكة، إدارة الشؤون الثقافية والنشر رابطة العالم الإسلامي) بدون سنة الطبعة.

(٣) محمد بن كعب بن حبان بن أسد القرظي، حلفاء الأوس، ويكنى أبو حمزة، قال "أخبرنا وكيع بن الجراح. عن محمد بن أبي حميد الأنصاري. أن محمدا بن كعب القرظي كان يكنى أبا حمزة. وقد لقيه محمد بن أبي حميد وسمع منه. قال: أخبرنا محمد بن إسماعيل بن أبي فديك قال: أخبرنا عبيد الله بن عبد الرحمن بن موهب. أن محمد بن كعب القرظي كان يكنى أبا حمزة. الطبقات الكبرى ٣٤٠/٥، لأبي عبد الله محمد بن سعد البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ. ١٩٩٠ م.

(٤) انظر: منهج الشيخ الشينقيطي في تفسير آيات الأحكام من أضواء البيان ١٣٨/١، لعبد الرحمن بن عبد العزيز السديس. رسالة ماجستير مقدمة لجامعة أم القرى مكة المكرمة، سنة ١٤١٠ هـ، تحت إشراف عبد المجيد بن محمود.

(٥) ويعتبر ابن تيمية مؤسس نظرية طرق التفسير الأربعة وهي تفسير القرآن بالقرآن وهو أصحها، وتفسير القرآن بالسنة، وتفسير القرآن بأقوال الصحابة، وتفسير القرآن بأقوال التابعين. وبهذا سار عليها العلماء بعده إلى يومنا هذا.

(٦) هو إبراهيم بن محمد بن إسماعيل بن صلاح الأمير الصنعاني، الزيدي المتوفى سنة ١٢١٣، الشهير بابن صلاح مفسر، محدث له الفلك المشحون في شرح أسماء من يقول لشيء كن فيكون، ومفاتيح الرضوان في تفسير القرآن بالقرآن. (معجم المؤلفين تراجم مصنف الكتب العربية ص ٨٦، لعمر رضا، مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث، وأيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ٥٢٠/٤ لإسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (المتوفى: ١٣٩٩ هـ)، دار إحياء التراث، بيروت.

(٧) هو الشيخ أبو الوفاء ولد بمدينة امرتسر بالهند عام ١٢٨٥ هـ وفقد والده ثم والدته وعمره ١٤ عاما ثم ابتدأ طلب العلم حتى برز فيه، ودرس من عام ١٣١٠ هـ واهتم بالدعوة والمناظرة والردود على الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة مثل القاديانية والوثنيون من البوذيين والهندوس وغيرهم؛ وتعرض للاذى بسبب ذلك. اشتهر بمباهلته لغلام أحمد القادياني مؤسس الجماعة الأحمدية القاديانية وكانت المباهلة على أن الكاذب يموت في حياة الصادق وقد مات ميرزا غلام أحمد عام ١٣٢٦ هـ قبل وفاة ثناء الله الذي مات عام ١٣٦٧ هـ ولكنه هو من رفض هذه المباهلة ألف العديد من المؤلفات، وفي آخر حياته هرب مضطرا من أذى الشيخ والهندوس إلى لاهور في باكستان وتوفي بها عام ١٣٦٧ هـ. وتفسيره " تفسير القرآن بكلام الرحمن "

(١). ومحمد الأمين الشنقيطي^(٢) وهو من العلماء المعاصرين في كتابه (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن)^(٣). وكان الشنقيطي قبل أن يؤلف الأضواء تكلم كثيرا عن هذا المنهج في كتابه "دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب". وإن كان استعمل طريقة الجمع بين الآيات التي يراها العوام متناقضة بينهما، ويأتي بعد ذلك الآخرون منهم عبد الكريم الخطيب^(٤) وغيرهم من العلماء الذين لا يسع ذكرهم هنا^(٥).

المنهج القرآني عند القرآنيون:

أما المنهج القرآني عندهم، فهو تفسير القرآن بالقرآن دون الأخذ بالسنة، فهموا تفسير القرآن بالقرآن حسب رأيهم الشاذ، وبهذا يأخذون القرآن حسب رأيهم، ويتركون السنة النبوية حيث دعواهم أن القرآن يكفيننا، كما يدعون أن كل شيء موجود في القرآن وهو يكفيننا، ولا نحتاج للسنة، يقول عبد الله جكرالوي: "إن القرآن المجيد ذكر كل شيء يحتاج إليه في الدين مفصلاً ومشروحاً من كل وجه، فما الداعي إلى الوحي الخفي، وما الحاجة إلى السنة"^(٦) ولا جل ذلك يؤلون الايات القرآنية ويفسرون برأيهم المذمومة كما يقولون في تفسير الصلوة "انها الدعاء والحج بالمؤتمر العالمية" وينكرون عن الاحتياج بالسنة المطهرة ومن اداء الصلوات الخمسة ومن عدد ركعاتها، ومن نصاب زكاة الإبل والبقر والغنم، ومن طواف حول الكعبة، وغير ذلك كثيرا من الايات التي أولوهم برأيهم. كما ذكرت في المبحث السابق تحت عنوان (آراء المدرسة القرآنية)

(١) شرح مقدمة في أصول التفسير ص ٢٧٧، مساعد بن سليمان الطيار، (الرياض، دار ابن الجوزي) ط ١، ١٤٢٧ هـ.

(٢) محمد الأمين بن محمد المختار عالم ومحقق ومفسر. له العديد من الكتب. ولد عام ١٩٠٧م في بلاد شنقيط (موريتانيا الآن)، طلب العلم في سن مبكرة فحفظ القرآن ودرس الفقه المالكي، ثم رحل إلى الحج، وأثر البقاء في المملكة العربية السعودية، فدرس على شيوخها ترك عدة كتب أبرزها تفسيره المشهور (أضواء البيان، في إيضاح القرآن بالقرآن) الذي وصل فيه إلى سورة المجادلة، وأتمه فيما بعد تلميذه الشيخ عطية سالم. ويُعد تفسير الشنقيطي متميزاً في باب، حيث أودعه علوماً نافعة ومسائل محققة. توفي ١٩٧٣م الشنقيطي بمكة. انظر: بطاقة تفسيره في المكتبة الشاملة.

(٣) انظر: تفسير القرآن الكريم مصادره واتجاهاته ص ٤٩ لعبد الله الزبير بن عبد الرحمن، (مكة، دار الشؤون الثقافية والنشر رابطة العالم الإسلامي) بدون سنة الطبعة.

(٤) عبد الكريم يونس الخطيب هو عبد الكريم بن محمود بن يونس بن أحمد بن حسن الخطيب. وُلد في ١٣٤٢ هـ صاحب كتاب التفسير القرآني للقرآن الذي فرغ منه في ١٣٩٠ هـ ويقع في ست مجلدات. ولد في قرية الصوامعة غرب التابعة لمركز طهطا بمدنية جرجا بصعيد مصر وتخرج بمدرسة المعلمين بسوهاج فعمل بالتعليم والتحق بدار العلوم فلما تخرج بها عمل بالمدارس الثانوية، ثم التحق بوزارة الأوقاف، فأخذ يتدرج في المناصب حتى وصل إلى منصب مدير مكتب وزير الأوقاف، وقد تم إخراجته من الوظيفة بسبب بعض مواقفه الصلبة المساندة للحق حيث تم اعتقاله، وكان رحمه الله يسكن في بيت متواضع بمدينة نصر تفرغ فيه للكتابة والتأليف. ومن أبرز أعماله كتابه: التفسير القرآني للقرآن الذي اعتمد فيه على القرآن نفسه، وكتابه قضية الألوهية بين الفلسفة والدين ومن مؤلفاته أيضا: الحدود في الإسلام، ومسلمون وكفى، والحرب والسلام في الإسلام، والقضاء والقدر، النبي محمد، وعمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وغير ذلك من المؤلفات العديدة التي أثنى بها المكتبة الإسلامية والعربية ما يربو على خمسين كتاباً. ثمة الأعلام ١: ٣١٧، ٣١٨، إتمام الأعلام ص ١٦٤، مجلة الهدى النبوي عدد رجب سنة ١٤٠٦ هـ.

(٥) انظر: فصول في أصول التفسير ص ٢٤ مساعد الطيار، (دمام، دار ابن الجوزي) ط ١. وشرح مقدمة في أصول التفسير ص ٢٧٧ (الرياض، دار ابن الجوزي) ط ١، ١٤٢٧ هـ.

(٦) انظر: القرآنيون وشبههم حول السنة لخادم حسين إلهي بخش: ٢١٠ ومجلة إشاعة القرآن ص: ٤٩ العدد الثالث عام ١٩٠٢.

والجواب عنه: القرآن الكريم أصلٌ والسُّنة تفسيراً وأساساً له، حيث يتحدث عن الأسس الإسلامية، إمّا إجمالاً وإمّا تفصيلاً، مَنْ يدَّع أنه يحتوي على كلّ المسائل فهو إمّا لم يقرأ القرآن، وإمّا لم يفهمه أصلاً مع قراءته، أو اما جاهلاً، والقرآن الكريم على الأعم الأغلب يُجمل الأحكام ويترك تفصيلها للسُّنة المطهّرة، وفي بعض الأحكام كالميراث يفصلها ويبينها تبياناً شافياً. لأجل هذا قال الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(١)

الثاني: عدم الاستدلال بالسنة النبوية: "دعواهم بأنَّ السُّنة ليست وحياً" القرآنيون يدَّعون أنَّ السُّنة المطهّرة ليست وحياً بل أقوالٌ وأفعالٌ تُسند إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال عبد الله جكرالوي: "إنّا لم نؤمر إلّا باتّباع ما أنزله الله عز وجل من خلال الوحي ولو فرضنا جدلاً ان بعض الأحاديث قطعاً منسوبة إلى النبيّ مع صحّة اسناده، لكن ليست واجبة الاتّباع، لأنّها ليست بوحي، منزل من الله عز وجل" ^(٢) ولذلك لا يفسرون بالسنة النبوية والجواب عنها: الرسول صلى الله عليه وسلم لم ينطق عن الهوى، وبلغ القرآن الكريم للناس وبينه وطبق أحكامه كما أمره ربّه ولنفرض جدلاً أنّه لم يُراع هذا الأمر على أكمل وجه يقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ^(٣) إن لم تُوجد له سلطة التحليل والتّحريم لأخذه الله، فهل أخذه الله؟ لا، هل حرّم وأحل؟ نعم، إذن بيّن وفسر وأحلّ وحرّم بالوحي، ويظهر من الآية السابقة، أنَّ الرّسول صلى الله عليه وسلم قال، وفعل، موافقاً بمراد الله عز وجل، إن لم تكن السُّنة المطهّرة وحياً، فكيف تكون موافقة بمراد الله؟ وهذا ليس ممكناً إلّا بالوحي، فإن لم تكن السُّنة المطهّرة وحياً، لا يمدح الله سبحانه وتعالى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب اقتدائهم به: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ ^(٤)

القرآنيون الذين يدَّعون أنَّ السُّنة المطهّرة ليست بوحيٍ فليجيبونا على هذين الدليلين

الدليل الأول:

قال الله تبارك ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ ^(٥) أمر الرّسول صلى الله عليه وسلم بقطع نخل بني النضير لأمرٍ استراتيجيّ، ثمّ قال اليهود: أفسد محمد أرضنا، وقطع نخلنا، فأخبر الله عز وجل، أنَّ الرّسول قطعها أو أبقاها فكلّ ذلك بإذن الله جلّ وعلا. أين إذن أن الله عز وجل أذن بقطع النخل؟

(١) الحشر: ٧.

(٢) انظر: القرآنيون وشبههم حول السُّنة لخادم حسين إلهي بحش: ٢١٤ ونقلاً عن إشاعة السنة ١٩/٢١٩ سنة ١٩٠٢

(٣) الحاقة، ٤٤، ٤٥ - ٤٦

(٤) الفتح: ١٨.

(٥) الحشر: ٥.

الله عزَّ وجلَّ أخبر رسوله عن الإذن بالوحي، فأين هذا الوحي؟ الجواب أن الله تبارك وتعالى أوحى إلى نبيه بطريقتين، بطريق الوحي المتلو، وغير المتلو، فثبت الإخبار عن الحادثة بالوحي المتلو، وإذن قطع النخل ثبت بالوحي غير المتلو.

الدليل الثاني:

إن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في المدينة متوجِّهاً إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً ونفسه مشتاقة أن تتوجَّه إلى الكعبة ولكن مع حرصه هذا لم يتوجَّه إليها قال الله تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾^(١) فمع حبِّ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم الشديد في التَّوجه إلى البيت الحرام لم يتوجَّه إليه حتَّى جاءه الوحي يبلِّغه في التَّوجه إلى المسجد الحرام فأين الوحي يا أيُّها القرآنيُّون الذي أمر النَّبِيَّ أن يتوجَّه به إلى بيت المقدس أولاً، وهذا هو القرآن لا تُوجد فيه آية واحدة تُثبت أن الأمر أولاً جاء في التَّوجه إلى البيت المقدس إذن ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى صلاته ستة عشر شهراً، بالمدينة متوجِّهاً إلى بيت المقدس بالوحي غير المتلو.

المنهج الثاني: المنهج اللغوي، وهي تفسير القرآن باللغة: (وتحت هذا المنهج هم يأخذون بظاهر المعنى دون التفات إلى السنة النبوية أو اجتهاد المفسرين والصحابة)

وقد بدا لي من خلال دراستي، أن الحركة القرآنية وشروحهم المختلفة، تعتمد في فهم القرآن وتفسيره على اللغة فقط، حتى في المصطلحات المنقولة أو المخصصة شرعاً، فأصبحت علما على أمر معين، كالصلاة والطواف على سبيل المثال، ومن القرآنيين من سلكوا بهذا الطريق، ومنهم من سلكه دون اعلانه.

ولذلك انتقد حافظ محمد أسلم المفسرين لعدم سلوكهم هذا الطريق قايلاً: "إن المفسرين يبحثون عن القرآن أكثر منه في القرآن، وذلك أن القرآن لو نظرنا إليه بعين البصيرة، يحتوي علي شرح للحقائق، وحلول لمشكلاته، وشرح مصطلحاته، وكل ذلك يعود فهمه إلى تعلم العربية، فكل من يعرف اللغة العربية يفهم القرآن دون مساعدة أي علم آخر^(٢)."

وطبق تلميذه برويز هذه الفكرة في شروحه المختلفة للقرآن، فبدأ بتصنيف لغات القرآن، وشرح الاشتقاقات المختلفة المنسوبة إلى كتب اللغة، ثم تابع فهم القرآن في ضوء ما سجله في لغاته، ثم اعقب هذا المفهوم (بمطالب الفرقان والأوامر الإلهية) وأخيراً أخرج لتضليل الأمة (تبويب القرآن) وهو دائرة معارف لبيان مفردات القرآن وتوضيح أحكامه، حسب رأي القرآنيين. وبناء على هذا المنهج اللغوي رفض أكثر القرآنيين معظم حقائق الشرعية، الاستفادة من الألفاظ التي خصها الشارع لشيء معين، كالصلاة، والزكاة، والطواف، ومثل ذلك. كتفسيرهم للصلاة "كما ان

(١) البقرة: ١٤٤

(٢) مجلة طلوع إسلام ص ٢٩ عدد إبريل ١٩٣٩م.

معني الصلاة في اللغة الدعاء، لكن الشرع نقله من هذا المعنى إلى أفعال وأقوال على هيئة مخصوصة، تبتدىء بالتكبير وتنتهي بالتسليم، ومع ان هؤلاء لا يعترفون بهذه الحقيقة الشرعية، الا انهم يعيدون الكلمة إلى اللغة، وياخذون المعني اللغوي وهي الدعاء، فهذا نور أحمد (١)

ينسب شرح لفظ الصلاة إلى لسان العرب فيقول "الصلاة من الله رحمة، ومن المخلوقين والملائكة والإنس والجن القيام والدعاء، والتسبيح، وهذا هو معنى الصلاة في القرآن" (٢)، وهكذا تفسيرهم للطواف تقول في إدارة بلاغ القرآن، حول طواف البيت "ليس معنى الطواف أن تدور حول البيت، بل معناه أن تعود إليه مرة بعد أخرى"

المنهج الثالث: منهج التأويل وتحكيم العقل:

تقوم علي الإلحاد والتأويل وتحكيم العقل في بيان مراد الله، بغض النظر عن اللغة ودلالاتها، لاستنباط نظريات معينة، قبلها القرآنيون حسب أهوائهم من القرآن المجيد، وقد احضع آياته عليها بالتعسف والتأويل، ورفض ما فهمه المسلمون من تلك الآيات لمدة ثلاثة عشر قرناً، من الفترات الماضية، كتأويل الآيات التي توجب طاعة الرسول عليه السلام، في الشعائر الدينية، والإلحاد فيها بتفسير الرسول بالقرآن، لاعتبار أنه رسول خلقه، أو تقييد طاعته، فيمن شاهده عليه الصلاة والسلام، لأن الطاعة لا تكون إلا لحي، إلى غير ذلك، التأويلات الإلحادية التي مرت بنا مفصلة في (شبهاتهم حول إنكار السنة .أول من قام بهذا الاصطلاح وتشدد به هو الحافظ محمد أسلم، حين قال "المراد من طاعة الله وطاعة رسوله الواردة في الآيات القرآنية (أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ، (٣) التي تأمرنا باتباعها هو طاعة مركز الله. (٤)

هذا المعنى في موضع آخر فقال "الأحكام الواردة لطاعة الرسول لا تقتصر عليه ولا تقتيد بمحمد عليه الصلاة والسلام، بل الخلفاء الذين أتوا بعده، فطاعتهم طاعة لرسول الله وطاعة الرسول طاعة الله عز وجل، والمراد من الآيات لطاعة الرسول في القرآن، فالمراد بها طاعة الإمام، وطاعة مركز الملة" (٥)

غير أن الحافظ لم يوضح حدود مركز الملة بل ترك بيانه وتخلي عنه، فتولى عنه لكن تلميذه برويز، ذكر حدوده، وما يتمتع به من السلطات وفق نظامهم الإسلامي المزعوم، حيث يقول في ذلك "المركز الملة السلطة العليا للدولة الحاكمة وفق القرآن، والمنفذة الأحكام الكتاب المجيد، وهي التي تشكلت في عهده عليه الصلاة والسلام ثم في عهد خلفائه، على منهاج نبوته وهذه هي الصورة المقصودة عندنا في الإسلام، وهو ما نسميه بالحكومة القرآنية، أو النظام

(١) نور أحمد عرب هو أحد الدعاة النشيطين لفرقة عبد الله وقد شارك مشاركة فعالة في الدفاع عن آرائها، وأعان حشمت علي في قيادة الفرقة، وقد اتصل وفي سنة ١٩٣٤ م أصبح المتكلم الرسمي لهم بعد طرد حشمت علي من ذلك المنصب بسبب الخيانات المالية توفي في أواخر الاربعينات.

(٢) انظر برهان الفرقان لمحمد فاضل سيالكوتي ص ٤٥.

(٣) سورة الأنفال آية

(٤) كتاب وا محمداه إن شانئك هو الأبتر لسيد بن حسين بن عبد الله العفاني ص. ٤٩٣ (٢٠٠٦). (ط. الأولى). دار العفاني، مصر..

(٥) مقام حديث ص ١٤٤

الإسلامي، أو الحكومة الإسلامية، أو السلطة المركزية، أو مركز الملة^(١) وخصايص هذه السلطة فقال "الكتاب الله هو قانون الهداية الابدية للجنس البشري بأكمله، فلم يذكر فيه إلا الأصول، وفوض تعيين جزئيات تلك الأصول إلى الدولة الإسلامية، وهي التي تتولى مركز الملة، النظام الذي يحكم بوفق القرآن، وهو ما كان سائدا في الحياة الإسلامية أيام رسالة محمد عليه الصلاة والسلام والخلفاء الراشدين ويتلخص مركز الملة من النصوص السابقة في النقاط التالية:

الآيات الواردة في طاعة الله وطاعة رسوله مفهومها الآن طاعة مركز الملة. الراشدين من بعده. صلاحيات هذا المركز تعيين حكم الشرع في الأحكام التي لم يرد ذكرها في القرآن، دون أن يلتزم بما سبقته من الأنظمة. من حق من يخلف هذا النظام ألا يوافق النظام القرآني السابق في الأحكام التي عينها وفق بصيرته.

ونناقش هؤلاء فنقول: لا طالب الحق إلا البحث والاطلاع فيما يحال إليه، وبالعودة إلى كتاب الله في الآيات الواردة في طاعة الله وطاعة رسوله نجد قوله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حَلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حَمَلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ^(٢) وقوله: ﴿وَمَنْ يَعَصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا^(٣) وَمَنْ لَمْ يُؤْمَرْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا^(٤) نجد أنه لا يمكن حمل هذه الآيات على مركز الملة، ولو فسرت به وأمثالها الآيات لانقلب نظام الإسلام الشوري المرن إلى دكتاتورية الحزب الواحد، الذي لا نقاش فيه ولا استصواب رأي، ولأصبح المخالف لمركز الملة كافرا لمخالفته، ولتحول إلى وقود جهنم وساءت مصيرا كما ذكرته.

النوع الثاني: مناهجهم العامة مثل مناهج الفرق الضالة:

المدرسة القرآنية وضعت مناهج مثل مناهج أهل الأهواء في الدين، المضطربة ومتناقضة في مفرداتها، والمتشابهة في أصولها العامة وبيع بعض الاستقراء، والبحث من أقوال أهل العلم تحصل عندي جملة من مناهجهم، وسماتهم، وأصولهم التي فارقوا بها السنة والجماعة، وسبيل المؤمنين ونهج المرسلين في الدين، ومن ذلك: الخلل والإخلال في منهج التلقي والاستدلال، ومن ذلك:

١- رد النصوص التي تخالف أصولهم:

من المناهج العامة والسمات المشتركة لعامة أهل الأهواء والقرآنيون، أنهم يردون نصوص الوحي من القرآن والسنة إذا خالفت أهواءهم، أو عارضت أصولهم الفاسدة، وقواعدهم الباطلة.

(١) قرآني فيصلي ج ٢ ص ٢٢١

(٢) سورة النور، آية /٥٤٠

(٣) سورة الجن، آية /٢٣

(٤) سورة الأنفال، آية /٢٠.

وفي ذلك يقول الشاطبي "ومنها ضد هذا، وهو رفضهم للأحاديث أصلاً، التي لا توافق عقائدهم ومذاهبهم، ويزعمون أنها مخالفة للعقل، ولا توافق مقتضى الدليل فينبغي رفضها كالمُنكرين لعذاب القبر، والصراط، والميزان، ورؤية الله عز وجل في الآخرة، وكذلك الذباب وقتله، وأن في أحد جناحيه شفاء وفي الآخر مرضاً، وأنه يقدم الذي فيه الداء وحديث الذي أخذ أخاه بطنه فأمره النبي ﷺ أن يسقيه العسل، ونحو ذلك الأحاديث الصحيحة المنقولة، ربما افتروا في الرواة من الصحابة والتابعين رضي الله تعالى عنهم، وفيمن اتفق ذلك من الأحاد أباحوا أحدك الأئمة من المحدثين على عدالتهم، وإمامتهم، وتبعاً لذلك يردون أقوال الصحابة وآثار السلف، وفقههم للنصوص، مع أن الصحابة والتابعين علماء الإسلام، أعلم من أهل الأهواء بالضرورة بمراد الله وأفقه لدين الله ومنهجهم في الدين أعلم، وأسلم، وأحكم . لكن أهل الأهواء لا يفقهون كتاب الله " (١)

وقال شيخ الإسلام في أهل الأهواء "يردون الأحاديث التي تعارض مقولاتهم، وإن كانت صحيحة، كما فعل الجبائي في رد حديث احتجاج آدم وموسى (٢).

قلت: هذا مجرد مثال لا يخص شخصاً أو أشخاصاً منهم، بل نجد أن رد الأحاديث من أصول أهل الأهواء ومناهجهم وسماتهم الثابتة، كما فعلت القدرية في رد أحاديث القدر، كحديث الصادق المصدوق. وكما فعلت الجهمية والمعتزلة في رد أحاديث الرؤية والشفاعة، وأحاديث الصفات. . وكما فعلت الخوارج في رد أحاديث الوعد والشفاعة. وكما فعلت الرافضة في رد سائر السنة التي رواها الصحابة، وكما فعلت الصوفية والمقابرية في رد الأحاديث التي تنهى عن الابتداع. ومن ذلك استدلالهم بالضعيف والموضوع وما لا أصل له، وترك الدليل الأقوى والأصح. قال شيخ الإسلام "ومن ذلك أن أحدهم يحتج بكل ما يجده من الأدلة السمعية، وإن كان ضعيف المتن والدلالة، ويدع ما هو أقوى، وأبين من الأدلة العقلية إما لعدم علمه بها، وإما لنفوره عنها، وإما لغير ذلك، وفي مقابلة هؤلاء من المنتسبين إلى الإثبات، بل إلى السنة والجماعة أيضاً، من لا يعتمد في صفات الله على أخبار الله ورسوله بل قد عدل عن هذه الطريق وعزل الله ورسوله عن هذه الولاية فلا يعتمد في هذا الباب إلا على ما ظنه من المعقولات ثم هؤلاء مضطربون في معقولاتهم أكثر من اضطراب أولئك في المنقولات تجد هؤلاء يقولون أنا نعلم بالضرورة أمراً والآخر يقولون نعلم بالنظر أو بالضرورة ما يناقضه هؤلاء يقولون العقل الصريح لا يدل إلا على ما قلناه والآخرين يناقضوهم في ذلك" (٣)

(١) الاعتصام بالشاطبي ١/٢٤٦ هو إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت ٧٩٠هـ) تحقيق: سليم بن عيد الهلالي. الناشر:

دار ابن عفان، السعودية. الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

(٢) انظر: منهاج السنة لابن تيمية ٣/٠٧٩ والنظر الصواعق المرسلة ٢/٩٨٨، ٩٨٩. وبيان تلبيس الجهمية ٢/٢٥٢ (تحقيق الدكتور محمد اللاحم)؛

وانظر: المطالب العالية للإمام فخر الدين الرازي ١/٤١؛ وما بعدها.

(٣) كتاب الصفدية لأبن تيمية - الكلام على التأويل/ص ٢٩٤

- فساد تصورهم عن النبوة ومن ثم الوحي وكلام الله:

إنهم تابعوا أسباب تمادي أهل الأهواء في ضلالتهم، أنهم يضعون القاعدة الفاسدة، ويننون عليها أحكاماً فاسدة كذلك، ثم يجرهم ذلك إلى قواعد جديدة باطلة، وهكذا تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه، ومن ذلك تصورهم الفاسد عن حقيقة النبوة .

قال ابن القيم: وكذلك الطريق التي سلكوها في إثبات النبوة، لم يثبتوا بها نبوة في الحقيقة، فإنهم بنوها على مجرد خرق العادة، وهو مشترك بين النبي وغيره، وحاروا في الفرق، فلم يأتوا فيه بما يثلج له الصدر، ولا يحصل به برد اليقين، مع أن النبوة التي أثبتوها لا ترجع إلى وصف وجودي^(١)

٣- زعمهم أن القرآن كاف لإقامة الدين:

هذه السمة وإن لم تكن مطردة عند أكثر أهل الأهواء، إلا أنهم يلجؤون عندما تتصادم أصولهم الفاسدة مع الأحاديث الصحيحة.

يقول البربخاري: "وإذا سمعت أن الرجل تأتبه بالحديث وهو لا يريده، ويريد القرآن، فلا تشك في أن الرجل قد احتوى على الزندقة، فقم من عنده واتركه"^(٢)، فهم يزعمون أنهم يكتفون بالقرآن وهذا حجة عليهم، فإن القرآن أوجب طاعة الرسول ﷺ واتباعه وسؤال أهل الذكر، واتباع سبيل المؤمنين، وقد حذر النبي من هؤلاء الذين يزعمون الاكتفاء بالقرآن .

٤- الطعن في خبر الآحاد:

كان الصحابة والتابعون وسائر السلف في القرون الثلاثة وما بعدها، يأخذون بكل ما صح عن رسول الله ﷺ دون تفريق بين الأحاد وغيره، ودون تفريق بين العمل والاعتقاد، ولم يخالف في ذلك إلا طوائف من الجهمية والمعتزلة والخوارج ومن سلك سبيلهم، ثم تجرأ أهل الكلام المتأخرون أشهر من طعن في الأحاد الرازي، وهو منهج أهل الكلام من الأشاعرة ومن سلك سبيلهم،

٥- استعمال الأقيسة العقلية في صفات الله وسائر أصول العقيدة:

من المعلوم أن المذهب الحق أن العقيدة غيبية توقيفية لا مجال للعقول فيها إلا بالتسليم للنصوص الثابتة، لأن العقول والأفكار لا تحيط بالغيب، وأن القاعدة الشرعية أن الله له المثل الأعلى من كل شيء فلا يقاس بغيره ولا يقاس به غيره^(٣). إلا أن أهل الأهواء قاسوا الله تعالى بخلقه في نفس الوقت الذي زعموا فيه الهروب من الإثبات خوفاً من التشبيه، فقد قالوا في الصفات بمقاييس عقلية، ومن ذلك:

(١) الاعتصام ١/٢٣٥ والصواعق المرسلة ٢/٩٨٨، ٩٨٩.

(٢) بيان تلبيس الجهمية ابن تيمية ٢/٢٥٢ (تحقيق الدكتور محمد اللاحم)؛ وانظر: المطالب العالية ١/٤١؛

(٣) انظر درء التعارض لابن تيمية ١/٢٩

الصفات مقولتهم^(١) أن الجسم لا يخلو عن الأعراض التي هيا وما لا يخلو من صفاته فهو مخلوقة، لأن الصفات التي هي الأعراض لا تكون إلا مخلوقتا، ولأجلها التزم جهم التعطيل، وفناء الجنة والنار^(٢) ثم التزم المعتزلة نفي الصفات، ثم التزم الكلائية والأشاعرة والماتريدية نفي أفعال الله الإختيارية، وتأويل الصفات.

والتزم أبو الهذيل انقطاع حركات أهل الجنة. وهكذا، كما التزم أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم لأجلها نفي الصفات أو بعضها، التزموا كذلك، القول بأن القرآن مخلوقة، وأن الله لا يرى في الآخرة، وإنكار العلو على العرش ومن ذلك قولهم، إن اليد والعين والوجه جوارح وأعضاء والله منزّه الأعضاء والجوارح، وعليه فليس الله يد ولا عين ولا وجه. فردوا ما وصف الله به نفسه وما وصفه به رسوله بالأقيسة العقلية.

ولذلك قال شيخ الإسلام التمسك بالأقيسة مع الإعراض عن النصوص والآثار طريق أهل البدع^(٣). والمتأمل لحال أهل الكلام يجد أنهم ما نفوا صفات الله تعالى إلا حينما فاسوها على صفات الخلق وأفعالهم ولم يعتقدوا أنه الله تعالى: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ.

٦- اعتمادهم على التأويل والتعطيل في صفات الله تعالى، فالتأويل من أخطر مناهج أهل الأهواء:

فهو وسيلتهم لرد دلالة العقيدة النصوص وتعطيل معانيها، دون تعرض لإنكارها وردّها بالكلية، ومن ذلك، تحريف التأويل وتحريف التنزيل قال تعالى ﴿يُلَوِّنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ﴾^(٤) وقال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ تُحْكِمُ لَكَ أُمُ الْكِتَابِ وَأُخْرَى مُتَشَبِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا نَشَبَهُ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ، وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَنْبِيَاءِ﴾^(٥)

٧- الاعتماد على الكذب والوضع وما لا أصل له في الدين:

من أبرز سمات القرآنيون أهل الأهواء ومناهجهم في التلقي والاستدلال، اعتمادهم على الكذب والوضع وقلة التعويل على الإسناد، ولذلك يكثر استدلالهم بالموضوعات والمكذوبات والآثار الضعيفة، وما لا أصل له، وهم في الوقت نفسه يردون ما يخالف أهواءهم من النصوص الصحيحة يقول شيخ الإسلام: وهذا في البدع الكبار مثل الرافضة والجهمية فإن الذي وضع الرفض كان زنديقاً ابتداءً تعمد الكذب الصريح الذي يعلم أنه كذب، كالذين ذكرهم الله من اليهود الذين يفترون على الله الكذب وهم يعلمون، ثم جاء من بعدهم من ظن صدق ما افتراه أولئك وهم في

(١) المصدر السابق ٤/٣٩

(٢) المصدر السابق ١/٤٠

(٣) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ٧/٣٩٢

(٤) سورة آل عمران : الآية، ٧٨

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٧

شك منه كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٌ﴾^(١) وكذلك الجهمية ليس معهم على نفي الصفات وعلو الله على العرش ونحو ذلك نص أصلاً ولا آية ولا حديث ولا أثر عن الصحابة، بل الذي ابتدأ ذلك لم يكن قصده اتباع الأنبياء، بل وضع ذلك كما وضعت عبادة الأوثان وغير ذلك من أديان الكفار، مع علمهم بأن ذلك مخالف للرسول كما ذكر عن مبدلة اليهود، ثم فشا فيمن لم يعرفوا أصل ذلك^(٢).

٨- التمسك بظواهر من النصوص دون مراعاة قواعد الاستدلال:

من مناهج أهل الأهواء والقرآنيون، التعلق بظواهر النصوص حينما توافق أهواءهم دون ردها إلى النصوص الأخرى، ودون مراعاة لقواعد الاستدلال عند أهل العلم، كاستدلال الخوارج بقوله تعالى: إن الحكم الان على تكفير من وحكم الرجال. وكاستدلال الجهمية بقوله تعالى (لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ) على نفي الرؤية. يقول شيخ الإسلام عن أهل البدع والأهواء "فكانوا متمسكين بظاهر من القول لا بظاهر القول وعمدتهم عدم العلم بالنصوص التي فيها علم بما قيد، وإلا فكل ما بينه القرآن وأظهره فهو حق، بخلاف ما يظهر للإنسان لمعنى آخر

غير نفس يسمى ظاهر القرآن، كاستدلالات أهل البدع القرآن، من المرجئة والجهمية والخوارج والشيعة"^(١)

٩- التوسع في التأويل بلا ضابط ولا قاعدة علمية واضحة:

العلماء مجمعون على أن قوله تعالى: (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم...) أنها معية العلم وليست معية الذات، وهذا تأويل للنص، والقول بالمجاز حادث بعد القرون الثلاثة، وأئمة السلف المعتبرون كرهوه في العقائد؛ لأنها غيبية توقيفية ولما يؤدي إليه القول بالمجاز في العقائد من هدم نصوص الشرع وتحريف كلام الله، والقول على الله بغير علم، وهذا ما يذهب إليه ابن عبد البر وأنه أولى بالصواب، ويقول فالأفضل لاهل الدين أن يحملوا كلام الله تعالى وكلام نبيه على الحقيقة^(٢) لكن القرآنيون اتبعوا منهج الأخذ بمعنى المجازي في العقائد بدون قرينة واضحة وبدون الضابطة ولا قاعدة وسوف آتي أمثلتها في القادم تفصيلاً.

١٠- اعتمادهم في تقرير العقيدة على أصولهم الفاسدة، وقد يذكرون الدليل الشرعي للاعتضاد:

من مناهج القرآنيون وأهل الأهواء وسماهم العامة، أنهم يعتمدون على أصولهم الفاسدة في تقرير الدين أولاً، ثم يلتمسون من الأدلة الشرعية ما يوافق هواهم على غير نهج سليم. قال شيخ الإسلام، في الفرق بين منهج أهل السنة ومنهج أهل الأهواء "الكلمات نوعان نوع يوجد في كلام الله ورسوله، ونوع الثاني، لا يوجد في كلام الله ولا في رسوله، فيعرف معنى اولا ويجعل ذلك المعنى هو الأصل، ويعرف ما يعنيه الناس بالثانية، ويشير إلى الأول هذا هو

(١) سورة الشورى، الآية: ١٤.

(٢) مجموع الفتاوى لشيخ لإسلام ١٧/٤٤٦٤٤٥

(٣) مجموع الفتاوى لشيخ لإسلام ٧/٣٩٢، ٣٩٣ الاستذكار ١/١٣٣، وانظر ابن عبد هـ في تقرير العقيدة للدكتور سليمان الغصن.

الطريق أهل الهدى والسنة، واما الطريق أهل الضلال والبدع هم بالعكس هذا، انهم يجعلون الألفاظ الأصل، ويجعلونها قاله الله ورسوله تبعاً لها، أحدثوها ومعانيها هي التي في العقل.

فيعودونها إلى معانيهم بالتأويل والتحريف، ويقولون "نحن نفسر القرآن بالعقل واللغة" يعنون أنهم يعتقدون معنى بلغتهم ورأيهم، ثم يفسرون القرآن عليه، بما يمكنهم من التأويلات، والتفسيرات المشاركة لتحريف الكلم عن مواضعه وقال، وسلك أهل البدع طريقاً آخر ابتدعوها واعتمدوا عليها، ولا يذكروا الحديث، ولا القرآن في أصولهم، إلا سند لا اعتقاداً.

١١- منهج الاستدلال: قياس الغائب على الشاهد:

وهذا من مناهج المتكلمين، تبعاً للفلاسفة، وهو ما سمي بقياس التمثيل، أو الشمول عند بعضهم: وهذا منهج منحرف ومعارض لمنهج أهل السنة تماماً، بل معارض المنهج القرآن والسنة خاصة، حين استعملوه في الإلهيات والسمعيات، فالصفات لله تعالى وأفعاله لا يقاس في حقها الغائب على الشاهد لأن الله تعالى، ليس كمثله شيء، ولأن الله تعالى له الكمال في ذاته وصفاته وأفعاله الكمال المطلق الذي لا تحيط به العقول والأوهام، وكذلك السمعيات غيب وما يعلم الغيب إلا الله سبحانه، وأي كلام فيها أكثر مما إنما هو رجم بالغيب، فإن من أسباب تعطيلهم، وتأويلهم للصفات قياس الغائب على الشاهد، وهذا هو التمثيل والتشبيه، الذي نفاه الله تعالى عن نفسه وسائر أصولهم التي خالفوا فيها السلف في الصفات والسمعيات، تقوم على هذه القاعدة والقياس الفاسد. الأخرى فهي. النص ورد فيوسائر مصنفاتهم وكلامهم الذي ملأ الآفاق وصم الآذان وحشا الدفاتر والأوراق إنما يستند على هذه القاعدة.^(١)

المبحث الرابع: أبرز رجالاتها في شبه القارة الهندية

الأول: سرسيد أحمد خان

هو السيد أحمد خان، بن أحمد مير المتقي بن عماد الحسيني، ولد في المدينة دلهي، أكتوبر (١٨١٧ م بدأ بدراسته القرآن الكريم، ثم تعلم العربية والفارسية، ثم درس العلوم الدينية، لما توفي والده، كان في الحادية والعشرين من عمره، التحق بشركة للعمل، وكان ذلك بداية اتصاله بالإنجليز الذين أعجبوا بذكائه، ومن ثم رفعوه إلى منصب مساعد قاضي في المحاكم الإنجليزية، وقد ردّ لهم الجميل بأن أصدر الكتب والمجلات التي سحّرها لخدمة أهداف سادته ووقف معهم صفّاً واحداً ضد الأمة الإسلامية، وشهد المقربون منه أنه لم يكن يهتم بالصلات ولا بصوم ولا يهتم بشعائر الدينية، بدأت حياته المهنية بتصنيف الكتب ونشر المجلات الثقافية والعلمية، وانتهت بتأسيس المدارس والمعاهد، وأخيراً بجامعة عليكره ففي ١٨٤٧ م نشر كتابه الشهير "آثار الصناديد في ذكر الآثار القديمة لمدينة دلهي" ومن آثاره العلمية، أسباب الثورة في الهند و(خطبات أحمدية) و تاريخ بجنور، وتصحيح آئين أكبري

(١) انظر: التمهيد للباقلاني، ٣٢ وانظر الفرق الكلامية مدخل ودراسة لدكتور علي عبدالفتاح المغربي ص ٢١، ونهاية الإقدام للشهرستاني ص ١٨٢

وغيرها، هذا بالإضافة إلى ما كتبه في مجلة تهذيب الأخلاق، التي جمعها الشيخ محمد إسماعيل، ونشرها تحت اسم (مقالات سر سيد كما أنَّ له تفسيراً للقرآن الكريم، وفيه التحامل الواضح لاستنباطات معينة، من القرآن الكريم، ومات ٢٧ مارس ١٨٩٨ م اهـ^(١))

يبدأ تاريخ إنكار السُّنة في شبه القارة الهندية في العصر الحديث بهذا الشخص، (سرسيد أحمد خان) وخاصة بعد اتفاهه مع الاستعمار الإنجليزي، قام بضد الإسلام والمسلمين، وكان زروة الخيانة، وسببا رئيسا في تقسيم الأمة، وتشجيت جهودها ضد الاستعمار، كما يرجع إليه مما لأة المستعمر الإنجليزي ومداهنته بل والاغتراف من ثقافته وموالاته، لقد أمضى هذا الرجل حياته في خدمة الإنجليز، والدعوة إلى مسالمتهم ومعاونتهم، وقد تبعه كثير من الناس في هذا.

ونفت شُموه على القرآن العظيم تحريفا لآياته وتأويلا لما ورد به من عقائد راسخة، وأحكام ثابتة عن المسلمين، وزعم هذا المعتوه أنَّ القرآن لم ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بألفاظه ومعانيه، بل إنه نزل بالمنعطف، وبذلك جعل القرآن مثل السنة.

وأما بالنسبة للسنة الرسول، وهذا الدَّجَال هو الذي وضع الأساس لتكذيب السنة النبوية، لمن بعده، وأدعى بكفاية القرآن، وقد ادَّعى بأنَّ السنة النبوية لم تُدَوَّن منذ زمن طويل، ممَّا هيأ الأمر للزيادة عليها والنقص منها، والوضع فيها، وأول كلِّ ما ورد في السُّنة عن الجن، والملائكة، والشیاطين، والجنة والنار، وغيرها بتأويلات باطلة، أدَّت إلى إنكارها جملة، كما زعم أنَّ جميع الأحكام والأخبار الواردة في السنة النبوية هي مُجرَّد تخمينات المحدثين، وشُراح السُّنة، وفقهاء المذاهب، ومن ثم لا يلزم للمسلم أنَّ يعتمد على السُّنة مصدرا للتشريع.

نبذة مختصرة عن فكرة

١- تقليد الحضارة الغربية: لقد ذكرنا سابقاً أن ظهور أهل القرآن كان ثمرة طبيعية للحركة التي زرعها أعضاء حركة سيد أحمد خان، وذكرنا أن حركة سيد أحمد خان كانت تقوم على التقليد. عن الحضارة الغربية وأسسها المادية، وأن المسلمين إذا أرادوا التقدم والازدهار عليهم أن يتخلوا عن مبادئ دينهم ونظام شريعتهم، إذا قلدوا استعمارهم في كل أمور دينهم ودنياهم. هي طريقتهم في النمو والتطور، وقد استغرقت بحوثه عن الأحكام الواردة عن طريقها الجزء الأكبر من مقالاته الدينية فبدأ بالتأويل في المغيبات الواردة عن طريقها مثل تأويله في تعريف الشيطان، بأنه القوى المعادية التي لا يملك السيطرة للانسان عليها^(٢)

(١) مُلَخَّصًا من نزهة الخواطر ٨ / ٣٠ وفرقة أهل القرآن، ص / ٧٥. ص ٧٧ . وانظر القرآنيون وشبهاتهم حول السنة، لخدام حسين إلهي بخش (ص

/ ١٠٠)

(٢) فرقة أهل القرآن ص / ٧٧

٢- إنكار الجزئيات من السنّة: مثل رفضه للسنّة فأنكر الجزئيات من السنّة نحو إنكاره للسنّة الواردة في مماثلة الأراضي للسموات في العدد، فقال "إنّ هذا التصور مما كان يقول به الجاهليون دون سواهم، وبناء على لفظ (مُثْلُهُنَّ) في الآية^(١) وضع تلك الروايات كلها في هذا الباب، والله ورسوله بريء منها.

٣- إنكاره المعجزات أي "ألا امر الخارق للعادة": ومثل إنكاره للأمر الخارق للعادة على أنه لم يحدث، كنفية إلقاء إبراهيم في النار، أو ولادة المسيح، بلا أب، وابتلاع الحوت ليونس، عليه السّلام^(٢) أو حمله على الاستعارات والمجازات، وما كان من المعجزات في السنّة فقد رفضاً مخالفاً للقوانين الطبيعية، ولا يصح التغير في القوانين الطبيعية البتة، أن نغض الطرف عن الصورة التي دُوِّنَتْ بها كتب الأحاديث، تلك التي كان مبنها روايات الذاكرة بينما البعد الزمني، كفيل بمزج الزائد بها وإضافة الجديد إليها^(٣). وبضيف قائلًا، بأنّ ما دُوِّنَ في هذه الكتب من الأحاديث إنما هي ألفاظ للرواة، ولا نعرف ما بين اللفظ الأصلي الصادر من سفتيه ﷺ، والمعبر به من وفاق أو خلاف، وليس من العجب أن يخطئ أحد الرواة في فهم الحديث، مما يكون سبباً في ضياع المفهوم الصحيح. وعلى هذا الأساس جعل الأحكام المستنبطة من السنّة أحكاماً عامة لا تجب على المسلم اتّباعها، وأنّ ما استنبطه العلماء من نصوصها الموجودة، هو مجرد أحكام اجتهادية وليس نصيّة، ولا حتمية، لاحتمال ألا يكون ذلك مقصوده عليه السّلام. كما يقول حول المعجزة كل عمل يحدث وفقاً للقانون الطبيعي، لكننا لا نعرف كل القوانين، لذلك عندما يحدث عمل جديد، يبدو لنا بلا قانون ونعتبره معجزة، وهذا ليس هو الحال. تفسير القرآن دليلاً لتجدد لسنة الله تبديلاً.

أذكر بعض المعجزات التي أنكرها سر سيد.

١- تبريد النار. يقول السير سيد "أن إبراهيم عليه السلام لم يلق في النار، لكن الكفار خططوا لإلقاءه في النار، لكن الله أفضّل خطتهم. وارادو به كيدا فجعلتهم الاخسرين"^(٤)

أ- اصحاب الفيل: اليمن وقد ورد ذكر قصة اصحاب الفيل: في القرآن على النحو التالي: أرسل الله تعالى قطعان من الطيور على جيش أفيال أبرهة حكيم. الذي ألقى الكثير من الحصى على هذا الجيش لدرجة أن الجيش بأكمله والأفيال تم نخلها وصنعها مثل الرماد المأكول. والآن يفسرها السيد صاحب أن وباء الجدري قد انتشر في جيش أبرهة ومات ذلك الجيش،^(٥) والسؤال الآن ما نوع الصداقة التي كانت لهذا الوباء مع أهل مكة حتى أنه لم يقل لهم شيئاً وقتل جيش أبرهة مع البقية وماتوا رغم أنهم كانوا في نفس المنطقة وفي نفس الوقت.

(١) الله الَّذِي خَلَقَ سَمَآوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مُثْلُهُنَّ" الطلاق ١٢

(٢) فرقة أهل القرآن ص / ٧٩

(٣) فرقة أهل القرآن ص / ٧٩

(٤) الانبياء ٢١

(٥) الفيل ١٠٥/٤ ايّنه پرويزيت ص ٧٨

ب_ إنكار معجزة عصا موسى: يقول صاحب: بالنظر إلى الآيات التي تشير إلى تحول عصا موسى إلى أفعى، وهذه الرؤيا، ثبت أن هذه الحالة التي أُلقيت على حضرة موسى، كانت مظهرًا للنفس البشرية. الذي كان له تأثير عليه. لم تكن معجزة أو شيء خارق للطبيعة، ولم تكن هناك فرصة لإظهارها في قاع الجبل حيث حدثت، ولا يمكن تخيلها. كان هناك مدرسة في أسفل الجبل حيعبر دربي إسرائيل النهر، وعندما دخل فرعون جيشه، انفتح النهر، مما تسبب في غرق فرعون ورفاقه. (١)

استمع الآن إلى كلام سيد صاحب: لم يظهر النهر ولا أي عادة معاكسة له، ولكن هذا النهر كان له عادة مثل البحر الذي كان يرتفع وينخفض ويهلك. لذلك عندما مر موسى ببني إسرائيل في الليل، كان الجو جافًا وعندما بدأ فرعون بالمرور، صعد بالخطأ.

كانها جان، كان لدى حضرة موسى قوة قوية جدًا من الطبيعة والغريزة التي تظهر هذه الأنواع من العلامات. ظنوا أن الخشب كان ثعبانًا، ألقوا عصيهم وبدأ لهم أنه ثعبان أو تأثير. كان هذا تعريفه في رأيه كان هذا الخشب في الحقيقة، لم يتغير شيء. لم يقل الله في هذا المكان أنها تحولت إلى ثعبان. بل قال في سورة النحل: (كانها جان) يعني أنها كانت كأنها أثر، يتبين من هذا أنها لم تأثر فعلاً بالصدمة، بل كانت عصا. (٢)

ج_ انشقاق القمر: يقول المراد من انشقاق القمر في الآية انشقاقه عند قرب القيامة كالنجوم والشمس وغيرها (٣).
٢- إنكار وجود الملائكة: أنكر وجود الملائكة. قال في تفسيره (تفسير القرآن ١/٣٢): "إن الله تعالى يشبه علمه وجلاله وقدرته وأفعاله بالملائكة، فلا وجود حقيقي للملائكة المذكورة في القرآن". والقوى التي خلقها الله في كل إبداعاته على اختلاف أنواعها. ويقال مالك أو مليكة أحدهما إبليس. ومعادن الجبال، وطهارة الماء، وقوة نمو الأشجار، وقوة الامتصاص وإزالة الكهرباء، بحيث تكون جميع القوى التي نشأت منها المخلوقات ومن المخلوقات هي الملائكة المذكورة في القرآن. الإنسان هو مزيج من القوى الإلهية والقوى الإلهية وهاتان القوتان هما ذرية لانهائية. والتي تتجلى في كل أنواع الخير والشر، (٤)"

٣- الجنة والنار: ليس للجنة والجهنم وجودا خارجيا بل الجنة و جهنم هما حالتان حسب أعمال الانسان (٥)

(١) تفسير القرآن لسر سيد - ١/٩٩.

(٢) نفس المصدر - ج/ ٣ ص ٣٣٣

(٣) ايته پرويزيت ص ٨٢

(٤) ألينا ص ٤٢

(٥) تفسير القرآن لسر سيد ج ١ ص ٣٣

الثاني: عبد الله جكرالوي

هو عبد الله بن عبد الله الجكرالوي، نسبة إلى قرية جكرالو بمقاطعة ميانوالي بينجاب بالباكستان، وُلد عبد الله حوالي سنة (١٨٣٠م) في أسرة دينية، اتبع والده مشيخة إحدى الطرق، فلما وُلد ابنه سمّاه عبد الله، وأخذه إلى شيخ الطريقة فباركه ودعا له وسمّاه غلام نبي؛ أي خادم النبي أو رسول، أو عبد النبي، ومن العجب أن يتحوّل هذا إلى عدوّ للنبي صلى الله عليه وسلم، وتلقّى علومه الابتدائية علي يد والده، ثم في المدارس الأهلية، وأخيراً سافر إلى دلهي لدراسة الحديث الشريف على المحدث الشهير ميان نذيرحسين، وبعد عودته من دلهي أصبح من مشايخ أهل الحديث ودخل مجال التأليف والنشر. ويعود انحرافه الأول عن الطريق الصحيح إلى العقد الأخير من القرن التاسع عشر، عندما تجادل معه ابن عمه، وفي بداية ذلك العقد عرض القاضي عمر على عبد الله مسائل خلافية في الحديث الشريف، دون أي جدال.

وقال قوله المشهور: "الوحي في الحقيقة هو القرآن فقط، الذي أنزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم، وليس الوحي غيره. ثم بدأ بجمع تفسيره للقرآن الكريم، واتخذ من لاهور مقراً دائماً له، لنشر دعوته الجديدة، وكان يجيد اللغة العربية، وله تاريخ طويل في مختلف العلوم. وكان جديلاً بارعاً، ألف العديد من الكتب، واختار مكاناً آخر لإقامته، لاهور، حرصاً على صحته، فذهب إلى ملتان، ثم إلى ميانولي، وظل حتى ذلك الحين طريح الفراش، حتى أدركه الموت. سنة ١٩١٤م.

وبعد أن اشتغل هذا الرجل بعلم الحديث تعلمًا وتعليمًا، تلبّسه الشيطان فخرج بالعقيدة الباطلة على الناس لمفادها، قايلاً بأن القرآن وحده هو الموحى به من الله تعالى إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأما السنة فليست بوحى، فلما وقعت عليه أعين المستعمرين البريطانيين، بدؤوا يُنفقون الأموال عليه وعلى مؤلفاته، ليشتككوا الناس في السنة النبوية، فأنكر السنة كلّها ثم جاءته رسائل التأييد من المنصّرين لتشكره على جهده الكبير.

وتصدّى له علماء ذلك الزمان، وفندوا آراءه الضّالة، وحذّروا الناس من ضلاله وبدعته المنكرة، وأفقت الكثير من علماء الهند بكفره، لكنه استمر على ضلاله في إنكار السنة النبوية، حتى هلك، وأعلن الحرب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى سنته، ويخلع طاعته ويُصبح في رأس قائمة منكري السنة النبوية المطهرة، واستمر في إنكار السنة النبوية، حتى هلك سنة (١٩١٤ م)^(١)

الثالث: أحمد الدين الأمرتسري:

قد ذكرت عنه هنا بإختصار، والكلام سيأتي عنه أكثر تفصيلاً في القادم إنشاءً لله هو خواجه أحمد الدين بن خواجه ميان محمد بن محمد إبراهيم الأمرتسري نسبة إلى مدينة أمرتسر التي وُلد بها بالهند سنة (١٨٦١م)، وبعد ولادته حمله والده إلى شيخه فمسح رأسَ الطفل ودعا له وسمّاه باسمه هذا، وقد بدأ أحمد الدين تعلّمه بالقرآن الكريم ثم

العلوم الدينية عند بعض المشتغلين بذلك، ثم التحق بمدرسة المصّرين فدرس كتاب النَّصَارَى الْمُقَدَّسَ وبعض العلوم العصرية، ثم اعتمد بعد ذلك على جهوده الخاصة في اكتساب العلوم والمعارف مما مَكَّنَه من تحصيل كثير من العلوم الحديثة كالتاريخ والجغرافيا والفلك والاقتصاد والمنطق والرياضيات بجانب العلوم الإسلامية التي كانت عنايته الأولى بها، وكان يُجيد العربية والإنجليزية والفارسية والأردية وبعض اللهجات الإقليمية، واستمر على موقفه في إنكار السنة النبوية.

وقد اتصل بعبد الله الجكرالوي في ١٩٠٢م وكثيرا ما كان الخواجه يزوره لتبادل الآراء والمناقشة حول العديد من المسائل العلمية، فيقع عبد الله الخواجه أحيانا كما كان يقنع هو بآراء الخواجه أحيانا أخرى، هذا وقد قام الخواجه بتأسيس طائفته المنفصلة بمرتسر في عام ١٩٢٦م واختار لها اسم (أمة الإسلام) وأصدر مجلة البلاغ خاصة بهذه الجماعة تحمل أفكارهم وتنشر نظرياتهم الخاصة وقد استطاع أن يجذب إليه كثيرا من الأثرياء والبلغاء والنبهاء ويوسع نشاط هذه الفرقة بسبب دماثة خُلُقِه وكان يمتاز بعمق الفكر فيما يكتب فيه يفوق الموضوع حقه من جميع جوانبه بالاعتماد على القرآن وحده دون اللجوء إلى ما عداه وله مؤلفات عديدة من أشهرها معجزة القرآن (مجلد واحد) مات في ١٩٣٦ من بعد أن ظل طريح الفراش ثلاثة أشهر.^(١)

كان خواجه أحمد الدين شديد الارتباط بأفكار منكري السنة النبوية الذين سبقوه، واتصل بمن كان حيا منهم، وأخذ عنهم وتأثر بهم؛ خاصة عبد الله جكرالوي، وكان ينصح هذا الأخير بعدم التصريح بإنكاره للسنة، واخترع الفرائض والعبادات المجهولة التي لا يعرفها المسلمون زاعما أنه استنبطها من القرآن، كذلك كانت له صلة بميرزا غلام أحمد القادياني، مؤسس الديانة القاديانية، ولم يعهد عليه أي إنكار للقادياني ولا غيره من أصحاب الآراء الشاذة، بل كان يحضر دروسه ودروس غيره ممن يخالفونه الفكر والعقيدة.

بدأ أحمد الدين نشاطه العملي بالتدريس والكتابة، وكان يتصف بالرفق والهدوء، مما جعل كثيرين من الناس يستمعون إليه ويحضرين دروسه، ثم دعا إلى تأسيس جماعته الخاصة (أمة مسلمة)، ثم أنشأ مجلة تتكلم باسم الجماعة، ونشر أفكارها وآراءها، مما جعل كثيرين ينضمون لجماعته متأثرين بأسلوبه الهادئ، وبخاصة أنه لم يكن يصرح بما يصدّم المسلم، بل كان يميل إلى التورية وعدم المواجهة، إضافة إلى لينه وهدوء أسلوبه، وقدرته على الإقناع مما كان له الأثر في انضمام فئات من المثقفين من أساتذة الجامعات والمدرسين والقضاة وغيرهم إلى جماعته، وحماسهم لنشر أفكاره بالكتابة والتأليف والنشر، كل هذه العوامل جعلت المناخ ملائما لانتشار أفكار خواجه أحمد الدين وكثرة أتباعه.

الرابع: أسلم جراجبوري:

ولد في جراجبور عام ١٨٨٠م بالهند في عائلة من أهل الحديث، وحفظ القرآن قبل سن التاسعة من عمره، ومن هنا سمي بالحافظ، ثم درس الفارسية والإنجليزية ثم الرياضيات، كما أنه درس العربية على مولانا فتح الله. والمعروف أنه لم يدرس في أي مدرسة منظمة، ولكن شغفه بالعلم والمطالعة أوصله إلى مكانة مرموقة. ولعل صلته بأهل القرآن، ترجع إلى قلقه النفسي من جراء مسألة حجب ابن الابن بعد وفاة أبيه بعمه؛ يقول: "أثناء دراستي للسراجي^(١) وقفت في مسألة حجب ابن الابن مع عمه، ولم تلق في نفسي قبولاً، فبحثت في علم الفرائض، فلم أجد لي موافقاً، وأخيراً وجدت القرآن يوافق ذلك^(٢). وقد أخرج كتاباً باسم "محجوب الإرث"، نقد فيه قواعد الميراث المجمع عليها بين المسلمين، والحافظ يمتاز من بين أهل القرآن بآطلاعه الواسع وكثرة مؤلفاته في نقد العلوم المستنبطة لخدمة السنة. وهو يعتبر الرجل الثاني بعد برويز من حيث التأليف، والقيام بنشر أفكار أهل القرآن، وقد مات في ٢٨ ديسمبر عام ١٩٥٥م عن عُمرٍ قارب الخامسة والسبعين.

الخامس: غلام أحمد برويز

هو غلام أحمد برويز بن فضل دين بن رحيم بخش؛ وُلد عام (١٩٠٣م) بالجانب الهندي من إقليم البنجاب، وتلقّى علومه الدينية على يد جدّه ثم أكمل بالمدارس النظامية وقد انجّه إلى الوظائف الحكومية قبل أن يُكمل تعليمه الثانوي ف قضى حياته الوظيفية بالمطبعة الحكومية حيث وصل إلى وظيفة مدير المطبعة وكان يمتاز بالاطلاع الواسع على الأفكار الأوروبية ويرمي وجوب صيغ الإسلام بها وهو يعتقد أنّ النظريات العلمية حقائق لا تقبل الجدل والمناقشة بل يجب تفسير القرآن بمقتضاها كما أنّ أسلوبه في المؤلفات يجلب قارئه من حيث يذهل عما دسّ فيها من الأباطيل أما التأويل وصرف الكلمات عن معانيها الحقيقية في كتبه فحدّث ولا حرج فما من معتقد إسلامي إلّا مسّهُ قلم برويز بالتأويل بأسلوب لا يفتن إليه إلّا المتعمق في دراسة العلوم الإسلامية والرجل قد تتلمذ على الحافظ أسلم وورث منه جميع مخلفات الخواجه الفكرية حول السنة ويُعدُّ السيد أحمد خان في قائمة مفكري هذا العصر ويمدح عبد الله الجكرالوي في منهجه ويدّعي كمال الدين في القرآن وعدم التسليم لغيره في الحجّة والبرهان وهو يعتبر أكثر أهل القرآن كتابة وتأليفاً ولا يزال الرجل حيّاً يسعى ويجتهد في نشر أفكاره وحزبه (طلوع إسلام) أقوى أحزاب أهل القرآن الموجودين في الوقت الحاضر ويوجد في الوقت الحاضر أربع فرق من أهل القرآن ويجمعهم أمران: الأول: القول بالاكْتفاء على القرآن وحده في أمور الدنيا والآخرة، الثاني: وأنّ السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ليست بحجة في الدين فلا مجال لإقحامها فيه وبهذا نعرف الفرق بين أهل القرآن وغيرهم من منكري السنة فهؤلاء ينكرون السنة أصلاً كمصدر للتشريع بينما غيرهم يثيرون الشُّبهات حولها^(٣) بداية علاقة

(١) يشير بذلك إلى السراجي في علم الميراث لسراج الدين محمد الحنفي.

(٢) فرقة أهل القرآنص ٢٦

(٣) انظر القرآنيون وشبهاتهم حول السنة(ص ٤٧).

بروز بالقرآنيين منكري السنة كانت عن طريق اطلاعه على آرائهم الشاذة وأفكارهم الضالة التي أُشْرِبها قلبه وتأثر بها، ومن ثم أصدر مجلته "طلوع إسلام"، التي نشرت أفكاره، وما زاد في نشر صيته وأفكاره الضالة، مقالاته ومؤلفاته الكثيرة، وكذلك من خلال النوادي التي أقامها أتباعه في تكذيب السنة هدماً لأركان الإسلام، وتخريباً له وعبثاً بتشريعاته. وآراء من سبقه من القرآنيين، تقوم على أساس، وهي أنّ القرآن يكفي لفهم الدين وحده، بكلياته وجزئياته وإجمالِهِ وتفصيلِهِ، فإنّ آراء هذا الدّعيّ الأفاك بروز تقوم، على أنّ القرآن يحتوي كليات الدين ومُجْمَلِهِ، وأمّا التفاصيل فهي متروكة لوليّ الأمر الذي يتولّى سُدّة الحُكم في بلده، فهو الذي يتولّى بيان المِجْمَل وتفصيل التشريع، ومن ضمن سلطته أيضاً التحليل والتحريم حسب ما يراه، ملائماً للظروف القائمة، كلُّ ذلك فعله بروز لينال تأييد أصحاب الحُكم والسُّلطان في باكستان آنذاك، فكان له ذلك حيث أضفى الحُكّام، والمسؤولون على بروز وجماعته حماية خاصة أبدوه من خلالها، ومكّنوا له ولدعوته الخبيثة مما كان له بالغ الأثر في نشر ضلالاته على نطاق واسع.

نبذة مختصرة من مقاومة العلماء لآراء بروز:

قاوم العلماء آنذاك ضلالات بروز، وحذّروا الناس من خطورتها، وعلى رأسهم: المجاهد الداعية أبو الأعلى المودودي رحمه الله رئيس الجماعة الإسلامية الذي كان له الدور الأكبر في هذا الشأن، وفي عام (١٩٦١م) عُرِضَتْ أفكار بروز ومعتقداته الضّالة على عدد كبير من شيوخ الإسلام، من باكستان، والهند، والشام، والحجاز، فأفتوا بتكفير بروز وخروجه عن الإسلام، بسبب بدعته المكفّرة في إنكار السنة النبوي، وعلى رأس هؤلاء العلماء الشيخ محمد أبو زهرة والشيخ عبد العزيز بن باز رحمهما الله، والثاني حكم بكفر بروز في مجلة التضامن الإسلامي^(١).

ويقول الشيخ محمد أبو زهرة: "إنّ الذين يلتقطون الأوساخ حول السنة فريقان: فريق ظهر مرقه من الدين كمروق السهم من الرمية، ظهرت هذه الطائفة في الهند وباكستان، والتقيت معهم، فحكمت بادي الرأي عليهم بأنّ هؤلاء لا يكتفون بإنكار حُجّة السنّة، بل يفسرون القرآن بأهوائهم، ولا يعرفون كلمة عربية، بل يفسرون الترجمات الأجنبية الكاذبة، ويهاجمون الكتابات بعضهم البعض، فينكرون حكم آيات المواريث، وحكم آيات الصدقات، بل ينكرون الصلوات، وهكذا كان علمهم إنكاراً وتفكيرهم ضلالاً، وأصل هؤلاء من بوذي الهنود دخلوا الإسلام ليفسدوه، فضل سعيهم، وساء ما يفعلون. ويقولون وقد وجدنا أتباعاً لهذه النحلة الضالة المضلة في مصر، والفريق الثاني من هؤلاء لا ينكرون حجة السنّة، ولكنهم كثيراً ما يشككون فيها وفي رُواتها، ويزعمون أنهم يريدون تطهيرها".

(١) انظر القرآنيون وشبهاتهم حول السنة (ص ٤٨ ٥٣ وانظر كتاب وا محمداه إن شانك هو الأبتريسيد حسين العفانيج ٢ ص ٥٨٠

ونطلب من هؤلاء بدل انتقادهم، إن كنتم صادقين أن تشرحوا وتدرسوا وتحضروا لنا مجموعة تقيمون الدليل فيها على عدم صحة إسناد السنة إلى النبي ﷺ، أما أن تلقوا القول على عواهنه، وتثيروا الغبار في الجو كله فهو يدل على كذب الدافع، وسوء النية، ويثبت أنكم لا تريدون أن يكون الإسلام عزا ومصدرا^(١).

ومنهم الطائفة الإسماعيلية الأغاخانية،^(٢) ولد زعيمهم في كراتشي سنة ١٨٧٧م لسلالة الأغاخان الأرستقراطية، استلم زعامة الطائفة وهو في الثامنة من عمره تبوأ مكانة اجتماعية وسياسية مرموقة في المجتمع الهندي، بسبب نفوذ أسرته الكبير وراثتها الفاحش، ثم امتد نفوذه إلى التدخل في العديد من قضايا العالم الإسلامي وتوسّع دولياً حتى ترأس عصبة الأمم سنة ١٩٣٧، وقام بمهام دولية عديدة منها التوسط بين ألمانيا النازية والحلفاء. كان يجيد لغات عديدة مطلعاً على الفلسفة واللاهوتيات، مهتماً بنشر التعليم في بلاد الهند، والعالم الإسلامي، أمر أتباعه بأن تخلع نساؤهم الحجاب، بدعوى أنه يتعارض والعقائد الإسماعيلية، ووجههم إلى لزوم تعليم المرأة ونزولها جنباً إلى جنب الرجل في ميادين الحياة. تزوج أربع مرات، وتوفي في (سنة ١٩٥٧) ونُقل رفاته إلى حيث دُفن في أسوان في مصر بعد عامين. ترجم له د. مصطفى غالب ترجمة مطولة في كتابه^(٣).

السادس: جراح علي

هو جراح علي بن محمد ولد سنة ١٨٤٤م في أسرة علمية وقد اكتفى بالمتوسطة في الدراسة المنتظمة غير أن شغفه بالمطالعة وحبّه للاطلاع وذكائه النادر أوصله إلى مكان مرموق ففي ١٨٧٣م أخذ الرجل يتأثر بما كانت تنشره مجلة تهذيب الأخلاق التي كانت تصدرها حركة السيد أحمد خان وبعد مُضيّ بضع سنوات أخذ هو الآخر يكتب في تلك المجلة على منوال السيد نفسه إلى أن أصبح أحد أعضاء حركة عليكره البارزين توفي سنة ١٨٩٥م (انظر للتفصيل مقالة جراح علي أيم أي أردو ١٩٧١م جامعة بنجاب لاهو باكستان^(٤))

(١) انظر مجلة حضارة الإسلام، جامعة وهران ١ أحمد بن بلة كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية. العدد ٥ ص/ ٢٥

(٢) الأغاخانية فرقة تتبع الآن إمامها كريم أغاخان الرابع، وهو ينتسب بسلسلة لا يعترف بها إلا طائفتُهُ إلى سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنهما ولأجل ذلك يقولون عنه: كريم شاه الحسيني. ترى هذه الطائفة أن إمامها هو الإمام التاسع والأربعون لسلالة الأئمة التي تبدأ بعلي رضي الله عنه وتتفرع إلى الفرع الإسماعيلي تميّزاً عن متابعة إمامة موسى الكاظم ابن جعفر الصادق رحمهما الله كما عند الشيعة الإمامية.

تتلاقى الإمامة الإسماعيلية والخلافة الفاطمية بدءاً من عبيد الله بن ميمون القداح الملقب بالمهدي الذي يُشكك أكثر المؤرخين بانتسابه إلى الإسلام فضلاً عن أن يكون ابن السلالة المشرفة.

وتنشئ الإسماعيلية فرقتين: نزارية، ومستعلية، وتستمر أولاهما في بلاد فارس بجهود شيخ ما سمي بجماعة الحشاشين الحسن بن الصباح ثم تنفرق الطائفة إلى ثلاث فرق: الأغاخانية في بلاد الشام وأواسط آسيا. واثنتان تنكران إمامة الأسرة الأغاخانية وهما: المؤمنية في بلاد فارس والسويدانية في بلاد الشام.

(٣) تاريخ الدعوة الإسماعيلية د. مصطفى غالب ص/ ٣٢١ ٣٧٨.

(٢) نقلاً عن فرقة أهل القرآن ص ٨١.

يعتبر جراج علي أحد أعمدة المدرسة التي أسسها السيد أحمد خان، ومنأكبر المدافعين عن آراء سر سيد، مثل أستاذه سرسيد أحمد خان أنه حاول أن يكون الإسلام متوافقا بالحضارة الغربية، فأول نصوص الإسلام بما يتوافق مع تلك الحياة الأوروبية.

يقول الدكتور محمد مصطفى الأعظمي: "عندما أدرك المستعمرون ارتفاع روح الجهاد بالسيف فبدأوا بالظعن في أحاديث الجهاد، وكان جراج علي والمتنبّ الكذاب القادياني من قادة هذه المدرسة، كما أنتجب الروح الإنهزامية رجالا مثل السيد أحمد خان وعبد الله جكرالوي، وأحمد الدين آمرتسري وآخرين.^(١)

ويقول: "إنّ المحدثين الذين جمعوا الأحاديث، وميّزوا بين سقيمها وصحيحها، صرّحوا بأنّ الحديث مهما قوي سنده لا يمكن الاعتماد عليه، وما ذكر فيه غير حتمي قطعاً، وإذا نظرنا في هذه الحقيقة لاضطررنا أن نقول. إنّ معايير الصدق والأصول العقلية لا حاجة لإقامتها لتمير الحديث لأنّ الحديث في نفسه لا يمكن الوثوق به، ولا اعتبار، لما هوا عليه، وإنّ نظرة جراج علي العامة للإسلام نظرة مُشوّهة مليئة بالمطاعن، ومن اطلع على آرائه المتنوعة في الشريعة وشعائرها، يفهم أنه لا يهدف هدم السنّة فحسب، بل يتخذ من هدمها طريقاً إلى تحريف القرآن والشريعة، ليصل به إلى إبطال الدين والشرائع. ويقول عن الجهاد " ليس المراد من الجهاد هو الحرب مع العدو، كما يُفسّره علماء المسلمين بل معناه بذل قصاري الجهد لتحقيق الهدف، وأما تفسيره بحرب فلا تؤيد اللغة العربية ولا الآيات القرآنية، بل لكنّ علماء الأدب يُقرّون بأنّ الجهاد يختلف بالتاكيد عن الحرب ^(٢).

ويقولون عن الزكاة: "لم يُعيّن القرآن المقصود من الزكاة وإنما أمر بإعطاء الفقراء ما زاد عن الحاجة" ويسألونك ماذا يُنفقون قل العفو ^(٣).

هذا وقد كان لآرائه وآراء السيد أحمد خان وأعضاء حركتهما الآخرين، الأثر الأكبر في الجهر بإنكار السنّة كلها ممّن جاء من بعدهم في القارة الهندية، وتبنّى أفكارهم ودعا الناس إليها، فلم يأت إنكارهم للسنّة إلاّ تمهيدا لإنكار شرائع الدين وأحكامه، حتى كان نهاية مطافهم أن حرّفوا القرآن، وأخضعوه لنظرياتهم الباطلة، فمروا من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ومن يضل فلا هادي له.

ومهما يكن، فيمكن في ختام هذا الفصل أن نخلص منه إلى أمرين هما:

أ- أن القرآنيين هم النتيجة الطبيعية للآراء التي نشرها أعضاء حركة السيد أحمد خان للخلط بين النظريات العلمية، والحقائق الشرعية. وأما ما يتعلق بأهم دعائهم وفرقهم المعاصرة، فقد ظهر لي أن صلة مؤسس الحركة القرآنية بالاستعمار خفية غير بارزة، كما أن مخلفات فرقته (أمت مسلمة أهل الذكر والقرآن) لم تنزل موجودة بلاهور، وهي في طريقها

(١) دراسات في علوم الحديث لمحمد أنس سرميني "ص ٢٨.

(٢) فرقة أهل القرآنص ٨٢ .

(٣) البقرة ٢١٩ \ وفرقة أهل القرآنص ٨٣ وما بعدها

إلى الانقراض عاجلاً أو آجلاً. وأما خواجه أحمد الدين، فقد كان مفكراً عميقاً، كثير المطالعة، جاهدًا في إقامة تنظيم "أمة مسلمة"، وهو من أبرز كتاب زمانه، وفرقته تحاول أن تستعيد نشاطها في القريب العاجل، ولكنه اقتنع بإنكار الحديث أيضاً. وكان الحافظ عضواً مؤثراً في شباب الجامعة لنشر أفكار القرآنيين، كما يعتبر أيضاً من الأعمدة العلمية لبروز، لكنه لم يكن لنفسه طائفة منفصلة، وإنما اكتفى بترحيب طلوع إسلام طائفة تلميذه، كما أن له القدح المعلى في الميل بأفكار القرآنيين إلى المعسكر الشرقي، فتبنى من جاء بعده ودافع عنها، ولم تنزل أفكار الحافظ موضع اهتمام ودراسة لدى فئة من الشباب الجامعي المعاصر، وأما برويز وناديه طلوع إسلام فله نشاط ملموس، داخل باكستان وخارجها، وهو أكثر القرآنيين تصنيفاً وتأليفاً، وأتقنهم تعبيراً ونقداً، وفرقته هي أكثر الفرق نفراً، كما أن حركة (تعمير إنسانية) الحديثة، هي فرع غير مباشر لطلوع إسلام.

بـ ومن خلال دراسة المصادر التاريخية لفكر القرآنيين، تبين لي أن الشيعة، والخوارج، والمعتزلة يرفضون الكثير مما جاءت به السنة، ولهذا أثر واضح في ظهور القرآنيين السابقين. وأما ما يتعلق بظهور حركة إنكار السنة في شبه القارة الهندية، فقد تبين لي أن السيد أحمد خان وجراغ علي وحركتهما هي التي بدأت ببث الشبهات حول السنة، لتهديم كثير من المعتقدات الإسلامية، اكتفوا بالقرآن وجهدوا في رد السنة النبوية.

الفصل الثاني

آراء القرآنيين الاعتقادية وعلاقتها بالمدرسة العقلانية؛ وفيه مباحث

المبحث الأول: آراء المدرسة القرآنية الاعتقادية جملة

المبحث الثاني: علاقة القرآنيين بالمدرسة العقلانية في المناهج والمصادر الاعتقادية

المبحث الثالث: أوجه التوافق بين المدرسة العقلانية والقرآنيين في الآراء الاعتقادية

المبحث الرابع: أوجه التباين بين المدرسة العقلانية والقرآنيين في الآراء الاعتقادية

المبحث الأول: آراء المدرسة القرآنية (القرآنيون) الاعتقادية جملة

التمهيد:

ههنا ذكرت بعض آراءهم بإيجاز مع الاجوبة المختصرة عنها، تجنباً عن التطويل لأن هذه آراء ذكرت بالتفصيل في الباب القادم مع النقد والحل، ومن آراءهم الاعتقادية:

١_ النبوات

أجمع القرآنيون على ان الانبياء كانوا مأمورين في ابلاغ الدين الذي نزل عليهم وهي وحي القرآن فق. ط. دون السنة. وأجمعوا على إنكار وقوع المعجزات، وخرق العادات على يد نبيينا محمد صلى الله عليه وسلم وما عداه من معجزات القرآن. أما المسلمون فلم يختلفوا في صدور الخوارق عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقد نسب اليه بعضهم أكثر من ألف معجزة^(١) قال الحافظ أسلم "لم تُعطِ النبي صلى الله عليه وسلم المعجزة سوى القرآن، بينما وردت في الأحاديث معجزات جسدية كثيرة^(٢)"

ويرى عبد الله وخواجه أحمد الدين أن العمل بالسنة واتباع أحكام النبي صلى الله عليه وسلم الواردة في الأحاديث شرك، وأن اتباع تلك الأحكام هو طريق من طرق إحياء الشرك، وتصحيح العقائد الشركية^(٣). ويرى برويز أن اتباع أوامر غير الله، يعني النبي صلى الله عليه وسلم شرك، وأن افتراق المسلمين إلى الفرق العديدة، والطوائف المتحاربة شرك^(٤). ومن عقائدهم

إنكارهم للأمر الخارق للعادة (المعجزات)

ومثل إنكاره للأمر الخارق للعادة (المعجزات)، علأنه لم يقع، كإنكارهم من إلقاء إبراهيم عليه السلام في النار، وولادة عيسى بلا أب، وابتلاع الحوت يونس، ويحمله على الاستعارات والمجاز، وأنكروا ما جاء من المعجزات الانبياء في الاحاديث، بحجة أنه مخالف للقوانين الطبيعية، ولا يصح الخلاف للقوانين الطبيعية^(٥).

١- فريق يعترف بخوارق العادات (المعجزات) السابقة المذكورة في القرآن، للأنبياء والصالحين، وعلى رأس هؤلاء عبد الله والحافظ أسلم. مؤسسين الحركة القرآنية.

(١) الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح (١/ ١٤٠) لابن تيمية

(٢) تعليمات قرآن ص ١٥٠ ونكات قرآن (١٦٨) للحافظ أسلم

(٣) انظر ترك افتراء تعامل (ص ١٠) لعبد الله وتفسير بيان للخواجه أحمد (٢/ ٣٩٥٤٤٥)

(٤) انظر تبويب القرآن ٢/ ٨٩٣ لبرويزو منزل به منزل لبرويزو (ص ٢٤) .

(٥) فرقة أهل القرآن، ص/ ٧٨

٢- والفريق الثاني، يَمْنَعُ الخوارق بالكلية، ويَحْمَلُها على المعاني المجازية. وهذا مسلك برويز والخواجه أحمد. وقالوا عن ولادة عيسى بن مريم، إنه وُلِدَ من أبوين شَرَعِيَّين، لا من مَرِيَمَ وحدها، وهذا قول الخواجه أحمد وبرويز وأصحاب بلاغ القرآن.

إنكارهم من السنة وجزيئاتها:

رفضوا جزئيات من السنة مثل إنكاره للسنة الواردة في مماثلة الأراضي مع السموات في العدد بناء على لفظ (مِثْلُهُنَّ) في الآية فقال "إنّ هذا التصور لا يقول به إلا الجاهلون" (١) ووضعوا مثلها الروايات كلها في هذا الباب، والله ورسوله بريء منه.

موقفهم من الوحي الخفي (الاحاديث النبوية):

قالوا إن كتاب الله يكفيننا لأنه أخذ على عاتقه بيان كل الأمور الدينية بالوضوح والتفصيل، ويقول عبد الله إن كل ما هو ضروري للدين مذكور في الكتاب العظيم، وهو مفصل ومشروحا من كل جانب، فما هي الدعوة إلى الوحي وما الحاجة إلى السنة؟ (٢) ويقول: "إن كتاب الله كامل ومفصل، لا يحتاج إلى شرح أو تفسير أو توزيع أو تعليم عملي على يد محمد." (٣)

النقد: لا شك أن القرآن يحتوي على أصول الدين وأحكام الشريعة العامة ويوصف أيضا بعض تفاصيله الصغيرة، بقدر ما يدعي هؤلاء. أما أنهم للناس، ولما أمر المسلمين بطاعة الرسول ﷺ، في الأوامر والنواهي. وفي هذا المقام يقول الدكتور السباعي بحق إن الله لم يكتب في القرآن على كل جزء من جزئيات الشريعة، وإنما بيّن أصول الشريعة، ومصادرها، وأحكامها، ومبادئها يراهنون على كل صغير وكبير، فهذا ادعاء لا يقرأ حقيقة القرآن، إذا كان الأمر كما يقولون، فأين عدد الصلوات الخمس المكتوبة في اليوم والليلة، وعدد ركعات كل منها؟ وأين نصاب من الإبل والبقر والغنم والذهب والفضة، بل عهد ببيان هذه التفاصيل إلى النبي ﷺ، فإذا كان القرآن يشتمل على كل التفاصيل والخصوصيات التي يتطلبها الدين كما يزعم هؤلاء. ما كان الله ليأمر رسوله محمد ﷺ أن يبين ذلك العامة، وما بينها من أصول علي السنة الرسول ﷺ، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (٤) ولعل الذي أوقعهم في فهمهم الخاطئ لقوله تعالى ﴿وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (٥).

(١) يشير إلى قول الله تعالى (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ) (الطلاق ١٢)

(٢) فرقة أهل القرآن ص ٨٨

(٣) انظر مقام حديث الدكتور شيخ مصطفى ص ١٤٣

(٤) دفاع عن الحديث النبوي ص ١٠٢ / الحشر ٧

(٥) يوسف ١١١

يقول عبد الله: ما أمرنا إلا أن نتبع ما أنزل الله، وإن كنا على سبيل الجدل نرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صحة إسناده، وإن صح إسنادهم فلا يجب علينا إتباعها، والعمل به. لأنها ليس وحيا من الله عز وجل^(١). ومثل هذا القول بقول الحافظ أسلم^(٢).

وقال الخواجه أحمد الدين إن الأصل الذي لا يتغير ولا يتبدل هو الوحي الإلهي فقط، وهل أمرنا بالبحث عن هذا الوحي (السنة) الإلهي في التوراة، أو الإنجيل، أو البخاري، ومسلم أو الترمذي، وأبي داود وابن ماجه أو مسانيد أئمة أخرى؟^(٣)

الرد: وكيف لم تكن السنة، وحيا من الله، والله تعالى يقول ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(٤) ويقول محمد ﷺ "ألا إني أُوتيت القرآن ومثله معه"^(٥)

ثم إن الله يقول مُبَيِّنًا حقيقة مقام الرسول ﷺ في تبليغ دينه ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾^(٦)

قال السيد رشيد رضا: لا شك في أن أتباع الرسول ﷺ فيما صح عنه من بيان الدين داخل في عموم ما أنزل الله إلينا على لسانه، فإنه تعالى أمرنا باتباعه وطاعته وأخبرنا أنه مُبَلِّغٌ عنه وقال له ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ (النحل: ٤٤) والجمهور، على أن الأحكام الشرعية الواردة في السنة موحى بها، وأن الوحي ليست مقصورة في القرآن فقط.^(٧)

ويعلل ذلك بقوله: " لذلك أوجز القرآن في بيانه أحكام الدين العملية، ووكل بيانها لعمل الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو أحال في بيانها على العمل.

ولعل ما جاء في الشبهة هو عدم فهمهم لحقيقة الوحي في السنة، لأنهم يعتقدون أن طريقة الوحي فيها، مثل طريقة وحي القرآن من نزول جبريل عليه السلام، حفظه وتسجيله ثم قراءته تواترا وعجز البشر عن إتيان بمثله، فحجب الفرق بين هذين الوحيين عندهم فوقعوا في هذا اللبس^(٨) فيختلف وحي القرآن عن وحي السنة، فوحي

(١) فرقة أهل القرآن ص ٩١

(٢) مقام حديث ص ١٣٩

(٣) فرقة أهل القرآن ص ٩٢

(٤) النجم ٤، ٣ يقول القرطبي فيها دلالة على أن السنة كالوحي المنزل من الله الجامع لأحكام القرآن ٧/ ٦٢٥٥

(٥) رواه أبو داود عن المقداد ١٠ / ٥

(٦) الحاقة ٤٤٧

(٧) تفسير المنار ٨ / ٣٠٨ .

(٨) فرقة أهل القرآن ص ٩٥

السُّنَّةُ يأتي في المرتبة الثانية بعد القرآن، فلم يتوسط جبريل في نقل كل جزء منها كما في القرآن، وهذا هو المكان حدث فيه وحيُّ السُّنَّةِ، إذ أنَّ نزول السُّنَّةِ أعم من نزول القرآن، وصولاً إلى النبي ﷺ^(١).

وحي السُّنَّةِ لم يتجاوز معني هذه الآية ولم يتعداه، لذا يقول الشيخ المودودي بعد هذه الآية "تبين أنَّ القرآن يحتوي على نوع واحد من الوحي ويذكر صورتان الأخيرتان للوحي المذكور في الآية أيضاً، مما كان يستمد منهما الرسول صلى الله عليه وسلم، الهداية والإرشاد، وقد بينت لنا الآية ذلك"^(٢)

ويقول الحافظ أسلم "الأمر الذي لا جدال فيه، هو أنَّ الصحابة قد قد علموا حقيقة نهي النبي صلى الله عليه وسلم، عن كتابة سُنَّته وعرفوا أنَّ الأقوام السابقة لم تضلَّ إلا بسبب كتابة احاديث أنبيائها"^(٣) ويضيف فيقول: "والعجيب أنه لو كانت للأحاديث خصائص دينية لما نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه عن كتابتها منعاً باتاً، ولوضع طرقاً لحفظها وكتابتها"^(٤) وقد حذّر صاحب بلاغ الحق العلماء من الجهر بالسُّنَّة فيقول "إياكم أن تعلن الأحاديث على المنابر، وإلا فسيدخل إلى دين الله ما ليس منه، وينسب إلى شرع الله ما لا يجوز إضافته إليه"^(٥)

أقول: أما نهي النبي ﷺ، عن كتابة السنة فإنه ثابت أيضاً أنه قد أذن بكتابتها، وذكر النهي دون الإذن مخالف للأمانة العلمية مثل قوله: احفظوه وأخبروه من وراءكم^(٦) وقوله ﷺ، صلُّوا كما رأيتموني أصلي. وقوله: خذوا عني مناسككم وقوله، ليبلغ الشاهد الغائب.

الثاني: ولو لم تكن السُّنَّة شرعاً وديناً، لما حرص الصحابة والتابعون على حفظها، ولما ضربوا أكباد الإبل لسماعها وحفظها وكتابتها، وجمعها، يقول أنس رضي الله عنه "كُنَّا نَكُونُ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نَسْمَعُ مِنْهُ الْحَدِيثَ فَإِذَا قُمْنَا تَذَكَّرَهُ فِيمَا بَيْنَنَا حَتَّى نَحْفَظَهُ"^(٧) ويقول أبو هريرة: إِنِّي لِأُجِزِّي اللَّيْلَ ثَلَاثَةَ أَجْزَاءٍ: فَثُلُثُ أَنَا، وَثُلُثُ أَقَوْمُ وَثُلُثُ أَتَذَكَّرُ أَحَادِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ^(٨) وهذا سعيد بن المسيب يقول: كُنْتُ أَرْحَلُ الْإِيَّامَ وَاللَّيَالِي فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ الْوَاحِدِ قِيلَ لِلشَّعْبِيِّ: مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا الْعِلْمُ كُلُّهُ؟ قَالَ: بِنَفْيِ الْإِعْتِمَادِ وَالسَّبْرِ فِي الْبِلَادِ وَصَبْرٍ كَصَبْرِ الْجَمَادِ، وَتُكْوَرِ كَبُكْوَرِ الْعُرَابِ^(٩)

(١) الشورى ٥١، انظر فرقة أهل القرآن ص ٥١ وما بعدها

(٢) سنت كي اءيني حيثيت ص ١٠٢

(٣) مقام حديث ص ١٠٤

(٤) مقام حديث ص ١١٠

(٥) انظر فرقة أهل القرآن ص ١٠١ وقد ذكر هذه الشبهة بالتفصيل

(٦) الحديث رواه البخاري ١/ ٣٠

(٧) الحديث رواه البخاري: ١/ ١٥٥

(٨) رواه الدارمي في سننه: ١/ ٨٢

(٩) البداية والنهاية لابن كثير: ٩/ ١٠٠ بحث في هذا المصدر فلم أجد مقولة الشعبي هذا نظير أعلام النبلاء: ٤/ ٣٠٠

فلو لم تكن السنّة شرعا وديننا لما حرصوا عليها هذا الحرص، ولما تحمّلوا مشاق السفر في سبيلها ولما أصبحت جزءا من حياتهم اليومية ولما قال عليه الصلاة والسلام: عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِيِّينَ عَصُوا عَلَيْهَا بِالتَّوَاجِذِ^(١). كيف لا تكون السنّة شرعا وديننا وعليها قوام بناء الدين وكفاها فخرا أن يجعلها رب العزة والجلال طريق الوصول إليه لمن أراد غفرانه وجنته: لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر^(٢)

ثم لا يخفى هذا الامر على أحد من اهل العلم أن ما ورد من النهي إنما كان عن كتابة الحديث رسميا كالقرآن أما أن يكتب لنفسه فقد ثبت وقوعه وإقراره عن النبي عليه الصلاة والسلام، كما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص في مسند أحمد "أن بعض الصحابة اشتكوا سوء حفظهم فقالوا" يا رسول الله إنا نسمع منك أحاديث لا نحفظها أفلا نكتبها؟ قال " بلى فاكْتُبُوها.

موقفهم من السنة: يقول برويز: "لو كانت السنّة النبوية جزءًا من الدين، لَوُضِعَ لها الرسول صلى الله عليه وسلم منهجًا كمنهج القرآن، من الكتابة والحفظ؛ لأنَّ مكانة النبوة تقتضي أن يُعْطِيَ الدينَ في صورة محفوظ لأمتيه، لكنه صلى الله عليه وسلم أحاط بكلِّ الوسائل الممكنة لكتاب الله، للمساهمة في دعمه، دون الأحاديث التي أقرَّ المسلمون بصحّتها، وهي موضوعة الأصل لا صلة لها بالدين، وقالوا" إنَّ القرآن خلق الوحدة، أمّا السنّة، فرقت المسلمين^(٣) وقال عبد الله " لن يتفرق المسلمين ولن يجمعهم لواء، ولا يضمُّهم مكتب فكرٍ موحَّدٍ ما بقوا متمسكين بروايات زيد وعمرو^(٤)

وادعى حشمت علي أنه "لن تتحقّق وحدة المسلمين ما لم يتركوا كُتُبهم الموضوعة في طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولن يروا سبيل الرقي والتقدم ما لم يُمنَح عنهم التشثُّ والفرقة"^(٥)، ويقول برويز: "قد فاق تفديس هذه الكتب، كتب السنّة كلّ التصوّرات البشرية مع أنها جزء من مؤامرة أعجمية استهدفت النّيل من الإسلام وأهله"^(٦).

ويعلّل ذلك فيقول "فما أصحاب الكتب السّنة إلّا جزء من تلك المؤامرة، لذا نجدهم إيرانيين جميعًا، ولا وجود لساكن الجزيرة بينهم، والشّيء المحيّر للعقول أن العرب لم يسهموا في هذا العمل البناء بل أسندوا جمّع الأحاديث وتدوينها إلى العجم حتى تمّ بناء^(٧).

(١) رواه أبو داود ٥/١٣ وابن ماجه ١/١٦ والدارمي ١/٤٣ وأحمد ٤/١٢٦/١٢٧ كلهم عن العرياض بن سارية ورواه الترمذي ٧/٤٣٨ وقال حسن صحيح

(٢) الأحزاب ٢١

(٣) كتاب وا محمداه إن شائتك هو الأبترسيد حسين الغفاني ج/ص/٤٩٢ ومقام حديث (ص ١٥٤)

(٤) مجلة إشاعة القرآن (ص ٣٩) عدد شعبان ١٣٢١ هـ نوفمبر ١٩٠٣ م

(٥) مجلة إشاعة القرآن (ص ١٠) عدد ١٥ ديسمبر ١٩٢٧ م.

(٦) شاهكار رسالت لبرويز ومعناها فارس الرسول. ج: ص: ٤٩٢

(٧) وا محمداه إن شائتك هو الأبترسيد حسين الغفاني ص: ٤٩٣

إدعائهم أَنَّ السُّنَّةَ لا تحلل ولا تحرم:

ادَّعى القرآنيون أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحلل ولا يحرم، وإضافةً إلى هذا يقولون أيضاً، إِنَّ مَنْ ادَّعى ذلك فقد أشرك.

الجواب: كيف يدَّعي مَنْ يقرأ القرآن أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحرم ولا يحلل مع قوله تعالى: ﴿يُحَدِّثُكَ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾^(١) قال الله عزَّ وجلَّ في هذه الآية ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ أليس المعنى صريحٌ في التحليل والتَّحريم فكيف يدَّعي المؤمن مع هذه الآية، أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحلل ولا يحرم. وقال الله تعالى ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾^(٢) إِنَّ القول بأنَّ تحريم الرسول صلى الله عليه وسلم هو نفسُ تحريم ربِّنا تبارك وتعالى كلامٌ لا يستقيم لأنَّ الله تعالى عطف بينه وبين رسوله صلى الله عليه وسلم ب (الواو) و (الواو) في اللُّغة تُفيد المغايرة، فكلام الله تبارك وتعالى إذن صريحٌ بأنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم يحرم ويحلل ومن ثمَّ ألم يُعلن القرآن الكريم الحرب على مَنْ لم يقبل تحريم الله ورسوله؟ فكيف يستقيم مَنْ يدَّعي أَنَّهُ مسلمٌ أن ينكر سلطة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التحليل والتَّحريم.

ادعائهم أَنَّ وصف السُّنَّةَ بالوحي يرفعها إلى مستوى القرآن وينزل القرآن إلى درجه السُّنَّة.

إِنَّ القرآنيين يدَّعون أَنَّ قَبُولَ السُّنَّةِ مِنَ الوحي يرفعها إلى مستوى القرآن وينزل القرآن إلى درجة السُّنَّة.

الجواب: القرآن الكريم ليس سُنَّةً، والسُّنَّةُ المطهَّرة ليست قرآناً، إِنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم اهتمَّ اهتماماً كبيراً في التَّفريق بين القرآن الكريم والسُّنَّةِ المطهَّرة طوال تاريخ البعثة ولم يأذن بكتابة أحاديثه لئلا يختلط القرآن بالسُّنَّة، ثُمَّ أَذِنَ صلى الله عليه وسلم بكتابة أحاديثه، حينما تكوَّنت في أصحابه ملكة القرآن، وفي أثناء ذلك كَتَبَ رسول الله صلى الله عليه وسلم الرِّسائل إلى الملوك وأمر أصحابه أن يكتبوا، ولما منعت قريش عبد الله بن عمرو بن العاص عن كتابة الأحاديث، ذهب عبد الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرض الأمر، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص قَالَ "كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُرِيدُ حِفْظَهُ فَنَهَانِي... فَقَالَ "اكْتُبْ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا خَرَجَ مِنِّي إِلَّا حَقٌّ"^(٣) ثُمَّ جمع الأصحاب بعض أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وخلاصة القول أَنَّ كتابة أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدم كتابتها كان في بداية الأمر حرصاً على عدم اختلاط السُّنَّةِ بالقرآن، ولهذا قال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: "لَا تَكْتُبُوا عَنِّي، وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي الْقُرْآنَ فَلَيْمُحُّهُ"^(٤) ثُمَّ درس أصحابه رضي الله عنهم في مدرسته، وبلغوا إلى درجةٍ عاليةٍ في العلم فأصبحوا قادرين على تمييز

(١) الأعراف: ١٥٧.

(٢) التوبة: ٢٩.

(٣) مسند الإمام أحمد برقم: ٦٥١٠.

(٤) مسلم رقم: ٣٠٠٤.

القرآن من غير القرآن وبعد ذلك أذن الرسول صلى الله عليه وسلم بالكتابة ثم فَرَّق علماء هذه الأمة المحمديّة بين القرآن الكريم والسنة المطهّرة فقالوا:

- ١- القرآن الكريم معجزٌ نظاماً ومعنى، وأمّا السنة المطهّرة فليست كذلك.
- ٢- القرآن الكريم متعبّد بتلاوته، وأمّا السنة المطهّرة فلا يُتعبّد بتلاوتها.
- ٣- يجوز رواية السنة المطهّرة بالمعنى وأمّا القرآن الكريم فلا تجوز روايته بالمعنى.
- ٤- لا يجوز مسّ المصحف الشريف من دون وضوء، وأمّا السنة المطهّرة فيجوز مسّها بدون وضوء.
- ٥- إنّ نظم القرآن الكريم ومعناه من الله وأمّا السنة المطهّرة فمعناها من الله تبارك وتعالى ولفظها من رسول الله ﷺ.

موقفهم من تفسير القرآن بالسنة.

قد أنكرت طوائف القرآنيين السنة جُملةً وتفصيلاً، وانها تفسير القرآن، وكان إنكارهم إنكاراً كاملاً، وأقاموا بكذبهم الشبهات التي لا تثبت أجبوبة أهل السنة علي الإطلاق. فقالوا "يكفينا كتاب الله يكفينا، لأنه يشرح كل الأمور الدينية بالتفصيل، فلم يبق للمسلمين حاجة إلى السنة، كمصدرٍ للتشريع وأخذ الأوامر منها.

قال عبد الله الجكرالوي: " إنّ الكتاب المجيد فيه ذكر كل شيء حول الدين مفصلاً ومشروحاً من كلّ وجه، فما الداعي إلى الوحي الخفي؟ وما الحاجة إلى السنة؟" (١) ويقول " كتاب الله كاملاً مفصلاً لا يحتاج إلى الشرح ولا إلى تفسير محمد صلى الله عليه وسلم، وتوضيحه إياهما والتعليم العملي بمقتضاه. (٢)

ويقول الحافظ أسلم ما نصّه " ضروريّات الدين قد اُخْصِرَتْ في اتّباع القرآن المفصّل ولا نتجاوز" (٣) والتفصيل المقصود في الآية "وَتَفْصِيلُ كُلِّ شَيْءٍ" (يوسف، ١١١) معناه البيان، وذكر الأصول والقوانين، وليس المراد به العموم وتعيين الجزئيات، كما فهموا من لغتهم الأردية، لان التفصيل في اللغة الأردية غيره في اللغة العربية. قال الراغب "الفصل، إبانة أحد الشئيين عن الآخر. (٤) ويقولون في تكذيب مصادر السنة، إنها لم تكن وحياً من الله، وإنما هي أقوالٌ نسبها الناس إلى رسول الله ﷺ، كذبا وإنه لم ينزل عليه من الوحي سوى القرآن. قال عبد الله مؤسس الحركة " نحن لا نتبع الا ما أنزله الله من الوحي، ولو فرضنا على سبيل الجدّل صحّة نسبة بعض الأحاديث إلى النبي صلى الله عليه وسلم فإنها مع صحّة اسنادها لا تكون واجبة الاتباع، لأنها ليست بوحي منزل من عند الله. (٥)

(١) مجلة إشاعة القرآن ص ٤٩ العدد الثالث سنة ١٩٠٢ م. وإشاعة السنة ١٩ ص ٢٨٦ عام ١٩٠٢ م.

(٢) ترك افتراء تعامل ص ١٠.

(٣) مقام حديث للحافظ أسلم ص ١٤٣ ونكات قرآن للحافظ أسلم ص ٧٩

(٤) مفردات القرآن للراغب الأصفهاني (ص ٣٨

(٥) إشاعة السنة ١ / ٢٩١ سنة ١٩٠٢ م.

ويقول "يَعْتَقِدُ أَهْلُ الْحَدِيثِ، أَنَّ نَزُولَ الْوَحْيِ مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى نَبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قِسْمَانِ، جَلِيٍّ مَتَلَوٍّ وَخَفِيِّ غَيْرِ مَتَلَوٍّ، وَالْأَوَّلُ هُوَ الْقُرْآنُ، وَالثَّانِي هُوَ أَحَادِيثُ الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَنَّ الْوَحْيَ الْإِلَهِيَّ هُوَ الَّذِي لَا يُمَكِّنُ مِثْلَهُ، أَمَّا وَحْيُ الْأَحَادِيثِ، لَهُ مِثْلٌ بِمَنَاتٍ وَالْأَلُوفِ، نَحْوُ الْأَحَادِيثِ الْمَوْضُوعَةِ. (١)

ويقول برويز " إِنَّ هَذَا التَّقْسِيمَ لِلْوَحْيِ مُعْتَقَدٌ مُسْتَعَارٌ مِنَ الْيَهُودِ، لَا صِلَةَ لَهُ بِالْإِسْلَامِ (٢).

وقالوا فِي إِنْكَارِ السُّنَّةِ وَحُجَّتِهَا " إِنَّ اتِّبَاعَ السُّنَّةِ إِشْرَاكٌ فِي الْحُكْمِ، وَقَدْ نَهَى الْقُرْآنُ عَنْهُ (إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ) الْآيَةُ (٣)

يقول أحمد الدين " قَدْ وَضَعَ النَّاسُ لِإِحْيَاءِ الشَّرِكِ طُرُقًا مُتَعَدِّدَةً، فَقَالُوا " إِنَّا نُؤْمِنُ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْأَصْلُ الْمَطَاعُ، غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ أَمَرَنَا بِاتِّبَاعِ رَسُولِهِ، فَهُوَ اتِّبَاعٌ مُضَافٌ إِلَى الْأَصْلِ الْمَطَاعِ، وَبِنَاءً عَلَى هَذَا الدَّلِيلِ الْفَاسِدِ يُصَحِّحُونَ جَمِيعَ أَنْوَاعِ الشَّرِكِ، فَهَلْ يُصْبِحُ الْأَجْنَبِيُّ زَوْجًا لِمُتَزَوِّجَةٍ بِقَوْلِ زَوْجِهَا إِنَّهَا زَوْجَتُهُ ؟ أَلَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَأْمُرْ بِمِثْلِ ذَلِكَ (إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ) (٤)

و قال جكرالوي قَبْلَهُ "الْحُضُّ عَلَى أَقْوَالِ الرُّسُلِ وَأَفْعَالِهِمْ وَتَقْرِيرَاتِهِمْ، مَعَ وَجُودِ كِتَابِ اللَّهِ عِلَّةٌ قَدِيمَةٌ قَدَّمَ الزَّمَنَ، وَقَدْ بَرَأَ اللَّهُ رُسُلَهُ وَأَنْبِيََاءَهُ مِنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ، بَلْ جَعَلَ تِلْكَ الْأَحَادِيثُ كُفْرًا وَشِرْكًا (٥).

أَتَبِاعُ السُّنَّةِ شِرْكٌ؟ أَمْ الشَّرِكُ فِي جَعْلِ الْقُرْآنِيِّينَ حَقَّ التَّشْرِيعِ وَهُوَ حُكْمٌ لِمَا أَسْمَوْهُ مَرْكَزَ الْمَلَّةِ ؟

وقالوا افتراءً وكذباً وزوراً: إِنَّ السُّنَّةَ لَمْ تَكُنْ شَرْعًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَهَمَهَا الصَّحَابَةُ عَلَى هَذَا الْمَنَوَالِ .

قال برويز " لو كانت الأحاديث جزءاً من الدين، لجعل لها الرسول صلى الله عليه وسلم منهجاً، كمنهج القرآن من الكتابة والحفظ ولا يفارق. لأنَّ مَقَامَ النُّبُوَّةِ يَقْتَضِي أَنْ يُعْطِيَ الْأَمَةَ الدِّينَ بِشَكْلِ مُحْفُوظٍ، لَكِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَفْعَلْ شَيْئًا لِسُنَّتِهِ بَلْ نَهَى عَنْ كِتَابَتِهَا (٦). ويقول الحافظ أسلم " أَنَّ الصَّحَابَةَ قَدْ أَدْرَكُوا نَهْيَ النَّبِيِّ عَنْ كِتَابَةِ سُنَّتِهِ، وَعَرَفُوا أَنَّ الْأَقْوَامَ السَّابِقَةَ لَمْ تَهْلِكْ إِلَّا بِسَبَبِ كِتَابَةِ رَوَايَاتِ أَنْبِيَائِهِمْ (٧). وقال "والعجب أَنَّهُ لَوْ كَانَ فِي الْأَحَادِيثِ طَابَعُ الدِّينِيِّ، لَمَّا مَنَعَ النَّبِيُّ وَصَحَابَتُهُ بِاشْدَادٍ عَنْ كِتَابَتِهَا، وَلَا عَدُوا وَسَائِلًا لِحَفْظِهَا وَتَدْوِينِهَا (٨)

(١) مجلة إشاعة القرآن ص ٣٥ العدد الرابع ١٩٠٣م ومجلة إشاعة السنة ١٩ / ٣١٥ العدد العاشر ١٩٠م.

(٢) مقام حديث لبرويز ص ٤٦.

(٣) الأنعام: ٥٧

(٤) تفسير بيان للناس لأحمد الدين ٢ / ٣٩٥ و ٤٤٥

(٥) ترك افتراء تعامل لعبد الله جكرالوي ص ١٠

(٦) مقام حديث ص ٧

(٧) مقام حديث (ص ١٠٤).

(٨) مقام حديث (ص ١١٠).

ويقول خواجه "اعلم أنَّ طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم كانت طاعةً محدودة بزمانه ولم تتعد أحكامه حياته، وهذا الباب مغلق منذ وفاته عليه السلام.^(١) وقالوا، إِنَّ السُّنَّةَ قد انْتَقَدَتْ سَدًّا وَمَتْنًا، وما دَخَلَهُ النَّقْدُ لا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ دِينًا

وقال الحافظ أسلم "الاعتراضات الموجهة للإسلام من غير أهله، لا تأتي إِلَّا عن طريق الأحاديث التي أقرَّ المسلمون بصحتها، وهي موضوعة الأصلاً صلة لها بالدين^(٢) وقالوا: إِنَّ القرآن أجمعنا على الوحدة وأما السُّنَّةُ فهي إفتقر للمسلمين.

قال عبد الله "لا ترتفع الفرقة والتشتيت عن المسلمين ولن يجمعهم لواء ولا يضمهم مكتب فكر موحّد ما بقوا متمسكين بروايات زيد وعمرو"^(٣) ويقول حشمت علي الكذاب الأشر: لن تتحقّق وحدة المسلمين ما لم يتزكوا كُتُبهم الموضوعة في طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ولن يروا سبيل الرقي والتقدم ما لم يُنَحَّ عنهم التشتت والفرقة^(٤)

ويقول برويز: قد فاق تقدّيس هذه الكتب كتب السُّنَّة كلّ التصوّرات البشرية مع أنها جزء من مؤامرة أعجمية استهدفت النّيل من الإسلام وأهله^(٥) ويعلّل ذلك كذباً منه وجهلاً فيقول: فما أصحاب الكتب السّنة إِلَّا جُزءٌ من تلك المؤامرة لذا نجدهم إيرانيين جميعاً لا وجود لساكين الجزيرة بينهم والشيء المحيّر للعقول أن العرب لم يسهموا في هذا العمل البنّاء بل أسندوا جمّع الأحاديث وتدوينها إلى العجم حتى تمّ بناء.

٢- الغيبات

إنكارهم الحياة البرزخية:

اتفق القرآنيون على إنكاره جملة وتفصيلاً: يقول الحافظ أسلم: "عالم البرزخ عالمٌ ميت، لا حياة فيه ولا إدراك فيه بأيّ شكلٍ من أشكاله"^(٦) ويقول برويز: "القبر ليس له حقيقة في القرآن الكريم؛ لأنه مكان دفن الميت، الذي يحمي العلاف الجوّي الخارجيّ من عُفونته، ما لَوْ بقي ذلك الجسم على ظهّر الأرض، لا أنه موضع سؤال والعذاب^(٧) الجواب: وعلم أن البرزخ قد ثبت صريحاً بالكتاب والأحاديث النبوي، وبه إجماع العلماء على أن من أنكر عالم البرزخ فقد كفر. ويتفق علماء الإسلام على أصل وجود البرزخ وما يقع فيه من نعمة ونقمة مع بعض اختلافات

(١) مجلة البيان ص ٣٢ عدد أغسطس ١٩٥١ م

(٢) مقام حديث ص ١٥٤

(٣) مجلة إشاعة القرآن ص ٣٩ عدد شعبان ١٣٢١ هـ نوفمبر ١٩٠٣ م

(٤) مجلة إشاعة القرآن ص ١٠ عدد ١٥ ديسمبر ١٩٢٧ م

(٥) شاهكار رسالت لبرويز ومعناها فارس الرسول

(٦) نكات القرآن للحافظ أسلم (ص ٤٣) تعليمات قرآن (ص ١٩٠) ونكات قرآن (ص ١٥٧) للحافظ أسلم.

(٧) تبويب القرآن لبرويز (٣/ ١٣٠٤) وكتاب القرآنيون نشأهم عقائدهم أدلتهم [علي محمد زينوص: ٦٥

جزئية بين هؤلاء العلماء، ويتفق علماء السنة والشيعة على وجود البرزخ باستثناء عدد قليل غير ملحوظ والتفصيل في ما يلي

معنى البرزخ وحقيقتها وإثباتها في القرآن والاحاديث

- الأول: معنى البرزخ " في المصطلح الديني: البرزخ " هو الحاجز بين الشيئين ، و المانع من اختلاطهما وامتزاجهما^(١) لقد جاء ذكر البرزخ في القرآن الكريم في مواضع ثلاثة واضحة وثبتت في الايات دون ذلك.
- ١_ قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴾ الرحمن ، الآية: ١٩
- ٢_ و قال تعالى أيضاً: ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴾ الفرقان الآية: ٥٣.
- ٣_ و قال عزَّ و جلَّ أيضاً: ﴿ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ المؤمنون الآية: ١٠٠ ، ثم إن القرآن الكريم استعمل هذه اللفظة لبيان أن هناك عالماً آخر يفصل بين الدنيا و الآخرة يمرُّ به الإنسان ، إذ قال : " و من و راءهم برزخ.

الأدلة من الايات على البرزخ:

الدليل الأول: قوله تعالى ﴿النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾ (غافر: ٤٦)، والمعنى المقصود أنهم يعرضون على النار فيصلهم من سموها وعذابها كل يوم مرتين ، وقد دلَّ العطف في قوله ﴿ويوم تقوم الساعة﴾ أن عرضهم على النار حاصل قبل يوم القيامة، الأمر الذي يثبت وجود الحياة البرزخية ومباينتها لعالم الآخرة.

الدليل الثاني: قوله تعالى ﴿ومن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم﴾ (التوبة: ١٠١)، والمعنى أن الله سبحانه وتعالى كتب على أولئك المنافقين أن يُعذبوا مرتين، إحداها في إحداهما في الدنيا، والأخرى في القبر، وهذا الذي اختاره الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره حيث قال: " قوله جل ثناؤه ﴿ثم يردون إلى عذاب عظيم﴾، دلالة على أن العذاب في المرتين كليهما قبل دخولهم النار. والأغلب من إحدى المرتين أنها في القبر " وقد أورد كلاماً لقتادة ومجاهد والحسن رحمهم الله يدلّ على هذا المعنى.

الدليل الثالث: قوله تعالى: ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء﴾ (إبراهيم: ٢٧)، ودلالته على الحياة البرزخية مأخوذ من حديث النبي صلى الله عليه وسلم -

(١) لسان العرب : ٣ / ٨ ، جمال الدين ، المشتهر بإبن منظور المتوفى: ٧١٧ هـ ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٤ هـ ، دار صادر ، بيروت / لبنان

(:المسلم إذا سئل في القبر، يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، فذلك قوله ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ متفق عليه، ومعلوم أن سؤال الملكين هو أحد مشاهد عالم البرزخ. **الدليل الرابع :** قوله تعالى: ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ (طه: ١٢٤)، والآية تبين أن جزاء المعرضين عن الدين والغافلين عن الذكر العقوبة بضنك العيش، والعطف في قوله تعالى ﴿ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ يؤكد أن هذا الضنك حاصل قبل يوم القيامة، والحياة البرزخية داخلية في هذا الإطلاق، ويدل على هذا الدخول أن النبي صلى الله عليه وسلم فسّر هذه الآية بعذاب القبر وذلك في قوله :ثم يضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلعه فتلك المعيشة الضنكة التي قال الله ﴿فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ (رواه ابن حبان وحسنه الألباني ، وليس في ذلك حصر لمعنى الآية وقصره على عذاب القبر فالآية أعم من ذلك

و الأحاديث تحت الآية تؤكد على أن " البرزخ " هو الوقت الفاصل بين حياة الإنسان في عالم الدنيا و بين نشأته في عالم الآخرة ، أي من وقت موته إلى حين بعثه في يوم القيامة.

الأدلة من الأحاديث الشريفة

في ما يلي أذكر بعض الأحاديث الدالة على البرزخ:

الدليل الاول: عَنْ عَمْرِو بْنِ يَزِيدَ ، قَالَ قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ مَا الْبَرْزَخُ ؟ قَالَ " الْقَبْرُ مُنْذُ حِينَ مَوْتِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ (١)

الدليل الثاني: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مر النبي صلى الله عليه وسلم بحائط من حيطان المدينة أو مكة، فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما، فقال النبي صلى الله عليه وسلم ليعذبان، وما يعذبان في كبير، ثم قال : بلى، كان أحدهما لا يستتر من بوله، وكان الآخر يمشي بالنميمة .(ثم دعا بجريدة، فكسرها كسرتين، فوضع على كل قبر منهما كسرة، فقليل له: يا رسول الله، لم فعلت هذا؟ قال) :لعله أن يخفف عنهما ما لم تيبسا، أو، إلى أن ييبسا (متفق عليه واللفظ للبخاري، والشاهد أن الحديث يُثبت عذاب القبر الحاصل في الحياة البرزخية.

الدليل الثالث: عن عائشة رضي الله عنها قالت: " دخلت عليّ عجوزان من عُجَز يهود المدينة، فقالتا: إن أهل القبور يعذبون في قبورهم، فكذبتهما ولم أنعم أن أصدقهما، فخرجتا، ودخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له: يا رسول الله إن عجوزين من عُجَز يهود المدينة دخلتا علي، فزعمتا أن أهل القبور يعذبون في قبورهم،

(١) الكافي : ٣ / ٢٤٢ ، للشيخ أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني ، المتوفى سنة : ٣٢٩ هجرية ، طبعة دار الكتب الإسلامية ، سنة :

فقال: صدقتا، إنهم يعذبون عذاباً تسمعه البهائم (، تقول عائشة رضي الله عنها: فما رأيته، بعد في صلاة إلا يتعوّذ من عذاب القبر "، متفق عليه.

الدليل الرابع: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (:إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع، يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال، رواه مسلم.

الدليل الخامس: في الخطبة التي صلى فيها النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الكسوف، وقف خطيباً على الناس بعد انتهائه من الصلاة، فوعظ الناس وذكّرهم بالله، وكان من جملة ما قال: إن الناس يفتنون في قبورهم كفتنة الدجال (رواه النسائي ، والمعنى أنها فتنة عظيمة وبلاء كبير كفتنة الدجال.

الدليل السادس: حديث الفتنة الكبير، وهو الحديث الذي جلس فيه النبي صلى الله عليه وسلم على شفير قبرٍ ثم طلب من الصحابة أن يستعيذوا بالله من عذاب القبر، ثم ذكر لهم على وجه التفصيل لحظات نزع الروح واستقبال الملائكة لها والمشاهد الأولى من عالم البرزخ، مبيّناً اختلاف المشهد بين المؤمن والكافر، وفيه نصّ على جملة كبيرة من أحوال الميت في قبره، الحديث رواه الإمام أحمد والبيهقي في كتابه إثبات عذاب القبر.

الدليل السابع: الإجماع الحاصل في المسألة، قال شيخ الاسلام أحمد بن تيمية رحمه الله: "مذهب سائر المسلمين، بل وسائر أهل الملل ، إثبات القيامة الكبرى ، وقيام الناس من قبورهم ، والثواب والعقاب هناك ، وإثبات الثواب والعقاب في البرزخ ، ما بين الموت الى يوم القيامة ، هذا قول السلف قاطبة ، وأهل السنة والجماعة ، وإنما أنكر ذلك في البرزخ قليل من أهل البدع." وثمة أدلة أخرى تتعلّق بأحوال خاصّة لفتنة القبر وأماكن الأرواح وعلاقة الموتى ببعضهم وسماعهم على من يقول ذلكوما الذي يفيدهم وهم في قبورهم من أعمال الأحياء، وكلّها تصبّ في إثبات أصل المسألة.

حقيقة عالم البرزخ

إن الرؤية الإسلامية بالنسبة إلى عالم البرزخ هي أن الموت ليس نهاية الحياة ، و إن الحياة لا تنعدم بالموت ، بل الإنسان ينتقل بواسطة الموت من نشأة إلى أخرى ، و من حياة في عالم الدنيا إلى حياة في عالم آخر يسمى بعالم البرزخ ، الذي يتوسط عالمي الدنيا والآخرة.

أما بالنسبة إلى حقيقة عالم البرزخ فيجب أن نقول : إن حقيقته غير واضحة و لا نعلم عنه شيئاً كثيراً إلا ما لمحت به الآيات الكريمة و الأحاديث الشريفة ، و التي يمكن تلخيصها في نقاط كالتالي:

١- إن الحياة البرزخية حياة تتوسط حياة الإنسان في عالم الدنيا و حياته في عالم الآخرة ، و تبدأ الحياة البرزخية من حين قبض روح الإنسان عن بدنه و إيداعه القبر ، و تستمر حتى قيام الساعة.

٢- أن الميت ما أن يُودع في قبره حتى يتلقاه الملكان نكير و منكر و يسألونه ، فإذا كان الميت صالحاً أكرم و أنعم ، و أما لو كان طالحاً فيعذب .

٣- يصف الله سبحانه و تعالى الحياة البرزخية للكافرين و المجرمين لا سيما آل فرعون بقوله: ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ سورة غافر الآية: ٤٦ ، فالآية تحكي عن أن آل فرعون يعرضون على النار صباحا و مساءً قبل يوم القيامة ، و أما بعدها فيقحمون في النار وإن الحياة البرزخية للشهداء فيصفها الله تعالى بقوله: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ سورة البقرة الآية: ١٥٤ ، و في آية أخرى يصف حالة الشهداء في الحياة البرزخية بأنها حالة فرح و سرور حيث يقول: ﴿ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ آل عمران الآية: ١٧٠

إن حالة النعيم التي يعيشها المؤمنون في الحياة البرزخية رغم أهميتها و كونها من قبيل نعم الجنة ، لكنها لا تصل إلى مستوى تلك النعم ، كذلك عذاب العصاة و الكافرين من أهل البرزخ رغم كونه عذاباً أليماً إلا أنه بالقياس إلى ما سيلاقونه من عذاب الآخرة في نار جهنم لا يُعد شيئاً.

وهذه القضية بذاتها دليل واضح على وجود عالم البرزخ و حقيقته، فهي تبين أن بعد عالم الدنيا والموت وقبل القيامة في الآخرة، هناك عالم آخر قائم بذاته. كما أن الأدلة العقلية لإثبات تجرد الروح وبقائها بعد فناء الجسم بنفسها دليل آخر على وجود عالم البرزخ

ومن الأدلة على الاتفاق بين هؤلاء العلماء واضح، وهو تصريح الآيات القرآنية بوجود البرزخ وما فيه من النعم وعذاب، كما أسلفنا. ومنها ما صرح بذلك في الحديث عن الشهداء ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (آل عمران: ١٦٩) وليس فقط هذه المجموعة من الصالحين قد أنعم الله عليها، بل إن مجموعة من أسوأ الطغاة والمجرمين يعدّ بهم الله، كما أن تعذيب آل فرعون بعد الموت وقبل القيامة قد أشارت إليه الآية ٤٦ من سورة غافر والأحاديث متواترة بهذا الصدد، فلا نقاش في وجود عالم البرزخ أساساً، والمهم أن نعرف حياة البرزخ وشكلها، فقد ذكرت له صورة مختلفة، أوضحها أن أرواح البشر بعد ترك هذه الدنيا، تدخل أجساماً لطيفة سامية عن آثار هذه المادة القدرية، إلا أنها على شكل أجسامنا، ويقال لكل منها (الجسم المثالي) وهو ليس مجرداً تمام التجريد، ولا هو مادياً محضاً. إنه يمتاز بتجرد برزخي معين، وشبهه بعضهم بما عليه الروح في أثناء ما يراه النائم، إذ تسرّ الروح رؤية النعم، وتعذبها مشاهدة المناظر المؤلمة، ولذلك أثر في جسمنا هذا، إذ نبكي عند رؤية حلم مزعج، ونفرع مذعورين من هول ما نرى، أو نضحك من أعماقنا من طرفة ما نخلم به في نومنا والآية موضع البحث (وَمَنْ وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) المؤمنون: ١٠٠ ظاهرة في وجود عالم البرزخ. رغم أن البعث رغب في القول بأن كلمة «البرزخ» في هذه الآية تعني العائق والمانع من العودة إلى الدنيا، غير أن هذا المعنى يبدو غريباً، لأن عبارة (إلى يوم يبعثون) دليل على وقوع عالم البرزخ بين الدنيا والآخرة، وليس بين الإنسان والدنيا.

ومن الآيات التي تصرّح بوجود مثل هذا العالم، الآيات الخاصة بحياة الشهداء ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ آل عمران: ١٦٩ مثل الآية (١٦٩) من سورة آل عمران، والخطاب فيها موجّه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم. أمّا الآية (١٥٤) من سورة البقرة فإنّها خطاب لجميع المؤمنين : ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ البقرة: ١٥٤ وهل يكون البرزخ للجميع، أم لمجموعة معيّنة؟

وعالم "البرزخ" ليس للمؤمنين ذوي الدرجة الرفيعة كالشهداء فقط، بل للكفّار الطغاة كفرعون وأعدائه أيضاً، وهذا ما صرّحت به الآية ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ سورة المؤمن ٤٦ وذكرت آيات أخرى عالم البرزخ ولكن لا تصل إلى صراحة وظهور الآيات السابقة. وما يجب الإنتباه إليه في موضع البرزخ هو أنّ الآيات . باستثناء الآية التي نحن بصددّها والتي ذكرته بشكل عام . إستعرضت البرزخ بشكل خاصّ، كما في ذكره عن الشهداء أو آل فرعون . إلّا أنّ الواضح أنّه لا خصوصية لآل فرعون لأنّ في العالم الكثير من أمثالهم، ولا للشهداء، لأنّ القرآن الكريم اعتبر النبيّين والصديقين والصالحين مع الشهداء، كما جاء في الآية (٦٩) من سورة النساء ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ ولنا حديث عن كون البرزخ لعامة الناس أو لفئة منهم، سنورده في ختام هذا البحث إن شاء الله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

ومن الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بكل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم مما يكون بعد الموت: فيؤمنون بفتنة القبر، وبعذاب القبر، ونعيمه. فأما الفتنة: فإن الناس يفتنون في قبورهم، فيقال للرجل: (من ربك، وما دينك، ومن نبيك؟) فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، فيقول المؤمن: الله ربي، والإسلام ديني، ومحمد صلى الله عليه وسلم نبيي، وأما المرتاب فيقول: هاه، هاه، لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته؛ فيضرب بمِرْزبة من حديد، فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الإنسان، ولو سمعها لصعق، ثم بعد هذه الفتنة: إما نعيم وإما عذاب، إلى أن تقوم القيامة الكبرى، فتعاد الأرواح إلى الأجساد، وتقوم القيامة التي أخبر الله بها في كتابه، وعلى لسان رسوله، وأجمع عليها المسلمون، فيقوم الناس من قبورهم لرب العالمين حفاة عراة غرلاً، وتدنو منهم الشمس، ويلجمهم العرق^(١).

تفسير طبري قال أهل التأويل. في ذالك حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس (: وَمَنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) يقول: أجل إلى حين . حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن يمان، عن أشعث، عن جعفر، عن سعيد، في قوله (: وَمَنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ) قال: ما بعد الموت . حدثني أبو حميد الحُمَصي أحمد بن المغيرة، قال: ثنا أبو حيوّة شريح بن يزيّد، قال: ثنا أَرطأة، عن أبي يوسف قال: خرجت مع أبي

(١) العقيدة الواسطية: لتقي الدين ابن تيمية، أضواء السلف الرياض، الطبعة: الثانية ١٤٢ هـ / ١٩٩٩ م، ص ٩٦

أمامة في جنازة، فلما وُضعت في لحدها، قال أبو أمامة: هذا برزخ إلى يوم يُبعثون. حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا مطر، عن مجاهد، قوله (وَمَنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) (قال: ما بين الموت إلى البعث. حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله (:بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) (قال: حجاب بين الميت والرجوع إلى الدنيا . حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله . حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (ومن ورأيهم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) قال: البرزخ ما بين الموت إلى البعث. حَدَّثْتُ عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول: البرزخ: ما بين الدنيا والآخرة" (١)

أقول: الإيمان بالحياة البرزخية جزءٌ من الإيمان باليوم الآخر؛ لأنه أولُ عتباته أو لنقل: بوابته، ولا يمكن أن يتم إيمان المرء ما لم يؤمن إيماناً جازماً بالقيامة الصغرى والمعاد الأول وهما الاسمان الآخرا للحياة البرزخية والتي تسبق البعث والنشور، والتي توافرت الأدلة الصحيحة الصريحة عليها، وبالجملة فإن إنكار وجود الحياة البرزخية هو إنكارٌ لعذاب القبر ونعيمه، وإنكار ذلك هو جحدٌ لما غُلم من الإسلام بالضرورة واتفق عليه سلف الأمة، ومثل ذلك خروجٌ عن دائرة الإسلام وحقيقة الإيمان

موقفهم من الجنة، والنار:

ذهب عبد الله وأمثاله، إلى أنَّ الجنة والنار مكانان حقيقتان، لكن سيخلقان يوم القيامة، وأنهما غير موجودين في العصر الحاضر، لأنَّ وجودهما الآن خالي عن الحكمة والفائدة، وأفعال الله ليس كذلك. (٢)

ومجمل القول: إنَّ النصَّ القرآني عند القرآنيين يوجب تأسيس فقه يختلف تماماً عن الفقه المتداول؛ سواء أكان شيعياً أو سنياً، بسبب حذف المراجع الاجتهادية المعروفة في هذا الإطار، مثل السنّة والإجماع والشهرة وعمل الصحابة. وإثماً قدّمنا أمثلتهم على مدّعاتهم، لكي نوضح أنَّ ترك الحديث سيؤدّي إلى مثل هذه النتائج الفقهية الكبيرة المختلفة وفقاً لهذه الأساسيات.

٨- موقفهم من العرش واستواء الرحمن عليه، ومضى عبد الله وبرويز إلى أن المقصود بعرش الرحمن القوة والملكية، وليس عرشاً حقيقياً فعلياً، والمقصود باستوائه على العرش يشير إلى المملكة والحكومة لجميع النجوم ونُظُم الكائنات، وأنَّ له السُلطة الفريدة عليها (٣).

(١) تفسير طبري ص ٣٤٨ ط الرابعة مصحف آيات القرن بجامعة ملك سعود

(٢) ترجمة القرآن (٤/ ٣٢)

(٣) انظر برهان الفرقان لعبد الله ص ٢٦٢ وتبويب القرآن لبرويز (٣/ ١٠٣٢)

عودة المسيح قبل يوم القيامة. وبينهم في هذا المسألة فريقان:

- ١- فريقٌ يَرِفُضُ عودته إلى الأرض مرةً أخرى، وهذا قولٌ خواجه أحمد، ومقبول أحمد، والحافظ محب الحق، وأصحاب بلاغ القرآن وبروز، وصَرَّحَ الخواجه وبروز بوفاته عليه السلام، كان وفاته في كُهوَلته^(١).
- ٢- وأما الحافظ أسلم وعبد الله فيعتقدون، أن عيسى عليه السلام، حيٌّ على هذه الأرض، وأنه سيظهر مرةً أخرى قبل يوم القيامة لقوله تعالى ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ﴾^(٢) ولقوله: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾^(٣) وقد قال الكذابُ الأشيرُ، مقبول أحمد في ختم النبوة "أن الرسل جاؤا لهداية الخلق أجمعين، وسيستمرُّون في ذلك، ما دام الجهل والظلمات على هذه الأرض.

١٣- رأيهم في الشفاعة يوم القيامة:

وأجمعَ القرَّانيُّونَ على نفيها جملة حيث يقول عبد الله مؤسس الفرقة: "ندخل النارَ إلَّا أيامًا معدودات، وستُخرج منها، والعوام كالأنعام لا يشعرون ما يقولون، فالاعتقادات جاءت من أهل الحديث، وهو افتراءٌ منهم على هذه الشخصيات المباركة. بويقول: "ن هناك نوعين من الشفاعة، صُغرى وكُبرى، والأخيرةُ للخلاص من ميدان الحشر، تُنكِّرُ هذه الشفاعة، ونُخالفها، لأنَّها افتراء على النبي صلى الله عليه وسلم، وهو بريءٌ من مثل هذه الأفعال الشنيعة. والأولى نوعان:

أ: نجاة بعض المؤمنين من دخول جهنم، ممَّن يستحقُّها.

ب: أو تخفيف العقوبة عنهم، وهذه التهمة أيضًا تبرأ القرآن منها، لأنَّ طلب الشفاعة في عملٍ مخالفٍ للعقل، بل هو ظلمٌ في نفسه، إذ لا يُتصوَّرُ أن يحدث مثل هذا في محاكم الدنيا، فما ذا سيحدث في الآخرة؟ فلو شفع عاقلٌ لمجرم وأفرج عنه، لَمَا حُمِدَتْ عقابه^(٤).

١٤- اعتمادهم على ثقافتهم المختلفة في تفسير القرآن الكريم:

بعد أن أنكروا حجية السنة وباقي الأدلة الشرعية فخالفوا القرآن والسنة والإجماع والعقل واللغة العربية في آرائهم التي عُرفوا بها مما جعلهم يختلفون فيما بينهم في أصول الدين التي أجمع عليها المسلمون^(٥)

(١) تفسير بيان للناس (٢/ ٩٣١)

(٢) الزخرف: ٦١

(٣) النساء: ١٥٩

(٤) ترجمة القرآن للحكرالوي (٣/ ١٢٥١٢٦) وتبويب القرآن لبروز (٣/ ١٠٢٢٢/ ٨٨٦) وتفسير بيان للناس (٢/ ٤٩٤٣١٣٧٢٠٧٢٣٨)

(٥) فرقة أهل القرآن، لأحمد صبحي، ص/ ٧٧

نبذة مختصرة عن مواقفهم من العبادات.

ففي الصلاة، لهم اختلاف في كيفية أدائها، بحسب طوائفهم، كما وردت في كتاب "صلاة القرآن كما علّم الرحمن" لحمد رمضان، أحد دعاةهم، وقد سمّوها "صلاة أهل الذكر والقرآن" وتتلّخص ما يلي:

- ١- الصلوات المفروضة ثلاث، أما صلوة العصر والمغرب، هو اتباعاً لهوى النفس.
 - ٢- ولكل صلاة ركعتان، وما زاد على ذلك فهو من الناس لا من ربّ العلمين.
 - ٣- تكبيرة الإحرام هي، إنّ الله كان علياً كبيراً.
 - ٤- والرفع من الركوع مخالفاً لتعاليم القرآن، فيجب على المصلي أن يتقدم مباشرة إلى السجود، دون أن يرفع من الركوع.
 - ٥- وليس في كل ركعة إلا سجدة واحدة.
 - ٦- فإذا فرغ من أذكار السجود، إنتهت الصلاة^(١).
- ومن الجدير بالذكر، أنّ النوع من هذه الصلاة تُطبّق حتى الآن عند أصحاب "مجلة بلاغ القرآن" جملة وتفصيلاً.^(١)

ومن أفكارهم الفاسدة:

- ١- قسم الكفر إلى كفر سلوكي وكفر عقائدي.
- ٢- الصلاة على النبي تعني اقتداء المؤمن بالنبي.
- ٣- النبي لم يكن أمياً.
- ٤- الصلاة الوسطى هي الصلاة التي تثمر عملاً صالحاً وتحقق تقوى الله.
- ٥- إنكاره لصيغة التشهد حيث يقول إن الشهادة لرسول الله بالرسالة أثناء الصلاة نوع من الشرك لأن الصلاة يجب أن تقام لذكر الله وحده.
- ٦- وفض للصلاة الإبراهيمي، في التشهد أثناء الصلاة، واعتباره نوعاً من الشرك.
- ٧- إنكاره لوجود اسم النبي في الأذان، واعتباره شركاً أيضاً. قوله: إن النبي ليس أفضل الأنبياء لنهي القرآن عن التفريق بين الأنبياء.
- ٨- الفتوحات الإسلامية عبارة عن استعمار من أجل المصالح المادية.
- ٩- تكذيب ما يخالف القرآن من كتب السيرة والحديث والتاريخ.
- ١٠- يمكن الحج خلال الأشهر الحرم وليس شهر ذو الحجة فقط.
- ١١- يعتبر زواج المسلمة من اليهودي أو المسيحي حلالاً.

(١) القرآنيون وشبهاتهم حول السنة" لخادم حسين إلهي بخش (ص/ ٣٦٥ ٤٤٠).

المبحث الثاني: علاقة القرآنيين بالمدرسة العقلانية في المناهج والمصادر الاعتقادية

تمهيد

المدرسة العقلية والقرآنية اسمان يطلقان على ذلك التوجه الفكري الذي يسعى إلى التوفيق بين نصوص الشرع وبين الحضارة الغربية، والفكر الغربي المعاصر، وذلك بتطويع النصوص وتأويلها تأويلاً جديداً يتلاءم مع المفاهيم المستقرة لدى الغربيين، ومع ذكر المعلومات والاكتشافات الصناعية الهائلة في هذا العصر. وتتفاوت رموز هاتين المدرستين تفاوتاً كبيراً في موقفهما من النص الشرعي ولكنهما تشتركان في الإسراف في تأويل النصوص، سواء كانت نصوص العقيدة أو نصوص الأحكام أو الأخبار المحضة، وفي ردّها يستعصي من تلك النصوص على التأويل، وقد أشار اليه سلمان بن فهد العودة^(١) وشفيق بن عبد بن عبد الله شقير في كتابه (موقف المدرسة العقلية الحديثة من الحديث النبوي الشريف). نستطيع القول إن المدرسة العقلية تتميز عن غيرها بتقديم العقل على النقل، وعلى نصوص الكتاب والسنة.

وأكثر رجالها يجعلون النص الشرعي تابعاً والعقل متبوعاً، ويدعون إلى الإصلاح والتجديد والتغيير في الفكر الإسلامي، ويعتمدون على العقل المادي الذي يعتمد على الأمور المحسوسة، وينكرون بعض الأمور الغيبية، ويؤولون المعجزات الواردة في الكتاب والسنة الصحيحة، مثل إحياء عيسى عليه السلام للموتى، فيؤولونه بإحياء القلوب فهم يؤولون عموم الغيبيات لتتلاءم مع الفكر الغربي، ويقومون أحياناً برد الدليل وبشكل خاص الأحاديث النبوية

(١) حوار هادئ مع الغزالي لسلمان بن فهد، العودة رياضدار الهجرة، ط٣، ١٤١٠هـ، ص٩. هو سلمان بن فهد بن عبد الله، داعية إسلامي، وأستاذ جامعي، ومفكر سعودي، ومقدم برامج تلفزيونية ولد في جمادى الأولى ١٣٧٦ هـ في قرية البصر الواقعة غرب مدينة بريدة في منطقة القصيم، حاصل على ماجستير في السنة في موضوع (الغربة وأحكامها، ودكتوراه في السنة فيشرح بلوغ المرام/كتاب الطهارة، كان من أبرز من كان يطلق عليهم مشايخ الصحوة في الثمانينيات والتسعينيات. نشأ في مدينة البصر الصغيرة الواقعة غرب مدينة بريدة بمنطقة القصيم، وانتقل إلى الدراسة في بريدة، ثم التحق بالمعهد العلمي في بريدة وقضى فيه ست سنوات دراسية وتعلم على يد العلماء عبد العزيز بن باز، ومحمد بن صالح العثيمين، وعبد الله بن جبرين، والشيخ صالح البلهي حفظ القرآن الكريم ثم الأصول الثلاثة، القواعد الأربعة، كتاب التوحيد، العقيدة الواسطية، ومتمن الأجرومية، ومتمن الرحبية، وقرأ شرحه على عدد من المشايخ منهم الشيخ صالح البلهي ومنهم الشيخ محمد بن صالح المنصور، نخبه الفكر للحافظ ابن حجر وشرحه نزهة النظر، وحفظ بلوغ المرام في أدلة الأحكام، ومختصر صحيح مسلم للحافظ المنذري، وحفظ في صباه مئات القصائد الشعرية المطولة من شعر الجاهلية والإسلام وشعر العصر الحديث تخرج في كلية الشريعة وأصول الدين بالقصيم، ثم عاد مدرساً في المعهد العلمي في بريدة لفترة من الزمن، ثم معيداً في الكلية ثم محاضراً، وعمل أستاذاً في كلية الشريعة وأصول الدين بالقصيم لبضع سنوات، قبل أن يُعفى من مهامه التدريسية في جامعة الإمام محمد بن سعود وذلك في ١٤١٤/٤/١٥ هـ وذلك بعد إيقافه عن العمل الجامعي لأسباب سياسية سعودية نال شهادة الدكتوراه في الشريعة في شرح كتاب الطهارة من بلوغ المرام وهو مطبوع في أربع مجلدات وكان المشرف الشيخ عبد الله بن بية والمناقشون الشيخ عبد الله بن جبرين والدكتور خلدون الأحديجيات الشخصية في يوم الأربعاء ٢٧ ربيع الثاني ١٤٣٨ هـ الموافق ٢٥ يناير ٢٠١٧ توفيت زوجة الشيخ سلمان العودة هيا السيارى وابنه هشام في حادث سير في أغسطس من نفس العام، انتشرت أنباء عن زواج العودة مرة أخرى من سيدة في مدينة تبوك السعودية. عتقل في السجون السعودية لعدة سنوات في مدينة الرياض قبل أن يتم الإفراج عنه والسماح له بإقامة المحاضرات الدعوية بعيداً عن السياسة في مساء يوم الجمعة الموافق ١٥ مارس ٢٠٢٠، وجه العودة خطاباً مفتوحاً للحكومة السعودية، وخصوصاً وزارة الداخلية، مطالباً بأن يتم إطلاق سراح معتقلي الرأي، وامتصاص الغضب الشعبي المتعاظم فيما يتعلق بملف المعتقلين، درءاً لخطر الفتنة.

في حال عجزهم عن التأويل، وقد تأثرت المدرسة العقلية الحديثة بالمدرسة العقلية القديمة وبالمستشرقين، ويؤكد كثير من علماء المسلمين أن صريح المعقول لا يناقض صحيح المنقول، لكن أصحاب هذه المدرسة لم يضعوا تعريفاً محدداً مشهوراً بينهم للعقل ولم يتفقوا على حدود مجالات العقل عندهم، ويحاولون تطويع النص الديني ليتلاءم مع الفكر الغربي والذوق الأوروبي وفي باب الفقه يتتبعون الرخص ويأخذون بالأسهل ويسمون ذلك فقه التيسير حيث يتمحور هذا الفقه حول قضايا المرأة وأنظمة الحكم والسيادة وما يتعلق بالفن والملابس ويقفون من الإجماع موقف التشكيك أو التهوين منه لأنه يعارض بعض القضايا المهمة عندهم ويفتحون باب الاجتهاد على مصراعيه. ولذلك قد شابحت المعتزلة من وجوه:

الاول: في تحكيم العقل واتباع احكامه ومنحهم مرتبة الوحي:

الثاني: في إنكار بعض المعجزات وتأويله:

الثالث: في تأويل بعض الغيبات كالملائكة والجن والسحر ورد بعض الأحاديث الصحيحة أو تأويلها^(١). سوف يأتي تفصيله

ويعتبر بعض الباحثين أن فكرة القرآنيين ظهرت لأول مرة على يد الخوارج الذين رفضوا إقامة حد رجم الزاني ومسح الخفين وغيرها من التشريعات المنقولة عبر الرواية عن الرسول مما لا يوجد في القرآن،^(٢) أما أتباع هذا المنهج فيعتقدون أنهم على النهج الصحيح والأصيل الذي كان عليه خاتم النبيين فهو متبع لما أنزله الله عليه ودليلهم في هذا الآية ﴿فَاخُكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾^(٣) ويستدلون بآيات كثيرة أخرى ومنها ﴿كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٤)

وهكذا جادل أهل الكلام أن المثل النبوي لمحمد صلى الله عليه وسلم موجود في اتباع القرآن وحده دون الحديث، بعض نشاط الفقه القرآني يحتجون بروايات جاءت في كتب أهل السنة والجماعة عن كبار الصحابة على رأسهم عمر بن الخطاب، رفضوا الحديث ومنعوا تداوله بين المسلمين. وفي عهد العباسيين أسس الشاعر والمتكلم

(١) انظر: منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير لدكتور فهد رومي ص ٨١٠

(٢) ابن حزم الحلى بالآثار ط. دار الفكر. ص. ١٧٤. وجاء في شرح صحيح البخاري عمدة القاري ص ٤١٢ أن الخوارج وبعض المعتزلة أنكروا حد الرجم بحجة أنه لا يوجد في القرآن ما يدل على الرجم، ومن لازم هذا أنهم لم يحتجوا بالأحاديث النبوية، ولا بأقوال الصحابة. فالخوارج أول من أنكر حد الرجم، وسبب ذلك أنهم أخذوا بظاهر نصوص القرآن، وتركوا الحديث، فقد أطلقوا على جماعتهم لقب: «أهل القرآن». وقد وقعت اختلافات كثيرة بين الخوارج ما أدى إلى تفرقهم إلى فرق متعددة، وكان من أبرزها: الأزارقة والصفرية والنجدة، وكانت الأزارقة هي الأكثر تشدداً. ذكر ابن حزم أن الأزارقة -وهم فرقة من الخوارج- أنكروا حد رجم الزاني المحصن. [٧٨] ومن وافقهم في ذلك من المعتزلة، بسبب إنكارهم للسنة النبوية، فإنكارهم يقوم على سبب واحد فقط وهو: عدم الاحتجاج بالحديث النبوي، حيث لا يعتبرونه مصدراً للتشريع، لكن يذكر عن بعض الخوارج الاحتجاج بالمتواتر

(٣) المائة / ٤٨

(٤) الأعراف/ ٢

والفقيه إبراهيم النظام مدرسة فكرية رفضت سلطة الأحاديث واعتمدت على القرآن وحده. كان تلميذه الشهير الجاحظ ينتقد أيضاً، أولئك الذين اتبعوا الحديث في إشارة إلى خصومه الحديثين باسم النابتة^(١).

في مصر في أوائل القرن العشرين، قال الباحث محمد توفيق صدقي إنه لم يتم تسجيل أي شيء من الحديث إلا بعد انقضاء وقت كاف للسماح بتسلل العديد من التقاليد السخيفة، أو الفاسدة. كتب محمد توفيق صدقي مقالاً بعنوان "الإسلام هو القرآن وحده" الذي ظهر في مجلة المنار المصرية، وفيه يقول: إن القرآن يكفي كتوجيه: ما هو واجب على الإنسان لا يتجاوز كتاب الله" إذا كان أي شيء آخر غير القرآن كان ضرورياً للدين يلاحظ صدقي كان النبي قد أمر بتسجيلها كتابة وكان الله يضمن الحفاظ عليها^(٢)

وقبل أن أشرح العلاقة بين المدرستين، من المهم أن نعرف نبذة عن المدرسة العقلانية ونشأتها، وعن آرائها الاعتقادية، وجذورها التاريخية.

التعريف بالمدرسة العقلية الحديثة

المدرسة العقلية الحديثة هي حركة الإصلاح الديني في مصر^(٣) أسسها الشيخ جمال الدين الأفغاني وقام تلميذه الشيخ محمد عبده بنشرها وفكرها وأصولها، ثم الشيخ رشيد رضا قام بتسجيل نشاطها، وبثه في العالم الإسلامي عبر "مجلة المنار" فهؤلاء الثلاثة هم أهم زعماء هذه المدرسة^(٤)، وسمّوا بحركة الإصلاح لأن الأستاذ الشيخ محمد عبده قام لبناء فكرة إصلاح الجامة التي كانت سائدة في عصرها ومن اعلاقتها باب الاجتهاد مطلقاً وأنكرت. واعتمادها على البدعات والتأويلات ولم تعتن بالعلم وعرف هذا الاتجاه عندهم بالنزعة التوفيقية أي المصالحة بين الدين الإسلامي والعلم التجريبي وتوضيح بأن الدين الإسلامي لا يتعارض العلم التجريبي ولا يتعارض مع العقل، وأن الإسلام دين العقل والحرية والفكر، وعمل على مقاومة إلقاء تبعة التخلف على الدين ومقاومة الاستعمار وكانت رؤيته في الإصلاح تبدأ من إصلاح التعليم عموماً والأزهر بالخاص. وسبب تسميتهم (بالمدرسة العقلية) الحديثة، فهو أن رواد هذه المدرسة قاموا بتقديم العقل على النقل عند التعارض،^(٥) وأفكار تنضيق أمور الغيبات في العقائد، وتأويلات

^١ Muhammad Qasim (١٩٩٧). *Religion and Politics Under the Early 'Abbasids: The Emergence of the Proto-Sunni Elite*. ISBN:978-9-00410-678-9. دار بريل للنشر: لايدن.

^٢ انظر مقالة المذكورة في المنار بعنوان "الإسلام هو القرآن وحده" محمد توفيق صدقي ص ٥١٥

^٣ هي اتجاه عقلائي في النظر إلى الإسلام وكان هذا الاتجاه يحمل في طياته عناصر من النزعة البرجماتية (الذرائعية) حيث كانت هذه الحركة تهتم بإبراز قدر الإسلام على إعطاء متطلبات العصر الحديث وقد بدأت مع الطهطاوي الذي ظهر في كلامه تلميحات لفكرة القومية كما أبدى الطهطاوي إعجابه بالقانون الفرنسي وترجم بعضه في كتابه تخلص الإبريز في تلخيص باريز كما كان يرى أيضاً أن مدنية أوروبا الحديثة التي تقوم على العقل تحقق النتائج نفسها التي تهدي إليها مدنية الدين ثم ظلت هذه النزعة التوفيقية هي النزعة السائدة بعد الطهطاوي وعند علي مبارك (١٨٢٤م - ١٨٩٣م) وعلي يوسف (١٨٣٦م - ١٩١٣م) وعبدالله النديم (١٨٤٥م - ١٨٩٦م) وعند جمال الدين الأفغاني (١٨٣٨م - ١٨٩٧م) أثناء فترة وجوده في مصر إلى أن تبلورت الحركة التوفيقية ووصلت إلى أعظم صورها عند محمد عبده.

^٤ انظر منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير للدكتور فهد الزومي ص ١٧٠

^٥ انظر الإسلام والنصرانية لمحمد عبده ص ١٧٢ الإسلام دين الهداية والإصلاح لمحمد فريد وجدي ص ٩٢.

لبعض نصوص العقيدية الإسلامية التي يستبعد ظاهرها من العقل البشري وكان من هذه، الآراء الغربية التي تابعه عليها بعض تلاميذهم.

نشأة المدرسة العقلية : نشأت هذه المدرسة في أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر هـ، في مصر على يد الأستاذين الكبيرين جمال الدين الأفغاني (١٢٥٤ - ١٣١٥ هـ) ومحمد عبده (١٢٦٦ / ١٣٢٣ هـ). ومن رجال المؤسسين لهذه المدرسة سيد جمال الدين أف، وتلميذه محمد عبده في مصر ومن تلاميذه مصطفى المراغي ورشيد رضا وغير هؤلاء كثير، وسموها بالحركة الإصلاحية، ولهذه المدرسة آراء كثيرة التي تخالف رأي السلف، والمبالغات الشديدة في تحكيم العقل في أمور الدينية التي ما ورد في كتبهم^(١). عرف بالمدرسة الإصلاحية وزعمائها سر سيد أحمد خان الهندي وسيد جمال الدين الأفغاني ومن بعده الشيخ محمد عبده في نهاية القرن الماضي وهي في الحقيقة إحياء للمنهج الاعتزالي في تناول الشريعة وتحكيم العقل ومن آراء تلك المدرسة يمكن أن نسمي بالعصرانية كما في الإنجليزية Modernism ولا يسلم من هذا التطوير أمر من أمور الشريعة سواء كان في أصول الفقه والحديث أو التفسير أو مسائل الفقهية مثلاً كالحجاب والطلاق أو تعدد الزوجات وغيرها من الحدود الشرعية أو الطامة التي عرفت بالتقارب بين الأديان.

إنها كما يقول الشيخ محمد حسين الذهبي رحمه الله (ت ١٣٩٨ هـ) حول المدرسة العقلية "إن المدرسة العقلية هي مدرسة ذات عقل حر واسع، تتأولت الحقائق الشرعية التي جاء بها القرآن الكريم عن الحقيقة إلى المجاز، وليس هناك ما يدعو لذلك إلا مجرد الاستبعاد والاستغراب بالنسبة لقدرة البشر القاصرة واستغراب لا يكون إلا من جهل قدرة الله، لكلٍ ممكن، وبسبب هذه الحرية العقلية الواسعة تابعت المعتزلة في بعض تعاليمها وعقائدها وعدلت بعض ألفاظ القرآن من المعاني إلى معان ما لم يكن معهوداً عند العرب وقت نزول القرآن، وطعن في الأحاديث النبوية تارة بالضعف وتارة بالوضع، مع أنها صحيحة^(٢).

نشأتها في الهند:

أما نشأتها في الهند، على رأسها السيد أحمد خان الهندي الذي لقب (ب سر) من قبل الحكومة البريطانية تكريماً له، الذي يعتقد بأن القرآن الكريم، هو المصدر الوحيد الذي يجب أن نأخذ منه أحكام الشريعة، وأما الأحاديث فلا يعتمد بها لتأخير تدوينها، ومن أكثريتها أحاديث الآحاد لا تفيد يقيناً بل ظنية الإثبات والدلالة، كما يحل الربا البسيط في التجارة وفي المعاملات، وينكر من الرجم للزاني، ويرفض الجهاد، ويحل أمير علي، تلميذ أحمد خان،

(١) منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير لفهد الرومي ج ١ ص ٦٦. هو الأستاذ الدكتور فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، أستاذ الدراسات القرآنية، كلية المعلمين - الرياض، شارك في مناقشة عدد من رسائل الماجستير والدكتوراه في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وجامعة الملك سعود

وجامعة أم القرى والجامعة الإسلامية وكلية البنات

(٢) التفسير والمفسرون لدكتور محمد حسين الذهبي ٥٤٩/٢

تزويج المسلمة مع كتابي والاختلاط بين الرجل والمرأة كذلك، ويرى محمد أسد أن الله سبحانه لا يوصف إلا بالصفات السلبية، كما قالت المعتزلة وينحو منحى محمد عبده في إنكار المعجزات المادية كتفسير إهلاك أصحاب الفيل بمرض وباء، أو الجدري الذي حملته الطير الأبايل^(١) وانكر الرجم والحراية، ومن الجهاد شرعية لنشر الإسلام، ومن هؤلاء مفكرون علمانيون لم يعرف عنهم أي الالتزام بالإسلام، مثل زكي نجيب محمود صاحب الوضعية المنطقية، إلا أن له فكر معتدل بعد ما تعود من الغرب وهي من الفلسفة الوضعية الحديثة التي تنكر كل أمر غيبي، فهو يزعم أن الاعتزال جزء من التراث وعلى أبناء العصر أن يقفوا موقف المعتزلة من المشكلات القائمة،^(٢)

ومن هؤلاء أحمد أمين صاحب المؤلفات التاريخية والأدبية، مثل فجر الإسلام وضحى الإسلام وظهر الإسلام، فهو الذي بكى على موت المعتزلة. كما يقول في كتابه "في رأيي أن أكبر مصائب المسلمين موت المعتزلة"^(٣)

ومن المعاصرين الذين من ينادي بالمنهج العقلي (الاعتزالي) في تطوير العقيدة الإسلامية مثل الدكتور محمد فتحي عثمان في كتابه (الفكر الإسلامي والتطور) ودكتور حسن الترابي في (تجديد أصول الفقه) حيث يقول "إن أحكام الإسلام في عصرنا تحتاج إلى اجتهاد عقلي كبير لا في الفروع وحدها وإنما هو في الأصول أيضاً"^(٤).

وهناك كتاب كثيرون معاصرون ومفكرون إسلاميون قاموا على المنهج نفسه، ويعتقدون أن للعقل دور كبير في الاجتهاد وتطويره، وفي تقييم الأحكام الشرعية، وفي الوقائع التاريخية، ومنهم فهمي هويدي، ومحمد عمارة صاحب النصيب الأكبر في إحياء تراث المعتزلة، وخالد محمد خالد ومحمد سليم العوا وغيرهم.

أقول نحن لا ننكر أهمية الاجتهاد ومن تحكيم العقل في التعامل مع الشريعة الإسلامية، ولكن ينبغي أن يكون ذلك تحت ضوء نصوص الشريعة الثابتة، وبدوافع ذاتية، وليس نتيجة ضغوط أجنبية، وتأثيرات خارجية لا تقف عند حد، وإذا دخل المسلمون في هذا الاتجاه، فتكون النتيجة أن لا يبقى من الإسلام إلا اسمه ولا من الشريعة إلا رسمها، ويبقى خلية الإسلام مثل الرسائل السابقة التي حرفت بسبب اتباع الأهواء والآراء الخاطئة.

(١) الأعمال الكاملة، لمحمد عبده، (بيروت: مؤسسة عربية، ط، ١٩٧٩م)، ج ٥، ص ٥٠٤ - ٥٠٥

(٢) انظر كتاب تجديد الفكر العربي لدكتور زكي نجيب محمود ص ١٢٣، زكي نجيب محمود: له الفكر الفلسفي، حصل على الدكتوراه في الفلسفة من جامعة لندن عام ١٩٤٧، ثم عاد إلى مصر للتدريس والبحث الأكاديمي. كتب العديد من المؤلفات في مجال الفلسفة منها "المنطق الوضعي" وخرافة الميتافيزيقا" وبالإضافة إلى مؤلفاته، فقد ترجم كتباً لفلاسفة عظام مثل برتراند راسل وديفيد هيوم. حصل على الكثير من الجوائز منها جائزة الدولة التشجيعية عام ١٩٦٠ عن كتابه "نحو فلسفة علمية" كما حصل على الدكتوراه الفخرية من الجامعة الأمريكية عام ١٩٨٥.

(٣) ضحى الإسلام لأحمد أمين ٢٠٧/٣

(٤) انظر: المعتزلة بين القديم والحديث محمد العبد - طارق عبد الحليم ص ١٣٨

ذكر من تأثر بهذه المدرسة

ولقد تأثر بهذه المدرسة كثيرون وفي مقدمتهم تلامذة الشيخ محمد عبده مثل محمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤هـ) ومحمد مصطفى المراغي (ت ١٣٦٤هـ) ومحمد فريد وجدي (ت ١٣٧٣هـ) وعبد القادر المغربي (ت ١٣٧٥هـ) وقاسم أمين (ت ١٣٢٦هـ) ومحمود شلتوت (ت ١٣٨٣هـ) وأحمد الباقوري (ت ١٤٠٥هـ) وعبد المتعال الصعيدي (ت ١٣٧٧هـ) ومنهم رجال أحياء لا يُحصون كثرة. لكنهم ليسوا مثل برويز ولا القادياني ولا الأمرتسري، كما أنكروا السنة النبوية و ليس لهم حكم واحد إلا في بعض التأويلات بأن بعض هؤلاء خدموا الدين أيضا.

ولقد يوجد بعض الجماعات، التي تأثرت بهذه المدرسة، منها جمعية النهضة، أو حركة الاتجاه الإسلامي بتونس وخاصة المدرسة القرآنية الهندية^(١). ومما يلاحظ أن أتباع هذه المدرسة ذو اهتمامات مختلفة، فمنهم السياسيون ومنهم الصحفيون ومنهم الأدباء هؤلاء فضلا عن العلماء والمفكرين الإسلاميين، تناولت أقلام كثيرة هذه المدرسة بين مدح وقذح أو بين توجيه وتسديد مع اختلاف في هذه الأقلام من حيث التخصصات حيث تجد قلم المفسر وقلم المحرر وقلم العقدي وقلم الأديب والمؤرخ، كما أن هذه الأقلام ربما تناولت المدرسة بصفة عامة، وربما تناولت بعض عناصرها من الشخصيات البارزة.

ومن أقدم من نقد هذه المدرسة ووجه إليها الاتهام

الشيخ محمد عليش المالكي^(٢) (ت ١٢٩٩) الذي عاصر الأفغاني، ومحمد عبده، وكان يُحذّر منهما ومن منبهجها^(٣) ومصطفى صبري آخر مشايخ الدولة العثمانية، فقد شبه جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده بلوثر^(٤)

(١) انظر: مجلة المجتمع الكويتية العدد ٥٣٨ الصادرة في ١١/١٠/١٤٠١هـ (ص ١٨ ٢٥).

(٢) محمد بن أحمد بن محمد عليش أبو عبد الله (١٢١٧هـ / ١٨٠٢م - ١٢٩٩م / ١٨٨٢هـ) / مفقيه، من أعيان المالكية، مغربي الأصل، من أهل طرابلس الغربول بالقاءرة عام ١٢١٧هـ / ١٨٠٢م وتعلم في الأزهرولما كانت الثورة العرابية اقم بموالاها، فأخذ من داره وهو مريض محمولاً لا حراك فيه، وألقي في سجن المستشفى. من تصانيفه: فتح العلى المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك جزآن، فتح الجليل على مختصر خليل أربعة أجزاء، وهداية السالك "في فروع الفقه المالكي، حاشية على رسالة الصبان في البلاغة، تدريب المبتدي تذكرة المنتهى في فرائض المذاهب الأربعة حل المعقود من نظم المقصود في الصرف اجوبة الحيارى عن حكم قلنسوة النصارى هداية المريد لعقيدة أهل التوحيد شيوخه، أخذ عن الشيخ الأمير الصغير وأجازه، والشيخ مصطفى البولاقي، والشيخ مصطفى السلاموني، والشيخ حميدة العدوي، والشيخ محمود مقديش، والشيخ يوسف الصاوي، وبالإجازة الشيخ محمد بن ملوكة، والشيخ إبراهيم الملولي توفى في القاهرة عام ١٢٩٩ (١٨٨٢هـ - م

(٣) انظر تاريخ للشيخ محمد رشيد رضاء ٩٠/١

(٤) البروتستانتية أو البروتستية هي أحد مذاهب وأشكال الإيمان في الدين المسيحي، تعود أصول مذهبهم إلى الحركة الإصلاحية التي قامت في القرن السادس عشرهدفها الكنيسة الكاثوليكية وإصلاحها في أوروبا وهي اليوم واحدة من الانقسامات الرئيسية في العالم المسيحي جنباً إلى جنب الكنيسة الكاثوليكية والأرثوذكسية الشرقية، وتعتبر الكنيسة الأنجليكانية في بعض الأحيان كنيسة مستقلة من البروتستانتية البروتستانتية هي ثاني أكبر شكل للمسيحية، حيث تضم مجتمعة ما بين ٨٠٠ مليون وأكثر من ٩٠٠ مليون من الأتباع في العالم أو ما يقرب من ٤٠% من مجمل المسيحيين منهم ١٧٠ مليون منهم في أمريكا الشمالية، و ١٦٠ مليون في أفريقيا، و ١٢٠ مليون في أوروبا، و ٧٠ مليون في أمريكا اللاتينية، و ٦٠ مليون في آسيا، و ١٠ مليون في أستراليايتوزع البروتستانت بالجمال على سبعة عائلات وهي الأدفنست، والأنجليكانية، والمعدناتية، وكنائس الإصلاح، واللوثرية،

مجدد البروتستانت^(١) واعتبر محمد عبده أول من أدخل الماسونية في الأزهر وهو مما شجّع تلميذه قاسم أمين على ترويج للعراء وتأليف كتبه في المرأة^(٢) الدكتور محمد حسين الذهبي وقد سبق رأيه حول المدرسة العقلية، الأستاذ سيد قطب حيث نقد منهج المدرسة في التأويل^(٣) الأستاذ الدكتور فهد بن عبد الرحمن الرومي في أطروحته للدكتوراه، والمعنونة "منهج المدرسة الحديثة في التفسير".

جذور المدرسة العقلية التاريخية:

تمهيد:

المدرسة العقلانية تيار لها تاريخ طويل، ولها جذور في الفكر الشرقي القديم لا سيما في مصر والهند، وقد بدأت كتيار فلسفي في الفلسفة اليونانية مع سقراط وأفلاطون، ولقد حاول بعض الفلاسفة المسلمين توظيف العقل للتعبير عن العقائد والأفكار الإسلامية، وللدفاع عنها ضد المهاجمين لها، مثل الكندي والفارابي وابن سينا الذين سعوا للتوفيق بين الدين الإسلامي والعقلانية اليونانية، وقد ذهب ابن رشد إلى أن العقل هو الأساس وإذا ما وجد بينه وبين الوحي تعارض، فإنه ينبغي تأويل الوحي بما يجعله متفقاً مع العقل.^(٤)

منذ أوائل العصور الإسلامية دارت مناقشات حول حدود العقل والنقل والعلاقة بينهما ونشأت المذاهب الكلامية والفقهية والفلسفية ويقول عز الدين وهدان في مقالته "العقل في التراث الإسلامي" أما الذين غالوا في العقل وقدموه، فهم من يسمون العقليين، ويمثلهم بشكل واضح المعتزلة والفلاسفة، ومن هنا نرى أن المعتزلة قد أخضعوا الدين لحكم العقل وبذلك قدموه على النقل الصحيح وارتفعوا به عن قدره الذي خلقه الله عليه، ونقلوا تعريفات وتقسيمات اليونان للعقل إلى الثقافة الإسلامي، فاهمين تشجيع القرآن الكريم للعقل فهما قاصراً.

أما جذورها التاريخية (الفكرية والعقائدية) ترجع إلى ثلاثة فرق وهي: المعتزلة، الماسونية، العلمانية

أولها المعتزلة: تعد المعتزلة من الجذور التاريخية والفكرية للمدرسة العقلية الأولى، والمدرسة العقلية الحديثة، حيث اتفقوا على أن كلام الله محدث مخلوق في محل، واتفقوا على أن الإرادة والسمع والبصر ليست معاني قائمة بذات الله واتفقوا على نفى رؤية الله تعالى بالأبصار في دار القرار، واتفقوا على أن العبد قادر خالق لأفعاله خيرها وشرها، واتفقوا على أن لا يجب على الله تعالى إلا الإصلاح والخير، ويجب من حيث الحكمة رعاية مصالح العباد، واتفقوا على

والميثودية والخمسينية "البروتستانت" كلمة معناها المحتجين، ومن أهم ميزات البروتستانت عن الطوائف المسيحية المعتقدات الإيمان بوقف البروتستانت مع الكاثوليك في انبثاق الروح القدس من الأب والابن، كما يوافقونهم في أن للمسيح طبيعتين (إلهية وبشرية ومشيئتين).

(١) موقف العقل والعلم والعالم لمصطفى صبري ج ١/ ص ١٤٤

(٢) المرجع السابق ج ١ ص ١٣٣ ١٣٤

(٣) انظر في ظلال القرآن (ص ٣٩٨٧ الطبعة الرابعة

(٤) انظر موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية لأمين الصادق الأمين مكتبة الرشد، الرياض ط ١، ١٩٩٧م، ج ٢، ص ١٨٣ - ٢٣

أن المؤمن صاحب الطاعة وتوبة استحق الثواب والعوض، وصاحب غير توبة، ارتكبها كبيرة، استحق الخلود في النار لكن يكون عقابه أخف من عقاب الكفار، وسموا هذا النمط وعداً ووعداً، ونهاية دولة الاعتزال، لم يكن نهاية للتقدم العلمي الإسلامي، بل أن العلم كان في توسعه ونموه، فشمّل الطب والحكمة والكيمياء والرياضيات. وبينما كان العالم الإسلامي في قمة حضارته العلمية، كانت النصاري في ظلمات الجهل، سيطرت الكنيسة على العقول ومنعت على أتباعها الكثير من الممارسة من العلوم، كان هذا حال الشرق وحال الغرب (١)

وكانت حروب الصليبيين مستمرة على الإسلامي وكان من نتيجته أن نقلت الحضارة الإسلامية إلى بلادهم استولى الأوروبيون على الكتب العلمية، واقتبلوا عليها دراسة وتجربة وتنمية، ووقفت الكنيسة موقفها، فقتلت كثيراً من العلماء ولكن لم يمنع العلماء من الاستشهاد في الدفاع عن مبادئهم وآرائهم، حتى أتاح الفرصة لدعاة التحرر الفكري، فهدموا الكنيسة مع الدين، وانتهى ذلك النزاع الطويل، وانتصرو دعاة التحرر والحد سلطان الكنيسة وحصره، ولم يعد يجاوز رسوم المذهبية المحددة، والصلاة والزواج والجنائز وبذلك افصل الدين عن الدولة (٢) وقد بدأت الاستعمار جذور ذلك الأمر ان تظهر في البلاد الإسلامية السنية بعد أن دأبت المبادئ الثلاثة التي أطلقها الصهاينة من خلال الثورة الفرنسية، ليتمكنوا من خلالها من هدم الخلقة البشرية، وإقامة المجتمع اليهودي، وهي مبادئ، الحرية، والمساواة، والعدل.

الأول: الحرية السياسية والفكرية. تعني بها أن يتحرر الإنسان من كل القيم والأعراف والأديان التي لم يقف الإسلام حائلاً في سبيلها، ويفعل كالبهايم .

الثاني: المساواة، والمراد به أن المسلم ونصراني ومجوسي كل مشترك في صفة الإنسانية فهم كالإخوة بهذا المعنى فإذا لا يجوز التفريق بينهم بسبب العقيدة فلنسقط الأديان كلها باسم المساواة وباسم الإنسانية، لكن يقول سبحانه وتعالى ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ وقال "وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ" فكيف السبيل للاتحاد مع أمثال هؤلاء من المشركين

الثالث: العدالة، تعني انتزاع الثروة من أيدي أصحابها بحجة التوزيع الآمن، وإعادة توزيعها لمجموعة من اليهود الذين يسيطرون على الإقتصاديات العالمي كله، وتجارب الشيوعية، والاشتراكية، والرأسمالية في أصلها، لقد ساعدوا في نشر الأفكار الخطيرة من خلال المؤسسات هي أنشأها الصهيونية لتصبح شعاراً لهم، ينشرون وراءها هذه الأشياء الخبيثة كنوادي. الروتاري والأسود وهي منظمات ماسونية تنتشر لتستوعب العالم. طاقتها وثروتها، وأرستقراطية الناس

(١) التاريخ الإسلامي لشيخ إبراهيم الشريقي ص/ ٢٢٣

(٢) الاتجاهات الوطنية في الأدب لمحمد حسين ج ١/ ص ٢٥٤ - ٢٥٥ محمد محمد حسين أديب إسلامي مصري، باحث في الأدب العربي دكتوراه في الأدب العربي من جامع القاهرة، أبرز مؤلفاته "الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر" الذي رد فيه على طه حسين وغيره، والروحية الحديثة حقيقتها وأهدافها واتجاهات هدامة في الفكر العربي المعاصر حصوننا مهددة من الداخل

فيها، لجذبهم للاستفادة منها، انتشرت الحرية والعقلانية. والوباء المماثل في العالم الإسلامي في بداية القرن الماضي نتيجة اختلاط الشرق بالغرب. البعثات التربوية وغيرها، استلهم طلاب البعثة ما وجدوه في أوروبا، ونقلوه عن غير قصد إلى كتبهم مثل "رفاعة الطهطاوي، وخير الدين التونسي" حتى جاء دور سيد جمال الدين. حسن أن يسميهم المسلمون قيامة المشرق وقيامة المشرق. كان مؤسسها ورئيسها. أكبر نزل ماسوني في الشرق وقد صعد إلى أعلى المراتب في درجات الماسونية^(١)

ههنا نقاط مهمة للقاري:

١: سبب اتباع المدرسة العقلية لفكر الاعتزالي، لقد قدر لفكر المعتزلة أن يبعث من جديد في العصر الحاضر، على أيدي بعض العلماء والمشايخ الذين ساروا على نهج المعتزلة، وأعلوا من شأنهم وشأن مذهبهم^(٢) وألبسوه ثوبا جديدا، وأطلقوا عليه أسماء جديدة مثلا العقلانية أو الفكر التجديد، أو التحرر الفكري، أو التطور الفكري، أو الفكر المعاصرة أو التيار الديني المعاصر، المستنير أو اليسار الإسلامي^(٣). ويؤكد محمد عمارة وهو أحد العقلانيين الذين يتناولهم هذا البحث على انبعث فكر المعتزلة حديثا فيقول "لقد انقضت المعتزلة كفرقة ولكنها استمرت نزعة عقلية، وفكرا قوميا، وأصولا فكرية من خلال فرق أخرى تأثرت بها.

٢: نقاط إشتراكها مع المعتزلة.

- ١- جعل العقل ندا للوحي وتقديمه على النص الصحيح.
 - ٢- التبعية للمذاهب والفلسفات الأجنبية
 - ٣- استباحة الخوض في الأمور الغيبية.
 - ٤- الاستهانة بأحكام الله وشرعه.
 - ٥- الجرأة على إثارة الشبهات والآراء الشاذة باسم التسامح الديني وحرية الفكر .
- التهوين أهل السنة من شأنهم، فالمعتزلة الأوائل كانوا ان ينسب السلف الصالح بأنهم حشوية ومجسمات والمعاصرون يلقبون أهل السنة بالأصوليين، أو المتشددين.^(٤)
- وهذه الأفكار الذي توجد فيها التشابه مع أفكار المعتزلة، التي كان فيه تقديم العقل على النقل من أبرز سمات منهجهم ولذلك سموا بالعقليين^(١٨) فالعقل عندهم قادر ومحكم في إيمانهم وجميع شؤونهم العامة والخاصة^(١٩) واقتضى ذلك التحكيم المطلق للعقل عند المعتزلة، تضيق حيز الإيمان بالغيب، وإنكار كثير من الحقائق الغيبية، التي أثبتتها ظواهر آيات القرآن الكريم وأثبتتها السنة الصحيحة، بحجة تعارضها مع العقل عندهم، وادعائهم

(١) فوزي الإسلام والحضارة الغربية محمد حسين، دعوة جمال الدين الأفغاني في الميزان (٣٨٠ زعماء الإصلاح ٧٣)

(٢) من هؤلاء مثلا د/ محمد عمارة الذي يسمي المعتزلة أهل العدل والتوحيد ويعتبر أنهم فرسان الدفاع عن الإسلام .

(٣) الموسوعة الميسرة ص ٧٧

(٤) مقالات في المذاهب والفرق ص ٧٩، ٨٠

استحالة وجود ما لا تدركه الحواس، لذلك لجأوا إلى استخدام الاستعارات والتشبيه للهروب من إثبات الظواهر مثل، وجود الجن وحقيقة السحرومن العذاب القبر والميزان ومن تسبيح الرعد والنبات، وعرض الأمانة على السماوات والأرض والجبال ومن المعجزات الانبياء وكرامات الأولياء.

وهذا التشابه هو الذي دعى لتسمية فكرهم بالمدرسة العقلية الحديثة لتشابهها مع المدرسة العقلية القديمة المعتزلة. وقد تكلم من ذلك كثير من العلماء والمفكرين منهم، الدكت أنور الجندي، وسيد قطب والدكتور عبد الله، والدكتور محمد حسين الذهبي. كما أنها بسبب الحرية العقلية جارت المعتزلة في تعاليمها وعقائدها، وحملت أكثر ألفاظ القرآن الكريم من المعاني ما لم يكن مقصودا عند العرب وقت نزول القرآن، لقد طعن في بعض الأحاديث بالضعف والوضع مع أنها أحاديث صحيحة رواها البخاري ومسلم، كما أنها لم تأخذ بالحديث الصحيح من الأحاد سواء من قبيل العقائد أو من قبيل السمعيات وغيرها من المسائل الفقهية.

٣: إلى أي حد تأثرت مدرسة العقلية بأفكار المعتزلة.

وللمعتزلة أو لفكر الاعتزال شأن في عصرنا الحديث، والمدرسة العقلانية ذريعة لنشر آرائهم الفاسدة، حيث قالوا أليس معتزلة من المسلمين، ولماذا لا يحق لنا ان نلجاء إليهم، ولا يلزم علينا ان نتجمد مع المتجمدين من الفقهاء والأئمة والمحدثين من السلف، ولنلتزم طريقهم ولا نقبس عن المعتزلة المسلمين مواقفهم العقلية الثورية التحررية التي تتناسب، ومقتضيات عصرنا.

تلك هي دعواهم وملخص اقوالهم الذي أرادوا به القضاء على عقيدة المسلمين، والتفافهم حول كتابهم من خلال تلبس الحق بالباطل. وقد تأثروا بذلك الفكرين عن المعتزلة في العديد من أعمال، فمدحوا الاعتزال وتابعوا المستشرقين، ونقلوا عنهم ما أوردوه في تحسينه وتزيينه، ومن تلك الدعاوى.

حيث يقول عرفان عبد الحميد في كتابه، (دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية) تحت عنوان، أهمية المعتزلة في الفكر الإسلامي "المعتزلة أول مدرسة كلامية ظهرت في الإسلام، وكان لها دور كبير في تطوير الفكر الديني والفلسفي، فهي التي أوجدت الأصول العقلية للعقيدة الإسلامية، وجعلت للنزعة العقلية في الفكر الإسلامي مكانة مرموقة، ورفعت من شأن العقل وأحكامه وقدرته في الوصول إلى الحقيقة، ولا نحتاج إلى التعليق، حيث سبق أن بينا موقف أهل السنة من العقل ومجالاته، وبيننا المجال الذي عملت فيه النزعة العقلية في الإلهيات، فأنتجت ذلك الضلال والانحراف، ولكن أنى لمثل هذا الباحث أن يتفهم موقف الإسلام في مثل تلك الأمور، وهو ينقل عن المستشرقين نص كلامهم مرتباً له وموافقاً عليه، فيقول المعتزلة تمثل أول محاولة في الفكر الإسلامي تعرضت لمسألة الصلة بين الحقائق الدينية، وأحكام العقل وذلك بقوة فكرية عجيبة، وثبات عظيم وحاولت حلها بطريقة مبتكرة^(١)

(١) دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية (١٢٥)

ويقول عبد الستار الراوي ^(١) في مقدمة كتابه "فلسفة العقل" عن الحركة الاعتزالية "حركة ثقافية تتخطى المذاهب المغلقة، تنتهج في جدلياتها الكلامية الحرية، وأنها تقيم الأدلة المنطقية على عقم الاتجاهات السلفية، ومواقفها الوثوقية" ^(٢) ومعنى قوله مواقف السلف الوثوقية، هو وثوق أهل السنة وأتباع السلف، بقيمة النص إزاء العقل ووثوقهم من مقررات النصوص الثابتة القطعية الصافي الأصيل .

ويدعي الدكتور عدنان، دعوى خالف فيها مفهوم نصوص ثابتة صريحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كحديث (الفرق الثلاثة والسبعين وحديث الفرقة المنصورة)، الذي رواه مسلم فقالوا "ليس في تاريخ الإسلام فرقة واحدة، تستطيع أن تزعم لنفسها فهم العقيدة الإسلامية على الوجه الأكمل، حتى يكون كل من خالفها في شيء ضالاً مبتدعاً، أو من أهل الزيغ والأهواء، ولا تخلو فرقة واحدة من الغلو في جانب والتفريط في جانب آخر، وليست مهمتنا الانتصار لفرقة على أخرى أو تعميق الخلاف بين هذه الفرق. والعجب مما قاله فقد اشتملت هذه الفقرة على ثلاثة أخطاء.

١ : قوله أنه لا توجد فرقة واحدة فهمت العقيدة الإسلامية على الوجه الأكمل ^(٣) فأين قول ﷺ عليه وسلم لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق (مسلم ١٩٢٠) وقوله صلى الله عليه وسلم "ستفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة إحداها الناجية" ^(٤) وأين فرقة أهل السنة والجماعة التي من زعمائها أئمة الإسلام، مالك، والشافعي، وأحمد، وأبو حنيفة، وابن تيمية وابن القيم وابن كثير ومحمد بن عبد الوهاب وغيرهم ممن اتفقت في عقائد الإسلام وإن اختلفوا في بعض الفروع.

أوليس معنى ما تقدم من أنه حتى يكون من خالفها في شيء ضالاً ومبتدعاً أو من أهل الزيغ والأهواء إنكاراً صريحاً لوجود أهل الأهواء ابتداءً، إذ أين نذهب بأقوال أئمة الإسلام التي تحذر من اتباع أهل الأهواء والبدع؟ وكفانا في ذلك مراجعة ما أورده امام الشاطبي في الاعتصام، الجزء الأول عن أهل الأهواء والتحذير منهم.

٢ : أما قوله ولا تخلو فرقة واحدة من الغلو في التفريط في جانب آخر.

نحن نقول إن سمة أهل السنة الوسطية لا في جانب إفراط ولا في تفريط، كما وصفهم ابن تيمية بقوله وهم (أهل السنة والجماعة) وسط في باب أفعال الله عز وجل بين المعتزلة المكذبين بالقدر والجبرية النافين لحكمة الله ورحمته وعدله، وفي باب الوعد والوعيد بين الوعيدية، الذين يقولون بتخليد عصاة المسلمين في النار. المرجئة الذين يحددون

(١) هو عبد الستار عز الدين الراوي ولد في بغداد سنة ١٩٤١، حصل على الدكتوراه من جامعة الإسكندرية بمصر سنة ١٩٧٧، عين سفيراً للعراق لدى إيران في الفترة من ١٩٩٨ وحتى ٢٠٠٣ تاريخ الاحتلال الأمريكي للعراق، وقبل عمله كسفير كان أستاذاً للفلسفة بجامعة بغداد. من المؤلفاته، ١- ثورة العقل: مدرسة بغداد الاعتزالية ٢- التصوف والبارسيكولوجي ٣- الفكر السياسي الإيراني المعاصر ٤- العقل والحرية ٥- مناهج البحث في العلوم الطبيعية.

(٢) فلسفة العقل للراوي ص ٥ .

(٣) رواه مسلم (١٩٢٠)

(٤) رواه الترمذي (٢٦٤٠ دون لفظة)

بعض الوعيد وما فضل الله به الأبرار على الفجار، وهم وسط في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الغالي في بعضهم الذين يقول فيه بإلهية، أو نبوة، والجاني فيهم الذي يكفر بعضهم، أو يفسقه، وهم خيار هذه الأمة^(١)

ويقول د يوسف القرضاوي من أهمية بقاء الحوار مع المتكلمين المؤولة: "ولهذا قلت لإخواننا العلماء في قطر والمملكة العربية السعودية حين سمعت بعضهم يجادل في قضية الصفات بين السلف والخلف، إن المعركة اليوم ليست مع الأشاعرة ولا مع الماتريدية ولا المعتزلة والجهمية، إن معركتنا اليوم مع الملاحدة الذين لا يؤمنون بإله، ولا نبوة، ولا كتاب وليست معركتنا مع الذين يقولون عن الله ليس له مكان، بل مع الذين يقولون ليس له وجود، وعلينا أن نخلقه كما قال أحدهم؛ ليست معركتنا مع الذين يؤولون صفات الله تعالى بل مع الذين يمحذون الله بالكلية، وأي تحويل للمعركة عن هذا الخط يعتبر توهيناً للصف وقراراً من الزحف، وإعانة للعدو، ومن الإنصاف أن أقول إنني وجدت تجاوباً رائعاً من علماء قطر، والمملكة العربية السعودية نحو هذا الاتجاه فيما عدا القليل منهم"^(٢) أقول هذا كلام غير مقبول لأمر.

الأول: أن هذا التوجه الأحادي الإنتقائي تجاه الملل والنحل الضالة، ينافي المنهج الإسلامي القويم، الذي بعث الله به رسله، والذي يقضي بوجوب إقامة الدين الحق، ومحاربة كل ملة أو نحلة ضالة مخالفة للدين قال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾^(٣)

الثاني: وهذا القول أن المعركة ليست بيننا وبين اليهودية والنصرانية. المحرفين باعتبار أهلهم مقرين بوجود الله، وهذا ضرب من الإرجاء خطير.

الثالث: وأن كلام القرضاوي هذا وإن كان غريباً لدى سائر المسلمين، لكن ليس غريباً على منهج المدرسة التي ينتمي إليها.

من تأمل الكلام القرضاوي هنا يعني ما يقول جار على تعليمات تلقاها من مثل هذه التصريحات الغريبة التي تنافي مبدأ الولاء والبراء في الإسلام، وكيف يقال: إن ذم اليهود في القرآن محصور في الحيثية الاقتصادية، والقانونية مع قوله تعالى ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَمَا أُمُّرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(٤)

(١) الجواب الصحيح ٨/١.

(٢) وجود الله ليوسف القرضاوي _ ص ٦.

(٣) التوبة ٣٣ والفتح ٢٨.

(٤) التوبة ٣٠-٣١.

وهو يقر بوجود المعتزلة منشوراً بين المفكرين، نعم إن المسألة محصت ودرست بعد ذلك من الأخلاف، ورأى كثيرون من مفكري الإسلام رأي، والحق الذي لا ريب فيه أن المعتزلة وإن رحلت بأعلامها ومشاهيرها فقد بقي الاعتزال بكل معانيه وصوره، وأصوله تحت أشخاص ينتسبون إلى السنة بألسنتهم.

يقول محمد أبو زهرة "هنا نلاحظ أنا أبا زهرة يرى أن اللوثة الوحيدة التي لحقت بفكر المعتزلة، وحدث من انتشاره هي طريقتهم في نشر أفكارهم بالقوة، وأنه لولا ذلك الأسلوب لانتشر أكثر ومعنى الانتشار أكثر أن يكتسح هذا الفكر جميع أقطار العالم الإسلامي، وإلا فقد إنتشر فكرهم إنتشاراً فاحشاً. ولنسمع ما يقوله جمال الدين القاسمي في هذا الموضوع هذه الفرقة من أعظم الفرق رجالاً، وأكثرها تابعاً فإن شيعة العراق على الإطلاق معتزلة وكذلك شيعة الأقطار الهندية، والشامية والبلاد الفارسية ومثلهم الزيدية في اليمن، فإنهم على مذهب المعتزلة في الأصول. كما قاله العلامة القبلي في (العلم الشامخ) (١)

وهؤلاء يعدون في المسلمين بالملايين، وبهذا يعلم أن الجهمية المعتزلة ليسوا في قلة فضلاً عن أن يظن أنهم انقرضوا، وأن لا فائدة في المناظرة معهم، وقائل ذلك جاهل بعلم تقويم البلدان، ومذاهب أهلها. هذا ما يتعلق بانتشارهم ضمن الفرق البدعية الأخرى، كالزيدية والرافضة وغيرهم، وأما الجانب الآخر والخطير: فهو انتشار فكرهم داخل السني بواسطة أقوام مفتونين بالمنهج العقلاني، ولناخذ مثالين من هذا الصنف علماً بأنهم كثيرون في عصرنا حتى قامت معاهد فكرية تتبنى منهج عقلانية المعتزلة في التعامل مع النصوص الشرعية.

الأول: الشيخ محمد الغزالي الذي يعتمد على المنهج العقلاني في أكثر كتبه، ويظهر ذلك أكثر في كتابه الموسوم (السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث) واعتزاليات الغزالي، تبدو لقارئ كتابه المذكور من ركوبه صهوة العقل رد كثير من النصوص الثابتة، ومن موقفه من نصوص القدر حيث يؤولها إلى الاختيار المطلق. كما يقول امام الغزالي والقول "بأن كتاباً سبق بذلك يعني بمصير الإنسان، وأنه لا حيلة لنا بإزاء ما كتب أزلماً هذا كله تضليل وإفك" (٢) وقالوا "لذلك فإننا نتناول بحذر شديد ما جاء في حديث "فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار الخ" (٣)

إذا كان الحديث المذكور تنويهاً بشمول العلم الإلهي، وأن بدايات بعض الناس قد تكون مخالفة إلى نهايتهم، فلا بأس من قبوله بعد الشرح المزيل للبس المبطل للجبر. أما المعنى القريب للحديث فمردود يقيناً (٤) والمثير للاهتمام

(١) انظر العلم الشامخ . قاضي صالح بن مهدي بن علي القبلي اليمني المالكي. ص ١٢-١٣ / بيروت / دار الحديث ط ٢ / ١٤٠٥ هـ.

(٢) انظر تأويل مختلف الحديث . لعبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري - ص ٢١-٢٢ (ت ٢٧٦ هـ) الناشر: المكتب الإسلامي مؤسسة الإشراف. الطبعة: الطبعة الثانية - مزیده هـ - ١٩٩٩ م.

(٣) رواه البخاري ٣٢٠٨، ومسلم ٢٦٤٣ من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٤) السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث - ص ١٤٥ / بيروت / دار الشروق / ١٤٠٩ هـ.

هنا مطابقة نظر الغزالي مع نظر النظام في رد هذا الحديث، حيث نسب رواية ابن مسعود رضي الله عنه إلى الكذب، وعد مدلوله من الجبر، فرد عليه العلامة ابن قتيبة رداً بليغاً^(١). وعلى هذا السبيل سار الغزالي في هذا الباب فيصف أحاديث القدر، بأنها لا تخدم إلا مبدء الجبر، ويقول عن هذه الأحاديث إن متونها توقفنا أمامها لنبحث عن تأويل لها أو مخرج^(٢).

المقصود أن فكرة هذا الرجل هي امتداد لفكر المعتزلة من حيث تقديم العقل على كل شيء، ممثلة في موقفه من نصوص القدر وغيرها، فينبغي لقراء كتبه وخاصة كتابه (السنة النبوية) ان يحذروا من السقوط على رأسه فهو مليئ بالمصائب، والله المستعان.

وهكذا يقول الغزالي^(٣) في تعريف المعتزلة، تحت عنوان "الحكم على واصل" أنه رئيس لفرقة العظيمة (فرقة المعتزلة) صاحبة الأبحاث الكلامية، والتي تركت للمسلمين تراثاً فلسفياً له قيمته، والتي فتحت أمام العقيدة الإسلامية طريق البحث المنطقي مما جعل أصحاب الديانات، ولو وقف الأمر عند الاحتجاج بالقرآن، والحديث لما انقطعت مداهمات المخالفين عن هذا الدين لأنهم لا يؤمنون بهما^(٤).

أقول: هذه وهم طالما أثارها العقلانيون، فكأن القرآن الكريم حين نزل كان يخاطب أناساً مؤمنين فقط، ولم يخاطب الكفار والمشركين الذين لا يؤمنون بشيء وراء الحس، ويقنع أحبار اليهود حتى أسلم الكثير منهم إن الهجمات الفكرية والشبهات العقدية التي أطلقها أعداء الإسلام لم تبدأ مع ظهور المعتزلة، بل بدأت مع ظهور الإسلام، وقد نفى القرآن كلها، ولم تكن هناك فلسفة، ولا منطق كلامي، فالقرآن خطاب للقلوب، والأرواح كذلك خطاب للعقول السليمة وشفاء للمرضاء لأن منزله سبحانه وتعالى، وهو الخبير بجميع ما كان وما يكون، ولكن المستفيد منه هو المؤمن الذي له الحسن الظن بالقرآن. قال تعالى ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾^(٥) ومن لم يهتد بهدي القرآن والسنة فلا هداية له ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجن: ٢٤] ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٦) كم حكمت لنا كتب السنن والتاريخ، والسير عن أحوال قوم من الجبابرة الطغاة دخل

(١) انظر : تأويل مختلف الحديث (ص ٢١-٢٢).

(٢) كشف موقف الغزالي من السنة وأهلها (ص ١٥٧، ١٥٨، ١٦٠ على التوالي).

(٣) وعلي مصطفى الغزالي كان أستاذ في كلية الشريعة بمكة المكرمة، وكتابه (تاريخ الفرق الإسلامية) وفي الحقيقة كتاب في فضائل المعتزلة ومزايا الاعتزال، ونصيب الفرق الأربع الأخرى المذكورة فيه قليل جدا (٣٠٠ ولا شك بعد قراءة هذا الكتاب بتأمل، بأن الرجل من المعتزلة. وليس فقط متعاطف معهم لما يحتويه من الثناء على المعتزلة والمبالغة في ذلك، ويتوصم غيرهم بالألقاب.

(٤) تاريخ الفرق الإسلامية / ص / ١٠١.

(٥) الإسراء ٨٢.

(٦) الحشر ٢١.

الإيمان بما يرضي قلوبهم بسماع آيات القرآن، وهذه كتب السير، والتواريخ، بين أظهرنا لا تخبرنا عن واحد الذي قد أسلم بسبب جدل المعتزلة ومناظراتهم.

الثاني: علاقة المدرسة العقلية بعلمانية:

لقد كانت العالم الإسلام تحت لواء الاستعمار لمدة طويلة، وقد حصر عملهم في المساجد التي قل رواده، فأصبحت أدوات التوجيه الاجتماعي، وأجهزة التعليم في أيدي أصحاب الثقافة الأوروبية الذين نشأوا في قلب الإستعمار وتأثروا من أفكارهم وعملوا على نشر ثقافة الغرب والعلمانية^(١). وقد يستغرب الربط بين المدرسة العقلية الحديثة، والعلمانية، إذ الأولى تهدف لإصلاح الدين، والثانية تهدف إلى إبعاد الدين عن الحياة، فالعلمانية مصطلح غربي، وترجمته بالإنجليزية، سيكيوليزم Secularism^(٢).

ثم تطورت إلى المعناه كما يقول معجم أوكسفورد "العلمانية تعني، أدنيوي أو مادي ليس دينياً ولا روحياً مثل التربية اللادينية الفن الموسيقي اللادينية، أو الحكومة المناقضة للكنيسة. فبناء على ما سبق يتبين أن العلمانية اسم لمذهب فكري عقدي اجتماعي، يستهدف الناس على إبعاد الدين عن حياتهم.^(٣)

المحور السياسي والاقتصادي: القوانين الوضعية عندهم هي أساس السياسة والاقتصاد دون الاعتبار للدين. المحور الاجتماعي: تعتمد على الفلسفات، ويؤسس التضامن الاجتماعي دون النظر إلى الدين وابعاد الناس عن العمل للآخرة وقصر اهتماماتهم على لذات الحياة.

المحور التربوي والأخلاقي: إبعاد التعليمات الدينية عن مجالات التربية الفنية، والأخلاق واشقاقها منها. المحور العقدي: الإيمان بالمادة الصلبة، وإنكار الإيمان بما لا يدرك بالحواس الخمس. فهل يؤكد الواقع، أن أفكارهم التي اهتمت بالجوانب الإقتصادية، والسياسية والاجتماعية، كانت تمهد لطرح الفكر العلماني بعد أن قام الإستعمار الغربي.

ذكر بعض نماذج من الإتجاهات الفكرية العلمانية التي توجد في المدرسة العقلية الحديثة.

(١) انظر منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير للدكتور فهد الرومي ص (٧٠)

(٢) وقد اتسع المجال للدلاي للكلمة على يد جون هولوك (١٨١٧م-١٩٠٦م الذي عرف العلمانية بأنها الإيمان بإمكانية إصلاح حال الإنسان من خلال الطرق المادية دون التصدي لقضية الإيمان سواء بالقبول أو الرفض مقال (مفاهيم ومصطلحات عن الموقع الإلكتروني Islam- on line للدكتور/ عبد الوهاب المسيري، ٢٠٠٢/٨/١٥)

(٣) المصادر هي ١- العلمانية والإسلام بين الفكر والتطبيق، د محمد البهي، مطبعة الأزهر ١٩٧٦م، ٢- تحافت العلمانية، د عماد الدين إسماعيل، مؤسسة الرسالة ١٩٧٥م، ٣) سقوط العلمانية، أنور الجندي، دار الكتب اللبناني بيروت ١٩٧٣م، ٤- تكوين العقل الحديث، جون راندال، ترجمة جورج طعمة، دار الثقافة ١٩٦٥م، ٥- الإسلام والعروبة والعلمانية، محمد عمارة، دار الوحدة - بيروت ١٩٨١م، ٦- العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة د سفر الحوالي، مكتب الطيب، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

النموذج الأول: الانتهاك لقوله تعالى ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾^(١)

يقول الشيخ محمد عبده، في تفسير الآية المذكورة "جعل لكم مندوحة عن اليتامى بما أباحه لكم من التزوج بغيرهن إلى أربع نسوة، ولكن إن خفتهم ألا تعدلوا بين الزوجات أو الزوجتين، فعليكم أن تلتزموا واحدة فقط، والخوف من عدم العدل يصدق بالظن والشك فيه، بل يصدق بتوهمه أيضاً، ولكن الشرع قد يغتفر الوهم، لأنه قلما يخلو منه علم يمثل هذه الأمور فالذي يباح له أن يتزوج ثانية أو أكثر، هو الذي يثق من نفسه بالعدل، بحيث لا يتردد فيه أويظن ذلك ويكون التردد فيه ضعيفاً"

قال ولما قال فإن خفتهم ألا تعدلوا فواحدة علله بقوله ذلك أدنى ألا تعولوا، أي أقرب من عدم الجور والظلم، فجعل البعد من الجور سبباً في التشريع وهذا مؤكد لاشتراط العدل ووجوب تحريره، ومنبه إلى أن العدل عزيز وقد قال تعالى في آية أخرى من هذه السورة، ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم.

قال "فمن تأمل الآيتين علم أن إباحة تعدد الزوجات في الإسلام أمر مضيق فيه أشد التضيق، كأنه ضرورة من الضرورات، التي تباح لمحتاجها بشرط الثقة بإقامة العدل، والأمن من الجور، وإذا تأمل المتأمل مع هذا التضيق ما يترتب على التعدد في هذا الزمان من المفاسد جزم بأنه لا يمكن لأحد أن يربي أمة فشا فيها تعدد الزوجات، فإن البيت الذي فيه زوجتان لزوج واحد لا تستقيم له حال، ولا يقوم فيه نظام، بل يتعاون الرجل مع زوجاته على إفساد البيت، كأن كل واحد منهم عدولاً آخر، ثم يجيء الأولاد بعضهم لبعض عدو، فمفسدة تعدد الزوجات تنتقل من الأفراد إلى البيوت، ومن البيوت إلى الأمة^(٢) وقال "فيجوز الحجر على الأزواج عموماً أن يتزوجوا غير واحدة إلا لضرورة تثبت لدى القاضي، ولا مانع من ذلك في الدين البتة^(٣) والمتأمل في هذا القول مما يلي. وصف جانب من شرع الله تعالى، وهو إباحة تعدد الزوجات، بأنه يتولد منه من المفاسد ما يتعذر معه إقامة الأمة فكأنه فطن هول هذه المفاسد وغفل عنها رب العالمين.

خلط عمدًا أوبدون قصد بين التشريع، وبين سوء استخدام الناس لهذا التشريع. خالف علماء المسلمين كافة بإنكار جواز تعدد الزوجات إلى أربع، وما درج عليه المسلمون في جميع عصورهم وطبقاتهم متى شاؤوا، ويرنه حسنة إلى الأمة جميعها، وقيد ذلك الجواز بقيد ثقيل، أو مستحيل وهو مجرد خوف الجور ادعى أن التعدد فيه تبغيض في الإسلام وليس ترغيب. وجه دعوته إلى أولي الأمر لتطبيق ما دعا إليه، وتغيير الحكم وتطبيقه على الحال الحاضرة^(٤)

(١) النساء ٣.

(٢) انظر تفسير المنار لمحمد رشيد رضا (٤/٣٤٨) نقلاً عن أستاذه محمد عبده.

(٣) انظر تفسير المنار لمحمد رشيد رضا (٤/٣٤٨) نقلاً عن أستاذه محمد عبده.

(٤) انظر تفسير المنار (٤/٣٥٩٩)

وقد تابعه رجال مدرسته، حيث نقل عنه السيد محمد رشيد رضا^(١) يقول "إن قاعدة اليسر في الأمور من القواعد الأساسية لبناء الإسلام، ولا يصح أن يبنى على هذه القاعدة، تحريم أمر تلجئ إليه الضرورة، أوتدعو إليه مصلحة عامة أوخاصة، كتعدد الزوجات كذلك لا يصح السكوت عنه، وترك الناس على ما فيه من المفاسد، فلم يبق إلا أن يقلل العدد، فيفهم من ذلك أنه قد يقر بكونه مفسدة".^(٢)

وهكذا يقلد مصطفى المراغي أستاذه في تفسير الآية مكرراً عباراته.^(٣) أما الشيخ عبد العزيز جاويش فقد قال بنفس القول وزاد أن المعتزلة تحرم تعدد الزوجات وما ذلك إلا لأنهم تتبعوا ما يجلبه من المفسد والمضار وعرفوا أن من أصول الشريعة المحمدية إعطاء الوسائل ما للغايات من أحكام فرأوا آثار تعدد الزوجات لا يستحسنها عقل فحكموا بتحريمه^(٤)

لم يصرح القرآن بتحريم التعدد، ولا ريب أن ثمة أحوال يحسن فيها تعدد الزوجات، ولا يمكن لأحد الفرار من الاعتراف بهذا^(٥) وكأن الأصل هو التحريم ولكن لم يصرح به ولا يشك عاقل أن تحكيم العقل القاصر في أحكام الشرع والدعوة للتحليل والتحريم على أساس العقل هو عين العلمانية^(٦) ولذا فقد تصدى لهذه الأقوال كثير من العلماء المعاصرين لهم والذين جاؤوا من بعدهم، ومن أمثلة المعاصرين لهم بل والمعدودين من رجال المدرسة الشيخ محمود شلتوت رحمه الله الذي ناقش دعوتهم ونقضها، بل ودعى إلى تشريع عكسي في وضع حد أعلى للعزوبة ومساعدة المتزوجين بأكثر من واحدة^(٧)

أما من الناحية العملية فنتيجة لتلك الدعوات، شكل بعض تلاميذ محمد عبده لجنة سنة ١٩٢٦م لتقييد تعدد الزوجات وتقديم بالمقترح لمجلس النواب، وفشلت في إصدار قانون بهذا الشأن كما تكررت المحاولة الفاشلة سنة ١٩٤٥م حتى صدر القانون المقيد سنة ١٩٦٧م الذي يبيح للزوجة التي تزوج عليها أن تطلب التفريق حتى ولو لم تشترط في العقد عدم الزواج عليها^(٨) وما هو جدير بالذكر أن أقوال رجال المدرسة صارت حججاً

(١) انظر الأعمال الكاملة لمحمد عبده تحقيق محمد عمارة (٩٤/٢)

(٢) انظر الإسلام دين الفطرة لعبد العزيز جاويش (ص ١٠١)

(٣) انظر تفسير المراغي (١٨٠/٤)

(٤) انظر الإسلام دين الفطرة لعبد العزيز جاويش /ص ١٠٠.

(٥) انظر الإسلام دين الفطرة لعبد العزيز جاويش (ص ١٠١)

(٦) تسمى محاولة تسيير حياة الناس في الجوانب الاجتماعية والأحوال الشخصية بعيداً عن شرع الله بالعلمنة الاجتماعية.

(٧) انظر الإسلام عقيدة وشرعية للشيخ محمود شلتوت ص ١٩٤.

(٨) انظر تعدد الزوجات لعبد الناصر توفيق العطار ص ٣١٦.

يستدل بها دعاء منع تعدد الزوجات من المعاصرين^(١) وكان ذلك في جملته تطوراً واضحاً، لنزعة قديمة حمل لوائها محمد عبده محاولاً التوفيق بين النص القرآني والنظم الأوروبية في تشريع الزواج^(٢).

النموذج الثاني: تعديهم على قوله تعالى يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ^(٣) شملت المحاولات الإصلاحية لرجال حركة الإصلاح الديني الجوانب الاقتصادية وكانت لهم جهود لا تنكر في هذا الباب، كإبراز مزايا التشريع الاقتصادي الإسلامي والمقارنة بينه وبين الأنظمة الرأسمالية والشيوعية واليهودية، ولكن كان لتحكيم العقل في الأحكام، وتقديم المصلحة على النص عندهم تأثير في اجتهادهم وتوصلهم إلى بعض الآراء الجديدة المخالفة للصحيح، ولأقوال السلف منها رأيهم في الربا تفسير الآية السابقة حيث قال فيها الشيخ جمال الدين الأفغاني "يجوز الربا المعقول الذي لا يثقل كاهل المديون ولا يتجاوز في برهة من الزمن رأس المال ويصير أضْعَافًا مُضَاعَفَةً"^(٤) وأباح الشيخ محمد عبده الربا للضرورة الاقتصادية "فقال بعد أن ذكر اختلاف الزمان ومستجداته، إن أهل بخارى جوزوا الربا لضرورة الوقت عندهم والمصريون قد ابتلوا بهذا فشدد الفقهاء على أغنياء البلاد فصاروا يرون أن الدين ناقص واضطر الناس للإستدانة من الخارج، بأرباح فاحشة إستنزفت ثروة البلاد وحولتها للأجانب، والفقهاء هم المسؤولون عن هذا وعن كل ما عليه الناس من مخالفة لأحكام الشريعة، لأنه كان يجب عليهم أن يعرفوا حالة العصر، ويطبقوا عليه الأحكام بصورة يمكن للناس اتباعها أي كأحكام الضرورات.^(٥)

أما الشيخ محمد رشيد رضا فقد أباح الربا ما لم يكن أضْعَافًا مُضَاعَفَةً فقال "والمراد بالربا فيها ربا الجاهلية المعهود عند المخاطبين عند نزولها، وليس مطلق المعنى اللغوي الذي هو الزيادة فما كل ما يسمى زيادة محرم.^(٦) ومما سبق يتبين أن إجتهدات رجال المدرسة وهم وشهرة في هذا الباب، كانت مع وجود النصوص، وبحجة تغير الزمان مما يعد هدماً لقاعدة لا اجتهاد مع النص وفتحاً لقبول مبدأ تغير الأحكام بغير الزمان، وتقديم المصلحة على النص، والاجتهاد مع النص الذي ينادي به العلمانيون الآن في كل وقت، كما أنه محاولة لبناء الاقتصاد على غير شرع لله تعالى أي علمنة الاقتصاد.

النموذج الثالث: تعديهم على قوله تعالى ﴿إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَأَرَأُوا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾^(٧) يعتبر ذم التقليد والدعوة إلى الاجتهاد^(٨) من أهم ما يميز فكر هذه المدرسة، وأن موقفهم في الدعوة

(١) انظر تعدد الزوجات لعبد الناصر توفيق العطار ص ٢٧٤.

(٢) انظر الفكر الديني في مواجهة العصر لعفت الشرقاوي (ص ٢٣٧)

(٣) آل عمران ١٣٠

(٤) انظر نابغة الشرق جمال الدين الأفغاني لمحمود أبورية (ص ٩٨)

(٥) انظر تاريخ الأستاذ الإمام محمد رشيد رضا (١/٩٤٤)

(٦) انظر تفسير المنار (٤/١٢٣)

(٧) البقرة ١٦٦.

(٨) وقد كان رجال المدرسة يكتفون من الكلام على التقليد والاجتهاد في كل مناسبة وكل مقال حتى يصعب جدا تتبع أقوالهم في هذا الباب.

للإجتهد لم تكن مقيدة بما قيده به علماء الأصول من ضوابط لتحديد مجالات الاجتهاد، وحدوده وآلياته، بل كانت مبنية على تحكيمهم العقل في الأحكام الشرعية، وتقديمهم المصلحة على النص، مما أدى إلى توصلهم لبعض الآراء الجديدة المخالفة للصحيح، ولأقوال السلف، ومما دعموا به دعوتهم لنبد التقليد وفتح باب الاجتهاد في العقائد والأحكام، حيث قال الشيخ محمد عبده في تفسير هذه الآية "لولا أن حيل بين المقلدين وهداية القرآن لكان لهم في هذه الآية أشد زلزال لجمودهم على أقوال الناس وآرائهم في الدين، سواء كانوا من الأحياء أم من الميتين وسواء كان التقليد في العقائد أم في أحكام الحلال والحرام، إذ كل هذا مما يؤخذ عن الله ورسوله ليس لأحد فيه رأي ولا قول إلا ما كان من الأحكام متعلقًا بالقضاء، وفي مثل هؤلاء المتبوعين والتابعين نزل قوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب﴾^(١)

أما الشيخ محمد رشيد رضا فقد خالف أستاذه في حدود الاجتهاد ومجالاته فقال "وجملة القول أن الله أكمل الدين بالقرآن وبيان نبيه للناس ما نزل إليهم فيه، فما صح من بيانه لا يعدل عنه إلى غيره، وما بعد سنته نور يهتدى به في فهم أحكامه للعالم بلغته مثل إجماع الصحابة، أو عمل السواد الأعظم منهم وممن تبعهم في هداهم، فمن رغب عن سنتهم ضل وغوى ولم يسلم من اتباع الهوى، فلمختار عندنا في إكمال الدين ما قاله ابن عباس وتبعه عليه الجمهور، من أن المراد بالدين، فيه عقائده وأحكامه، وآدابه، العبادات، وما في معناها بالتفصيل والمعاملات، بالإجمال ونوطها بأولي الأمر، وروي ذلك عن أبي بكر رضي الله عنه أيضاً، وعن سائر الآل والصحب الصادقين المخلصين الذين حفظوا لنا بحفظ القرآن، والعمل به وبالسنة هذا الدين، فالعمدة في معرفته حق المعرفة القرآن والسنة العملية التي لم تعرف إلا بجريهم عليها، ولا سعة لمسلم أن يخرج عن هذين الأمرين باجتهاده ورأيه، أما ما لم يجر عليه العمل ولم يرد في القرآن من أخبار الأحاد القولية أو العملية، التي لم تكن سنة متبعة للسواد الأعظم منهم، فهي التي يجوز أن تكون محلاً لاجتهاد المجتهدين من حيث صحة روايتها، وتحقيق المراد منها وسلامتها من المعارضة، والترجيح بين المتعارضات منها، ولا يصح أن يكون شيء من ذلك عقيدة، ولا أمراً كلياً من أمور الدين، إذ لو صح هذا لكان منافياً لمنة الله على المؤمنين كافة، بأنه أكمل لهم الدين وأتم عليهم النعمة ولا يعقل أن يكون هذا الإكمال والإتمام متوقفاً على ما لم يطلع عليه إلا الأحاد من الناس بل يكون هذا النوع في الفروع والمسائل الجزئية التي ينفع العلم بها، ولا يضر أحداً في دينه أن يجهلها، ولهذا لم يشترط أحد من العلماء في الاجتهاد والإمامة في فهم الدين الإحاطة بأحاديث الأحاد المتعلقة بهذه الجزئيات"^(٢)

(١) انظر تفسير المنار ٧٩/٢ تحت آية ١٦٦ سورة البقرة.

(٢) انظر تفسير المنار ٧٩/٢.

وقد وجد العلمانيون في مقولات الشيخ محمد عبده ومثيلاً لها البغية، فزعموا أن من الواجب علينا لفهم الدين بطريقة صحيحة في هذا العصر تجديد الدين كله، بدءاً من الأصول والقواعد وانتهاءً بالفروع والتطبيقات، وأن لهم سلفاً في هذا المطلب وهم رجال الإصلاح الديني.

ومن أمثلة الأقوال التي تعبر عن ذلك قول د نصر أبوزيد "يتفق الخطاب الديني على أن النصوص الدينية قابلة لتجدد الفهم واختلاف الاجتهاد في الزمان والمكان، لكنه لا يتجاوز فهم الفقهاء لهذه الظاهرة، ولذلك يقصرها على النصوص التشريعية، دون خصوص العقائد أو القصص، وعلى هذا التحديد لمجال الاجتهاد يؤسس الخطاب الديني لمقولة صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان، ويعارض إلى حد التكفير الاجتهاد في مجال العقائد أو القصص الديني" ^(١) ويقول في موضع آخر "وليست ثمة عناصر جوهرية ثابتة في النصوص" ^(٢)

ويرى د حسن حنفي ^(٣) أن مجال التجديد يبدأ من أصول الدين بإعادة بنائه من جديد فيقول "يجب تغيير تلك النظرية الموروثة طبقاً لحاجات العصر، ابتداءً من علم أصول الدين الذي يعطي الجماهير الأسس النظرية العامة التي تحدد تصوراتنا للكون، وابتداءً من إعادة بناء الأصول، فتغير أشكال الفروع بطبيعتها، والانتقال مثلاً من العقل إلى الطبيعة ومن الروح إلى المادة، ومن الله إلى العالم، ومن النفس إلى البدن، ومن وحدة العقيدة إلى وحدة السلوك" ^(٤). أما تعريف التقليد عند رجال المدرسة العقلية الحديثة: اعتبر رجال المدرسة العقلية الحديثة أن التقليد المذموم في الآيتين السابقتين، هو اتباع كلام الفقهاء والتقييد بعبارات أهل العلم، فذكر يوماً عند الشيخ جمال الدين الأفغاني رأياً للقاضي عياض فقال "ياسبحان الله إن القاضي عياض قال ما قاله على قدر ما وسعه عقله وناسب زمانه فهل لا يحق لغيره أن يقول ما هو أقرب للحق وأصح مما قال القاضي عياض أو غيره من الأئمة؟ وهل يجب الجمود على أقوال أناس هم أنفسهم لم يقفوا عند أقوال من تقدمهم؟ وأي إمام قال لا ينبغي لأحد أن يجد ويجتهد لتوسيع مفهومه منهما، والاستنتاج بالقياس على ما ينطبق على العلوم العصرية، وحاجيات الزمان، وأحكامه ولا ينافي جوهر النص" ^(٥)

(١) نقد الخطاب الديني لدكتور نصر حامد أبو زيد ص ١١٨.

(٢) نقد الخطاب الديني ص ١١٨.

(٣) حسن حنفي ٢٣ - فبراير ١٩٣٥ - ٢١ أكتوبر ٢٠٢١ هو مفكر مصري، وأستاذ جامعي يُعدّ واحداً من منظري تيار اليسار الإسلامي، وتبار علم الاستغراب، وأحد المفكرين العرب المعاصرين من أصحاب المشروعات الفكرية العربية مارس التدريس في عدد من الجامعات العربية ورأس قسم الفلسفة في جامعة القاهرة له عدد من المؤلفات في فكر الحضارة العربية الإسلامية حاز على درجة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة السوربون وذلك برسالتيْن للدكتوراه، قام بترجمتهما إلى العربية ونشرهما في عام ٢٠٠٦ م تحت عنوان تأويل الظاهريات والتي أعدها سنة ١٩٦٦١٠ وظاهرات التأويل، وقضى في إعدادهما حوالي عشر سنوات عمل مستشاراً علمياً في جامعة الأمم المتحدة بطوكيو خلال الفترة من (١٩٨٥-١٩٨٧) وكان نائب رئيس الجمعية الفلسفية العربية، والسكرتير العام للجمعية الفلسفية المصرية.

(٤) التراث والتجديد لحسن حنفي (ص ٦١)

(٥) انظر خاطرات جمال الدين الأفغاني جمع محمد المخزومي (ص ١١١)

قال الشيخ محمد عبده "وما دمنا مقيدون بعبارات هذه الكتب المتداولة ولا نعرف الدين والعلم إلا منها فلا نزداد إلا جهلاً" (١) وقال "ثم إن الناس تحدث لهم باختلاف الزمان أمور ووقائع لم ينص عليها في هذه الكتب فهل نوقف سير العالم لأجل كتبهم هذا لا استطاع، ولذلك اضطر كثير من العوام والحكام إلى ترك الأحكام الشرعية، ولجأوا إلى غيرها" (٢)

وقد وجد العلمانيون المعاصرون في تلك الدعوى السند المناسب فيقول د حسن حنفي "مهمة التراث والتجديد التحرر من السلطة بكل أنواعها سلطة الماضي، وسلطة الموروث فلا سلطان إلا للعقل، ولا سلطة إلا لضرورة الواقع" (٣)

وذموا تراث الأمة العلمي، ووصفوه بأوصاف شنيعة، فقال الشيخ محمد عبده ولكن هؤلاء الفقهاء حرفوا كل نصوص الكتاب والسنة بل إن اليهود لم يحرفوا التوراة أكثر مما حرفوا.

ويقول الشيخ محمد مصطفى المراغي "ان الدين في كتاب الله غير الفقه، وان من الاسراف في التعبير ان يقال عن الاحكام التي استنبطها الفقهاء، وفروعها، واختلفوا فيها، وتمسكوا بها حيناً، ورجعوا عنها حيناً أنها أحكام الدين وأن من انكرها فقد أنكر شيئاً من الدين، فإنما الدين هو الشريعة التي اوصى الله بها الأنبياء جميعاً، أما القوانين المنظمة للتعامل، والمحقة للعدل، والدافعة للحرص فهي آراء الفقهاء مستمدة من أصولها الشرعية تختلف باختلاف العصور والاستعدادات، وتبعاً لاختلاف الأمم ومقتضيات الحياة فيه، وتبعاً لاختلاف البيئات، والظروف، ولوجاز ان يكون الدين هو الفقه مع ما نرى من اختلاف الفقهاء بعضهم مع بعض، وتفنيد كل آراء مخالفيه وعدها باطلة لحقت علينا كلمة الله، إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ، وَكَانُوا شِعْبًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ" (٤) فكيف بعد هذه المقولات من أرباب العلم ومتخصصي الأزهر، يلام العلمانيون، إذا انتقصوا العلماء وكتبهم ووصفوها بالسطحية تارة، والرجعية أخرى، وبأنها غارقة في الأسطورة، والخيال الثالثة، وهل يمكن أن نلمس فرقاً بين الأقوال السابقة. ذكر بعض أقوال العلمانيين المعاصرين منهم المهندس شحور ونصر أبوزيد ود/أركون وغيرهم يقول د/شحور (٥)

(١) انظر تاريخ الأستاذ الإمام محمد رشيد رضا (١/٩٤٣)

(٢) انظر تاريخ الأستاذ الإمام محمد رشيد رضا (١/٩٤٤)

(٣) انظر التراث والتجديد لحسن حنفي (ص ٤٥)

(٤) الأنعام ١٥٩ وانظر مجلة الرسالة، العدد ٣٩٦، السنة التاسعة ص ١٢٨ .

(٥) محمد شحور ١١ أبريل ٢١ ١٩٣٨ ديسمبر ٢٠١٩ مهندس وباحث ومفكر سوري، وأحد أساتذة الهندسة المدنية في جامعة دمشق ومؤلف ومنظر لما أطلق عليه القراءة المعاصرة للقرآن بدأ شحور كتاباته عن القرآن والإسلام بعد عودته من موسكو واتهمه البعض باعتناقه للفكر الماركسي بسبب قضاءه فترة شبابه في الاتحاد السوفيتي سنة ١٩٩٠ أصدر كتاب الكتاب والقرآن الذي حاول فيه تطبيق بعض الأساليب اللغوية الجديدة في محاولة لإيجاد تفسير جديد للقرآن، وأثار ذلك لغطاً شديداً استمر لسنوات وصدرت العديد من الكتب لنقاش الأفكار الواردة في كتابه ومحاولة دحضها أو تأييدها وقد كسب محمد شحور العديد من المؤيدين والمعارضين لأفكاره في العديد من البلدان (الكتاب والقرآن قراءة معاصرة عام ١٩٩٠ ص ٨٢٢) صفحة،

"فماذا قدم السادة العلماء للناس لقد تصدر العلماء المجالس والإذاعة والتلفزيون، على أنهم علماء المسلمين وجلهم ناقل، وليس بمجتهد، أي أنهم قدموا لنا ماذا فهم السلف من القرآن على أنه تفسير للقرآن والواقع أنهم قدموا تفاعل هؤلاء الناس مع القرآن، وبالتالي قدموا الأرضية المعرفية التاريخية هؤلاء الناس إلينا، ونحن في القرن العشرين أي قدموا لنا تراثاً إسلامياً ميثاً، وكل الشواهد التي نراها في القرن العشرين هي أن الإسلام دين خارج الحياة جاء للناس جميعاً وهو عبء عليهم، والمشكلة أنهم نقلوه عن أموات وأهملوا أن صاحبه حي باق وبذلك أصبح الإسلام دين نقل، ومات العقل والنظرة النقدية إلى النصوص، وعند مشايخنا فهم القرآن هو عن عن وقال مجاهد وعكرمة وابن عباس وابن كثير والزحشري "علمًا بأن أقوال هؤلاء ليس لها قيمة علمية كبيرة بالنسبة لنا ولكن لها قيمة تراثية أكاديمية بحثة" (١)

ويقول د محمد أركون "أما الفكر العربي والإسلامي، فلم يشارك في أي جزء من هذا المسار الفكري الطويل، الذي ابتداءً من القرن السادس عشر، لقد انكفأ على ذاته داخل منهجية سكولاستيكية اتباعية اجترارية وكانت هذه السكولاستيكية نفسها قد انقسمت إلى معارف جزئية مبعثرة وتشكلت على هيئة مذهبية مبتورة ومتنافسة ومغلقة بعضها على البعض الآخر" (٢)

أما د/نصر أبوزيد (٣) فقدم تقريراً عن كتاب الإتيقان للسيوطي كمثال لكتب التراث، ليخرج علينا بحكم على جميع تلك الكتب بالسطحية، والعقلية الاتباعية المغلقة الخالية من الموضوعية أو العلمية. كما أنهم لم يقصروا الاجتهاد على من حصلوا آله فكان من أقوالهم.

مولفاته: الدولة والمجتمع عام ١٩٩٤ (٣٧٥ صفحة، الإسلام والإيمان منظومة القيم عام ١٩٩٦ (٤٠٠ صفحة، نحو أصول جديدة للفقهاء الإسلاميين وفقه المرأة الوصية الإرث القوامة التعددية اللباس عام ٢٠٠٠، تجفيف منابع الإرهاب عام ٢٠٠٨ (٣٠٠ صفحة، وصدر له عن دار، الساقى، بيروت لبنان، الكتب التالية، القصص القرآني المجلد الأول مدخل إلى القصص وقصة آدم عام ٢٠١٠ (٣٥٩ صفحة، الكتاب والقرآن رؤية جديدة عام ٢٠١١، القصص القرآني المجلد الثاني من نوح إلى يوسف عام ٢٠١٢، السنة الرسولية والسنة النبوية رؤية جديدة عام ٢٠١٢، الدين والسلطة قراءة معاصرة للحاكمية عام ٢٠١٤، الإسلام والإيمان منظومة القيم عام ٢٠١٤ (٣٣٦ صفحة، فقه المرأة نحو أصول جديدة للفقهاء الإسلاميين عام ٢٠١٥، أم الكتاب وتفصيلها قراءة معاصرة في الحاكمية الإنسانية تماهت الفقهاء والمعصومين عام ٢٠١٥، وفاته أعلن حساب المهندس محمد شحرور الرسمي على تويتر خبر وفاته، في مدينة أبو ظبي في ٢١ ديسمبر ٢٠١٩ ونقل جثمانه إلى دمشق بناءً على وصيته ليدفن في مقبرة العائلة. (١) كرر ذلك في مواضع.

(٢) الفكر الإسلامي قراءة علمية ص/١٧٣.

(٣) نصر حامد أبو زيد باهولندية ٥ - ١٩٤٣ يوليو ٢٠١٠ أكاديمي مصري، وباحث متخصص في الدراسات الإسلامية ومتخصص في فقه اللغة العربية والعلوم الإنسانية أثارت كتاباته ضجة إعلامية في منتصف التسعينيات من القرن الماضي وأثم بالردة والإلحاد وحكمت محكمة مصرية بالتفريق بينه وبين زوجته قسراً، على أساس أنه لا يجوز للمرأة المسلمة الزواج من غير المسلم، نشأته: ولد نصر أبو زيد في إحدى قرى طنطا في ١٠ يوليو ١٩٤٣، ونشأ في أسرة ريفية بسيطة، في البداية لم يحصل على شهادة الثانوية العامة التوجيهية ليستطيع استكمال دراسته الجامعية، لأن أسرته لم تكن لتستطيع أن تنفق عليه في الجامعة، لهذا اكتفى في البداية بالحصول على دبلوم المدارس الثانوية الصناعية قسم اللاسلكي عام ١٩٦٠ م، ومسيرته الأكاديمية حصل نصر علي الليسانس من قسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٧٢ م بتقدير ممتاز، ثم ماجستير من نفس القسم والكلية في الدراسات الإسلامية عام ١٩٧٦ م وأيضاً بتقدير ممتاز، ثم دكتوراه من نفس القسم والكلية في الدراسات الإسلامية عام ١٩٧٩ م بتقدير مرتبة الشرف الأولى، وفاته

قال الشيخ محمد عبده "فرض الله على كل ذي دين أن يأخذ بحظه من علم ما أودع الله في كتابه وما قرر من شرعه وجعل الناس في ذلك سواء بعد استيفاء الشرط باعداد ما لا بد منه للفهم وهو سهل المنال على الجمهور الأعظم من المتدينين لا تختص به طبقة من الطبقات ولا يحتكر ميزته وقت من الأوقات"^(١)

قال الشيخ عبد العزيز جادويش^(٢) "فكل من يعرف لغة القرآن لا ينبغي له بحال أن يقلد غيره تقليدًا متى قدر على فهمه وفهم الكتب الصحاح في السنة فلم ينسد ولن ينسد باب الاجتهاد برغم أنف من أرادوا أن يحجروا على العقول البشرية ويقيدوا عليها أوصياء من الأولين حتى تسير الأمور كما ساروا وتقول بما قالوا"^(٣) وبالمقارنة بين الأقوال السابقة وبين أقوال العلمانيين المعاصرين، نجد التطابق شبه التام بينهما في هذا الشأن يقول د محمد أركون "الشخص الوحيد الذي يحق له وحده أن يقوم بعملية التفسير والتأويل هو المكلف المؤمن"^(٤)

ويقول أحمد عبدالمعطي حجازي في مقال له بعنوان الدعوة للجميع المسلمون جميعًا مطالبون بالنظر في دينهم وديناهم والاجتهاد لأنفسهم، والإنصات لقلوبهم وضمايرهم، ولا يستطيع أحد مع هذا أن يمنع غير المسلمين من التفكير في الإسلام ودراسته، بل نحن في أمس الحاجة إلى ذلك العون الذي يأتينا من ذوي الضمائر الحية والعقول النيرة من المستشرقين والعلماء والمفكرين الأجانب عامة."^(٥)

فأين هذه الأقوال أو تلك من كلام الآمدي حيث يقول: "لعلك أكرمك الله اغتررت بأن شارفت شيئًا من تقسيمات المنطق، وجمالًا من الكلام والجدال، أو علمت أبوابًا من الحلال والحرام، أو حفظت صورًا من اللغة، أو اطلعت على بعض مقاييس العربية، وأنت لما أخذت بطرق نوع من هذه الأنواع معاناة، ومزاولة ومتصل عناية فتوحدت فيه، ومهرت ظننت أن كل ما تلابسه من العلوم ولم تزاوله يجري ذلك المجرى، وأنت متى تعرضت له

عاد إلى مصر قبل أسبوعين من وفاته بعد إصابته بفيروس غريب فشل الأطباء في تحديد طريقة علاجه، ودخل في غيبوبة استمرت عدة أيام حتى فارق الحياة صباح الإثنين ٥ يوليو ٢٠١٠ التاسعة صباحا في مستشفى زايد التخصصي، وتم دفنه في مقابر أسرته بمنطقة قحافة بمدينة طنطا بعد صلاة العصر.

(١) انظر رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده (ص ١٦٢)

(٢) عبد العزيز خليل حسن جادويش - ت ١٢ شوال ١٢٩٣ هـ / أكتوبر ١٨٧٦ - ١٣ شعبان ١٣٤٧ هـ / ٢٥ يناير ١٩٢٩، مجاهد مصري، أحد رواد الإصلاح والعمل الوطني وأحد مناصري الخلافة العثمانية، ولد في الإسكندرية، وتعلم بالأزهر، وتخرج في دار العلوم، واستكمل تعليمه في بريطانيا، وعمل أستاذًا في جامعة أكسفورد هاجر إلى تركيا، وبعد أن سقطت الدولة العثمانية عاد إلى القاهرة ليعمل في التعليم فقدم عبد العزيز جادويش إلى المحكمة الجنائية إذ رأت سلطات الاحتلال أنه يجرى على كراهية الحكومة والعيب في حق ذات ولي الأمر عندما كتب مقدمة كتاب وطنيتي للشيخ علي الغاياتي الذي حكم عليه هو الآخر بالسجن وعلى محمد فريد الذي كتب تقريرا لنفس الكتاب أسس جمعية المواساة الإسلامية التي لا زالت تقوم بالأنشطة الخيرية إلى الآن أقوالهم لله رجالاً تخلد حياتهم إذا ماتوا، ويتردون ظهوراً إذا قبروا، كما أن للنار أناساً يموتون وهم أحياء، ويقرون في ظلمات أعمالهم وهم على الأرض يعيشون الإسلام صالح لكل زمان ومكان، وفاته: ظل جادويش يعمل دون هواده في مجالات الإصلاح فكانت السنوات الأخيرة من حياته حافلة بشتى الأعمال التي لا تنسى له، ولم يترك قلمه ولم يتخل عن قول الحق حتى توفي في ٢٥ يناير ١٩٢٩م.

(٣) انظر الإسلام دين الفطرة والحرية عبد العزيز جادويش - ص ٧٠.

(٤) الفكر الإسلامي قراءة علمية لمحمد أركون - ص ٢٦٩.

(٥) مقال في الأهرام بتاريخ ٣٠/١/٢٠٠٢.

وأمرت قريحتك عليه نفذت فيه وكشفت لك عن معانيه وهيهات. لقد ظننت باطلاً ورمت عسيراً لأن العلم أي نوع كان لا يدركه طالبه إلا بالانقطاع إليه والإكباب عليه والجد فيه والحرص على معرفة أسرارهِ ونواقصهِ" (١)

ثم قد يتأتى طرقاً من العلوم المطالبة، ويسهل عليه ويمتنع عليه آخر ويتعذر، لأن كل امرئ إنما يتيسر له ما في طبعه قبوله وما في طاقته تعلمه، فينبغي أصلحك الله أن تقف حيث وقِف بك، وتقنع بما قُسم لك ولا تتعدى إلى ما ليس من شأنك ولا من صناعتك (٢)

وقول الحافظ العراقي "ولنظر أحدهم في بعض التفاسير المصنفة، لا يحل له النقل منها، لأن كتب التفسير فيها الأقوال المنكرة والصحيحة، ومن لا يميز صحيحها من منكرها لا يحل له الإعتماد على الكتب، فكثير من المفسرين ضعفاء النقل، كمقاتل بن سليمان والكلبي، والضحاك بن مزاحم، وكذا كثير من التفاسير المنقولة عن ابن عباس لا تصح عنه لضعف رواتهما، وليت شعري كيف يقدم من هذه حالة على تفسير كتاب الله؟ أحسن أحواله أن لا يعرف سقيمه من صحيحه" (٣)

فإذا نادى العلمانيون المعاصرون بتجديد أصول الدين وأسسهِ، وأحكامهِ وفتح باب الاجتهاد فيه لكل أحد، وهوما يناسب أغراضهم من نسف للشرعية والدين من أصولهما، وتفريغ الدين والقرآن من محتوَاهما، ومدلولاتهما وتمشيًا مع جهلهم، لعمق العلم الشرعي ودقائقه، فما عذر رجال المدرسة العقلية في تبني تلك الدعوة بهذه الصورة، ومن الإنصاف القول بأن الشيخ محمد رشيد رضا كان له رأي مخالف لرأي رجال المدرسة في هذا الأمر فقال في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٤) لا بد من وجود جماعة يقومون بعرض المسائل التي يتنازع فيها على الكتاب والسنة، وهل يكونون من أولي الأمر أو ممن يختارهم أولوالأمر من علماء هذا الشأن؟ وبذلك تكون الدولة الإسلامية مؤلفة من جماعتين أو ثلاث كما يلي:

الأولى: جماعة المبنيين للأحكام الذين يعبر عنهم أهل هذا العصر بالهيئة التشريعية.

الثانية: جماعة الحاكمين والمنفذين وهم الذين يطلق عليهم اسم الهيئة التنفيذية.

الثالثة: جماعة المحكمين في التنازع، ويجوز أن تكون طائفة من الجماعة الأولى.

ويجب على الأمة قبول هذه الأحكام، والخضوع لها سرا وجهراً، وهي لا تكون بذلك خاضعة خانعة لأحد من البشر، ولا خارجة من دائرة توحيد الربوبية الذي شعاره إنما الشارع هو الله. ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا

(١) الموازنة تحقيق محي الدين عبد الحميد _ص/٣٧٧.

(٢) عن الصباغ _ص ٢٥٠.

(٣) الباعث على الخلاص (ص/١٤٨).

(٤) النساء ٥٩.

أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١﴾

فإنها لم تعمل إلا بحكم الله تعالى، أوحكم رسوله بإذنه، أوحكم نفسها الذي إستنبطه لها جماعة أهل الحل والعقد، والعلم والخبرة، من أفرادها الذين وثقت بهم، واطمأنت بإخلاصهم وعدم إتفاقهم إلا على ما هو الأصلح لها، وما هؤلاء إلا أهل الحل والعقد الذين تكرر ذكرهم في هذا السياق وهم العلماء، لأنهم في الحقيقة أمراء الأمراء، فكان حمل لفظ أولى الأمر عليهم أولى كما أن أعمال الأمراء والسلطين موقوفة على فتاوى العلماء^(٢)

خلاصة ما سبق:

مما سبق يتبين أن اجتهادات رجال المدرسة العقلية في الحقيقة، مبدأ تغيير الأحكام بغير الزمان، وتقديم المصلحة على النص والاجتهاد مع النص الذي ينادي به العلمانيون الآن في كل وقت، كما أنه مخالفة صريحة لمبدأ الاكتفاء بالشرعية وعدم الانتقاص منها أو الاستدراك عليها، والذي دلت عليه آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِئَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ۚ ذَلِكُمْ فِسْقٌ ۗ الْيَوْمَ يَبْسُ الدِّينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ ۚ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ۚ فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ ۖ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝﴾^(٣) ومن العجب أن من رجال هذه المدرسة، من طبق عملياً تبديل الأحكام الشرعية بأحكام وضعية، حيث تولى الشيخ محمد عبده منصب المستشار بمحكمة الاستئناف وهي تحكم بالقانون الفرنسي ومنصب الافتاء بالديار المصرية التي يحكم فيها بالقانون الشرعي في آن واحد^(٤)

ومنهم من صرح بإمكان تعميم تغيير الأحكام، كالشيخ محمد رشيد رضا، حيث قالو "أما منع تعدد الزوجات إذا فشا ضرره وكثرت مفاسده، فقد يمكن أن يوجد له وجه في الشريعة السمحة، إذا كان هناك حكومة إسلامية فإن للإمام أن يمنع المباح الذي يترتب عليه مفسدة، ما دامت المفسدة قائمة به، والمصلحة بخلافه بل منع عمري عام الرمادة أن يحد السارق ولذلك نظائر أخرى ليس هذا محل بيانها"^(٥) أما الشيخ مصطفى المراغي شيخ الأزهر، فقد أمر بتشكيل لجنة لتنظيم الأحوال الشخصية، وقال لهم "ضعوا من المواد ما يبدولكم أنه يوافق الزمان والمكان، وأنا لا يعوزني بعد ذلك أن آتيكم بنص من المذاهب الإسلامية يطابق ما وضعتكم"^(٦)

(١) يوسف ٤٠.

(٢) انظر تفسير المنار ١٢٣/٤ (يوسف ٤٠)

(٣) المائدة ٣.

(٤) موقف العقل والعلم والعالم من الله رب العالمين وعباده المرسلين لمصطفى صبري ٣٥٣/٤.

(٥) انظر نداء للجنس اللطيف لمحمد رشيد رضا ص ٥٣.

(٦) انظر المجددون في الإسلام لعبد المتعال الصعيدي ص ٥٤٨، وطبقات الأصوليين لعبد الله مصطفى المراغي (١٩٨/٣)

وبذلك خالف رجال المدرسة الإجماع، فقد أجمع العلماء على أن الشريعة الإسلامية شريعة ثابتة باقية إلى يوم القيامة، وهي صالحة لكل زمان ومكان، وذلك لشمول قواعدها، وإحكام أحكامها، والاعتقاد بجواز تغييرها هوانتقاص لها، ووصفها بالقصور عن الوفاء باحتياجات العصور، والأماكن المختلفة، وعدم التمام والكمال وهذا تكذيب بآيات القرآن التي وصفت الشريعة بالكمال والإحكام. قال تعالى ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ، وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالتَّطْيِحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ۚ ذَلِكُمْ فِسْقٌ ۗ الْيَوْمَ يَبْسُ الدِّينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ ۗ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ۗ فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ ۗ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝﴾^(١) فقول الله ورسوله هما الحق الثابت الذي لا يتغير ولا يتبدل، وقد ختم الله سبحانه شرائعه بهذه الشريعة التي أرسل بها نبيه، فأحكمها سبحانه، فهي موصوفة بصفة الثبات والبقاء.^(٢)

وحكى الغزالي في المستصفى، الإجماع على ذلك فقال "السلف من الأئمة مجمعون على دوام التكليف إلى يوم القيامة، ولا يتحقق ذلك إلا بثبوت الشريعة، وسلامتها من التغيير والتبديل، وإلا فإنها لتغيرت وتبدلت لانقطع التكليف بها"^(٣) وخالفوا أقوال العلماء وهي كثيرة، ويتبين منها أن ثبات الأحكام والشريعة، كان فهماً للسلف والصحابة والتابعين، وكانت عقيدة يدعون إليها، ويربون عليها الأمة، ومن هذه الأقوال قول الإمام الشافعي الذي ذكره الشاطبي بمعناه في الاعتصام فقال: "إن الوقوف عند الفهم الصحيح للإسلام، كتاباً وسنة تصديق بالوحي وقوة في الدين. إن على المسلمين أن يعتقدوا أنه ليس لأحد أن يغير أو يبدل من أحكام هذه الشريعة، من فعل ذلك ساء مصيره، واتبع غير سبيل المؤمنين، فعليهم أن يتبرؤا منه لأنه سلك طريقاً غير طريقهم وأتبع منهجاً غير منهجهم" يجب عليهم أن يعتقدوا أنه ليس لأحد منهم أن ينظر فيما خالفها ومن فعل ذلك اتبع غير سبيل المؤمنين فالكليات قد ثبتت واستقرت، سواء في الضروريات، أو الحاجيات، أو التحسينات، وكذلك الجزئيات، ولكن فقد وجد العلمانيون أن تغيير الأحكام بتغيير الزمان والمكان، أكبر معول لهدم الشريعة من داخلها، وبلسان علمائها فاستمسك العلمانيون بآراء رجال المدرسة العقلية في القاعدة السابقة، وكرروا استدلالاتهم، واستخرجوا بعض الوقائع الأخرى التي شهدها الواقع الإسلامي لتدعيم رأيهم، هذه الوقائع منع عمر بن الخطاب لسهم المؤلفة قلوبهم المذكور في آية الصدقة في سورة التوبة رغم أنها لم تنسخ^(٤)

وراحوا يدعون أن الصحابة رضوان الله عليهم قاموا بتغيير الأحكام الشرعية، وقالوا إن الصحابة عملوا بالمصلحة والحكمة، ولم يسيروا وراء الأوصاف الظاهرة بل اتبعوا وجوه الرأي من غير التفات إلى الأصول، وأنهم

(١) سورة المائدة آية ٦.

(٢) أحكام القرآن / ج ٢ ص ٣.

(٣) المستصفى للغزالي ج ١/ ١٨٨.

(٤) استدلل بها نصر أبوزيد في أكثر من موضع كتبه، وكذا د شحرور ومعظم العلمانيين.

منعوا العمل ببعض الأحكام وخالفوا قول رسول الله ﷺ، حيث غيروا بعض الأحكام لتغير المصالح، واشتهر ذلك بينهم فكان إجماعاً. (١)

يقول د نصر أبوزيد: "أوان المراجعة والانتقال إلى مرحلة التحرر لا من سلطة النصوص وحدها بل من كل سلطة تعوق مسيرة الإنسان في عالمنا، علينا أن نقوم بها الآن وفوراً قبل أن يجرفنا الطوفان" (٢) ويقول في موضع آخر "إن حل مشكلات الواقع إذا ظل معتمداً على مرجعية النصوص الإسلامية يؤدي إلى تعقيد المشاكل" (٣)

ويقول: "إذا كان مبدأ تحكيم النصوص يؤدي إلى القضاء على استقلال العقل وتحويله إلى تابع يقتات بالنصوص ويلوذ بها ويحتمي، فإن هذا ما حدث في تاريخ الثقافة العربية الإسلامية" (٤) ويقول د حسن حنفي مهمة التراث والتجديد "التحرر من السلطة بكل أنواعها سلطة الماضي وسلطة الموروث فلا سلطان إلا للعقل ولا سلطة إلا لضرورة الواقع" (٥) ثم تجاوزوا حدود عمل الصحابة بزعمهم إلى أدعاء جواز التغيير في كل الأحكام الشرعية العملية والاعتقادية.

ادعاء جواز تغيير معاني القرآن عمومًا، حتى ما لا يخص الأحكام منها حسب الزمان والمكان. ادعاء بعضهم بأن العبرة بخصوص السبب وليس بعموم اللفظ (تاريخية الأحكام الشرعية) (٦) وهم في ذلك قد أغفلوا أن الصحابة رضوان الله عليهم، كانوا أشد الناس اتباعاً لأوامر الله والنبي في هديهم وسمتهم، وما يربون عليه الأمة، والأخبار في ذلك مما استفاد شهرة، وهم بعد ذلك رواة الأحاديث التي تنهى عن التغيير والتبديل في دين الله، وكل واقعة حدثت وسجلها التاريخ، وكان فيها ما يخالف ذلك الهدى ظاهراً لها من التفسير والتعليل ما يكشف عن عمق الفهم ودقة التحقيق عند تطبيق الأحكام. والنص الوارد في القرآن، هو لم يبدل ولم يغير، فمن أعطى المؤلف قلوبهم كما فعل رسول الله فقد أعمل الآية ولا تغير ولا تبديل. (٧) فالآية ثابتة إلى يوم القيامة والتطبيق حسب الواقعة والحال فأين التبديل والتغيير للحكم (٨)

(١) يكثر العلمانيون من ذكر هذه الوقائع مثل د نصر أبوزيد والمستشار.

(٢) الإمام الشافعي وتأسيس الأيدلوجية الوسطية _ص ١٤٦، سينا للنشر سنة ١٩٩٢م، وهذا قد نشرته مجلة الشعب بتاريخ ١٦/٤/١٩٩٣ في تقرير د محمد البلتاجي عميد كلية دار علوم وأستاذ الفقه وأصوله - عن كتابات د نصر أبوزيد الإمام الشافعي مع ما ذكره الدكتور البلتاجي عن هجوم عنيف من د نصر على الإمام الشافعي وكذب على أبوحنيفة وتحقير للصحابة واتهامهم بالعصبية.

(٣) النص السلطة، الحقيقة نصر حامد أبو زيد. اللغة : العربية. دار النشر : المركز الثقافي العربي. سنة النشر : ١٩٩٠ (ص ١٤٤)

(٤) نقد الخطاب الديني نصر حامد أبو زيد _ص ٢٧.

(٥) انظر التراث والتجديد لحسن حنفي _ص ٤٥.

(٦) انظر التراث والتجديد لحسن حنفي _ص ٤٥.

(٧) الثبات والشمول في الشريعة لعابد السفياي _ص ٤٦٩.

(٨) تنوير الحالك، شرح الموطأ (٢/٢٢٠)

فالشرع قد اشترط لوجوب القطع شروطاً فإذا تحققت الشروط وجب الحد وإذا تخلف أحدها لم يجب^(١) وعلى كل شرط دليل شرعي فترك القطع لم يكن سببه تعلق عمر بمصلحة أودفع مفسدة أو اتباعاً لحكم العقل بل سببه مراعاة لنصوص أخرى وردت في السنة قال الشاطبي في هذه المسألة "إن الحادثة التي تغير حكمها، إما أن تكون هي عند تغير الحكم بجميع خصائصها، والحيثيات التي نكتنفها وإما أن تختلف في طبيعتها، لتصبح حادثة جديدة. فإذا كانت الحادثة مع اختلاف الأزمان، فلا يمكن تغير حكمها إلا بالقول بالنسخ، ولا سبيل إلى ذلك.

وإما أن تكون الحادثة في الواقعة الجديدة غير الحادثة في الزمن القديم واختلاف حكمها، حينئذ لا يقال له نسخ ولا تغيير، وإنما هو اختلاف وقائع وتحقيق مناهج^(٢) فالكليات قد ثبتت واستقرت سواء في الضروريات أو الحاجيات أو التحسينات وكذلك الجزئيات.

ومن الإنصاف القول بأن موقف الشيخ محمد رشيد رضا كان مضطرباً فبينما نقل عنه آراء موافقه لقول شيخه كما سبق إلا إن المتتبع لأقواله في تفسير المنار يجد موقفاً مغايراً فتراه يفسر قوله تعالى حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وما أَهْلَ لِعَيْبٍ اللَّهُ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُودَةُ وَالْمُتَرَدِّيةُ وَالنَّطِيحَةُ وما أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا ما ذَكَّيْتُمْ وما ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ۚ ذَلِكُمْ فِسْقٌ ۗ الْيَوْمَ يَبْسُ الدِّينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تُخْشَوْهُمْ وَاحْشَوْنِي ۗ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ۚ فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ ۖ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ" بثبات أحكام الحلال والحرام والعقائد، وأنها ليست من مجالات الاجتهاد الذي خصه بما ليس فيه نص، وترى له قول يصرح فيه بعدم تغير الصراط المستقيم بتغير الزمان، فيقول "إن الله تعالى جعل الإسلام صراطه المستقيم ليكون وسيلة للسعادة الدنيوية والأخروية، ولما كانت الأمور الروحية التي تنال بها سعادة الآخرة، لا تختلف باختلاف الزمان والمكان أتمها الله تعالى وأكملها أصولاً وفروعاً، وقد أحاطت بها النصوص.

فليس لبشر بعد الرسول أن يزيد فيها، ولا أن ينقص منها شيئاً، وأما الأمور الدنيوية فلما كانت تختلف باختلاف الزمان والمكان بين الإسلام أهم أصولها، وما مست إليه الحاجة في عصر التنزيل من فروعها، وما جاءت به النصوص من ذلك يتفق مع مصالح البشر في كل زمان ومكان، ويهدي أولي الأمر لإقامة الميزان والعدل"^(٣)

وهذا إما يدل على الاضطراب بين الحق والباطل، أو يدل على مخالفته لشيخه بعد وفاته وعودته لمنهج السلف في كثير من المسائل، وهذا هو الأرجح، لأنه قد صرح بهذا في مواضع من المنار.

الثالث: علاقة المدرسة العقلية بالماسونية:

(١) المغني (١٣٦/٩)

(٢) ولمزيد من الشرح يرجع إلى كتاب الثبات والشمول لعابد السفياي وتغير الأحكام للدكتور إسماعيل كوكسال.

(٣) تفسير المنار (١٤١/٧)

ومن لا يعرف الماسونية صنيعة الصهيونية العالمية، التي تسعى إلى القضاء على الأديان تحت شعارات براقية حرية مساواة إخاء. جاء في البروتوكول الثالث من (بروتوكولات حكماء صهيون): ونحن على الدوام نتبنى الشيوعية ونحتضنها متظاهرين، بأننا نساعد العمال طوعا، لمبدأ الأخوة والمصلحة العامة للإنسانية، وهذا ما تبشر به الماسونية الاجتماعية^(١)

وفي البروتوكول الرابع "أن المحفل الماسوني المنتشر في ظل أنحاء العالم ليعمل في غفلة كقناع لأغراضنا، ولكن الفائدة التي نحن دائبون على تحقيقها من هذه القوة في خطة علمنا وفي مركز قيادتنا، ما تزال على الدوام غير معروفة للعالم كثيرا^(٢). وفي البروتوكول التاسع "أن الكلمات التحريرية لشعارنا الماسوني، هي الحرية والمساواة والإخاء، وسوف لا نبدل كلمات شعارنا بل نصوغها معبرة ببساطة عن فكره، وسوف نقول حق الحرية، وواجب المساواة، وفكرة الإخاء، وبها سنمسك الثور من قرنيه، وحينئذ نكون قد دمرنا في حقيقة الأمر كل القوى الحاكمة إلا قوتنا، وإن تكن هذه القوى الحاكمة نظريا، ما تزال قائمة^(٣) وفي البروتوكول الخامس عشر "وإلى أن يأتي الوقت الذي نصل فيه إلى السلطة، سنحاول أن ننشئ ونضاعف خلايا الماسونيين الأحرار في جميع أنحاء العالم، وسنجذب إليها كل من يصير أو من يكون معروفا بأنه ذو روح عامة وهذه الخلايا ستكون الأماكن الرئيسية التي سنحصل منها على ما نريد من أخبار كما أنها ستكون أفضل مراكز الدعاية.^(٤)

وإذا كانت الماسونية صنيعة الصهيونية العالمية، فإن أهداف الصهيونية لا أخالها، تخفى هدم الأديان والسيطرة على العالم بأكمله، والتحكم في سياسته واقتصاده وشعبه، وفق مصالح اليهودية العالمية، وتسخير كل القوى وسلوك كل الطرق مهما كانت ملتوية. ولا شك أن الماسونية إحدى تلك السبل التي سلكوها إلى هذا الهدف وجعلوها ذرا للرماد في العيون، تحت شعار حرية مساواة إخاء، وهي في الحقيقة قيدية طبقية عدا. إلا أن السيد الأفغاني قدم في ٢٢ ربيع الثاني ١٢٩٢ هـ طلبا للانضمام إلى المحفل الماسوني: يقول "بأني أرجو من إخوان الصفا وأستدعي من خلان الوفاء أعني أرباب المجمع المقدس الماسوني، الذي هو عن الخلل والزلل، مصون أن يمنوا علي ويتفضلوا علي بقبولي في ذلك المجمع المطهر وبإدخاله في سلك المنخرطين، في ذلك المنتدى المفتخر ولكم الفضل" ربيع الثاني يوم الخميس ٢٢ سنة ١٢٩٢ هـ التوقيع لم ينسحب من المحفل، بل كان من الأعضاء البارزين ذوي النشاط فيه، ولذا تم اختياره بعد سنوات ثلاث رئيسا للوج كوكب الشرق بتاريخ ٧ مايو ١٨٧٨ م بأغلبية الآراء، ووجهت له دعوة بهذا التاريخ لإستلام القادوم، بعد إتمام ما يجب من التركيز الاعتيادي، والحضور بالزي الرسمي الماسوني الأسود، ورباط الرقبة والكفوف بيضاء ولم يكتف السيد الأفغاني بل ازداد نشاطه في ميدان الماسونية فاعتزل هذا

(١) الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون محمد خليفة التونسي (ص ١٢٧)

(٢) الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون محمد خليفة التونسي (ص ١٣١)

(٣) الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون محمد خليفة التونسي (ص ١٤٤)

(٤) الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون محمد خليفة التونسي (ص ١٧٣ - ١٧٤)

المحفل الاسكتلندي وأنشأ محفلاً وطنياً تابعاً للشرف الفرنسي وفي برهة وجيزة بلغ عدد أعضائه العاملين أكثر من ثلاثمائة^(١)

ولم يزل يبذل جهوده في هذا الميدان حتى صدر الأمر بنفيه في ٦ رمضان سنة ١٢٩٦هـ ٢٤ أغسطس ١٨٧٩م وجاء في القرار أنه رئيس جمعية سرية من الشبان ذوي الطيش مجمعة على فساد الدين والدنيا. وكتب إلى بعض الشخصيات من غير أن يذكر اسماً يستنجد بها مما حل به ويزعم أنه مظلوم فيما نسب إليه^(٢)

ونفي من بعده تلميذه وأحد أعضاء محفله الشيخ محمد عبده ووجد في منزله كتاب (الماسون) بخط السيد الأفغاني كما اعترف بهذا الشيخ نفسه في خطاب منه إلى أستاذه الأفغاني ولم ينقطع نشاط السيد الأفغاني الماسوني بعد نفيه من مصر، فإن التاريخ يحدثنا أنه في جمادى الأولى سنة ١٣٠٣هـ سافر السيد إلى البلاد الإيرانية، بدعوة من الشاه ناصر الدين، فنال مكانة سامية وتزاحم حوله الأمراء والمجاهدون والكبراء وتمكن من نظم كثير منهم في سلك الماسونية.

وكان له نشاط ماسوني في فرنسا أيضاً حيث قدم طلباً للعضوية في اللوج بريس وتم قبوله. وإذا ثبت بما لا يقبل الشك انتماء السيد الأفغاني للماسونية، وثبت أن الماسونية وليدة الصهيونية العالمية وسبيل من سبلها لتحقيق أهدافها في هدم الأديان والسيطرة على العالم فإن الواجب تقصي الحقائق في سيرة الرجل الأفغاني والبحث عن حقيقة أهدافه. أما الزعم بأن الأفغاني كان مخدوعاً بمبادئ الماسونية الحرة المساواة الإخاء ولم يعرف حقيقتها وصلتها بالصهيونية لأن بروتوكولات، حكماء صهيون لم تنشر إلا بعد وفاته، فإنه زعم باطل ذلكم أن من الصحف من قامت بكشف حقيقة الماسونية آنذاك، فقد تصدرت جريدة (البشير الجزويتية) الصادرة في بيروت للماسونية ولم تغفل عن مهاجمتها وكشف أسرارها دواماً^(٣)

وقد تصدرت لهذه الجريدة صحف مصرية ماسونية مثل اللطائف والمقتطف والبيان والفلاح والنصح والمقطم، بردود كثيرة ودفاع عن الماسونية ومبادئها، مما ثبت وقوع مناقشات حادة في الصحف عن الماسونية وهذا يدعو إلى التأكد من صحة أهدافها قبل الانضمام إليها من كل شخص، فكيف بمن يريد الإصلاح وينتسب إليه.^(٤) فإن زعموا أن السيد لم يقرأ هذه الصحف، أو لم تصل إليه أعدادها سلمنا جدلاً، وقلنا قد صدر كتاب (الحقيقة الإسرائيلية) سنة ١٨٩١م أي قبل وفاة الأفغاني، بست سنوات، وجاء فيه الروح الماسونية هي نفسها الروح اليهودية، لا اختلاف في معتقداتها الأساسية، فأرواها متماثلة. وقبل وفاة الأفغاني بإحدى وثلاثين سنة أي

(١) خاطرات جمال الدين الأفغاني محمد المخزومي (ص ٢٠)

(٢) جمال الدين الأفغاني عبدالرحمن الرافعي (ص ٤٦ وانظر الصورة (رقم ١)

(٣) الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الإنجليزي سامي عزيز _ص/ ٣٠٩ .

(٤) الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الإنجليزي سامي عزيز (ص ٣٠٨ ٣١٨)

في سنة ١٨٦٦م صدر كتاب (السر المكنون في شيعة الفرماسون) أو (ماهية الفرماسونية على ما يشهد به أهلها وتدل عليه قوانينها وتنبئ به أعمالها) صدر في بيروت، وطبع كتاب مثله بالفرنسية، في السنة ذاتها وهي لغة يجيدها الأفغاني. وفي سنة ١٨٨٥م طبع كتاب (شيعة الماسونيين) بمطبعة الآباء المرسلين اليسوعيين وفي سنتي ١٨٨٤ و ١٨٨٥م نشر كتاب الأدلة القاطعة على شرف الرهبانية اليسوعية، وبيان كنه الشيعة الماسونية في جزئين، بمطبعة الآباء اليسوعيين، وفي سنة ١٨٨٥م صدر كتاب شيعة المسونيين، (بلا ألف بعد الميم) هو مجموع المقالات التي نشرتها البشير عن الماسونية.^(١)

فإن زعموا أنه لم يقرأ هذا ولا ذاك سلمنا وقلنا، قد اعترف أحد الماسونيين وهو جورج زيدان بوجود هؤلاء الأعضاء في المحافل الماسونية حيث يقول "فقد اتهم رجال الدين الماسونية بالكفر وأنها إنما تسعى لهدم أركان الدين وتشيت الفضيلة أما نحن فمع إجلالنا لهذه الجمعية عن هذه التهمة ومع يقيننا أنها براء منها، لا يسعنا الإنكار أن بين أعضائها أفرادا قليلين ربما تصح عليها تلك التهمة"^(٢) فإن زعموا أن هذا كله لا تقوم به حجة ولا يستقيم به برهان، سلمنا وقلنا خذوا القاضية القاسمة، أي شيء أراد الأستاذ محمد المخزومي تلميذ الأفغاني أن يخفيه عنه، حين قال أما انخرط جمال الدين في الماسونية فنختصره على قدر ما تسمح به الطريقة الماسونية.

وبعد دخول الأفغاني إلى المحفل الماسوني تغيرت، ثم لهجته في أحاديثه، وأخذ يقرب منه العوام لأي شيء يفعل هذا أتظنون أنه فعل ذلك ليوضح لهم ما يجهلون من أمور دينهم، ولينزع الخرافات والمعتقدات الزائفة من أذهانهم، والبدع والمنكرات من أفعالهم؟ كلا إنه يقرهم ليقول لهم إنكم معاشر المصريين، قد نشأتم في الاستعباد وريتم بحجر الاستبداد وتوالت عليكم قرون منذ زمن الملوك والرعاة حتى اليوم.

وبعد: فإن كان فيما ذكرنا من أدلة ما يثبت انتماء الأفغاني إلى الماسونية وظهور أثرها في أحاديثه وأقواله، فقد أنجلت حقيقة الرجل وإن كانت لا تكفي لإثبات ذلك، فإنها ولا شك أصابع تشير إلى الأفغاني بالآهام.

مناهج المدرسة العقلية

تمهيد:

يحاول بعض الكتاب والمفكرين في الوقت الحاضر، لإحياء فكر المعتزلة من جديد، بعد أن عفى عليه الزمن أو كاد فألبسوه ثوباً جديداً، وأطلقوا عليه أسماء جديدة مثل العقلانية، أو التنوير، أو التجديد، أو التحرر الفكري، أو التطور أو المعاصرة، أو التيار الديني، المستنير، أو اليسار الإسلامي، وقد قوى هذه النزعة التأثير بالفكر الغربي العقلاني المادي، وحاولو نصوص الشرعية وفق العقل الإنساني، فلجأوا إلى التأويل كما لجأت المعتزلة من قبل ثم أخذوا يتلمسون في مصادر الفكر الإسلامي ما يدعم تصورهم، فوجدوا في المعتزلة بغيتهم، فأنكروا المعجزات المادية،

(١) الماسونية بلا قناع أبو صادق (ص/ ٢٣٤)

(٢) الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الإنجليزي سامي عزيز ص ٣٠٨ عن تاريخ الماسونية جورج زيدان ص ٢٥١ ٢٥٣.

وما تفسير الشيخ محمد عبده لإهلاك أصحاب الفيل بوباء الحصبة، أو الجدري، الذي حملته الطير الأبايل إلا من هذا القبيل، وأهم مبدأ معتزلي سار عليه المتأثرون بالفكر المعتزلي الجدد، هو ذاك الذي يزعم أن العقل هو الطريق الوحيد للوصول إلى الحقيقة، حتى لو كانت هذه الحقيقة غيبية شرعية، أي أنهم أخضعوا كل عقيدة وكل فكر للعقل البشري القاصر. وأخطر ما في هذا الفكر الاعتزالي، محاولة تغيير الأحكام الشرعية، التي ورد فيها النص اليقيني من الكتاب والسنة، مثل عقوبة المرتد وفرضية الجهاد والحدود وغير ذلك، فضلاً عن موضوع الحجاب وتعدد الزوجات والطلاق والإرث إلخ وطلب أصحاب هذا الفكر إعادة النظر في ذلك كله، وتحكيم العقل في هذه المواضيع، ومن الواضح أن هذا العقل الذي يريدون تحكيمه هو عقل متأثر بما يقوله الفكر الغربي حول هذه القضايا في الوقت الحاضر ومن دعاة الفكر الاعتزالي الحديث سعد زغلول، الذي نادى بنزع الحجاب عن المرأة المصرية، وقاسم أمين مؤلف كتاب تحرير المرأة، والمرأة الجديدة، ولطفي السيد الذي أطلقوا عليه أستاذ الجيل، وطه حسين الذي أسموه عميد الأدب العربي وهؤلاء كلهم أفضوا إلى ما قدموا هذا في البلاد العربية. ولذلك ان المدرسة العقلية هي مدرسة لها مناهجاً معينة، تدور منها افكارها وهدفها، تحريف التعاليم الإسلامية، هم دائماً يفكرون في الأذى والتشويه، هم دائماً ينتقدون على الأحاديث صحيحة. ولا يخرج من ألسنتهم الخير، لذا فإن طرقهم الاستدلال وأساليبهم في التفكير مختلفة أيضاً، لكن لديهم بعض الأساليب والمناهج المحددة التي أحاول ان اذكرها.

ذكر أهم المناهج العقلانيين إجمالاً مما يلي:

أولاً: استخدام العقل وتقديسه:

حيث جعلوه المرجع الأصل العلم والوحي تابعاً له في الشرع عندهم، والتفقوا على أن العقل يستعمل في تطوير الشريعة، وأما ما نزل من عند الله ما هو نهائي قابل للتطوير. حسن حنفي^(١) يقول "العقل هو أساس النقل وكل ما عارض العقل يعارض النقل وكل ما وافق العقل يوافق النقل ويقول لقد احتمينا بالنصوص فجاء اللصوص" يعني أن النصوص ما تحمي ولا تفيد. وقال أيضاً "ما يهمننا روح العصر وما نهتم به هي مشاكل، ويدعو إلى نفي الأساطير الموجودة في الفكر الغيبي وأنه قصة آدم وحوى والملائكة والشياطين أنه جزء من الأدب الشعبي"^(٢) طبعاً هذا مثل بورقيبة الذي قال: إن قصة أصحاب الكهف من الأساطير عصا موسى، ومعجزات موسى من الأساطير الأولين، مثل ما قالوا كفار قريش وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً^(٣)

(١) حسن حنفي (٢٣ فبراير ١٩٣٥ - ٢١ أكتوبر ٢٠٢١) (هو مفكر مصري، وأستاذ جامعي يُعدّ واحداً من منظري تيار اليسار الإسلامي، وتيار علم الاستغراب، وأحد المفكرين العرب المعاصرين من أصحاب المشروعات الفكرية العربية.

(٢) التراث والتجديد: حسن حنفي، ص ١١٩ - ١٢٠

(٣) الفرقان ٥

ويقول ابن القيم رحمه الله "المعقولات ليس لها ضابط يضبطها ولا هي منحصرة في نوع معين، فإنه ما من أمة من الأمم إلا ولها عقليات تختص بها، فللفرس عقليات وللهند عقليات ولليونان عقليات وللمجوس عقليات وللصابئة عقليات، بل كل طائفة من هذه الطوائف ليسوا متفقين على العقليات بينهم الاختلاف وبينهم تباين بينهم تباين" (١)

ولذلك فإن العقل مثلاً أنت تقول، يقول لك: العقل الغربي الآن، هل العقل الغربي يتفق مع العقل الشرقي؟ يعني العقل الأوروبي يتفق مع العقل الصيني؟ والعقل الأمريكي يتفق مع العقل الهندي، العقليات الأمريكية مثل العقليات الهندية، العقليات الأوروبية مثل العقليات الصينية، وإلا في بينها اختلاف، فإذا جعلنا العقليات هي الأسس، فعقليات من؟ عقليات العرب عقليات من؟ ما هو المرجع؟ الداعون إلى تمجيد العقل، في الحقيقة هم عباد الأصنام وعباد العقل، وعقلهم ما هو واحد فهو مختلف، والوحي واحد والوحي لا يتغير ولكن أنتم الآن جعلتم صنماً سميتوه العقل وجعلتم تعبدونه من دون الله وتقولون: لازم كل شيء يجي من العقل والأحكام تجي من العقل، والأخبار الصحيحة من العقل والاعتقادات الصحيحة من العقل، وهكذا فصار الإنكار والتشكيك في أصول العقيدة والغيبيات، وصار إنكار الوحي الإلهي وكذا ألفاظ الجن والملائكة والشياطين والبعث والقيامة. (٢)

قال أبو المظفر السمعاني رحمه الله: "وعلم أن فصل ما بيننا وبين المبتدعة، هو مسألة العقل، فإنهم أسسوا دينهم على المعقول وجعلوا الإتياع للمعقول وأهل السنة قالوا: الأصل في الدين الإتياع والمعقول تبع، فالوحي هو القائد والعقل تابع، الوحي النص هو الإمام والعقل مأموم، ويمشي وراء النص" (٣)

ثانياً: اتباعهم منهج المعتزلة في ذم اهل الحديث:

من العلامات البارزة للعقلانيين تمجيدهم لمنهج المعتزلة والدفاع عنهم، والثناء عليهم بمناسبة وبغير مناسبة وتبني أفكارهم وآرائهم وأقوالهم، وفي الوقت ذاته الطعن واللمز بأهل الحديث والاستهزاء بهم والخط من قدرهم وتنفير الناس منهم واعتبارهم وصمة عار في جبين التاريخ الإسلامي والهجوم عليهم بمناسبة وبغير مناسبة ومن ذمتهم لاهل الحديث.

ثالثاً: عدم الوثوق بالأحاديث:

(١) الصواعق المرسلة: ٢٦ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية / ٢٧٤.

(٢) البقرة: ٣ .

(٣) الانتصار لأصحاب الحديث: منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت ٤٨٩هـ) تحقيق: محمد بن

حسين بن حسن الجيزاني. ٨١/١ .

يزعم بعض العقلانيين أن كثيراً من الأحاديث قد رويت بالمعنى مما يُضعف الوثوق بالأحاديث ومن صرح بذلك محمود أبو رية^(١) وقد ادعى أنه أجرى دراسةً مستفيضة وبذل جهداً كبيراً في سبيل الوصول لهذه الحقيقة فيقول "حتى انتهيتُ إلى حقائق عجيبة ونتائج خطيرة ذلك أني وجدت أنه لا يكاد يوجد في كتب الحديث كلها ممّا أسموه صحيحاً أو ما جعلوه حسناً، قد جاء على حقيقة لفظه ومُحكم تركيبه، كما نطق الرسولُ به ووجدتُ أنّ الصحيح على اصطلاحهم إنّ هو إلّا معانٍ ممّا فهمه بعض الرواة، وتبيّن لي أنّ ما يُسمّونه في اصطلاحهم حديثاً صحيحاً، إنّما كانت صحته في نظر رواة لا أنه صحيح في ذاته، ومن أجل ذلك جاءت أكثر الأحاديث وليس عليها من ضياء بلاغته صلوات الله عليه، إلّا شعاع ضئيل"^(٢)

وهذا لا شك محض افتراء من محمود أبو ري، فإنّ رواية الحديث بالمعنى بشروطٍ معروفةٍ في بابها، هو الذي عليه جمهور أهل العلم سلفاً وخلفاً.^(٣)

ومع ذلك فقد أثر عن كثير من الصحابة رضي الله عنهم التّشدد في رواية الحديث بلفظه خشية الوقوع في الخطأ، فكانوا يتحرّون ألفاظ النبي صلى الله عليه وسلم وأخبارهم في ذلك مشهورة معروفة وقد منّ الله تعالى عليهم بحواظ قوية، مكنتهم من ضبط ألفاظ الأحاديث، كما خرجت من فم النبي صلى الله عليه وسلم^(٤)

رابعاً: الفهم الخاص للقرآن:

قد يقول بعض العقلانيين: أنا أؤمن بالله عز وجل وأؤمن بالنبي عليه الصلاة والسلام وأؤمن بأن القرآن هو كلام الله لكن هذا القرآن فهمه أبو بكر رضي الله عنه بفهمه الخاص وفهمه الحسن البصري كذلك وأفهمه أنا بفهم خاص.

هذه من معضلاتهم وهذا دليل جهلهم فنصوص القرآن وما صح من السنة منها ثوابت ليست قابلة للجدل في نصها ومفهومها وليست محلاً للنقاش، ومنها نصوص هي عبارة عن قواعد للشرع، فتطبيق جزئيات الحياة على ضوئها يحتاج إلى اجتهاد المجتهدين، الذين يملكون القدرة على الاجتهاد، لأن النصوص يفسر بعضها بعضاً ويبين بعضها بعضاً ويخص بعضها بعضاً، وبعضها ناسخ وبعضها منسوخ فمن الذي يستطيع أن يميز بعضها عن بعض؟

خامساً: ليس لهم قاعدة في الاجتهاد:

(١) محمود أبو رية (١٣٩٠ - ١٣٠٧هـ / ١٨٨٩ - ١٩٧٠ م) شيخ مصري أديب، اشتهر بمراسلاته مع أديب العربية الكبير مصطفى صادق الرافعي، وموقفه المشكك في السنّة النبوية،

(٢) أضواء على السنة المحمدية، ص ٧.

(٣) انظر اختصار علوم الحديث مع شرحه الباعث الحثيث، ص ١٣٦ - مقدمة ابن الصلاح، ص ١٠٥.

(٤) عظمة السنة النبوية، (ص ٥٢، ٦٩) وكتاب الاتجاهات العقلانية المعاصرة أصولها ومناهجها لناصر العقل ج ١ / ص ١٦.

بمعنى أن فقهاء الإسلام كلهم عندهم قواعد في الاجتهاد منضبطة بضوابط الشرع وأما هؤلاء فليس عندهم قاعدة. ثم إننا لو تركنا كلاً يفسر القرآن برأيه فمعنى هذا أننا أسقطنا المرجعية الأساسية مرجعية الرسول صلى الله عليه وسلم الذي فسر القرآن بقوله وفعله وتقريراته، وكذلك الصحابة الذين أمر النبي صلى الله عليه وسلم بأن يكونوا قدوة، وكذلك سبيل المؤمنين فهذا عبارة عن خروجهم عن مقتضى الدين بحيلة، وإسقاط لثوابت الإسلام ونصوص الشريعة، لا شك في أن أكبر وسيلة مريحة لهم تقرب لهم سبيل الهدم هي أنهم يقولون: هذه النصوص ننظر إليها كما ينظر إليها الآخرون.

فنقول: نعم تنظرون إليها بشروط، فأنا مثلاً لست متخصصاً في الأدب، لأجرؤ على أن أتناول النقد الأدبي كما يتناولوه أصحابه، وكيف بالدين الذي له قواعد وأسس شرعية ثابتة رسمها القرآن ورسمها النبي صلى الله عليه وسلم ورسمها سلف الأمة فلماذا يتجاوزون التخصص في القول على الله بغير علم وهم من أكثر الناس حرصاً على أن لا ينقدوا في جوانب التخصصات الأخرى. إن الأديب لا يقتحم الطب ولو اقتحمه عابه أصحابه قبل الآخرين فلماذا يقال في الشرع الذي هو دين الله وله أسس ثابتة في الاستدلال بغير علم؟ كيف نأخذ بالنصوص؟ وكيف نستدل بها؟ وكيف نعرف النص الذي يستدل به والنص الذي لا يستدل به؟ إنها أمور يعرفها كل عاقل بفطرته فهم تجاوزوا الحق بدعوى أننا نجتهد كما يجتهد الآخرون^(١)

سادساً: شمولية الشريعة:

أن لهم موقفاً تجاه الصلة بين الدين والحياة، وتجاه شمولية هذه الشريعة، هم درجات لكن غالبهم لا يرون أن الدين يحكم جميع أمور الحياة.

سابعاً: منهج الاغلبية:

وهذا هو المنهج الذي هم عليه، لكن منهم أناس فيهم تدين، تأثروا بالفكر، ومنهم أناس يدارون الآخرين، ومنهم أناس يستصعبون إخراج المجتمعات مما ألفتته، فيأتون ويقولون: نحن نأخذ بعموم الدين لكن الدين مفاهيم عامة وقواعد، ونظم مشتركة، فدعونا من الجزئيات فيتصلون من الدين بهذه الدعوى، وأغلب هؤلاء من أصحاب الغفلة، بل الذين انخدعوا بهذا التوجه.

ثامناً: منهج التباين:

وهي فصل الدين عن الحياة جزئياً أو كلياً، كأنك تشير إلى أن أغلبهم يريدون فصل الدين عن الحياة. جزئياً أو كلياً، هذا هو الأصل عندهم وهذا هو المنهج، لكن يتفاوتون، لكن عندما ننظر الآن إلى نظرتهم لشمولية الشريعة، وأن

(١) الاتجاهات العقلانية المعاصرة أصولها ومناهجها لناصر العقل ج ١/ص ١٦، ١٧.

الدين لا بد له من أن يسود جميع نواحي الحياة، ألا يرى هؤلاء القوم من خلال معرفتك لهم حول هذا الموضوع والبحث في هذا الأمر، أن هذا يعد من الكفر، أي فصل الدين عن الدولة أو عن الحياة.

المشكلة أن هؤلاء لا يميزون بين الكفر وغير الكفر، وأغلبهم يتعاطف مع الكفار من حيث طرح مناهج الحياة أكثر من تعاطفه مع المسلمين، إن المسلمون عندهم مشاكل جعلت هذا الصنف يحكم على المسلمين من خلال مشكلاتهم ولا يفصل الدين عن واقع الناس فالناس انحرفوا وكثير من المسلمين انحرفوا فهو يحكم على الدين من خلال واقع الأمة، فمن هنا تجد ميله إلى الغربيين وميله إلى الكفار أكثر من ميله إلى المسلمين. كما أنهم ليس عندهم تمييز حدي بين الإسلام والكفر، ولا بين المسلم والكافر.

تاسعاً: منهج التأويل القصص القرآنية:

ومنهج الناس من القصص القرآني، إما منهج القائلين للروايات التي صحت عن القرون الخيرية من سلف الأمة وعليه المعتمد، أو منهج المؤولين للقصص، أو منهج القائلين بالتخييل، والتأويل وهو صرف الكلام عن مدلوله اللغوي إلى معنى آخر دون ما يدعو عليه المدرسة العقلية، ذلكم ما ذهب إليه الشيخ محمد عبده في تأويل قصة آدم في الجنة ومنه ندرك أن الإمام لم يصرح أن قصص القرآن منافية للواقع مخالفة للحقيقة، لكن هو وافقه في حمل القصة على غير ظاهر الفاظها، إلى معنى أو معان أخرى، لا يدل عليها ظاهر الكلام. وهو مذهب لم يذهب إليه الشيخ محمد عبده في هذه القصة فحسب، بل هو منهج سار عليه وبعض تلاميذه في معظم قصص وأخبار القرآن الكريم. ففي قوله تعالى: ﴿لَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾^(١) قال السيد رشيد رضا "ولا يشترط أن تكون القصة في مثل هذا التعبير واقعة، بل في القصص التمثيلية، إذ يراد شأن مثلها في وضوحه، أن يكون معلوماً" الآية ﴿فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا﴾ أي أمتهم بإمكان العدو منهم ثم ذهب في: فالأمر أمر التكوين لا أمر التشريع، أي قضت سنته خلقه بأن يموتوا بما أتوه مثله^(٢)

ويتلخص أبرز مناهج المدرسة العقلية المعاصرة:

١- رد السنة النبوية كل الرد أو بعضه، فمنهم من يردّها مطلقاً ومنهم من يقبل المتواتر العملي فقط، ومنهم من يقبل المتواتر مطلقاً عملياً كان أو قولياً. وأما حديث الآحاد الذي لم يبلغ حد التواتر، فقد يقبلون منه ما يوافق روح القرآن وما يتفق مع العقل أو التجربة البشرية، وقد يرده بعضهم مطلقاً، فلا يقبل منه شيئاً.

(١) البقرة: ٢٤٣.

(٢) تفسير المنار ١/ ٢٨٠ (٢٨٤) وانظر تفسير المراغي (٩٤/ ٩٦)

- ٢- التوسّع في تفسير القرآن والسنة على ضوء العلم الحديث لكافة جوانبه، ولو أدّى ذلك إلى إستحداث أقوالٍ مُجانبة، لتركيب الآيات والأحاديث من الناحية اللغوية وغير موافقة للمنقول عن السلف الصالح كما في تفسير محمد عبده وهو من أقطاب تلك المدرسة.
- ٣- ألتهوين من شأن الإجماع إما برفضه رفضاً كلياً، كما هو عند أحمد خان الهندي، وإما بوضع قيودٍ جديدة للإجماع كما هو عند محمد عبده وغيره.
- ٤- الحرية الواسعة في الاجتهاد مع غض النظر عن الشروط المطلوبة في المجتهد ومع غض النظر أيضاً عن الأطر العامة التي يجب أن تضبط هذا الاجتهاد.
- ٥- الميل إلى تضيق نطاق الغيبيات ما أمكن تأثراً بالتيار المادي، الذي يسود الحضارة المعاصرة ومن هنا جاء إقحام العقل في المسائل الغيبية وتأويل الملائكة والجن والشياطين.
- ٦- تناول الأحكام الشرعية العملية تناوياً، يستجيب لضغوط الواقع ومتطلّباته.^(١)

خلاصة معتقداتهم العقديّة:

- ١- الدفاع عن المعتزلة والثناء عليهم، كما يظهر ذلك من كتابات د محمد عمارة، ويقول د خالص جلي: "وعندما استقر الأمر للعقل الكسبيح وطحن التيار العقلاني من المعتزلة وسواهم، أصبح التشكيك في عقيدة الإنسان حتى اليوم يكفيها أن تنسب لهذا الخط الفكري ورسي مصير المعتزلة والاتجاه العقلاني في خانات الهرطقة، وبقيت الساحة عقلاً من دون مراجعة، ونقلاً من دون عقل.^(٢) كما اعتبر أحمد أمين صاحب المؤلفات التاريخية والأدبية "أن من أكبر مصائب المسلمين موت المعتزلة"^(٣)
- ٢- تمجيد الزنادقة والشخصيات المنحرفة، والدعوة إلى نشر تراثهم، يقول دكتور جلي منتقداً إعدام الحلاج الزنديق في العهد العباسي "كل المظالم وقعت باسم الشعب، وباسم أنشئت أجهزة الرعب، وأنه تحت بعض الشعارات تغتال الحقائق، فباسم الشعب في بغداد حكم على الحلاج بضرب ألف سوط ثم قطع لسانه وأطرافه.^(٤)
- ويشيد جودت سعيد عادة بالجاحظ وابن المقفع وهما من أئمة الزندقة والبدع، كما حكى العلماء فيقول "يزداد الإنسان إعجاباً بأقوال ابن المقفع حول الملك (السياسة) ويقول، والجاحظ له مقام في الحضارة الإسلامية يتألق نجمه على مرّ الزمن، كان يتذوق مع آيات الكتاب آيات الآفاق والأنفس، وهو وإن كان إماماً في الأدب إلا أنه صاحب مذهب في العقيدة أيضاً"^(٥)

(١) انظر: الفكر الإسلامي المعاصر غازي التوبة (ص ٤٠) مفهوم تجديد الدين بسطامي محمد سعيد ص ٥٠ ومنهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير فهد الرومي (ص ٨٠) موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية (ص ١٨٣)

(٢) المدرسة العصرية محمد بن حامد الناصر ص ٥١٣.

(٣) الموسوعة الميسرة ص ٧٨ نقلاً عن كتاب ضحى الإسلام.

(٤) المدرسة العصرية ص ٥١٥.

(٥) المصدر السابق ص ٥٢١-٥٢٣.

٣- الانتقاص من السلف الصالح، ومن أهل السنة وعلمائهم ومذهبهم، يقول الأستاذ البسيوني في بيان حال هؤلاء العصرانيين "وكلما كنت مستمسكا ومنافحا عن التراث مناديا بشمولية الإسلام كنت (سلفياً) وإن أعدى أعدائهم وعمى عيونهم في المناهج السلفية الاتباعية، وهي عندهم قرينة لخراب الدنيا ونذير بيوم تحل فيه الغمة"^(١)

وينتقص محمد عمارة من إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحمه الله ومن منهجه وأتباعه للسنة فيقول "ولقد بلغ من اتباع ابن حنبل للنصوص والمأثورات، ولها الحد الذي جعله لا يرجح بالرأي أو العقل أو القياس، مأثرة على أخرى، عندما تتعدد وتتضارب وتتعارض المأثورات في الأمر الواحد والقضية الواحدة، فكان يفتي بالحكمين المختلفين، لأن لديه مأثورتان مختلفتان في الموضوع"^(٢) ويطلب جودت سعيد بعدم اتباع السلف الصالح في منهجهم وتفكيرهم "قائلاً: على المسلم أن لا يضع الآباء المسلمين المتقدمين منهم والمتأخرين مكان القواعد والسنن مهما أحسن الظن فيهم ويقول: وربما كان ما أصيب به المسلمون من الجمود على رأي الآباء، أقوى من جمود غيرهم من الأقوام، لأن الآباء حلّوا محل الآيات سواء آيات الكتاب أو آيات الآفاق والأنفس"^(٣)

٤- تشويه تاريخ المسلمين وجهادهم وفتوحاتهم، والإساءة إلى كل الدول التي قامت بعد عصر الخلفاء الراشدين وفتوحاتها بل وطالت إساءاتهم حتى عصر الراشدين رضي الله عنهم فيعتبر د عمارة أن حروب الردة لم تكن دينية وإنما كانت في سبيل الأمر والسلطان والتوسع ويدّعي أيضاً أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان رائد التمييز بين السياسة والدين مع معارضة جمهور الصحابة له وأنه بنى الدولة الإسلامية على هذا التمييز^(٤) ويقول خالص جلبي "إن السيف الأموي في الأندلس، والمدفع العثماني في البلقان، يصلح تفسيراً لانحسار الإسلام عن أوروبا لأنه لم يكن انتشاراً على منهج النبوة بل اجتياحاً عسكرياً ونسبته إسلامياً"^(٥)

٥- الثناء على بعض المذاهب المنحرفة وإبراز الحركات الثورية والمتمردة التي تمرت على دول الخلافة الإسلامية وإظهار هذه الحركات في قوالب تميل إلى إظهار أصحاب هذه الحركات في ثياب الإبداع الحضاري والعطاء الإنساني، بينما وضع (أي الدكتور عمارة) مخالفهم في قائمة السلطوية أو الرجعية أو النصوصية.^(٦) ويرى د عمارة أن حركة الخوارج كانت التجسيد الحي لحرارة القيم الثورية التي جاء بها الإسلام، كما يرى أن حركة القرامطة كانت نزوعاً عربياً نحو إقامة كيان عربي يكتسب ملامحه القومية بمرور الأيام وأن جماعة الإخوان الصفا الإسماعيلية كانت حركتهم ثورية أنبتتها التربة العربية، كرد فعل للظلم الاجتماعي والسياسي وللإرهاب الذي شنته السلطات الإقطاعية ضد كل ما هو متقدم في الحياة. كما اعتبر د عمارة أن الاشتراكية هي التطبيق الأمثل للإسلام ويقول "إننا إذا شئنا أن

(١) العقلانية ص ٧٨.

(٢) تيارات الفكر الإسلامي د. محمد عمارة. دار الشروق - القاهرة. الطبعة الرابعة ٢٠١١ ص ١٣٧ ١٣٨.

(٣) المدرسة العصرية ص ٤٨٨ نقلاً عن كتاب حتى يغروا ما بأنفسهم.

(٤) المصدر السابق ص ١٢٩ نقلاً عن (المعتزلة وأصول الحكم والإسلام وقضايا العصر لعمار.

(٥) المدرسة العصرية ص ٤٦٠.

(٦) العقلانية للبسيوني ص ١٢٨ - ١٢٩.

نقوم هذه التجربة فلن نجد أكثر دقة ومطابقة للواقع من أن نقول عنها إنها محاولة جادة ومخلصة وعملاقة لتطبيق أفكار الاشتراكية^(١)

- ٦- إنكار بعض المعجزات النبوية وكرامات الصالحين وبعض الغيبيات، أو تأويلها تأويلاً يأباه النص كموقفهم من نزول المسيح عيسى عليه السلام، والملائكة والجن والطير الأبايل وظهور الدجال في آخر الزمان^(٢) وما تفسير الشيخ محمد عبده لإهلاك أصحاب الفيل بوباء الحصبة أو الجدري الذي حملته الطير الأبايل إلا من هذا القبيل^(٣)
- ٧- تمجيد الحضارة الغربية ومفكرها، وبعض النظريات الوضعية: يقول د خالص جلبي "حضارة الغرب اليوم ليست مادية فقط كما ندعي، ونحن لسنا في حضارة روحية تحلق في السماء، فكل حضارة تقوم على مجموعة من القيم والحضارة الغربية (اليوم) لا تخرج أو تشذ عن هذا القانون"^(٤) وينقل جودت سعيد عن المؤرخ توينبي (في كتاب تاريخ البشرية) قوله: في فترة لا تتجاوز خمسة أجيال فقط ظهر خمسة من كبار الحكماء في العالم القديم (زرادشت بوذا كونفوشيوس فيثاغورس وإشعيا الثاني أحد أنبياء بني إسرائيل، ويعلق جودت سعيد على كلام توينبي السابق ويقول: ولا يزالون حتى اليوم يؤثرون في الإنسانية مباشرة أكثر من أي كائن بشري حي)^(٥)
- ٨- تبني مذهب الألعنف الذي يعني ضمناً إلغاء الجهاد والاقتصار على الوسائل السلمية في مواجهة الظلم ويعتبر جودت سعيد أبرز الدعاة لهذا المبدأ وكذلك تلميذه خالص جلبي وهما دائماً الإشادة بالزعيم الهندي غاندي ومنهج في تجنب محاربة الاستعمار البريطاني للقارة الهندية.

يقول خالص جلبي: لقد أدرك غاندي بالتجلي العبقري والروح السلمية، أنه لن يقود شعبه لمواجهة خصمه قبل أن يحرره من المرض النفسي الداخلي عندما غادر البريطانيون شبه القارة الهندية، ودّعوها أصدقاء بدون كراهية وكان استقلال الهند نموذجاً عجيباً من الوداع الحبي أو على حد تعبير غاندي يومها: أيها السادة حان وقت رحيلكم وما زالت الهند تنعم بشيء من روح الديمقراطية وكله من بقايا روح المهاتما غاندي العظيمة^(٦)

آراء المدرسة العقلانية الاعتقادية جملة

تمهيد:

مما لا شك فيه أنّ المدرسة العقلية مدرسة كبيرة ومُتشعبة ونحن حين نتحدث عنها أو نُعارضها فيما ذهبنا إليه من آراء أو فيما تبنت من أفكار إنما نُحاكمُ فكرنا وننتقد رأياً ولا علاقة لنا بشخص من نطق به أو تبناه إنّ أصحاب

(١) المصدر السابق ص ١٢٩ نقلاً عن كتاب فجر اليقظة القومية.

(٢) مقالات في المذاهب والفرق عبد العزيز بن محمد بن علي العبد اللطيف ص ٨٣-٨٢ وانظر أيضاً العقلانيون ومشكلتهم مع أحاديث الفتن المبارك البراك.

(٣) الموسوعة الميسرة ص ٧٧.

(٤) المدرسة العصرية ص ٢٣٨ - ٢٣٩ نقلاً عن سيكولوجية العنف.

(٥) المصدر السابق ص ٢٦٥ نقلاً عن كتاب اقرأ وربك الأكرم.

(٦) المصدر السابق ص ٣٤٤ - ٣٤٥ نقلاً عن مقال في صحيفة الرياض السعودية.

هذا الاتجاه ليسوا على نمط واحد وليسوا على خط واحد من حيث: المطلقات والآليات والأهداف فمنهم: من يتبنى الفكر الإسلامي ولا يرضى به بديلاً ولكنه في خضم سعيه إلى ذلك أخطأ في بعض الآراء والرؤى التي أقحم فيها العقل ربما لقلّة بضاعته في الحديث وعلومه وربما رغبة في ردّ مزاعم وافتراءات ضدّ الإسلام ومنهم: من يغيّص في هذا الفكر من منبت شجره حتى أخصّص قدميه ولا نشك في دينه ولا في نيّته وإنما نرد عليه ردّاً علمياً بعيداً عن أيّ تصوّر مسبقٍ وبعيداً عن الشخصنة المقيّنة للأشخاص ينتهون وتبقى الأفكار لذا كان التركيز على الفكرة لا الشخص. إنّ هؤلاء جميعاً تجمع بينهم قواسم مشتركة مثل غلوهم في تعظيم العقل وقولهم بتقدمه على الثقل عند توهم التعارض ونحو ذلك (وسوف أذكر بعض آراءهم العقدية المتوافقة مع القرآنية في المبحث الثالث القادم لهذا الفصل) أما الآن فأذكر أبرز رجالاً اتّهاباً لاختصار، وهم ما يلي:

أبرز الرجال في شبه القارة الهندية:

الاول: جمال الدين الافغاني:

اسمه: هو جمال الدين بن صفدر الحسيني الأفغاني، وصفدر لفظ فارسي من ألقاب الإمام علي رضي الله عنه عند الشيعة ومعناه مقتحم الصف، وقد حرف هذا الاسم من كتبوا ترجمته بالعربية فقالوا صفتر^(١) زعم تلميذه الشيخ محمد عبده أن نسبه ينتمي إلى السيد علي الترمذي المحدث المشهور ويرتقي إلى سيدنا الحسين بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه^(٢) وقال بهذا الزعم أيضاً مصطفى عبدالرازق^(٣) ومن سمى نفسه بالمؤرخ الكبير عبدالرحمن الرافعي^(٤) وقال به أيضاً تلميذه محمد المخزومي وغيرهم^(٥) ولم أجد في كتب الحديث وعلومه من يسمى علي الترمذي وينمي نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب سواء كان هذا المحدث مشهوراً. ثم أي علاقة بين الترمذي وهو من خراسان وبين الحسين بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه وهو من مكة، لذلك فلا عجب، أن يكتب أبو الهدى الصيادي من الآستانة إلى السيد رشيد رضا قائلاً "أني أرى جريدتك طافحة بشقاشق المتأفغن جمال الدين الملفقة، وقد تدرجت به إلى الحسينية التي كان يزعمها زورا وقد ثبت في دوائر الدولة رسمياً أنه ما زندياري من أجلاف

(١) مصطفى عبدالرازق في ترجمته لجمال الدين الأفغاني بصدر مجلة العروة الوثقى (ص ١٧)

(٢) تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده للسيد محمد رشيد رضا (٢٧/١)

(٣) مصطفى عبدالرازق في ترجمته لجمال الدين الأفغاني بصدر (مجلة العروة الوثقى (ص ١٧)

(٤) جمال الدين الأفغاني للمؤرخ الكبير عبدالرحمن الرافعي (ص ٥)

(٥) خاطرات جمال الدين الأفغاني للشيخ محمد المخزومي (ص ٧)

الشيعة^(١) ثم نقول بعد هذا أي فضل للرجل بهذا النسب عند من دينه، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ الحجرات/ ١٣ . وخوطب نبيه بقوله تعالى ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ الشعراء: ٢١٤

مولده:

ولد سنة ١٢٥٤ هـ ١٨٣٨م هناك خلاف في مكان مولده، هل ولد في أسعد آباد قرية من قرى كير من أعمال كابل في أفغانستان، أو في أسد آباد قرب همدان إحدى مقاطعات إيران، فيكون إيرانيا لا أفغانيا وإنما أثر أن ينسب نفسه كما قال بروكلمان^(٢) إلى أفغانستان لأسباب سياسية أو أن والده ضابط إيراني، أوفدته حكومته إلى بلاد أفغان فتزوج هناك.^(٣)

ولا أحسب أن للبحث عن أصل الرجل أهمية إذا ما حسنت عقيدته وصفت سيرته واستقامت سيرته ولكن قد يلزم البحث عن هذا إذا كان ذلك الرجل هو الذي أراد تسمية أصله ونسبة نفسه إلى غيره مع غموض في اتصالاته وعلاقته وأنشطته، إذن فيجب على الباحث بيان أمور ثلاثة نراها بارزة في نسبة الرجل وأصله. أولها: أن اسم والده صفدر وهو لفظ فارسي من ألقاب الإمام علي رضي الله عنه عند الشيعة ولا يوجد إلا بين الشيعة^(٤) ثانيها: أنه لا صحة لانتسابه إلى الحسين بن علي رضي الله عنه من طريق علي الترمذي، وإنما انتحل هذا لإضفاء قداسة باطلة على شخصه. ثالثها: أنه إيراني لا أفغاني كما ينسب نفسه وسيوضح لنا هذا فيما بعد إن شاء الله وإنما نسب نفسه إلى أفغانستان لأسباب غير ظاهرة

نشأته:

لا نعرف مصدر التاريخ نشأة الرجل هذا، إلا ما تحدث به عن نفسه تلاميذه، فقالوا أنه لما بلغ الثامنة من عمره أجلسه والده لطلب العلم وعني بتربيته، فتلقى علوما، فمنها العلوم العربية وعلوم الشريعة وعلوم عقلية من منطق وفلسفة وعلوم رياضية ونظريات الطب والتشريح^(٥) واستكمل الغاية من دروسه في الثامنة عشرة من عمره ثم سافر إلى الهند فأقام بها سنة تعلم في خلالها شيئا من العلوم الأوروبية وأساليبه^(٦) وعرض له وهو في الهند أن يؤدي فريضة الحج فاتجه إلى مكة المكرمة وقضى نحو سنة يتنقل في البلاد ويتعرف أحوالها وعادات أهلها حتى واثى إلى مكة المكرمة سنة ١٢٧٣ هـ ١٨٥٧م وأدى الفريضة ثم عاد إلى بلاده ودخل في سلك رجال الحكومة على عهد الأمير دوست محمد خان وبعد وفاته تنازل أولاده في الإمارة، فانضم جمال الدين إلى محمد أعظم الذي أحله محل الوزير

(١) تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده للسيد محمد رشيد رضا (٩/١)

(٢) تاريخ الشعوب الإسلامية كارل بروكلمان (١٠٣/٤)

(٣) مصطفى عبدالرازق في ترجمته لجمال الدين الأفغاني بصدر (مجلة العروة الوثقى (ص ١٧)

(٤) مصطفى عبدالرازق في ترجمته لجمال الدين الأفغاني بصدر (مجلة العروة الوثقى (ص ١٧)

(٥) تاريخ الأستاذ الإمام للسيد رشيد رضا (٢٨ ٢٧/١)

(٦) العروة الوثقى مصطفى عبدالرازق (ص ١٩)

الأول ولكن النصر كان في النهاية حليف شير علي لتأييد الإنكليز له، فهرب محمد أعظم إلى إيران وبقي جمال الدين في أفغانستان، لم يمسه الأمير بسوء إلا أنه خشي الانتقام منه، فاستأذن للحج فأذن له فرحل إلى الهند سنة ١٢٨٥هـ ١٨٦٩م.

رحلاته:

رحلته إلى الهند: كان يريد من رحلته إلى الهند الإقامة بها، وقد كانت الهند تحت الإستعمار البريطاني فكانت دهشته عظيمة عندما رأى الحكومة الهندية تستقبله على الحدود استقبالا رسميا ليس له مبرر^(١) ولكنهم لم يسمحوا له بالإقامة الطويلة في الهند فمكث فيها نحو شهر ثم سيرته على حسابها في أحد مراكبها إلى السويس ١٢٨٦هـ ١٨٧٠م.

في الآستانة: سافر إلى الآستانة سنة ١٢٨٧هـ ١٨٧٠م. لما وصل إلى الآستانة أقام بها، فعينه أكابر الوزراء عضوا في مجلس المعارف^(٢)

وفي رمضان سنة ١٢٨٧هـ ألقى خطابا في دار الفنون في الحث على الصناعات شبه فيه المعيشة الإنسانية ببدن حي وأن كل صناعة بمنزلة عضو منه، فشبه الملك بالمخ والحدادة بالعضد والزراعة بالكبد والملاحة بالرجلين وغير ذلك ثم قال: ولا حياة لجسم إلا بروح وروح هذا الجسم إما النبوة وإما الحكمة، مما أهاج عليه شيخ الإسلام حسن فهمي أفندي وعددا من العلماء والوعاظ في المساجد محتجين على جمال الدين بأنه جعل النبوة صنعة وانتهى الأمر بأن أشير على جمال الدين بالجلاء عن الآستانة.^(٣)

في مصر: فسافر إلى مصر في أول سنة ١٢٨٨هـ ١٨٧١م. كانت تلك أول زيارة له إلى مصر، فأقام بها أربعين يوما تردد فيها على الأزهر، واتصل به بعض طلبة العلم السوريين، فقرأ لهم شرح كتاب الأظهار فرحبت به الحكومة المصرية وأجرت له راتبا شهريا بلا عمل، وكانت إقامته في مصر، بالأنشطة العلمية والسياسية فألقى كثيرا من الدروس في الأدب والمنطق والتوحيد والفلسفة وعلم التصوف وأصول الفقه والفلك، حتى ذاع صيته واتصل بكبار القوم وانخرط في الماسونية، وكان له تأثير في سياسة البلاد وكتب في الصحف التي ساهم في إنشائها تارة تحت اسم مظهر بن وضاح وباسمه الصريح تارة أخرى^(٤)

في الهند: ١٢٩٦ ١٨٧٩م أقام في حيدر آباد عاما ألف خلاله رسالة في (الرد على الدهريين) بالفارسية ولما قامت الثورة العراقية في مصر نقل من حيدر آباد إلى كلكتا لاعتقاد الحكومة الإنجليزية أن له فيها يدا ثم أبيع له أن يسافر إلى حيث شاء فسافر إلى لندن فأقام بها أياما ثم سافر إلى باريز سنة ١٣٠٠هـ ١٨٨٣م.

(١) خاطرات جمال الدين الأفغاني محمد المخزومي (ص ١٠)

(٢) تاريخ الأستاذ الإمام عبده لمحمد رشيد رضا (١/ ٤٠)

(٣) تاريخ الأستاذ الإمام ٣١/ ٣٠

(٤) العروة الوثقى ص ٢١ السيد جمال الدين محمد بن صفدر الحسيني الأفغاني (المتوفى: ١٣١٥هـ)

في باريس: ١٣٠٠هـ - ١٨٨٣م: أقام في باريس ما يزيد عن ثلاث سنوات، عهدت جمعية العروة الوثقى له فيها أن ينشئ جريدة (العروة الوثقى) فاستدعى الإمام محمد عبده الذي كان منفيًا في سوريا فأصدرها الجريدة، وكان جمال الدين مديراً لسياستها ومحمد عبده رئيساً لتحريرها سنة ١٣٠١هـ - ١٨٨٤م، ولكن الجريدة لم تلبث إلا سبعة أشهر وأيام لمحاربة الاستعمار البريطاني لها ثم توقفت وعاد محمد عبده إلى سوريا ثم إلى مصر معتزلاً السياسة ومكث السيد في باريس متردداً بينها وبين لندن والتقى في باريس بالفيلسوف الأوربي رينان ثم دعاه ناصر الدين شاه إيران إلى طهران، فاتجه إليها سنة ١٣٠٤هـ - ١٨٨٧م.

في روسيا: كان له في روسيا نشاط صحفي، نشر كثيراً من المقالات عبر الصحف الروسية واجتمع بكبار العلماء والسياسيين، وقد مكن له نقده لسياسة الإنجليز، مكانة في روسيا حتى أن القيصر دعاه إلى قصره وتحادث معه طويلاً فراه منه ما راب ناصر الدين شاه فأوعز إلى موظفيه بطرده فاتجه إلى باريس سنة ١٣٠٦هـ - ١٨٨٩م.

في ميونخ: وفي طريقه إلى باريس التقى في ميونخ عاصمة ألمانيا، بالشاه ناصر الدين الذي طلب منه العودة إلى إيران، فاعتذر بذهابه إلى معرض باريس، فأصر عليه الشاه فذهب معه سنة ١٣٠٦هـ - ١٨٨٩م^(١).

في إيران: لما وصل إلى إيران، عاد الناس إلى الاجتماع به، وتلقي مبادئه وأفكاره وعهد إليه الشاه أن يسن ما يراه موافقاً لروح العصر من القوانين، فلما أطلع عليها الشاه، بعد ذلك رأى أن حكمه سيكون مقيداً فعاودته الشكوك والظنون في جمال الدين الذي شعر بهذا، فاستأذن بالذهاب إلى شاه عبدالعظيم قرب طهران فأذن له فتبعه جم غفير من العلماء، فخاف الشاه عاقبة ذلك فنأفه إلى خارج الحدود إلى البصرة سنة ١٣٠٨هـ - ١٨٩١م.

في البصرة: أقام فيها سبعة أشهر وإلى الكتابة فيها إلى أنصاره في فارس وآثار فيهم الحمية لخلع الشاه ناصر الدين غادر بعدها البصرة إلى لندره لندن سنة ١٣٠٩هـ - ١٨٩٢م.

في لندن: أقام فيها ثمانية أشهر موجهها همته إلى محاربة الشاه ناصر الدين وكان من المؤسسين لمجلة (ضياء الخافقين) وسلمه سفير تركيا في لندرا كتاباً من السلطان عبدالحميد يدعوه إلى الآستانة فسافر إليها سنة ١٣١٠هـ - ١٨٩٢م

نشاطه العلمية:

كما ذكرنا أولاً، بدأ السيد نشاطه العلمي في أفغانستان وواصل دراسته في الهند، هذا من ناحية التلقي، أما من ناحية التعليم، فقد بدأ أول ما بدأ في الهند عند خروجه في المرة الثانية، حيث ألقى بعض الدروس ولم تكن تلك الفترة من الكفاية بحيث يظهر أثرها واضحاً إذ لم يلبث سوى شهر واحد غادر بعدها إلى مصر، حيث لقي معه طلبة العلم في الأزهر من السوريين، فشرح لهم كتاب (الإظهار) وهو كتاب في النحو وكانت تلك الفترة كسابقتها، حيث غادر إلى الآستانة ثم عاد إلى مصر مرة ثانية، حيث ازداد نشاطه العلمي وبلغ أوجه فبدأ التدريس في الأزهر وقد كان يلقي فيه من الدروس ما أحفظ عليه بعض علماء الأزهر، فناظره أحدهم مناظرة أفضت إلى المنافرة، فترك

(١) خاطرات جمال الدين الأفغاني محمد المخزومي (ص ٣١)

الأزهر وانقطع للتدريس في منزله^(١) فقرأ من الكتب العالية في فنون الكلام والحكمة النظرية الطبيعية وعقلية وفي علم الهيئة الفلكية وعلم التصوف وعلم أصول الفقه الإسلامي^(٢)

نشاطه السياسي:

وقد بدأ السيد الأفغاني نشاطه السياسي في أفغانستان، حيث انضم على محمد أعظم ضد شير علي على ما أشرنا إليه في أول الترجمة، أما في مصر فقد وصلها الأفغاني في عهد الخديوي إسماعيل سنة ١٨٧١م، فبدأ الأفغاني أول ما بدأ ببث الوعي السياسي بين طلابه وكانوا يتناقلون ما يقول بينهم فاستيقظت مشاعر وانتبهت عقول وخفحجاب الغفلة في أطراف متعددة من البلاد وسرى هذا الشعور إلى بعض الجرائد واستحدثت أخرى فتنافس الكتاب وكثر أرباب الأقلام^(٣) ومنذ ذلك الحين طارت الشرارة الأولى من شرارات الثورة العراقية، وقد بذل السيد جمال الدين كل ما في وسعه للقضاء على الخديوي إسماعيل لإتفاقه مع ولي عهده توفيق باشا على الإصلاح، إذا صار الأمر إليه بل ووصل الأمر إلى تدبير خطة لإغتياله لم تنفذ، كما يقول محمد عبده لعدم وجود الشخص الذي يتكفل بذلك وأشار إلى هذا بلنت في تاريخه السري لاحتلال إنجلترا مصر واعتراف بهذا الإمام نفسه.^(٤)

وانتهى نشاط الأفغاني السياسي في مصر بعد أن تنازل الخديوي إسماعيل لتوفيق باشا الذي تنكر لجمال الدين وأمر بنفيه، ثم ظهر نشاطه السياسي مرة أخرى في باريس التي أنشأ فيها مجلة (العروة الوثقى) فجعلها منبرا لمحاربة الاستعمار البريطاني بحماس شديد

نشاطه الصحفي:

كان السيد جمال الدين يكره الكتابة ويتناقلها فلم يكن له عناية بالتأليف ووجه عنايته فيما يريد تدوينه إلى الصحف فكانت معظم كتاباته في الصحف والمجلات^(٥) وقد كان للسيد جمال الدين نشاط كبير في إنشاء عدد من الصحف في مصر وغيرها فكان أول عهد بالصحافة في مصر، حيث كان له اليد الطولى في إنشاء صحيفة (مصر) الأسبوعية، التي ظهرت سنة ١٨٧٧م وعهد بإدارتها إلى أديب إسحاق، ثم أوعز إلى أديب بنقلها من القاهرة إلى الإسكندرية لتكون أقرب لاصطياد الأخبار، ثم أوعز لأديب إسحاق وسليم نقاش بإنشاء جريدة (التجارة) سنة ١٨٧٨م. وساعدهم الأفغاني بالكتابة في هاتين الصحيفتين باسمه الصريح تارة وباسم مظهر بن وضاح تارة أخرى وأمر تلاميذه بخدمة هاتين الصحيفتين قلما وسعيا^(٦) ثم ساعدهم في إنشاء صحيفة (مرآة الشرق) وقد تولاهما سليم العنجوري

(١) تاريخ الأستاذ الإمام (٤٠/١)

(٢) تاريخ الأستاذ الإمام (٣٢/١)

(٣) تاريخ الأستاذ الإمام للسيد محمد رشيد رضا (ص ٣٧ ٣٨)

(٤) التاريخ السري لاحتلال إنجلترا مصر المستر بلنت وراجع ووافق على ما فيه الشيخ محمد عبده ص ٥٩.

(٥) تاريخ الأستاذ الإمام (٤٩/١)

(٦) تاريخ الأستاذ الإمام (٤٥/١)

فكانت هذه الصحف طوع إشارة الأفغاني ولعل سليم العنجوري أراد أن يتخلص من هذا الأسار فعزله الأفغاني وأسندها إلى إبراهيم اللقاني الذي أصدرها على إشارة الأفغاني^(١)

ثم انتقل نشاطه بعد نفيه من مصر إلى فرنسا حيث أنشأ هناك (العروة الوثقى) بتكليف من جمعية بهذا الاسم وهي جمعية ذات فروع في مصر والهند وغيرهما من أقطار الشرق^(٢) وتولى إدارة سياستها وأسند تحريرها إلى تلميذه محمد عبده وصدر أول عدد منها في يوم الخميس ١٥ جمادي الأول سنة ١٣٠١هـ الموافق ١٣ مارس ١٨٨٤م وتوقفت بعد صدورها بسبعة أشهر، فصدر آخر أعدادها العدد الثامن عشر في ٢٦ ذي الحجة ١٣٠١هـ الموافق ٢٦ أكتوبر ١٨٨٤م بسبب محاصرة إنجلترا لها ومنعها من دخول مصر والهند فنضبت مواردها فتوقفت. وكانت له كتابات صحفية في جرائد موسكو تحتفظ مكتبة الدولة بالاتحاد السوفيتي المسماة مكتبة لينين بالصحف والمجلات التي صدرت ما بين سنة ١٩٠٥م و١٩١٧م ونشرت المقالات والمذكرات والأبحاث عن إقامة الأفغاني في روسيا، وبعد سفره إلى لונدره لندن سنة ١٣٠٩هـ ١٨٩٢م ساعد هم في إنشاء صحيفة ضياء الخافقين وهي شهرية جعلها منبرا للحرب ناصر الدين شاه إيران^(٣)

مؤلفاته:

لم يكن للسيد اهتمام كبير في التأليف بل كان همه أن يلقي كلماته وخطبه على تلاميذه القاء فيبادر بعضهم إلى تسجيلها وتدوينها بل ذكر بعض تلاميذه أنه: قضى ولم يدون إلا رسالة في إبطال مذهب الدهريين وقال عنه أديب إسحاق ولكنه لم يتم عملا ولا ألف كتابا غير تلك الرسالة^(٤) والحقيقة أنه دون غير رسالته (الرد على الدهريين) التي ألفها بالفارسية في حيدر آباد فقد دون رسالة صغيرة له أسماها (تتمة البيان في تاريخ الأفغان) وقد طبعت في مصر وما عدا هاتين الرسالتين فمقالات نشرها في الصحف والمجلات طبع بعضها مستقلا وكان لاشتراك الإمام محمد عبده معه في مجلة (العروة الوثقى) وعدم تسمية صاحب كل مقال فيها كان له أثر كبير في الخلط في نسبته إلى صاحبه فبحث (التعصب) نشر باسم الإمام مع أنه من إنشاء جمال الدين وهناك كتاب أكثر شهرة أعنى (الإسلام دين العلم والمدنية) من بين فصوله الإسلام والنصرانية^(٥) وهو من تأليف الأفغاني خاطرات جمال الدين الأفغاني محمد المخزومي ص ٤٣ وقد ضم المخزومي في الخاطرات هذين المقالين على خاطرات جمال الدين الذي دون فيه المخزومي آراء وأفكار الأفغاني وقد طبع طباعة مستقلة بعض مقالاته مثل (الوحدة الإسلامية) و(القضاء والقدر) أما إذا رمت الإطلاع على معظم ما كتبه فعليك ب (خاطرات جمال الدين الأفغاني) لتلميذه محمد

(١) تاريخ الأستاذ الإمام (١/٤٧)

(٢) العروة الوثقى ص ٢٤.

(٣) مجلة العربي الكويتية العدد ٢٢٦ (ص ٢٤)

(٤) خاطرات جمال الدين الأفغاني محمد المخزومي (ص ٤٤)

(٥) الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني جمع محمد عمارة (ص ١١٨ / ١١٩)

المخزومي و(الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني) لمحمد عمارة و(العروة الوثقى) وإنما قلت معظم ما كتبه لأن هناك من كتاباته في بعض المجالات ما لم يدون أذكر مثالا لذلك ما كتبه في الصحف الروسية، ولم يكن له تفسير مستقل وإنما كان تفسيره آية هنا وآية هناك بين ثنايا مقالاته ويقلل السيد جمال الدين من شأن ما تراكم على القرآن الكريم وتجمع حوله من آراء المفسرين وما استنبطوه من أحكام.

وفاته: مكث جمال الدين في الأستانة زهاء أربعة أعوام حتى داهمه السرطان في فكه الأسفل وعملت له ثلاث عمليات جراحية بيد أشهر الأطباء ولم تنجح فمات في ٧ شوال ١٣١٤ هـ الموافق ٩ مارس ١٨٩٧م ودفن في نشان طاش في مقبرة شيخلر مزارغي أي مقبرة المشائخ^(١) وقال طبيبه الخاص إن شدة ولع جمال الدين بالسيجار الأفرنجي وكثرة شربه للشاي وتناوله الطعام ما لحا كان من مسببات السرطان^(٢) حتى قال بعض تلاميذه الملح والشاي والدخان أودت بروح شيخنا الأفغاني^(٣)

الماخذ عليه ومنهجه:

مما لا شك فيه أن حياة هذا الرجل مليئة بالأسرار ويحيطها الغموض وتلتبس فيها الحقائق بالكاذب، ويزيد الأمر حينما نعلم أن أكثر نشاطه كان سريا ولكن مع هذا الغموض فإننا نجد في بعض أفعاله وأقواله ماخذ لا نراها إلا خطيرة توجب إعادة النظر في تقويم بعض الرجال كما قال الدكتور محمد محمد حسين ونحن حين ندعو إلى ذلك لا نريد أن نقص من قدر أحد ولكننا لا نريد أن نقوم في مجتمعنا أصنام جديدة معبودة لأناس يزعمون أنهم معصومون من كل خطأ^(٤)

وقد سبق لنا أن ذكرنا بعض هذه المآخذ في نشاطه الماسوني وفي تفسيره وفي الجامعة التي يدعو إليها وغير ذلك مما لا داعي لإعادته هنا ومع أنه كان يدعو إلى تنقية الدين الإسلامي مما علق به من الخرافات كتقديس الأموات والتبرك بهم ونحو ذلك إلا أنا نراه يستغل هذه النقطة أبشع استغلال فيلجأ إلى مقام عبدالعظيم خوفا من ناصر الدين شاه ويثير فيهم الحمية لهذا المعتقد الباطل بالانتقام من ناصر الدين شاه فيقول وأما قصتي وما فعله هذا الكنود الظلوم معي فمما يفتت أكباد أهل الإيمان ويقطع قلوب ذوي الإيقان ويقضي بالدهشة على أهل الكفر وعباد الأوثان إن ذلك اللئيم أمر بسجني وأنا متحصن بحضرة عبدالعظيم عبدالسلام^(٥) ويصف هذا المقام بأنه حرم من دخله كان آمنا^(٦) بل ويحاول أن يظهر بالقداسة أمام العوام ولو كان بالكذب والخداع حكى عنه سعد

(١) تاريخ الأستاذ الإمام (٩٢/١)

(٢) خاطرات جمال الدين الأفغاني (ص ٣٩ ٤١)

(٣) جمال الدي الأفغاني عبدالقادر (ص ١٢١)

(٤) الإسلام والحضارة الغربية محمد محمد حسين (ص ٤٩)

(٥) نابغة الشرق السيد جمال الدين الأفغاني سعيد الأفغاني (ص ٧٧)

(٦) الإسلام والتجديد في مصر تشارلز آدمز ترجمة عباس محمود لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية (ص ١٥)

زغلول أنه ذكر لهم أنه كان في سفينة خيف عليها الغرق فرأى في الركاب خوفا فأكد لهم أن السفينة لن تغرق ثم قال لو غرقت السفينة لم أجد منهم أحدا يكذبي وإن سلمت ظهرت بالقداسة من أقرب سبيل^(١) ومن المآخذ عليه اتخاذه الاغتيال سبيلا لتحقيق مآربه فقد قال مره في حديث له مع الأستاذ براون لا أمل في الإصلاح قبل قطع ستة أو سبعة رؤوس وسمي بالاسم شاه العجم وكبير وزرائه وكلاهما قتل بعد ذلك وحينما طلب من السيد أن يكف عن مقاومة الشاه مقابل ما يشاء ويتمنى.

أجاب لا أتمنى إلا أن تزهر روح الشاه ويشق بطنه ويوضع في القبور^(٢) قال عبدالقادر المغربي كل هذا سمعته من فم شيخنا الأفغاني الذي كان يروي به بطلاقة لسان وتوقد جنان^(٣) وقد أمر فعلا بالقتل حينما قال رضا آقاخان يوما أنه حاضر أن يفدي نفسه لتخليص أمته فقال له جمال الدين أن كان كذلك فاذهب وافعل^(٤) وأمر السيد رجاله الأفغانيين أنهم إذا رأوا ميرزا في حيهم يقتلونه وهذا ميرزا حسين خان دانش يصف زيارته لجمال الدين فيقول وما أن قربت منه حتى وجدته محققا بنظره إلى الأرض يزرع البهو من أقصاه إلى أقصاه يروح وغدو غاضبا رافعا صوته كالمجانين وهو يقول لا نجاة إلا في القتل لا خلاص إلا في القتل لا سلامة إلا في القتل فاشتد عجيبي لهذه الحالة الجنونية التي وجدته عليها وعدت من حيث أتيت وتركتته وشأنه وبعد انقضاء ٢٥ يوما أو شهر على ذلك وردت الأخبار من طهران باغتيال ناصر الدين شاه بمسدس ميرزا رضا الكرمانى^(٥) بل إن قاتل ناصر الدين شاه قال عندما أنفذ فيه خنجره: خذها من يد جمال الدين ولما بلغ الأفغاني ذلك قال كلمات تدل على الإعجاب بالقاتل^(٦) وذكر محمد عبده^(٧) أن الأفغاني أمره بقتل الخديوي إسماعيلوعاب أحمد أمين على الأفغاني هجاءه لناصر الدين شاه فقال هذه زلة كبيرة من السيد دعاه إليها حدته وحبه للانتقام إذ كيف أجاز لنفسه التشهير بحكومة شرقية إسلامية في بلاد أجنبيته تتخذ من أقواله حجة للتدخل الذي طالما حاربه في العروة الوثقى وكيف استباح أن يفضح هذه العيوب ثم قارن بينه وبين مدحت باشا الذي نفاه عبد الحميد بلا مال ولا ثياب ولا أهل فلم ينطق بكلمة في ذم عبد الحميد بل تكلم الكلام الكثير في فضل الأتراك على أوروية ثم قال الحق أنها غلطة من غلطات السيد دعا إليها حدة مزاجه^(٨).

(١) نابغة الشرق جمال الدين الأفغاني (ص ٩١ ٩٢) و(جمال الدين الأفغاني عبدالقادر المغربي (ص ٥٠ ٥١)

(٢) الإسلام والتجديد في مصر تشارلز آدمز ترجمة عباس محمود لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية (ص ١٥)

(٣) جمال الدين الأفغاني عبدالقادر المغربي (ص ٤٩)

(٤) من بحث للأمير شكيب أرسلان في حاضر العالم الإسلامي لوثرروب ستودارد (٢/٢٩٥)

(٥) جمال الدين الأسد آبادي ميرزا لطف الله خان (ص ١٣٤)

(٦) زعماء الإصلاح في العصر الحديث أحمد أمين (ص ١١٢)

(٧) التاريخ السري لاحتلال إنجلترا مصر (ص ٣٥٤)

(٨) زعماء الإصلاح في العصر الحديث أحمد أمين (ص ١٠٤ ١٠٥)

وقد نسب إليه بعضهم القول بنظرية داروين والحق أنه لم يقل بذلك بل رد عليها بما يبطلها مع تعاطفه على من أيدها وحمده لهم الجهر بمعتقدهم ولو خالف الجمهور^(١) ومما يؤخذ عليه كثرة لحنه ولا نعيب عليه اللحن بقدر ما نعيب عليه إباحته ذلك فقد قال في هجاء رجال هذا رجل من نسل البقروت فعابوا عليه استعمال بقروت فقالوا: إن بقروت لم ترد في كلام العرب فقال وهل تريدون مني أن أنكر نفسي^(٢) ومما يثير الريبة والشكوك في الأفغاني هذا الخليط من اليهود والنصارى الذي يحيط به سليم نقاش من نصارى الشام وهو ماسوني ووضع كتابا تبدو فيه أهداف الماسونية بارزة في عنوانه مصر للمصريين وهو يذكرنا بدعوة الأفغاني للمصريين بالنظر ليس إلى الآثار الإسلامية بل إلى الآثار الفرعونية المصرية وفي هذا فصل لمصر عن المسلمين والإسلام، ومع هذا أيضا فقد أسند الأفغاني إدارة أول صحيفة أنشأها مصر الأسبوعية سنة ١٨٧٧م إلى أديب إسحاق هذا. ثم ساهم في إنشاء جريدة التجارة وتولى رئاستها أديب إسحاق وسليم نقاش وكان الأفغاني يساهم بالكتابة فيها ويوصي تلاميذه بخدمة هاتين الصحيفتين قلما وسعي.^(٣)

وهكذا نرى الأفغاني يمكن النصارى من أجهزة الإعلام ويصرف النقود ويفتح المطابع ويحصل على الامتيازات ليسلمها لهم، وكان من المحيطين به من النصارى جورج كوتجي وطيبه الخاص هارون يهودي ولم يحضر وفاته إلا كوتجي النصراني وهارون اليهودي وعند قدومه إلى مصر يسكن في حارة اليهود.^(٤)

ومن المآخذ عليه علاقة مشبوهة بالإنجليز وفي الحقيقة أنه لم تتضح لي حقيقة علاقة الرجل بالإنجليز فهو معهم أحد رجلين لا محالة إما عدو ساذج مغفل اتخذوه مطية لهم لتحقيق مآربهم وإما صديق مخلص ذو مكر وحسب ما نعرف من تاريخ الرجل فإن أول صلة بين وبين الإنجليز حينما انضم إلى محمد أعظم في أفغانستان ضد شير علي وانتصر الثاني لتأييد الإنجليز له ولم يجد الأفغاني بدا من الهرب، وذاك لا يجد السيد الأفغاني مانعا من دخول المحفل الماسوني والاسكتلندي ولا يجدون هم أنفسهم مانعا من تعيينه رئيسا للمحفل،^(٥) ولا يجد مانعا من التعاون مع الإنجليز ضد من؟ ضد الخلافة الإسلامية؟ قال السلطان المهضوم عبد الحميد في مذكراته التي نشرت مؤخرا وقعت في يدي خطة أعدتها في وزارة الخارجية الإنجليزية كل من مخرج اسمه جمال الدين الأفغاني والإنجليزي يدعي بلند قالا فيها بإقصاء الخلافة عن الأتراك واقترحا على الإنجليز إعلان الشريف حسين أمير مكة خليفة

(١) خاطرات جمال الدين الأفغاني (ص ١١٦)

(٢) جمال الدين الأفغاني لعبد القادر المغربي (ص ١١٠)

(٣) تاريخ الأستاذ الإمام للسيد محمد رشيد رضا (٤٥/١)

(٤) الإسلام والحضارة الغربية محمد محمد حسين (ص ٦٩)

(٥) تاريخ الأستاذ الإمام محمد رشيد رضا ٧٢/١ وحاضر العالم الإسلامي شكيب أرسلان (٢/ ٢٩٦)

على المسلمين^(١) ولهذا فلا عجب أن يصفه السلطان عبدالحميد بقوله كان رجل الإنجليز ومن المحتمل جداً أن يكون الإنجليز قد أعدوا هذا الرجل لاختباري^(٢)

أما بلنت هذا الذي أشار إليه السلطان عبدالحميد فهو وزوجته من أصدقاء الأفغاني الإنجليز وهو وزوجته ذوي نشاط مريب في بلاد العرب ويكفي نشاطهما ريبة دعوتهما إلى إنشاء دولة عربية حليفة لإنجلترا تصبح مقراً للخلافة الإسلامية ويكتب بلنت في ذلك كتابه المشهور المسمى (مستقبل الإسلام)^(٣) وعلاقة الأفغاني ببلنت هذا وزوجته أيضاً علاقة مشبوهة فهي التي تفاوض باسمه الحكومة البريطانية وتبدي رأيها له في بعض المسائل وتطلب منه توجيهاته بعد هذا وتسعى لعقد الاجتماعات بينه وبين كبار الشخصيات حتى الإيرانية، ومن يقرأ تأريخ بلنت وزوجته، يدرك أنهما يحاولان الظهور بمظهر التعاطف مع قضايا العرب حتى ضد الإنجليز ولكن حقيقتهم إنهما من رجال الإنجليز وأكبر هذا دعوتهم لفصل العرب عن الخلافة الإسلامية وإنشاء دولة عربية حليفة لإنجلترا تصبح مقراً للخلافة الإسلامية وفي هذا وحده ما يكشف حقيقتهم، فما علاقة الأفغاني بهما وكيف يسمح لنفسه أن يتعاون مع الإنجليز لهدم الإسلام والخلافة الإسلامية وهو يسعى بزعمه وزعم المخدوعين به إلى الوحدة الإسلامية. ومن المآخذ على الأفغاني تلك العبارة الخطيرة والألفاظ المنحرفة وهي وإن كانت غير صادرة منه ولكنها من تلاميذه وموجهة إليه ولو لم يكن بها راضياً لردع تلاميذه عنها ولعرفوا كراهيته لذلك فارتدعوا ولكنه لم يفعل فلم يفعلوا.

محمد عبده

تمهيد:

وإن كان السيد جمال الدين الأفغاني هو المؤسس لهذه المدرسة فإن محمد عبده هو الذي أقام بها ودعا إليها ونشرها بين الناس فكان له من الأثر فيها ما لم يكن لأستاذه السيد جمال الدين ولعل شهرة محمد عبده توجب علينا الاقتصار في ترجمته على بعض معالم الفكري في حياته حدد محمد عبده أهداف، وغايات مشروعه الإصلاحية في أمور ثلاثة:

أولاً: تجديد فهم الدين بعيداً عن قبضة الصورة الجامدة، والمتكلسة التي آل إليها حاله إبان مرحلة الانحطاط الحضاري التي حاصرت فيه روح الاجتهاد، والإبداع، وأبعدته عن التفاعل الرشيد مع الواقع، ومكتسبات العقل العلمي، فقد دعا محمد عبده إلى: "تحرير الفكر من قيد التقليد، وفهم الدين على طريقة سلف الأمة، قبل ظهور الخلاف، والرجوع في كسب معارفه إلى ينابيعها الأولى، واعتباره من ضمن موازين العقل البشري التي وضعها الله ليرتد من شططه، وتقلل

(١) مذكرات السلطان عبدالحميد ترجمة محمد حرب عبدالحميد (ص ٦٧)

(٢) مذكرات السلطان عبدالحميد ترجمة محمد حرب عبدالحميد (ص ٦٨)

(٣) الإسلام والحضارة الغربية محمد محمد حسين (ص ٦٨)

من خلطه وخبطه، لتتم حكمة الله في حفظ نظام العالم الإنساني، وأنه على هذا الوجه يُعدّ صديقاً للعلم، باعثاً على البحث في أسرار الكون، داعياً إلى احترام الحقائق الثابتة، مطالباً في التعويل عليها في أدب النفس، وإصلاح العمل. **ثانياً:** الإصلاح اللغوي، حيث أولى محمد عبده دراسة اللغة العربية، ومناهج التعامل معها عناية خاصة، وذلك بوصفها أحد المقومات الكبرى للأمة إلى جانب دينها، وأخلاقها، وموروثها الحضاري والتاريخي، بالإضافة إلى أن تجديد أساليب دراستها، وأساليب التعامل بها يعطي دفعة قوية لإصلاح وتجديد الفكر الديني نفسه، نظراً لأن نصوص الدين نفسها موجودة، ومحفوظة باللغة العربية. لذلك فقد دعا إلى إدخال إصلاحات جوهرية على أساليب تعليم قواعدها وآدابها، وأساليب الكتابة فيها، وتأليف مجامع لغوية لمتابعة شؤونها، ووضع معاجم لغوية، ومعاجم علمية، والتأليف في ميدان الدراسات البيانية، والدراسات النقدية.

ثالثاً: الإصلاح السياسي الذي وصفه عبده بأنه "الركن الذي تقوم عليه حياتهم الاجتماعية أي المسلمين، وما أصابهم الوهن والضعف والذل إلا بخلو مجتمعهم منه، وذلك هو التمييز بين ما للحكومة من حق الطاعة على الشعب، وما للشعب من حق العدالة على الحكومة.

اسمه ونسبه:

هو محمد بن عبده بن حسن بن خير الله، حدث عن نفسه فقال كنت أسمع المزاحين من أهل بلدتنا يلقبون بيتنا ببيت التركمان فسألت والدي عن ذلك فأخبرني أن نسبنا ينتهي على جد تركماني جاء من بلاد التركمان^(١) وقال أما بيت والدتي فيقال أنه عربي قرشي وأنه يتصل في النسب بعمر بن الخطاب رضي الله عنه ولكن ذلك كله روايات لا يمكن إقام الدليل عليها^(٢)

مولده ونشأته:

ولد في شبشير سنة ١٢٦٥ هـ من قرى إقليم الغربية، ونشأ في قرية نصر، تعلم القراءة في منزل والده بعد أن جاوز العاشرة، ثم حفظ القرآن في سنتين، وتعلم التجويد^(٣) ثم عاد بعدها إلى محلة نصر وتزوج سنة ١٢٨٢ هـ ثم ألزمه والده الذهاب إلى طنطا للتعلم، أقام عند الشيخ درويش ١٥ يوماً انتقل بعدها إلى طنطا خوفاً من والده الذي وجهه إليها للدراسة، ثم انتقل إلى الأزهر في منتصف شوال ١٢٨٢ هـ، فداوم على طلب العلم على شيخه ويعود إلى محلة نصر في آخر كل سنة ليتلقى الدروس من الشيخ درويش الذي يسأله ما درست المنطق ما درست الحساب؟ ما درست شيئاً من مبادئ الهندسة؟ إلى أن جاء السيد جمال الدين الأفغاني في شهر المحرم ١٢٨٧ فتلقى عنه بعض العلوم الرياضية والفلسفية والكلامية، ويدعو الناس إلى التلقي عنه، فقرأ على السيد الزوراء للدواني في التصوف و(شرح القطب على الشمسية والمطالع، و(سلم العلوم في المنطق والهداية والإشارات لحكمة العين وحكمة الإشراف في

(١) تاريخ الأستاذ الإمام للسيد محمد رشيد رضا (١٦/١)

(٢) تاريخ الأستاذ الإمام للسيد محمد رشيد رضا (١٦/١)

(٣) تاريخ الأستاذ الإمام للسيد محمد رشيد رضا (٣٢٠/١)

الفلسفة، وعقائد الجلال الدواني في التوحيد، والتوضيح مع التلويح في الأصول، وتذكرة الطوسي في الهيئة القديمة وكتابا آخر في الهيئة الجديدة^(١).

وظهر تأثير السيد على الأستاذ سريعا، فبدأ في الكتابة والتأليف واتفق مع بعض الطلاب على أن يقرأ لهم بعض الكتب في المنطق وعلم الكلام مما لم يكن يقرأ مثلها في الأزهر فكثرت سواد المجتمعين عليه، حتى اشتهر أمره مما أحفظ عليه قلب الشيخ محمد عlish الذي بلغه أن محمد عبده يقرأ كتب المعتزلة والمتكلمين في الأزهر ويرجح مذهبهم وإن الشيخ عlish كما يقول، رجلا صالحا عفيفا عن المطامع الدنيوية، التي كانت تستهوي طلاب المظاهر من علماء عصره وكان مخلصا صادق النية في كراهة البدع التي يخشى منها على الدين وكبر عليه رحمه الله أن يقرأ أحد مثل تلك الكتب في الأزهر، فأرسل إلى محمد عبده وناقشه نقاشا أفضى إلى نزاع وخصومه قيل أنه ترك التدريس على إثرها في الأزهر وقيل أنه لم يتركه وأنه كان يضع بجانبه عصا وقال إذا جاء الشيخ بعكازه فله هذه العصا وعرض نفسه على لجنة الامتحان في الأزهر لنيل شهادة العالمية في سنة ١٢٩٤ هـ فحصل عليها ولم يكن نيله لها بالمانع له من الاستمرار في طلب العلم.^(٢)

مؤلفاته: تفسيره — من أهداف محمد عبده تنقية تفسير القرآن من الإسرائيليات والأحاديث الموضوعية والخرافات والاستطرادات النحوية، ونكت المعاني ومصطلحات البيان وجدل المتكلمين وتخريجات الأصوليين واستنباطات الفقهاء المقلدين وتأويلات المتصوفين وتعصب الفرق وكثرة الروايات والعلوم الرياضية والطبيعية^(٣) الإمام لم يكن راغبا إلى التأليف بل كان يرى أن الكلام المسموع يؤثر في النفس أكثر مما يؤثر الكلام المكتوب، ويعلل هذا بأن نظر المتكلم وحركاته وإشارته ولهجته في الكلام كل ذلك يساعد على فهم مراده من كلامه، وأنه يمكن السامع أن يسأل المتكلم عما يخفى عليه من كلامه، فإذا كان مكتوبا فمن يسأل؟ وأن السامع يفهم ثمانين في المائة من مراد المتكلم والقارئ لكلامه يفهم منه ٢٠% على ما أراد الكاتب^(٤)

كانت تلك نظرة الإمام ولعلها أثر من آثار أستاذه فيه ولكنه مع هذا خلف مؤلفات غير قليلة وكتب الكثير في الصحف فمن مؤلفاته غير ما سبق ذكره في تفسيره، منها:

- ١- الواردات: أول تأليفه في الكلام أو التوحيد على الطريقة الصوفية وأسلوبهم.
- ٢- رسالة في وحدة الوجود.
- ٣- تاريخ إسماعيل باشا.

(١) تاريخ الأستاذ الإمام محمد رشيد رضا (١/٢٦١)

(٢) لعباس محمود العقاد (ص ٢١٤٠)

(٣) تفسير المنار محمد رشيد رضا (١/٣٧)

(٤) تاريخ الأستاذ الإمام (١/٧٦٦)

- ٤- فلسفة الاجتماع والتاريخ ألفه حينما كان مدرسا في دار العلوم وهي مفقودة.
- ٥- حاشية عقائد الجلال الدواني في علم الكلام، في مجلدين، تحت عنوان (الشيخ محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين) سنة ١٣٧٧هـ .
- ٦- شرح نصح البلاغة وهو الكتاب المنسوب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه وطبع مرارا.
- ٧- شرح مقامات بدیع الزمان.
- ٨- شرح البصائر النصيرية في المنطق .
- ٩- نظام التربية والتعليم بمصر.
- ١٠- رسالة التوحيد) وهي أهم مؤلفاته وأشهرها على الإطلاق وطبعت مرارا وحازت على قبول كثير من النصارى فاقترح بعضهم تدريسها في مدارسهم بعد حذف مبحث نبوءة محمد صلى الله عليه وسلم وتبرع آخر بتوزيع بعض نسخها وقرظها بعضهم بإعجاب شديد ولم يسمح المؤلف لأحد أن يشرح هذه الرسالة ولا أن يضع لها حاشية وعلل هذا تلميذه رشيد رضا بأنه تعمد الإيهام في بعض المباحث
- ١١- تقرير المحاكم الشرعية
- ١٢- الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية.
- وقد سبق لنا القول في مؤلفات الأفغاني أنه قد وقع الخلط في بعض الرسائل المطبوعة بين ما للأفغاني وما لمحمد عبده كبحت التعصب مثلا و(القضاء والقدر والوحدة الإسلامية وهي مقالات نشرت في العروة الوثقى.

تلاميذه:

محمد رشيد رضا الذي بدأ يتحول تدريجيا من منهج المدرسة العقلية إلى منهج السلف ولعل بداية التحول، أعقبت وفاة أستاذه محمد عبده، فقد صار يهتم بطبع كتب السلف في مطبعة المنار، مثل كتب ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب ونحوهم.

ومن أعلام هذه المدرسة، الشيخ محمد مصطفى المراغي، شيخ الجامع الأزهر، وكان من أكبر تلاميذه الشيخ محمود شلتوت وأحمد المراغي وعبد العزيز جاويش، ومحمد فريد وجدي وغيرهم. هذا وإن اجتهادات الشيخ وكبار تلاميذه، مما خالفوا فيه الجمهور مع فتح باب الاجتهاد العصري، أدت إلى ظهور طبقة من تلامذة الشيخ، كان لها انحرافات حادة في مجال الأسرة: مثل قاسم أمين في كتابه (المرأة الجديدة) و(تحرير المرأة) وعلي عبد الرزاق في السياسة الشرعية، إذ دعا إلى فصل الدين عن الدولة على غرار النصارى^(١)

ومما يؤخذ عليه الشيخ محمد عبده :

(١) انظر: مفهوم تجديد الدين بسطامي محمد سعيد ص ١٤٣ / ١٤٦ ص: ١٤٧- ١٥٠ والعصرانيون بين مزايم التجديد وميادين التغريب لمحمد حامد

أنه كان يقول: إذا تعارض العقل والنقل فقد اتفق أهل الملة الإسلامية إلا قليلاً ممن لا ينظر إليه أنه إذا تعارض العقل والنقل أخذ بما دل عليه العقل^(١). يعني: لو اصطدم العقل مع آية فنأخذ بما دل عليه العقل ونترك هذه الآية. ومما يؤخذ عليه أيضاً: دخوله في الماسونية مع شيخه، وكان يحتفظ بكتب الماسونية في منزله وبالخط الأفغاني وقد صودرت في أثناء سجنه بمصر، وصدرت منه عبارات لأستاذه الأفغاني، تفوح منها رائحة تجاهل الإسلام، والدعوة إلى الفرعونية المصرية. و محمد عبده هو الذي كتب بخط يده برنامج الحزب الوطني، وغير الحزب الوطني لمصطفى كامل، وهذا الحزب هو حزب علماني، يجمع رجالاً مختلفي العقيدة والمذاهب. ويقول محمد عبده "إن خير أوجه الوحدة الوطن" يعني إن الإسلام لا يجمع الناس بقدر ما يجمعهم الوطن والوطن يجمع الناس أكثر مما يجمعهم دين الله عز وجل، فهو من القائلين بالوحدة الوطنية. يقول: إن خير أوجه الوحدة الوطن لإمتناع الخلاف والنزاع فيه.^(٢)

وأيضاً مما يؤخذ به محمد عبده: علاقته المريية بالإنجليز حتى إن اللورد كرومر الذي قال: جئت لهدم ثلاثة: الكعبة والقرآن والأزهر، صرح بأن الشيخ سيظل مفتياً في مصر ما ظلت بريطانيا العظمى محتلة لها. فأى علاقة كانت تربطه بالإنجليز حتى يدافعوا عنه هذا الدفاع؟ ولما ألف محمد أحمد خلف الله الشيوعي رسالة: (الفن القصصي في القرآن الكريم) وقال "إن قصص القرآن عبارة عن أساطير وأكاذيب، رفضت جامعة فؤاد قبول رسالة الدكتوراه هذه، فقال أمين الخوري الذي كان متزوجاً من الدكتورة ابنة الشاطئ، إنها ترفض اليوم ما كان يقرره الشيخ محمد عبده بين جدران الأزهر، منذ اثنين وأربعين عاماً. وقال لهم، لماذا ترفضون هذا الكلام؟ إن هذا هو نفس كلام محمد عبده عندما قال، إن قصص القرآن عبارة عن تمثيل، ومحمد أحمد خلف الله إنما زاد قوله: إنه أساطير يعني: عبارة عن أكاذيب.

ومما يؤخذ أيضاً على محمد عبده: أنه الواضع الحقيقي لكتاب تحرير المرأة، وهو الذي صاغه الصياغة النهائية، كما يقول محمد عمارة نفسه الذي جمع كلام الشيخ محمد عبده فقد قال "هناك فصول كاملة في كتاب تحرير المرأة لقاسم أمين أعدها الشيخ محمد عبده وهي فصول: الحجاب الشرعي والزواج وتعدد الزوجات والطلاق، فهذه كاملة من صنع الشيخ محمد عبده والفصول الأخرى من تأليف قاسم أمين ثم صاغه محمد عبده الصياغة النهائية وقد ظلوا في مجلة المنار يثنون على هذا الكتاب وقت أن قامت الزوبعة عليه.^(٣)

الشيخ محمد رشيد رضا^(٤)

(١) كتاب دروس الشيخ سيد حسين العفاني بيان انحرافات محمد عبده ص ١٢.

(٢) كتاب دروس الشيخ سيد حسين العفاني بيان انحرافات محمد عبده المكتبة الشاملة ص ١٢.

(٣) نفس مصدر.

(٢) هو محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين القلموني البغدادي الأصل الحسيني النسب: صاحب مجلة المنار وأحد رجال الإصلاح الإسلامي من الكتّاب العلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير ولد في القلمون (من أعمال طرابلس الشام) سنة (١٢٨٢هـ) ونظم الشعر في صباه وكتب في بعض الصحف ومن أشهر آثاره: تفسير القرآن الكريم والوحي المحمدي وشبهات النصارى وحجج الإسلام توفي بمصر سنة (١٣٥٤هـ) انظر: الأعلام خير الدين الزركلي. دار العلم (١٢٦/٦)

بدأ الشيخ محمد رشيد رضارحمه الله إتحاها فكرياً عقلايياً، يُسمّى عصر التنوير في مصر والعالم العربي ويُعتبر امتداداً لأستاذه وشيخه محمد عبده من حيث متابعتة في الكثير من القضايا والمسائل المتعلقة بالكتاب والسنة، وظل الشيخ محمد رشيد رضا محسوباً على هذا الاتجاه سواء من العلماء والباحثين حيث اعتبروه كذلك امتداداً لهذا التيار دوناً مراعاةً لمراحل تطوُّر، وتغيُّر حياته العلمية وموقفه من السنة النبوية.

وهذا الصنيع قد جعل العقلانيين والحدائين يستشهدون بأقواله وما كتبه في بداية حياته العلمية قبل تراجعه عن آرائه تجاه بعض قضايا السنة ولا سيما أنه يُمثّل قيمة علمية كبيرة.

ولكن الحقيقة التي لا بد أن تنكشف هي: أشار د. مصطفى السبيعي رحمه الله: قال "أما السيد رشيد رضا رحمه الله فيظهر أنه تأثر في البداية بأفكار أستاذه الشيخ محمد عبده، وهو، ومثله في الحديث، كان تعليمه قليلاً ومعرفة العلوم قليلة، لكن منذ أن تولى راية الإصلاح بعد وفاة أستاذه محمد عبده، اهتم بالفقه والحديث وغيرهما من المجالات. ولكن الحقيقة التي يجب: أن الشيخ محمد رشيد رضا، قد حدّث له تغيُّر في آرائه ومواقفه تراجع من خلاله عن كثير من المسائل العلمية حول السنة النبوية ولا سيما بعد وفاة شيخه محمد عبده^(١) وسوف أتذكر إراءه في القادم ان شاء الله.

خلاصة أهم رجال المعاصرين لهذه المدرسة وبيان انحرافاتهم:

مصطفى المراغي ومحمود شلتوت وعبد القادر المغربي، فقد خالفوا الإسلام وانحرفوا في مجال العقيدة وفي الكلام عن أمارات الساعة، فأنكروا أحاديث المهدي، مع أن العلماء حكموا أنها متواترة، فقد رفضوها بتاتاً وقالوا: إن فكرة المهدي أصلاً اقتبسها المسلمون من اليهود الذين قالوا: بعودة المسيح وظهوره مرة أخرى. وأنكروا أحاديث الدجال مع أن الأحاديث فيه متواترة كما قال الحافظ ابن كثير.

وقال الإمام النووي: إن الذي ينكر أحاديث الدجال المتواترة هم الخوارج والجهمية وبعض أهل الاعتزال وأنكروا أيضاً ظهور الدجال وقالوا "إن أحاديثه مضطربة.

وأولوا العرش بالملك في قول الله عز وجل ﴿وَيَجْمَلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ ثَمَانِيَةٌ﴾^(٢) وقالوا: العرش هنا كناية عن الملك والسيطرة. وأولوا صحف الأعمال التي يأخذها العبد يوم القيامة باليمين أو بالشمال، وقالوا في قوله تعالى ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾^(٣) يعني: كناية عن التفاؤل، وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ^(٤) قالوا: كناية عن

(١) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي لمصطفى السباعي. دار الوراق للنشر والتوزيع (ص ٤٥). الطبعة الأولى: ٢٠٢٠هـ/٢٠٢٠م.

(٢) الحاقة: ١٧.

(٣) الحاقة: ١٩.

(٤) الحاقة: ٢٥.

الانتظار. ومحمد فريد وجدي كان يقول بعقيدة الجبر وخالفه الشيخ محمد عبده، فكان يقول بالاختيار، وكان محمد فريد وجدي يقول أيضاً: إنه يؤمن بتحضير الأرواح.

وفي مجال المعجزات: أنكروا كل معجزة غالباً، وقالوا: إن هذه المعجزات لا يستطيع العقل أن يكتفيها، وهي ليست حكراً على الرسل، وأما المعجزات القديمة التي حكاها الله في كتابه عن الأنبياء، فقد نقل عنهم الشيخ محمد رشيد رضا: أن وجود هذه المعجزات في القرآن الكريم كانت سبباً في إحجام الناس عن الإسلام. قالوا: وكل الأديان السابقة كانت تصادم العقل إلا الدين الإسلامي، فإنه أتى في مرحلة وجوب نضوج العقل، فلم يحتج دين الله عز وجل إلى معجزة، لأن المعجزات يعاقب بها المولى عز وجل منكري النبوات، والله عز وجل جعل المعجزات دليلاً على صحة وصدق الرسل، وهم ينكرونها بتناً.

ومحمد حسين هيثم في كتابه (محمد) أنكر كل معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم إلا القرآن فقط، فأنكر انشقاق القمر مع أن الأحاديث الواردة في انشقاق القمر لرسول صلى الله عليه وسلم بلغت حد التواتر ومع هذا أنكرها، إما أن يؤولوا المعجزات أو ينكروها.

وخالفوا أهل السنة والجماعة في الأخذ بأحاديث الآحاد في العقيدة وقالوا: إن أحاديث الآحاد لا يؤخذ بها في العقائد وإنما يؤخذ بالحديث المتواتر فخالفوا بذلك عقيدة أهل السنة والجماعة. واختلفوا في أصل الإنسان هل هو سيدنا آدم أم لا؟ واضطربوا في ذلك اضطراباً عظيماً ومال محمد عبده إلى أن أصل الإنسان ليس آدم مع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: كلكم لآدم وآدم من تراب وقال: كثير من الناس البشر لا يعرفون آدم ولا حواء كأهل الصين والهند وأنه يستوي عندهم أن يكون أصل الإنسان آدم أو القرد. بل نقل محمد رشيد رضا عن الإمامية والصوفية: أنه كان قبل آدم المشهور آدميون كثيرون، يعني: آدم وآدم وآدم وآدم ونقل عن الإمامية: أن الله تبارك وتعالى خلق قبل آدم ثلاثين آدمياً، بين كل آدم وآدم ألف سنة فهم يأتون بكلام الشيعة ويردون الأحاديث الصحيحة المتواترة.

وأما مقالته في الملائكة فأغرب وأعجب "يقول محمد عبده عن الملائكة: يشعر كل من فكر في نفسه ووازن بين خواطره أنه عندما يهم بأمر فيه وجه للحق والخير ووجه للباطل أن في نفسه تنازعات فنوازع الخير عند الإنسان هذه هي الملائكة، وأين يأتي بحديث مجيء جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض الثياب لا يرى عليه أثر غبار السفر، وجعل يسأله؟ فهل كانت مواد الخير هذه ممثلة في شخص تأتي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحذره وتكلمه؟ ويقول في قول الله عز وجل ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾^(١): كل هذا من القصص التمثيلي يعني: لم يكن هناك سجود ولا شيء نسأل الله أن يثبت علينا عقولنا.

ويقول: إن الله تعالى لما خلق الأرض ودبرها بما شاء من القوى الروحانية التي بها قوامها ونظامها، جعل كل صنف من القوى مخصوص، بنوع من أنواع المخلوقات لا يتعداه ولا يتعدى ما حدد له من الأثر الذي خص به، وخلق بعد ذلك الإنسان وأعطاه قوة، يكون بها مستعداً للتصرف في جميع هذه القوى وتسخيرها في عمارة الأرض، فعبر الله عن تسخير هذه القوى له بالسجود، فهل يصح أن يقال: إن الله عز وجل عبر عن تسخير كل ما في الأرض لابن آدم بسجود الملائكة لآدم؟ هذا القول لا يقوله أحد. وأما عن عقيدته في الجن فيقول: إن الجن لا يستبعد أن يكونوا عالم الميكروبات.

ويقول في قول الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾^(١) المس هو: الصرع والأمراض العصبية وسببها بإذن الله تلك الجراثيم التي تدخل جسم الإنسان ويقول عن الشيطان وقبيل الجن: تلك الميكروبات ترانا من حيث لا نراها ولكن الله سبحانه مكننا من رؤيتها بالميكروسكوب وأما الحديث الذي رواه الإمام البخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجه والدارمي وأحمد وفيه: إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم (فيقول عنه: لا شك أن الجراثيم تلك تجري في خلايا جسم الإنسان وفي دمه، حيث تنقل الأمراض وتسري في البدن ويقول في الحديث الذي رواه الإمام مسلم وأحمد والدارمي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال): إذا ثأب أحدكم فليضع يده على فيه فإن الشيطان يدخل مع الثأب: ولا شك أن الفم من أهم مداخل الميكروبات إلى جسد الإنسان، ولا سيما إذا كان في حال الثأب، فقد يلج منه ذباب أو ميكروبات وجراثيم، لا نراها، فوضع اليد على الفم من أجل ألا تدخل الميكروبات، ويقول في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم والنسائي وأحمد عن النبي صلى الله عليه وسلم: إذا استيقظ أحدكم من منامه فليستثر ثلاث مرات فإن الشيطان يبيت على خياشيمه: ولا شك أن الخياشيم من مداخل الميكروبات إلى جسم الإنسان ويقول عن حديث: فناء أمي بالطعن والطاعون: (والطاعون أيضاً هو من فعل الميكروبات هذا مما أخذه أهل العلم على محمد عبده)^(٢)

خلاصة مما سبق:

- ١- من أبرز الأمور المعاصرة التي أثرت في نشأة المدرسة العقلية المعاصرة: تأثرهم بالمعتزلة والمستشرقين والحركات الاشتراكية.
- ٢- تتعدد وسائل المدرسة العقلية المعاصرة لتحقيق أهدافها ومن أهمها: الأخذ بالمنهج العلمية الغربية ومنهج المستشرقين منهم خصوصاً وعدم الالتزام بالضوابط الشرعية والدعوة إلى حرية منفلة وتقديم العقل على النصوص الشرعية بل ومحكمة النصوص إلى العقل والتلاعب بمعاني النصوص الشرعية.

(١) البقرة: ٢٧٥

(٢) كتاب دروس الشيخ سيد حسين العفاني بيان انحرافات أعلام المدرسة العقلية في هذا العصر ص ١٣.

- ٣- للمدرسة العقلية المعاصرة أثر كبير في عدة مجالات حياتية ومنها: إنشاء المؤسسات الساعية لنشر آراء المدرسة العقلية المعاصرة والمشاركة في وسائل الإعلام المختلفة والتعليم الجامعي والعالي.
- ٤- من أبرز مباحث علوم القرآن الكريم التي تناولها العقلانيون المعاصرون: أسباب النزول وقد تكلموا عن عدة جوانب منها: نشأتها ورواتها وفائدتها وأثرها على علوم القرآن وانتهوا في هذه الجوانب إلى أن أسباب النزول تعبر عن تاريخية النص.

العلاقة بين المدرستين في المناهج.

الأول: ذكر العلاقة بينهما إجمالاً، وهي

- ١- اتباعهما منهج الإنكار عن السنة واهانة الصحابة .
- ٢- اتباعهما منهج التأويل عن المعجزات الانبياء.
- ٣- اتباعهما منهج التأويل في التفسير الايات.
- ٤- موقفهما الخاص عن المسائل الفقهية وامور الدينية.
- ٥- اتباعهما لتفسير القرآن بالراي.
- ٦- اتباعهما منهج التفسير القرآن باللغة.

الثاني: ذكر العلاقة بينهما في المناهج تفصيلاً.

مناهجهما في احكام الدين كثيرة لكنها مضطربة ومتناقضة في مفرداتها، تتشابه في أصولها العامة و ببعض الاستقراء وفارقوا بها السنة والجماعة وسبيل المؤمنين ونهج المرسلين في الدين، ومن ذلك:

١- الخلل والإخلال في منهج التلقي والاستدلال:

رد النصوص التي تخالف أصولهما، منهج من المناهج العامة والسمات المشتركة بينهما، أنهم تردوا نصوص الوحي من القرآن والسنة إذا خالفت أهواءهم، أو عارضت أصولهم الفاسدة، وقواعدهم الباطلة.

وفي ذلك يقول الشاطبي "إنهم ردوا الأحاديث، التي لا يتوافق لأغراضهم، ومذاهبهم، ويدعون أنها مخالفة للمعقول، فيجب ردها كالمكرين لعذاب القبر، والصراط، والميزان، ورؤية الله عز وجل في الآخرة، وكذلك قتل الذباب، وأن في أحد جناحيه داء وفي الآخر مرض، وأنه يقدم الذي فيه الداء، وحديث الذي أخذ أخاه بطنه فأمره النبي ﷺ أن يسقي العسل، ومثله الأحاديث الصحيحة المنقولة، ربما إنتقدوا الرواة من الصحابة والتابعين، رضي الله تعالى عنهم وحاشاهم، وعلى من اتفق الأئمة من المحدثين على إمامتهم وعدالتهم" (١)

وتبعاً لذلك يردون أقوال الصحابة وآثار السلف، وفقههم للنصوص، مع أن الصحابة والتابعين وعلماء الإسلام، أعلم من أهل الأهواء بالضرورة بمراء الله وأفقه لدين الله ومنهجهم في الدين أعلم وأسلم وأحكم.

وقال شيخ الإسلام في أهل الأهواء يردون الأحاديث التي تعارض مقولاتهم وإن كانت صحيحة، كما فعلت القدريّة في رد أحاديث القدر، كحديث الصادق المصدق . وكما فعلت الجهمية والمعتزلة في رد أحاديث

الرؤية والشفاعة وأحاديث الصفات. وكما فعلت الخوارج في رد أحاديث الوعد والشفاعة. وكما فعلت الرافضة في رد سائر السنة التي رواها الصحابة. وكما فعلت الصوفية والمقابرية في رد الأحاديث التي تنهى عن الابتداع^(١)

٢- فساد تصورهما عن النبوة، ومن ثم الوحي وكلام الله:

من أسباب أهل المدرستين في ضلالاقتهم، أنهم يضعون القاعدة الفاسدة، ويننون عليها أحكاماً فاسدة كذلك، ثم يجرهم ذلك إلى قواعد جديدة باطلة، وهكذا تتجاري بهم الأهواء كما يتجاري الكلب بصاحبه، ومن ذلك تصورهم الفاسد عن حقيقة النبوة.

قال ابن القيم رحمه الله عليه: "وكذلك الطريق التي سلكوها في إثبات النبوة، لم يثبتوا بها نبوة في الحقيقة، فإنهم بنوها على مجرد خرق العادة، وهو مشترك بين النبي وغيره، وحاروا في الفرق، فلم يأتوا فيه بما يثلج له الصدر، ولا يحصل به برد اليقين، مع أن النبوة التي أثبتوها لا ترجع إلى وصف وجودي"^(٢)

٣- زعمهم الاكتفاء بالقرآن عندما تتعارض أصولهم الفاسدة مع الأحاديث الصحيحة.

يقول البرهاري "إذا ترى رجلاً يتلقى بالأثر، ولا يريد، ويريد القرآن، فلا تشك في أنه رجل من الزندقة، فقم من عنده وتركه، فهم يزعمون أنهم يكتفون بالقرآن وهذا حجة عليهم، فإن القرآن أوجب طاعة الرسول ﷺ واتباعه وسؤال أهل الذكر، واتباع سبيل المؤمنين، وقد حذر النبي من هؤلاء الذين يزعمون الاكتفاء بالقرآن^(٣) الطعن في خبر الآحاد: كان الصحابة والتابعون وسائر السلف في القرون الثلاثة وما بعدها، يأخذون بكل ما صح عن النبي ﷺ دون تفريق بين الأحاد وغيره، ودون تفريق بين العمل والاعتقاد، ولم يخالف في ذلك إلا طوائف من الجهمية والمعتزلة والخوارج ومن سلك سبيلهم، ثم تجرأ أهل الكلام المتأخرون أشهر من طعن في الأحاد الرازي، وهو منهج أهل الكلام من الأشاعرة ومن سلك سبيلهم.

٤- استعمال الأقيسة العقلية في صفات الله وسائر أصول العقيدة.

من المعلوم أن المذهب الحق أن العقيدة غيبية توقيفية لا مجال للعقول فيها، إلا بالتسليم للنصوص الثابتة، لأن العقول والأفكار لا تحيط بالغيب، وأن القاعدة الشرعية، أن الله له المثل الأعلى من كل شيء فلا يقاس بغيره ولا يقاس به غيره، إلا أنهما قاسوا الله تعالى بخلقه في نفس الوقت الذي زعموا فيه الهروب من الإثبات، خوفاً من التشبيه، فقد قالوا في الصفات بمقاييس عقلية،^(٤) أن الجسم لا يخلو عن الأعراض التي هي، وأن ما لا يخلو عن الصفات، فهو محدث. لأن الصفات التي هي الأعراض، لا تكون إلا محدثة، ولأجلها التزم جهم التعطيل وفناء

(١) نظر: منهاج السنة ٣/٥٧٩

(٢) لصواعق المرسلة ٢/٩٨٨، ٩٨٩.

(٣) شرح السنة البرهاري ج ١ ص ١١٩

(٤) المصدر السابق ٤/٣٩

الجنة والنار، ثم التزما مثل المعتزلة نفي الصفات، ثم التزم مثل الكلائية والأشاعرة والماتريدية نفي أفعال الله الاختيارية، وتأويل الصفات. وانقطاع حركات أهل الجنة، كما التزم أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم عن الصفات أو بعضها، كما كان يعتقد أن القرآن مخلوق، وأن الله لا يرى في يوم الآخرة، وإنكار العلو على العرش ومن ذلك قولهم "إن اليد والعين والوجه جوارح وأعضاء والله منزه الأعضاء والجوارح، وعليه فليس لله يد ولا عين ولا وجه، فأنكروا ما وصف الله به نفسه، وما وصفه به نبيه عليه السلام، بالأقيسة العقلية. ولذلك قال شيخ الإسلام التمسك بالأقيسة مع الإعراض عن النصوص والآثار طريق أهل البدع. والمتأمل لحال أهل الكلام، يجد أنهم ما نفوا صفات الله تعالى، إلا حينما قاسوها على صفات الخلق وأفعالهم، ولم يعتقدوا أنه الله تعالى (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ).^(١)

٥- اعتمادهم على التأويل والتعطيل في صفات الله تعالى.

فالتأويل من أخطر مناهج أهل الأهواء، فهو وسيلتهم لرد دلالة العقيدة. النصوص وتعطيل معانيها، دون تعرض لإنكارها وردّها بالكليّة، ومن ذلك تحريف التأويل وتحريف التنزيل قال تعالى: ﴿يَلُونُ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ سورة آل عمران الآية: ٧٨، وقال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ تُحْكِمُ لَكُمْ أُمُورَ الْكِتَابِ وَأُخْرَى مُتَشَبِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا نَشَبَهُ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ، وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَنْبِيَاءِ﴾^(٢)

٦- الاعتماد على الكذب والوضع وما لا أصل له في الدين.

من أبرز مناهجهم في التلقي، والاستدلال اعتمادهما على الكذب والوضع وقلة التعويل على الإسناد، ولذلك يكثر استدلالهم بالموضوعات والمكذوبات والآثار الضعيفة، وما لا أصل له، وهم في الوقت نفسه يردون ما يخالف أهواءهم من النصوص الصحيحة يقول شيخ الإسلام: وهذا في البدع الكبار مثل الرافضة والجهمية فإن الذي وضع الرفض كان زنديقاً ابتداءً تعمد الكذب الصريح الذي يعلم أنه كذب، كالذين ذكروهم الله من اليهود الذين يفترون على الله الكذب وهم يعلمون، ثم جاء من بعدهم من ظن صدق ما افتراه أولئك وهم في شك منه كما قال تعالى ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾^(٣)

(١) انظر درء التعارض ١/٢٩ وانظر درء التعارض ١/٢٩، وانظر الفتاوى لشيخ الإسلام ٧/٣٩٢.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٧

(٣) الشورى، الآية: ١٤.

كمثل الجهمية ليس معهم على نفي الصفات وعلو الله على العرش ونحو ذلك نص أصلاً ولا آية ولا حديث ولا أثر عن الصحابة، بل الذي ابتداءً ذلك لم يكن قصده اتباع الأنبياء، بل وضع ذلك كما وضعت عبادة الأوثان وغير ذلك من أديان الكفار، مع علمهم بأن ذلك مخالف للرسول كما ذكر عن مبدلة اليهود، ثم فشا فيمن لم يعرفوا أصل ذلك^(١).

٧- التمسك بظواهر من النصوص دون مراعاة قواعد الاستدلال.

من منهج أهل الأهواء التعلق بظواهر النصوص حينما توافق أهواءهم دون ردها إلى النصوص الأخرى، ودون مراعاة لقواعد الاستدلال عند أهل العلم، كاستدلال الخوارج بقوله تعالى: إن الحكم الآن على تكفير منحكم الرجال. وكاستدلال الجهمية بقوله تعالى: لا تُدْرِكُهُ الأبْصَارُ على نفي الرؤية.

يقول شيخ الإسلام عن أهل البدع والأهواء: فكانوا متمسكين بظاهر من القول وعدم العلم بالنصوص التي فيها علم بما قيد، وإلا فكل ما بينه القرآن وأظهره فهو حق، بخلاف ما يظهر للإنسان لمعنى آخر غير نفس يسمى ظاهر القرآن، كاستدلالات أهل البدع القرآن، من المرجئة والجهمية والخوارج والشيعة^(٢).

٨- قولهم بالجاز في العقائد:

القول بالجاز حادث بعد القرون الثلاثة وأئمة السلف المعتبرون كرهوه في العقائد، لأنها غيبية توقيفية، ولما يؤدي إليه القول بالجاز في العقائد من هدم نصوص الشرع، وتحريف كلام الله، والقول على الله بغير علم، وهذا ما يذهب إليه ابن عبد البر وأنه أولى بالصواب. ويقول "وتحميل كلام الله، وكلام نبيه على الحقيقة، أولى لأصحاب الدين، اعتمادهم في تقرير العقيدة على أصولهم الفاسدة، وقد يذكرون الدليل الشرعي للاعتضاد من مناهج أهل الأهواء وسماهم العامة، أنهم يعتمدون على أصولهم الفاسدة في تقرير الدين أولاً، ثم يلتمسون من الأدلة الشرعية ما يوافق هواهم.

قال شيخ الإسلام هو يبين الفرق بين منهج أهل السنة ومنهج أهل الأهواء "الكلام على نوعين، النوع الذي يوجد في كلام الله ورسوله، ونوع الثاني، لا يوجد في كلام الله ورسوله، فيعرف معنى الأول ويجعل ذلك المعنى هو الحقيقة والأصل، ويعرف ما يعنيه الناس بالثانية ويرده إلى الأول، هذا طريق أهل الهدى والسنة، وطريق أهل الضلال والبدع بعكسه، يجعلون الألفاظ الأصل، ويجعلون ما قاله الله ورسوله تابعاً لها، أحدثوها ومعانيها هي التي في العقل، فيردونها بالتأويل والتحريف إلى معانيها، ويقولون، نحن نفسر القرآن بالعقل واللغة، يزعمون أنهم يعتمدون معنى بلغتهم ورأيهم، ثم يتأولون القرآن عليه بما استطاعوا من التأويل، والتفسير المتضمنة، لإخراج الكلم عن معانيه

(١) الفتاوى ١٧/٤٤٦٤٤٥

(٢) الفتاوى ٧/٣٩٢، ٣٩٣

المقصودة، وقال: وسلك أهلاً لنزادقة والبدع طريقاً آخر، واعتمدوا عليها، ولم يذكرها الحديث، ولا القرآن في أصولهم، إلا للاعتضاد لا علي سبيل الاعتماد، ومن أصولهم في الاستدلال، قياس الغائب على الشاهد.^(١)

٩- من مناهج المدرستين قياس الغالب على الشاهد تبعاً للفلاسفة وهو ما سمي بالقياس التمثيلي (أو الشمولي عند بعضهم).

وهذا منهج متحرف ومعارض لمنهج أهل السنة تماماً، بل معارض المنهج القرآن والسنة خاصة، حين استعملوه في الإلهيات والسمعيات، فالصفات وأفعال الله تعالى لا يقاس في حقها الغائب على الشاهد، لأن الله تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)، ولأن الله تعالى له في ذاته وصفاته وأفعاله الكمال المطلق الذي لا تحيط به العقول والأوهام، وكذلك السمعيات غيب، وما يعلم الغيب إلا الله سبحانه، وأي كلام فيها أكثر مما إنما هو رجم بالغيب، فإن من أسباب تعطيلهم وتأويلهم للصفات قياس الغائب على الشاهد، وهذا هو التمثيل والتشبيه، الذي نفاه الله تعالى عن نفسه وسائر أصولهم التي خالفوا فيها السلف في الصفات والسمعيات، تقوم على هذه القاعدة والقياس الفاسد. الأخرى فهي النص ورد فيوسائر مصنفاتهم وكلامهم الذي ملأ الآفاق، وصم الآذان وحشا الدفاتر والأوراق إنما يستند على هذه القاعدة.^(٢)

١٠- المنهج القرآني: بهذه الآية القرآنية التالية يبنّي كل منهاج أهل القرآن حيث يقول الله ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ فمنهج القرآنيين يعتمد في تدبر القرآن على المنهج العقلي، بفهم القرآن بالقرآن. ويرفضون كلمة تفسير القرآن حيث يعتقدون أن التفسير يكون للشيء الغامض، أو المعقد، بينما القرآن ميسر لفهم والتدبر، كما هو مذكور في القرآن نفسه. كما يرفض القرآنيون روايات أسباب النزول، أو التفسيرات المذكورة في كتب التراث، فهم يرون أن عامة المسلمين يقدسون تفسيرات التراث، وروايات أسباب النزول حتى وإن تعارضت مع القرآن، فيقدمون كلام البشر المشكوك بصحته وسنده، على كلام الله المقطوع بصحته.

وحول فهم القرآن بالقرآن فيعمل القرآنيون على فهم مصطلحات القرآن في المواضع المختلفة منه لفهم وتدبر ما تشابه منه. كما لا يعتمد القرآنيون بأقوال السلف أو إجماع العلماء أو القياس وغيرها من مصادر التشريع الإسلامي السنية أو الشيعية، أو غيرها من الفرق التي يطلق عليها القرآنيون، مسمى الأديان الأرضية، ومن هذا المنطلق فإنهم يخالفون الفكر الإسلامي السائد منذ عصر الإمام أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل فيرى القرآنيون أنه فكر حربي متطرف ومخالف للإسلام الصحيح.

(١) الصواعق ٩٩٠٣، ٩٩١

(٢) انظر: التمهيد للباقلاني، ٣٢ وانظر الفرق الكلامية مدخل ودراسة ص ٢١، ونهاية، وانظر الإقدام للشهرستاني ص ١٨٢.

الأساس الذي يجتمع عليه القرآنيون والعقلانيون هو إنكار حجية السنة النبوية المطهرة اما من جميع الاحاديث واما من بعض، والاكتفاءهما بالقرآن الكريم مصدراً وحيداً للإسلام وأحكامه وتشريعاته، ومن هنا جاء هذا اللقب وقد انتشر بين عدد من الناس واتخذوه منهجاً سلوكياً في أمور حياتهم الدينية والدنيوية. أهم دعاة فرقة القرآنيون توزّع أتباع هذه الفرقة من المؤسسين لها في الهند إلى المتأثرين بها في البلاد العربية واختلفت آراؤهم وازدادت خلافاتهم ومخالفاتهم، لأصول الإسلام مع تنوع ثقافتهم، باختلاف بلدانهم ويمكن الإطلاع على مخالفات أخرى لهم في دراسة علي زينو، وتأثر بهذه الأفكار عدد من المثقفين ومن أشهرهم، دعاة القرآنيين في شبه القارة الهندية عبد الله جكرآلوي وخواجه أحمد الدين الهندي، الحافظ أسلم جراجبوري الهندي، غلام أحمد برويز. ومن أشهر الدعاة في مصر الذين نشطوا في الكتابة في هذه الدعوة وهذا الفكر: أحمد صبحي منصور صاحب موقع أهل القرآن في مصر الإلكتروني.

صالح أبو بكر المصري، ألف كتاباً في الطعن في صحيح البخاري سماه الأضواء القرآنية. دعائهم في سوريا ولقي هذا الاتجاه دعماً في سوريا، ومن أشهر دعائه سامر إسلامبولي السوري. زكريا أوزون لبناني، مقيم في سورية نيازي عز الدين مهندس سوري. ومن أشهر دعائهم في الخليج العربي، ابن قرناس وهو كاتب سعودي يكتب باسم مستعار. نقد فكر القرآنيون لم يستطع أحد من القرآنيين المحافظة على الأساس الذي قامت عليه الفكرة، وهي الاكتفاء بالقرآن الكريم وحده كمصدراً للإسلام فقد اضطروا جميعاً إلى الاستعانة بأدلة من خارج القرآن الكريم لتفسير آياته، مثل المعاجم اللغوية وتواتر عمل المسلمين، والثقافة الشخصية. وقد أفق أكثر علماء شبه القارة الهندية بانحراف فكر مؤسس الفرقة عبد الله الجكرآلوي عن الإسلام، وأفق أكثر من ألف عالم من علماء باكستان، والهند، والشام، والحجاز، بخروج أفكار برويز أشهر دعائهم في الهند.

الثاني: علاقة القرآنيين بالمدرسة العقلانية في المصادر، وهي ثلاثة: القرآن، اللغة، الرأي والتأويل

الاول: القرآن

كلتا المدرستين تفسر القرآن بالقرآن وتتجاهلان الأحاديث، لكن الاختلاف الوحيد، هو أن المدرسة العقلية لا ترفض جميع الأحاديث، بينما ترفض المدرسة القرآنية جميع الأحاديث. وانهما تعتمدان على فهم القرآن بالقرآن، وترفضان كلمة تفسير القرآن حيث تعتقدان، أن التفسير يكون للشيء الغامض أو المعقد، بينما القرآن ميسر للفهم والتدبر، كما هو مذكور في القرآن نفسه. كما يرفض القرآنيون روايات أسباب النزول أو التفسيرات المذكورة في كتب التراث، فهم يرون أن عامة المسلمين يقدسون تفسيرات التراث وروايات أسباب النزول، حتى وإن تعارضت مع القرآن فيقدمون كلام البشر المشكوك بصحته وسنده على كلام الله المقطوع بصحته. وحول فهم القرآن بالقرآن، فيعمل القرآنيون على فهم مصطلحات القرآن في المواضع المختلفة منه لفهم وتدبر ما تشابه منه، وقد ذكرت الامثلة في اراءهما الاعتقادية .

الثاني: اللغة

علاقتهما في المصدر اللغوي: المراد من المصدر اللغوي، التفسير بطريق شرح الألفاظ بألفاظ أخرى: ضل أحمد الدين - عن سواء السبيل في بيان معاني الألفاظ بألفاظ أخرى وشرحها، نذكر بعض هفواته من هذا القبيل فيما يلي على سبيل المثال لا الحصر والإستيعاب. (أهبطوا): فسر كلمة "الهبوط" في قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾^(١) بمعنى النزول من الحالة الرفيعة إلى حالة أدنى، بدليل قوله ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا﴾^(٢). وهذا الإستدلال يستلزم إنكار وجود الجنة في السماء. وسبب ذلك اتباع المصنف منهجه العقلاني البحث شبرا بشبر وأخذه بالنواجذ^(٣).

(الأقصى): وهكذا تفسيره للفظ الأقصى الوارد في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٤) بالناحية البعيدة واقعة في حدود مكة تفسير ما أنزل الله به من برهان، ثم يقول ليس المراد بالمسجد الأقصى بيت المقدس، ويخطأ في الإستدلال بقوله: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى﴾^(٥) بأن المراد في الآية بالأقصى الناحية البعيدة، فهكذا في سورة الإسراء مراد به المسجد الواقع في ناحية بعيدة في حدود مكة^(٦). وهذا الإستدلال صريح ومستلزم في إنكار معجزة المعراج النبي، والأحاديث المتواترة مروية فيها. (لَيْلَةُ الْقَدْرِ): يظهر من كلام أحمد الدين عن تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾^(٧) بأنها لسيت ليلة التي وردت الأحاديث الصحيحة، بوجودها في شهر رمضان وخاصة في العشر الأواخر في الوتر يقول: ليس المراد من ليلة القدر: ليلة في رمضان، بل المراد منها الليلة المباركة التي وصفها بصفات منزلة في قوله تعالى ﴿حَمْدٌ . وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾^(٨) "إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ" فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ^(٩)، علماً بأن هذا التفسير يؤدي لا محالة، إلى إنكار الأحاديث الصحيحة الصريحة المصنوعة، نصاً قاطعاً بوجودها في شهر رمضان، يلتمسوها المسلمون في العشر الأواخر في الوتر.

(١) سورة البقرة - ٣٦

(٢) سورة البقرة - ٦١

(٣) انظر: تفسير بيان للناس ١/١٧١

(٤) سورة الإسراء - ١

(٥) سورة القصص - ٢٠

(٦) انظر: تفسير بيان للناس ٣/١٢١

(٧) سورة القدر - ١

(٨) سورة الدخان ١ - ٤

(٩) تفسير بيان للناس ٧/٢٦١.

الثالث: الرأي والتأويل

تلك المدرستان في الاصل عبارة عن تاويلات الفاسدة، انهم لا يتركون اية سواء كان تتعلق بالعقائد، أو بالأصول والاحكام، انهم يتأولون فيه تأويلات فاسدة، مثلاً انهم قد تأولوا في جميع الايات المعجزات الانبياء، وتأولوا في مفهوم جميع الايات التي تتعلق بالعبادات أو الاركان الإسلام.

منها الصلوات، والزكاة، والصوم، والحج، وقد تأولو في طرق اداءهم، قد ذكرت جميع تأولاتها في المباحث السابقة على تفصيل، اذا بينهما علاقة قوية في التأويلات الشرائع بل ان لهما اشتراك في المنهج التأويل.

المبحث الثالث: أوجه التوافق بين المدرسة العقلانية والقرآنيين في الآراء الاعتقادية

ولم يقتصر الاتفاق بين المدرستين في الافكار والمناهج فحسب، بل كان أيضاً في الأساليب، فكلاهما استخدم اللغة، كوسيلة اساسية للتأويل للآيات، وتحريف الايات عن ظاهرها بدون دليل، لكل ما هو مصادر للعقل عندهم، وسمى الدكتور محمد حسين الذهبي، ذلك بالمبدأ اللغوي، عند المعتزلة فقال "والغالب انهم استخدموا اللغة حيث انكروا وابطلوا المعنى الظاهر المخالفة لمذهبهم، ثم اقاموا معنى موجود في اللغة يتفق مع مذهبهم، ثم يستشهدون على ما يذهبون إليه من المعاني التي يحملون ألفاظ القرآن عليها بأدلة من اللغة، والشعر العربي القديم، وإذا لم يحاولوا معرفة كيفية التخلص من المعاني التي تتعارض مع آرائهم، فإنهم يلجأون إلى تأكيد الفرضيات. الاستعارات مثل التشبيهات والتشبيهات، وما إلى ذلك (٢٤).

١- في الدفاع عن المعتزلة، والثناء عليهم: كما يظهر ذلك من كتابات المدرسة العقلية منهم جمال الدين ومحمد عبده ورشيد رضا، ومن كتابات القرآنيين نحو سرسيد احمد خان وعبدالله جكرالوي وخواجه احمد الدين، حيث يقول د خالص جلبي: وعندما استقر الأمر للعقل الكسيع، وطحن التيار العقلاني من المعتزلة وسواهم أصبح التشكيك في عقيدة أي إنسان حتى اليوم يكفيها أن تنسب لهذا الخط الفكري ورسي مصير المعتزلة والاتجاه العقلاني في خانات الهرطقة، وبقيت الساحة عقلاً من دون مراجعة ونقل من دون عقل^(١) كما اعتبر أحمد أمين صاحب المؤلفات التاريخية والأدبية أن من أكبر مصائب المسلمين موت المعتزلة^(٢)

٢- في تمجيد الزنادقة والشخصيات المنحرفة: والدعوة إلى نشر تراثهم يقول د جلبي منتقدا إعدام الحلاج الزنديق في العهد العباسي كل المظالم وقعت باسم الشعب وباسم الأمن أنشئت أجهزة الرعب وأنه تحت بعض الشعارات تغتال الحقائق فباسم الشعب في بغداد حكم على الحلاج بضرب ألف سوط ثم قطع لسانه وأطرافه^(٣) ويشيد جودت سعيد عادة بالجاحظ وابن المقفع، وهما من أئمة الزندقة والبدع، كما حكى العلماء فيقول "ويزداد

(١) المدرسة العصرية ص ٥١٣.

(٢) الموسوعة الميسرة ص ٧٨ نقلاً عن كتاب ضحى الإسلام.

(٣) المدرسة العصرية ص ٥١٥.

الإنسان إعجاباً بأقوال ابن المقفع حول الملك (السياسة) ويقول: والملاحظ له مقام في الحضارة الإسلامية يتألق نجمه على مرّ الزمن كان يتذوق مع آيات الكتاب "آيات الآفاق والأنفس وهو وإن كان إماماً في الأدب إلا أنه صاحب مذهب في العقيدة أيضاً"^(١)

٣- في الانتقاص من السلف الصالح ومن أهل السنة وعلمائهم ومذهبهم: يقول الأستاذ البسيوني في بيان حال هؤلاء العصرانيين "وكلما كنت مستمسكاً ومنافحاً عن التراث منادياً بشمولية الإسلام كنت (سلفياً) وإن أعدى أعدائهم، وعمى عيونهم في المناهج السلفية الاتباعية وهي عندهم قرينة لخراب الدنيا ونذير بيوم تحل فيه الغمة"^(٢) وينتقص محمد عمارة من إمام أحمد رحمه الله، ومن منهجه وأتباعه للسنة "فيقول" ولقد بلغ من اتباع ابن حنبل للنصوص والمأثورات، ولها وحدها الحد الذي جعله لا يرجح بالرأي أو العقل أو القياس مأثرة على أخرى عندما تتعدد وتتضارب وتتعارض المأثورات في الأمر الواحد والقضية الواحدة، فكان يفتي بالحكمين المختلفين لأن لديه مأثورتان مختلفتان في الموضوع"^(٣) ويطالب جودت سعيد بعدم اتباع السلف الصالح في منهجهم وتفكيرهم، قائلاً "على المسلم أن لا يضع الآباء المسلمين المتقدمين منهم والمتأخرين مكان القواعد والسنن مهما أحسن الظن فيهم ويقول: وربما كان ما أصيب به المسلمون من الجمود على رأي الآباء أقوى من جمود غيرهم من الأقوام لأن الآباء حلّوا محل الآيات سواء آيات الكتاب أو آيات الآفاق والأنفس"^(٤)

٤- في تشويه تاريخ المسلمين وجهادهم وفتوحاتهم: والإساءة إلى كل الدول التي قامت بعد عصر الخلفاء الراشدين وفتوحاتها، بل وطالت إساءاتهم حتى عصر الراشدين رضي الله عنهم. ويرى د عمارة، أن حروب الردة لم تكن حروباً دينية، بل من أجل الأمر والسلطة، والتوسع، ويدّعي أيضاً أن عمر رضي الله عنه كان رائد التمييز بين السياسة والدين مع معارضة جمهور الصحابة له وأنه بنى الدولة الإسلامية على هذا التمييز^(٥) ويقول خالص جلي: إن السيف الأموي في الأندلس والمدفع العثماني في البلقان يصلح تفسيراً لانحسار الإسلام عن أوروبا لأنه لم يكن انتشاراً على منهج النبوة بل اجتياحاً عسكرياً ونسبته إسلامياً^(٦)

٥- في الثناء على بعض المذاهب المنحرفة وإبراز الحركات الثورية والتمردية: التي تمردت على دول الخلافة الإسلامية وإظهار هذه الحركات في قوالب تميل إلى إظهار أصحاب هذه الحركات في ثياب الإبداع الحضاري والعطاء الإنساني بينما وضع (أي الدكتور عمارة) مخالفينهم في قائمة السلطوية، أو الرجعية أو النصوصية^(٧) ويرى د عمارة،

(١) السابق ص ٥٢١. ٥٢٣.

(٢) العقلانية ص ٧٨.

(٣) تيارات الفكر الإسلامي ص ١٣٧-١٣٨.

(٤) المدرسة العصرية ص ٤٨٨ نقلاً عن كتاب حتى يغفروا ما بأنفسهم.

(٥) المصدر السابق ص ١٢٩ نقلاً عن (المعتزلة وأصول الحكم والإسلام وقضايا العصر لعمار.

(٦) المدرسة العصرية ص ٤٦٠.

(٧) العقلانية للبسيوني ص ١٢٨ - ١٢٩.

أن حركة الخوارج كانت مثالا حيا على حماسة القيم، الثورية التي جاء بها الإسلام. كما يرى أن الحركة القرامطة كانت بمثابة توجه عربي، نحو إنشاء كيان عربي، يكتسب مع مرور الوقت خصائصه الوطنية. وأن جماعة إخوان الصفا الإسماعيلية كانت حركتهم حركة ثورية، إنبثقت من الأراضي العربية كرد فعل علي الظلم الاجتماعي والسياسي، وللرعب الذي بدأ من قبل السلطات الإقطاعية، ضد كل ما هو، متقدم في الحياة. (١) كما اعتبر د عمارة أن الاشتراكية هي التطبيق الأمثل للإسلام ويقول "و إذا اردنا أن نقوم هذه التجربة، فلن نجد شيأ أكثر دقة ومطابقة للواقع، من هذه المحاولة جادة، والصادقة، لتطبيق أفكار الاشتراكية. (٢)

٦- في إنكار بعض المعجزات النبوية، وكرامات الصالحين وبعض الغيبيات: أو تأويلها تأويلا يأباه النص كموقفهم من نزول المسيح عيسى عليه السلام، والملائكة والجن والطير الأبايل، وظهور الدجال في آخر الزمان (٣) وأما تفسير الشيخ عبده، لإهلاك أصحاب الفيل بوباء الحصبة، أو الجدري، الذي حملته الأبايل، من هذ القبيل (٤)

٧- في تمجيد الحضارة الغربية ومفكرها: وبعض النظريات الوضعية يقول د خالص جلبي: حضارة الغرب اليوم ليست مادية فقط كما ندّعي "ونحن لسنا في حضارة روحية تخلق في السماء، فكل حضارة تقوم علمجموعة من القيم، والحضارة الغربية (اليوم) لا تخرج أو تشذ عن هذا القانون" (٥) وينقل جودت سعيد عن المؤرخ توينبي (في كتاب تاريخ البشرية) قوله "في فترة لا تتجاوز خمسة أجيال فقط ظهر خمسة من كبار الحكماء في العالم القديم (زرادشت بوذا كونفوشيوس فيثاغورس وإشعيا الثاني أحد أنبياء بني إسرائيل، ويعلق جودت سعيد على كلام توينبي السابق ويقول: ولا يزالون حتى اليوم يؤثرون في الإنسانية مباشرة أكثر من أي كائن بشري حي" (٦)

٨- في تبني مذهب اللاعنف الذي يعني ضمنا إلغاء الجهاد: والاختصار على الوسائل السلمية في مواجهة الظلم، ويعتبر جودت سعيد أبرز الدعاة لهذا المبدأ، وكذلك تلميذه خالص جلبي وهما دائما الإشادة بالزعيم الهندي غاندي ولمنهجه في تجنب محاربة الاستعمار البريطاني للقارة الهندية. يقول خالص جلبي "لقد أدرك غاندي بالتجلي العبقري، والروح السلمية أنه لن يقود شعبه لمواجهة خصمه قبل أن يحرقه من المرض النفسي الداخلي، وعندما غادر البريطانيون شبه القارة الهندية، ودّعوها أصدقاء بدون كراهية. وكان استقلال الهند نموذجا عجيبا من الوداع الحبي،

(١) المصدر السابق ص ١٢٩ نقلاً عن كتاب فجر اليقظة القومية.

(٢) المصدر السابق ص ١٢٩ نقلاً عن كتاب فجر اليقظة القومية.

(٣) مقالات في المذاهب والفرق ص ٨٣-٨٢ وانظر أيضاً العقلانيون ومشكلتهم مع أحاديث الفن لمبارك البراك.

(٤) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة. ص ٧٧ المؤلف: الندوة العالمية للشباب الإسلامي. إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع

بن حماد الجهني. الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة.

(٥) المدرسة العصرية ص ٢٣٨ - ٢٣٩ نقلاً عن سيكولوجية العنف.

(٦) المصدر السابق ص ٢٦٥ نقلاً عن كتاب اقرأ وربك الأكرم.

أو على حد تعبير غاندي يومها: أيها السادة حان وقت رحيلكم وما زالت الهند تنعم بشيء من روح الديمقراطية، وكله من بقايا روح المهاتما جاندي العظيمة.^(١)

وخلاصة الانتقادات الموجهة لهم من بقية الفرق الإسلامية هي، أن الله قد قرن في القرآن أوامر النبي بأوامره كما في قوله تعالى: ويروى حديث عن النبي محمد ﷺ "تركتم فيكم أمرين...". والحديث الذي رواه أحمد وأبو داود والحاكم بسند صحيح عن المقدام أن محمد صلى الله عليه وسلم قال "يوشك أن يقعد الرجل..... الخ، ألا وإن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله.

ومن رد على القرآنيين من المتقدمين:

ابن حزم الأندلسي، حيث قال "ولو قال قائل، لا نأخذ إلا ما وجدنا في القرآن، فهو كافر بإجماع الأمة، وقائل هذا، كافر مشرك، دمه وماله حلال.^(٢) وقال الإمام الشاطبي "إن الحصر بالكتاب فقط هو قول قوم، لا أخلاق لهم، وخارجين عن السنة، فإن اعتمدوا على ما صنع منهم من أن كل شيء مبين في الكتاب، فقد رفضوا أحكام السنة. ولهذا يتكون الجماعة ويفسرون القرآن على غير ما أنزل الله"^(٣)

والدكتور محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف المصري السابق الذي قال في مقال له: "إن السنة النبوية هي البيان النبوي للبلاغ القرآن، والتطبيق العملي للآيات القرآنية، التي أشارت إلى فرائض، وعبادات، وتكاليف، وشعائر، ومناسك ومعاملات الإسلام، فالتطبيقات النبوية للقرآن التي هي السنة العملية، والبيان القولي الشارح، والمفسر، والمفصل، هي ضرورة قرآنية وليست زيادة على القرآن المجيد.

وتأسيساً بالرسول، وقياماً بفريضة طاعته، التي نص عليها القرآن الكريم. والعلاقة الطبيعية، بين البلاغ الإلهي، وبين التطبيق النبوي، لهذا البلاغ الإلهي، السنة النبوية فهي أشبه بالعلاقة ما تكون بين الدستور وبين القانون. فالدستور هو مصدر لقانون. والقانون هو تفصيل وتطبيق الدستور، ولا حجة ولا دستورية لقانون يخالف الدستور. ولا غناء بالدستور عن القانون"^(٤)

ذكر بعض نماذج لآرائهما الاعتقادية المتوافقة بينهما:

١- إنكار السنة النبوية جميعها أو بعضها: حيث يقول حول السنة النبوية "القرآن وحده سبب الهداية والعمدة في الدعاية أما ما تراكم عليه وتجمع حوله من آراء الرجال واستنباطهم ونظرياتهم فينبغي أن لا نعول عليه كوشي وإنما نستأنس به ك رأي ويحذر من إضاعة الوقت في عرض ذلك." ^(٥) وهو لا يعني بهذا السنة المتواترة، أو ما أجمع

(١) المصدر السابق ص ٣٤٤. ٣٤٥ نقلاً عن مقال في صحيفة الرياض السعودية.

(٢) أدلة الشرعية لإمام الشاطبي، ص / ٢٣٦. هو أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي.

(٣) هات المشككين موقع وزارة الأوقاف المصرية ص ١٧.

(٤) جمال الدين الأفغاني لعبدالقادر المغربي ص ٦٢-٦٣.

عليه العلماء، حيث يقول "فالتواتر والإجماع وأعمال النبي المتواترة إلى اليوم هي السنة الصحيحة، التي تدخل في مفهوم القرآن وحده، والدعوة إلى القرآن وحده." وهو يدعو إلى دراسة القرآن والكشف عن كنوزه المدفونة فيقول "ولني لآسف إذ دفن المسلمون بين دفتيه الكنوز وطفقوا في الجهل يفتشون على الفقر المدقع، ولكنه يتأسف على التعمق في تفسير باء البسملة ومخرج صاد الصراط وكيف لا أقول وأأسفاه وإذا نحض أحد لتفسير القرآن فلا أراده إلا يهيم بباء البسملة ويغوص ولا يخرج من مخرج حرف صاد الصراط حتى يهوي هو ومن يقرأ ذلك التفسير في هوة عدم الانتفاع بما اشتمل عليه القرآن من المنافع الدنيوية والأخروية مع استكمالهم الأمرين على أتم وجوههما، ويرى أن القرآن بريء من مخالفة الحقائق العلمية الثابتة فإذا لم نر في القرآن ما يوافق صريح العلم والكليات اكتفينا بما جاء فيه من الإشارة ورجعنا إلى التأويل.^(١) وقد صدر السيد جمال الدين سبع عشرة مقالة من خمس وعشرين مقالة في (العروة الوثقى) بآية أو آيتين من القرآن الكريم اعتقدها بعضهم شرحا وتفسيرا وليس كذلك فقل أن يعرض في المقالة للآية المصدرة، أما الآيات التي تناولها بنوع من التفسير فقليل جدا كما ذكرنا توجد بين ثنايا بعض مقالاته.

٢- تفسير الملائكة: قرأت في القرآن أمرا تغلغت في فهمه روحي وتنبهت إليه بكليتي وهو وإذ قال ربك لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً^(٢) فاندھشت الملائكة لهذا النبأ ولهذا المشيئة الربانية إذ علمت أن ذلك الخليفة سيكون الإنسان وأن ذلك الإنسان الخليفة سيصدر منه موبقات وسيئات أعظمها وأهمها أنه يسفك الدماء فقلت بملء الحرية المتناسبة مع الملأ الأعلى وعالم الأنوار والأرواح الذي لا يصح أن يكون هناك شيء من رياء ونفاق أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء^(٣) ووقفت الملائكة عند هذا الحد من الطعن في الإنسان ولم تذكر باقي السيئات من أعماله، إذ رأها لغوا بالنسبة لهذين الوصمين الفساد وسفك الدماء، ثم يمضي في التفسير على هذا المنوال إلى أن يقول، وبأبسط المعاني أن الله تعالى أفهم الملائكة، أنكم علمتم ما في خيلتي في الأرض وهو الإنسان من الاستعداد لعمل الفساد وسفك الدماء، وجهلتم ما أعددت له لصونه، وصرفه عن الإتيان بالنقيصتين المذكورتين، ألا وهو العلم^(٤) فقال: وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين^(٥) ويفسر آيات أخرى فيقول غضب سليمان عليه السلام على الهدهد إذ تفقده، ولم يجده، فلما حضر قال: وَجِئْتُكَ مِنْ سَبِيلِ بْنِ يَاقِينَ^(٦) غير ملفق ولا مشوب بكذب، كما تفعل أكثر الجواسيس مع الملوك والحكام، إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ

(١) خاطرات جمال الدين الأفغاني محمد المخزومي ص ٩٩/١٠٠.

(٢) البقرة ٣٠

(٣) البقرة ٣٠

(٤) خاطرات جمال الدين الأفغاني (ص ٩٢-٩٣)

(٥) البقرة ٣١

(٦) النمل ٢٢

عظيم^(١) دينهم ومعتقدهم: وجدُّها وقومها يسجُدون لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ^(٢) ثم يقول بعد ذلك: فلما جاء الكتاب إلى ملكة سبأ، جمعت فوراً مجلس الأمة، قالت يا أيُّها الملأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ^(٣) وبع د أن تداول مجلس الأمة الوزراء اليوم مثلاً واستخرجوا إحصاء من سجلاتهم، بما عندهم من المعدات الحربية أعلنوا الملكة وأنبؤوها، أنه من إمكانهم محاربة سليمان بما توفر لديهم من القوة إذا هي وافقت على إعلان الحرب قالوا نحنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ثم يمضي بعد فيقول فرد سليمان الهدية، وتحفز لإخراج الملكة وقومها، أدلة بالحرب وأراد أن يريها ما لديه من القوى وما تسخر له من رياح يمتطيها وتجري بأمره طيارات مثلاً وسرعة نقل الأخبار والأشياء بأسرع من البرق التلغراف اللاسلكي مثلاً^(٤)

٣- الربا: وكان يشطح في تفسيره فيفسر الربا الحرم في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً﴾^(٥) ب جواز الربا المعقول، الذي لا يثقل كاهل المديون، ولا يتجاوز في برهة من الزمن رأس المال ويصير أضعافاً مضاعفة^(٦). ويفسر جد في قوله تعالى وأِنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا^(٧) أن جد معرب كد ومعناه العرش بالفارسية أو الهندية^(٨) ويفسر ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةٌ﴾ النساء: ٣ بأنه قيد من خاف أن لا يعدل بالمرأة الواحدة وترك لمن يخشى أن لا يعدل، حتى مع الواحدة، عدم الزواج وهذا ما يستنتجه العقل ما دام يحمله العاقل ويقول به الحق والعدل^(٩) ويفسر الأمور الغيبية من غير نص فيقول وترى الأرض بارزة الكهف: ٤٧ أي خارجة عن محورها غير راضخة للنظام الشمسي، وإذا ما حصل ذلكف، لا شك يختلف ما عرف من الجهات اليوم، فيصير الغرب شرقاً والجنوب شمالاً، وبذلك الخروج عن النظام الشمسي، وما يحدثه من الزلزال العظيم لا شك تتبعثر أجزاء الأرض لبعدها عن المركز وتنسف الجبال نسفاً وتتحول براكين هائلة، وبالنتيجة تخرب الكرة الأرضية ويعمها الفناء بما فيها من حيوان وتقوم القيامة والله أعلم^(١٠) وقد وجدت من آراءه في تفسيره غير ما ذكرت الا أشرت إليه، حذراً عن التطويل، فلا بد لقاري ان يراجع تفسيره . كقوله تعالى واعلموا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ

(١) النمل ٢٣

(٢) النمل ٢٤

(٣) النمل ٣٢

(٤) خاطرات جمال الدين الأفغاني (ص ١٠٠-١٠١)

(٥) آل عمران ١٣٠

(٦) جمال الدين الأفغاني محمود أبو رية (ص ٩٨)

(٧) الجن ٣

(٨) جمال الدين الأفغاني عبدالقادر المغربي (ص ١١٠)

(٩) جمال الدين الأفغاني محمود أبو رية (ص ١٠٠)

(١٠) خاطرات جمال الدين الأفغاني محمد المخزومي ص ١٠٤.

مَنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ^(١) وتفسيره لقوله تعالى: وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ^(٢) وتفسيره لقوله تعالى إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ^(٣) وإنما أطلت في بيان تفسيره لأنه مرادنا منه ولأنني لم أجد أحدا ممن أرخوا له أو كتبوا عنه أشار إلى تفسيره فضلا عن جمعه وترتيبه له.

٤- ومن توافق آراءهم في مجال الفقه: يعبر (دفتحي عثمان) عن حجاب المرأة، ومسألة عدم الاختلاط بقوله

فإذا التقى الرجل والمرأة في ظروف طبيعية، هادئة محكمة فلن يغدو هذا اللقاء، قارعة شديدة الواقع، سيألف الرجل رؤية المرأة ومحادثة المرأة ومعاملة المرأة في إطار من الدين والخلق، تحدد معاملته تربية الأسرة، وعرف المجتمع ورعاية الدولة، وستألف المرأة بدورها الرجل فيهدأ السعار المضطرب ولا يكون هناك مجال للانحراف والشذوذ وتتجمع لدى الطرفين خبرات وحصانات وتجارب. سبحان الله العظيم وكأن تجربة الأوربيين في الاختلاط لقرون عديدة أنتجت الخبرات والحصانات وكفلت الإحصان للمرأة والرجل، إن هذا إلى جانب كونه افتياتا على الشريعة الخفيفة، فهو جهل بالفطرة الإنسانية التي يعلم حقيقتها خالقها سبحانه. ويعلن عبد اللطيف غزالي "نحن اليوم لا نجد حرجا، في التفكير في تقييد حق الرجل في الأربع وتقييد حقه في الطلاق"^(٤) أما في الحدود فيرى حسن الترابي أن الردة الفكرة التي لا يصابها خروج على نظام الدولة، لا تستوجب إقامة الحد ويعني بالردة الفكرية الكفر الاعتقادي بالتعبير الشرعي، ويرى محمد فتحي عثمان أن عقوبة الردة كانت لضرورة عسكرية أملت الظروف على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٥- توافق آراءهم عن التقارب بين الأديان: فيرى عبد العزيز كامل أن منطقة الشرق الأوسط هي منطقة

التوحيد بدياناتها الثلاث، الإسلام والمسيحية واليهودية، وهو ما يؤكد كذلك فهمي هويدي ومحمد سعيد عثماوي^(٥) أما عبد الله غزالي فيشرح معنى الإسلام بقوله: الإسلام هو أن تسلم وجهك لله وأنت محسن وأي امرئ كان هذا حاله فإنه مسلم سواء كان مؤمنا بمحمد أو كان من اليهود أو النصارى أو الصابئين وبين أن اللجنة ليست حكرا على المسلمين الموحدين وأن الدين المنجي عند الله ليس الإسلام وحده فيقول: لماذا يعتقد أتباع كل دين أن الله يختصهم بالجنة ويذر غيرهم وأكثر الناس في النار؟ ثم يؤكد أن حقيقة الشرك هي العداء بين الأديان^(٦)

(١) الأنفال ٤١، الآية في (الخاطرات ص ١٢٢)

(٢) الأنفال ٦٠ في (العروة الوثقى ص ١٢٩)

(٣) الرعد ١١ في (العروة الوثقى)

(٤) بحث الدعوة إلى التجديد (٦٠)

(٥) جريدة الأخبار المصرية (١٧/١٠/١٩٧٩م نقلا عن بحث الدعوة إلى التجديد.

(٦) نظرات في الدين ص ١٦.

وبعد: فليحذر الشباب من تلك الدعوات الباطلة وإن تحلت بالأسماء الرنانة واللافتات المضئية التي تتحدث عن العقل والتحرر والتجديد والتوفيق، أو تستتر خلف تلك الفرق التي تعلقت باسم الإسلام في تاريخه رغم ضلالها وانحرافها^(١).

فإننا نعتقد:

أولاً: أن المدرستان ذات منهج منحرف وهما أقرب إلى فرقة المعتزلة فهم كالمعتزلة.

ثانياً: لهما توافق في إنكار المعجزات، وتأويلها.

ثالثاً: لهما توافق في كثير من الغيبيات أيضاً، كالملائكة، والجن، والسحر.

رابعاً: لهما توافق في تكذيب كثير من الأحاديث الصحيحة، حتى التي رواها بخاري، ومسلم.

خامساً: وهم كالمعتزلة في عدم تعديل الصحابة كلهم، بل يتجاوز بعضهم كبعض المعتزلة.

(١) المعتزلة بين القديم والحديث لمحمد العبد وطارق عبد الحليم ص ١٣٦.

المبحث الرابع: أوجه التباين بين المدرسة العقلانية والقرآنيين في الآراء الاعتقادية

بعد ذكر آراء كلتا المدرستين في المبحث السابق، يتضح للقارئ ما هو الفرق بين هاتين المدرستين. لا شك أن كلا المدرستين أفسدا جوهر الإسلام وأفسدا المعتقدات، لكن ههنا لابد من ذكر أهم أوجه التباين بينهما مما يلي:

الاول: تعلن المدرسة العقلية أن العقل هو مصدر الإسلام، وتتبع الأفكار الغربية التي يفسرون من خلالها، وصايا الشريعة، وهي خاطئة. وأن المدرسة العقلية تتبع المعتزلة، والأيدولوجية الغربية الأخرى العلمانية والبرالية غالباً. وأما المدرسة القرآنية تستخدم القاموس العربية كمصدر لها، ولهذا السبب فهي تفسر الآيات القرآنية، بطريقة اللغوية حرفية. وتنفي إجماع والأحاديث النبوية والفقه والاجتهاد، وتفسرها حسب رأيهم وهذا هو الفرق الرئيسي بينهما.

الثاني: تؤمن المدرسة العقلية بالأحاديث وتؤمن بالوحي المنزل والوحي الخفى مع أنها تؤل المعجزات، ولا تنكرها وتؤمن بناسخ والمنسوخ في القرآن، وأما المدرسة القرآنية تنفي الأحاديث تماماً وتنفي المعجزات وفي مخالفة للاعتقاد السائد هم لا يعتقدون بنسخ الآيات المعروف عند بقية المسلمين وهو أن تلغي إحدى الآيات حكم مذكور في آية أخرى وفقاً لما ذكر في القرآن ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ فمفهوم الآية المذكور هو المعجزة وفقاً لفهم القرآنيين. وحجة منصور في هذا وهي مقبولة لدى الكثيرين من علماء اللغة ورجال الفقه القرآني أن النسخ يعني التدوين والإثبات وليس الإلغاء.

الثالث: القرآنيون هم الذين يجتمع على إنكار حجية السنة النبوية المطهرة ويكتفون بالقرآن الكريم كمصدر وحيد للإسلام وأحكامه وتشريعاته، ومن هنا جاء هذا اللقب وقد انتشر بين عدد من الناس واتخذوه منهجاً سلوكياً في أمور حياتهم الدينية والدنيوية، وأما المدرسة العقلية يترك الأحاديث حينما لا يوافق عقولهم.

الرابع: القرآنيون لا يعترفون بوجود وحي ثان مع القرآن وكلام النبي ليس وحياً من الله، وبالتالي غير ملزم للمسلمين ولا يعترف القرآنيون من جهة أخرى بنسبة ما يسمى الأحاديث النبوية للرسول محمد ﷺ ويقول القرآنيون في ذلك أن المنهجية التي اتبعت في تصحيح الأحاديث النبوية، كانت تفتقر للموضوعية ومخالفة للمنهج العلمي السليم، لذلك خرج العديد من الأحاديث في الصحاح التي يختلف فيها المسلمون، حتى اليوم، إضافة لقولهم أن من إعتد بتصحيح هذه الأحاديث النبوي، هم مجرد أفراد وتصحيحهم قابل للصواب والخطأ، إضافة لاعتمادهم على نهي الرسول محمد ﷺ عن تدوين السنة بأحاديث هي الآن في الصحاح وأن هذه السنة المروية أو الأحاديث لم تدون إلا في القرن الثالث الهجري أي بعد ما يزيد عن المئتين والثمانين عاماً على وفاة الرسول. مما يؤكد اعتقادهم بنهي الرسول على الكتابة عنه أولاً ودخول العديد من الأحاديث الموضوعية والمختلقة على هذه السنة قبل وخلال تدوينها ثلاثة قرون.

لهذا يستبعد القرآنيون السنة القولية أو ما يسمى بالأحاديث النبوية من مصادر التشريع الإسلامي فلا يجوز حسب قولهم بناء الشريعة على أسس مشكوك فيها. أما مدرسة العقلية ليس كمثال القرآنيون وموقفهم من السنة بل بعض

منهم الذين يتشددون في احتجاج أصل الأحاديث النبوية، ودون بعض، حيث يقول د. أحمد صبحي منصور أن الأمويين عملوا على ترسيخ حكمهم من خلال تلفيق أحاديث، ترفع من شأن معاوية بن أبي سفيان جد الأمويين والتقليل من شأن معارضيهم مثل علي بن أبي طالب وذريته أو عبد الله بن الزبير وغيرهم حيث كان يرويهما القصاصون في الشوارع والمساجد كما قام بمثل ذلك العباسيون في تمجيد ابن عباس والتعظيم من شأنه. وعمل ملوك الدولتين من خلال الكهنوت الديني التابع لسلطتهم بخلق أحاديث ونسبتها للنبي تساعد على تثبيت حكمهم وأحاديث أخرى تسمح لهم بالتخلص من معارضيهم مثل أحاديث قتل المرتد كما كان لهذه الأحاديث الأثر في ظهور الجبرية في العصر الأموي التي اعتبرت كل شيء مقدرا على الإنسان ومن هذه المقادير وجود الحاكم في السلطة.

ويرى د. منصور أن الهدف من وراء هذه الأحاديث إلهاء الناس بأمور فرعية عن المطالبة بحقوقهم وتقييد حرية الرأي. كما يعتقد القرآنيون أن بعض الأحاديث دستها بعض الجماعات الفارسية التي دفعتها نظرتهم الشعوبية ورغبتهم لإعادة السيطرة للقومية الفارسية. و القرآنيين يعتبرون أن سنة النبي التي ذكرت في القرآن هي عمل النبي محمد بما جاء في القرآن والتزامه بمبادئ الإسلام المتمثلة في الوحي الإلهي المنزل عليه وهو القرآن لا أكثر. بناء على ذلك على المسلمين التأسى بالرسول من خلال العمل بما جاء في القرآن وذلك هو فهمهم للآية: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(١).

وتعتقد بقية الفرق الإسلامية على اختلافها أن القرآنيين بهذا قد خالفوا القرآن نفسه حيث جاء فيه أمر من الله للمسلمين فقال: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٢) وترى الفرق الإسلامية إنه امر واضح من الله بطاعة النبي وقول الله في القرآن: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ مرات عديدة في القرآن فقرن الله طاعته بطاعة النبي، حيث ذكر القرآن هذا أكثر من مرة ومنها: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾^(٣). ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾^(٤) قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفورٌ

(١) سورة الأحزاب - الآية ٢١

(٢) الحشر آية ٧

(٣) النساء آية ٨٠

(٤) النساء آية ٥٩

رَحِيمٌ ﴿١﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴿٢﴾ ويفسرون هذه الآيات على أن طاعة الرسول، تتمثل في الالتزام بسنته الواردة في الأحاديث النبوية.

ويرد القرآنيون بأن هذه الآيات تشير إلى ما يبلغه الرسول ويأمر به مما يمكن استنباطه من الآيات القرآنية وليس المقصود أن الرسول جاء بأحكام وتشريعات مختلفة عما جاء بها القرآن.

(١) ال عمران ايه ٣١

(٢) سورة الأحزاب - الآية ٧١

الباب الثاني

خواجه أحمد الدين الأمرتسري وعوامل بناء شخصيته الفكرية وفيه فصلان:
الفصل الأول: نبذة مختصرة عن خواجه أحمد الدين الأمرتسري؛ وفيه مباحث

المبحث الأول: نبذة يسيرة عن حياته الشخصية

المبحث الثاني: الحالة السياسية في شبه القارة الهندية

المبحث الثالث: الحالة الدينية والفكرية في شبه القارة الهندية

المبحث الرابع: أعماله الفكرية والحركية في شبه القارة الهندية

الفصل الثاني: عوامل بناء شخصية أحمد الدين الفكرية؛ وفيه مباحث

المبحث الأول: علاقة أحمد الدين بالإنجليز المحتلين لشبه القارة الهندية

المبحث الثاني: علاقة أحمد الدين بالمدرسة العقلانية عموماً

المبحث الثالث: أهم رجال الفكر الذين تأثر بهم وتلمذ عليهم أحمد الدين

المبحث الرابع: منهجه في نشر فكره وعقيدته في شبه القارة الهندية

الفصل الأول

نبذة مختصرة عن خواجه أحمد الدين الأمرتسري، وفيه مباحث

المبحث الأول: نبذة يسيرة عن حياته الشخصية

المبحث الثاني: الحالة السياسية في شبه القارة الهندية

المبحث الثالث: الحالة الدينية والفكرية في شبه القارة الهندية

المبحث الرابع: الدعوتة الفكرية والحركية في شبه القارة الهندية

المبحث الأول: نبذة يسيرة عن حياته الشخصية

تمهيد:

خواجه أحمد الدين امرتسري (المتوفى ١٩٣٤م تقريباً) هو أحد أعلام ما يُعرف في شبه القارة الهندية بـ "القرآنيين" أو أهل القرآن، وهي جماعة ظهرت في القرن التاسع عشر في الهند، متأثرة بالظروف الاستعمارية والفكر الإصلاحية اعتمد على المنهج العقلاني وأعرض عن السنة النبوية في تعيين مفاهيم الآيات، وسوف أذكر ههنا ثمانية نقاط، وهي اسمه ونسبه: مولده ونشأته، البيئة العلمية، مكانته العلمية، مذهبه وعقيدته، مآثره العلمية.

اسمه ونسبه:

هو خواجه أحمد الدين، ابنُ خَواجة ميان محمد بن محمد إبراهيم، زعيم لفكر الحركة القرآنية، سماه أبوه أحمد، واشتهر بين الناس بأحمد الدين، وبعد تعليمه عُرف بالشيخ أحمد الدين امرتسري. أما سبب شهرته بخواجه، فهي سلسلة نسب تتعلق بأسرة خاصة مشهورة في الهند. وأمرتسري: نسبة إلى بلدة ولادته أمرتسر في الهند^(١).

وأبوه هو ميان محمد له تعلق سلوكي بالشيخ غلام علي القصوري^(٢) وخواجه أحمد الدين كان يحضر مع أبيه في مجالس الشيخ من الطفولة. فنشأ في البيئة التي كانت ملونة بالثقافة الدينية والتصوف وما إلى ذلك، وكان أبوه رئيس القوم، وكان له علاقات طيبة مع جميع الناس والفرق المختلفة مثل أهل السنة والشيعة وأهل الحديث، وغير ذلك، فاجتهد في حياته أن يجمعهم في إطار التعايش السلمي، وبهذا السبب اختار الشيخ أحمد الدين صحبة طويلة مع هؤلاء الناس حتى استفاد بصحبتهم العلمية والفكرية^(٣) وحصل الشيخ الشهادة الثانوية من المدرسة الحكومية (مشن سكول)، وفي ذلك الوقت كان يدرس الإنجيل في المدارس الحكومية، فقرأ الإنجيل في المدرسة، وكان له شغف بقراءته حتى كان ممتازاً في اختبار، وكان الشيخ ضعيف البصر فلأزم أصحابه لسماع الدروس، وكان يعرف اللغات المختلفة من العربية والإنجليزية والفارسية وغيرها، وله مكانة رفيعة في علوم الرياضيات والفلسفة والمنطق وعلم البيان، والمعاني والبدیع، ومهارة في علم التاريخ، وطبقات الأرض، وعلم النباتات والحيوانات خاصة في علوم القرآن وعلم مقارنة الأديان، وغير ذلك من العلوم. فاستفاد الشيخ كثيراً من الشيخ غلام علي القصوري، ومدرسي المدرسة الحكومية،

(١) تسهيل برهان القرآن از افادات خواجه احمد الدين. طبعته دوست ايسو سو ايتس الكريم ماركيت اردو بازار لاهور ط الأولى ١٩٨٣.

(٢) هو غلام علي بن داؤد بن مخدوم القصوري الأمر تسري، ولد سنة ١٨٢٦م في قرية قصور قريب من لاهور) بدأ حياته العلمية من بيته على يد والده كان زاهداً ومفسراً، استفاد من شيوخ قصور وشيوخ لاهور من مآثره العلمية: تفسير القرآن الكريم إلى سورة الكهف)، حديث قرطاس باللغة الفارسية تحريق قرآن، وغير ذلك، توفي سنة ١٨٨٩م في قصور انظر: تذكره علماء بنجاب، لأختر راهي باكستان مكتبة رحمانية، لاهور، ط ١٩٨١م، ج ١ ص ٤٠٤-٤٠٤.

(٣) انظر المصدر السابق ص ٦ وانظر مقدمة تسهيل برهان القرآن، لخواجه أحمد الدين الأمر تسري باكستان دوست ايسوسي ايتس، لاهور، ط ١٩٨٣م، ص ٦.

ومن كتب المذاهب المختلفة المتوفرة له من أصحاب المسالك المختلفة، وكان يقضي معظم أوقاته من الطفولة في قراءة الكتب وسماعها^(١)

مولده ونشأته:

ولد الشيخ عام ١٨٦١م في امرتسر بلدة في الهند، ونشأ فيها حتى حصل على الشهادة الثانوية من الكلية الحكومية المسماة (مشن سكول). تتلمذ على الشيخ غلام علي القصوري في حصول العلوم الدينية.

شخصيته وفكره

كان من كبار الدعاة إلى الاكتفاء بالقرآن الكريم كمصدر وحيد للتشريع والعقيدة، وأنكر حجية السنة النبوية كمصدر مستقل.

يعد من تلاميذ أو المتأثرين بـ عبدالله جكرالوي (ت ١٩١٤م)، مؤسس حركة أهل القرآن في البنجاب. خالف جمهور العلماء في مسائل العقيدة والفقه، حيث أنكر المعجزات النبوية غير المذكورة في القرآن، وأنكر الشفاعة وعذاب القبر وأحاديث المهدي ونزول عيسى عليه السلام. ألّف رسائل في الدفاع عن مذهبه، منها كتابه المشهور: "إظهار الحق" وكتب أخرى جدلية ضد أهل الحديث وأهل السنة.

آراؤه الأساسية

١. القرآن هو المصدر الوحيد للدين، وما عداه من الأحاديث لا يُلزم المسلم إلا إذا وافق نص القرآن.
٢. ردّ السنة النبوية باعتبارها نقل آحاد وظنية الثبوت، وقال: إن الله تكفل بحفظ القرآن فقط، ولم يتكفل بحفظ الحديث.
٣. تأويل النصوص: كان يميل إلى تأويل النصوص الواردة في القرآن لتوافق منهجه العقلي.
٤. موقفه من الفقهاء: هاجم المذاهب الأربعة ورأى أنها قيود بشرية على حرية فهم القرآن.

بيئته العلمية:

كانت الأمة المسلمة في الهند منقسمة إلى فِرَق شتى في ذاك الوقت؛ منها الصالحة ومنها المبتدعة كأهل الحديث وأهل القرآن ومنكر الحديث والقاديانية وما إلى ذلك. بدأ خواجه أحمد الدين من التدريس والكتابة، وكان لطيفا وهادئا فتأثر كثير من الناس بخطبه وحضروا دروسه، ثم دعا إلى تأسيس جماعته الخاصة (أمة مسلمة)، وأنشأ مجلة تتكلم باسم (الجماعة) وتنشر أفكاره وآراءه، فانضم كثير من لجماعته وتأثروا بأرائه، وبخاصة أنه لم يقل شيئا من شأنه أن يصدّم المسلم، بل كان يميل إلى الغموض والتفكك بالإضافة إلى أسلوبه اللطيف والهادئ. وكانت له قدرة على

(١) انظر: قرآن سى قرآن تك (من القرآن إلى القرآن) لمحمد حسين عرشي، لاهور، ط ١، ١٩٩٨م، ص ١٧-١٨ وانظر المجلة الشهرية بلاغ، خواجه نمبر، ص ١٥-٢١ ومقدمة تسهيل برهان القرآن لخواجه أحمد الدين، ص ٧٩.

إقناع فئات المثقفين من أساتذة الجامعات والمدرسين والقضاة وغيرهم، سعياً لضمهم إلى جماعته، وكان متحمساً لنشر أفكاره من خلال الكتابة والتأليف والنشر، كل هذه العوامل وفرت بيئة مناسبة لنشر أفكاره، وتكثير أتباعه^(١).

مكانته العلمية:

تعلم الشيخ ثماني لغات؛ منها: الفارسية والعربية والإنجليزية والبشتو، وله مكانة رفيعة في علم الرياضي والجبر وعلم الهندسة وفلسفة ومنطق وعلم البيان والمعاني والبدیع وفي علم العروض على السواء. وله طول باع في علم التاريخ وطبقات. وعلم النباتات وعلم الحيوانات ويعلم الموسيقى، كما لديه خبرة خاصة في علوم القرآن ومقارنة الأديان.

مذهبه وعقيدته:

عد أحمد الدين نفسه من جماعة أهل السنة، إلا أنه لم يسلك مسلکهم في العقيدة والاجتهاد والأخذ بالمصادر الشرعية؛ فلذا اختار لنفسه حزباً خاصاً سماه بأهل القرآن. وعند تتبع واستقراء آرائه وتعامله مع السنة ومحكمات القرآن، يُرى أنه وإن كان مسلماً ظاهراً في الحقيقة والله أعلم خارجي فكراً منكر الحديث عقيدة وعقلائيّ منهجاً ومذهباً^(٢) كان لديه اتصال عميق بأفكار المنكرين من السنة، الذين سبقوه الأرض، واتصل بمن كان حياً منهم وأخذ عنهم وتأثر بهم وكان هذا الرجل على اتصال عبد الله جُكرالوي وأشدّ مكرّاً منه، حيث كان نصحه بعدم الجهر بإنكار السنّة والابتداع الفرائض والعبادات، التي لا يعرفها المسلمون زاعماً أنه استقفاها من القرآن وهكذا كانت له صلة بمرزا غلام أحمد القادياني، مؤسس الديانة القاديانية، ولم يعهد عليه أي إنكار للقادياني ولا غيره من المبتدعة، بل كان يحضر له دروسه ولغيره، ممن يخالفونه الفكر والعقيدة. واكتفى بالقرآن مصدراً، وأنكر حجية حديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وفوض العقل لتفسير القرآن وتعيين مفهوم الشرائع الإسلامية، وردّ كل ما لا يلائم عقله، واستفاد من العلوم الغربية كما ظهر في تفسيره بيان للناس

مآثره العلمية: خلف الأمرتسري عدداً من الكتب والمباحث والمناقشات والحوارات.

من كتبه: ذكر العلامة عرشي في مقدمة تسهيل البرهان لأحمد الدين عدة مؤلفاته له منها: معجزة القرآن ١٩١٤م في (الميراث) متوفر في المجمع البحوث الإسلامية بإسلام آباد وكذلك تفسير بيان للناس في سبعة مجلدات ١٩١٥م^(٣) وتسهيل البرهان وإظهار الحق

(١) انظر: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة (ص ٣٧-٣٩)

(٢) هذا ما يؤيد آراءه في تفسيره، فهو خارجي فكراً لأنه يكفر أكثر ما لا يوافق مذهب، ومنكر الحديث عقيدة، لإنكاره الاستدلال بالحديث وحجتيته، وعقلائيّ منهجاً ومذهباً، لأن تفسيره مبني بمجرد عقله وهواه ويرد كل ما لا يلائم العقل ولا يسايره، بدليل إنكاره المعجزات وكل مخارقة العادات، وأشرنا إلى هذه الأمور ثانياً هذه الرسالة.

(٣) أهم ميزاته تفسيره: كتب الشيخ أحمد الدين تفسيره بيان للناس في القرن العشرين الميلادي باللغة الأردية، الذي يشتمل على سبعة أجزاء من حيث المنازل للقرآنية السبعة، وكتب الشيخ نفسه الترجمة والتفسير للمنزل الأول والثاني والثالث والرابع والسابع كاملاً، وكذا كتب بعض السور للمنزل الخامس، أما المنزل السادس والباقي من الخامس من سورة القصص رقم الآية ٧١ إلى آخر سورة يس) قد كتبه تلميذه عبد الله باستفادة خطبات الشيخ للجمعة. كتب

ومن بحوثه:

أمهات المؤمنين ١٨٨٨م (ماهنامه الواعظ) أمرتسر لم يذكر مديره صحيفة: قرآن مجيد اور رسول حميد (ميلاد نمبر سنه ١٩١٦) مدير حكيم معراج الدين (بريلوى) صحيفة: خير كثير واثبات وجود رب القدير ١٩٠٠م لم اجد إلا اسمه .

ومن النقاشات والحوارات التي جرت بين المصنف وغيره من العلماء:

برهان القرآن (المباحثة التحريرية) بينه وبين ثناء الله (امرتسري) المطبوعة عام ١٩٢٢ بلاغ القرآن ١١٠ اين لاهور. ومباحثة (أكل اللحم) منشور ١٩٠٤ بين أحمد الدين حكيم لالا (Presiding Arian Debating Club)

مرضه ووفاته:

وفي عام ١٩٣٣م أصيب أحمد الدين في زوجته، بعد أن خلفت له خمسة من الذكور وأنثى، وهم ضياء الله، وعطاء الله وهداية الله، وثناء الله وسخاء الله، وكانت هذه الكارثة مدمرة لصحته، فانهارت قواه منذ ذلك اليوم، وتدهورت صحته تدريجياً، وفي ٢ يونيو يوم الثلاثاء ١٩٣٦م لحق خواجه بأولاده، بعد ثلاث سنوات.

موقف العلماء منه

علماء أهل السنة والجماعة اعتبروه منكراً للسنة وخارجاً عن منهج أهل الإسلام الصحيح. ألفت ضده كتب كثيرة من علماء الهند والباكستان، خصوصاً من علماء أهل الحديث مثل الشيخ ثناء الله الأمرتسري (ت ١٩٤٨م) الذي كان معاصراً له وخصماً شديداً له.

الديوبندية والبريلوية وأهل الحديث جميعهم اعتبروه ضالاً، بل بعضهم حكموا بكفره لردده للسنة.

من أشهر من ردّ عليه:

الشيخ ثناء الله الأمرتسري (خصم مباشر).

الشيخ محمد حسين بٹالوي (من قادة أهل الحديث).

الشيخ محمد أنور شاه الكشميري من كبار علماء ديوبند.

من أبرز كتبه التي يوضح فيها منهجه في رد السنة.

الصوفي غلام مصطفى تبسم (تلميذ الشيخ المقدمة المختصرة على تفسير بيان للناس وذكر فيها الأسباب والدوافع لكتابة أحمد الدين تفسيره وملاحمه العامة فيه وقال: غاب عن الناس طريقة القرآن في الاستدلال وأسلوبه العام، لذا من ادعى بأن القرآن منزّه عن المؤثرات الخارجية مع أن أسلوبه رائع فلم تقبله الطابع الدقيقة، فعلمنا أن نكشف أسرار القرآن التي لم يكشفها المفسرون من السلف حتّستفيد بتعليم القرآن الحقيقي وفي زمننا من تجرأ في كشف هذه الأسرار القرآنية؛ فمنهم مولوي جراج وسر سيد، والشيخ غلامعلي وتلميذه خواجه أحمد الدين فالتفسير المذكور هو النقش الثاني لمساعي هذه الطائفة انظر: تعارف بيان للناس لصوفي غلام مصطفى تبسم، باكستان دوست ايسوسي ايتس، لاهور، ط ١٩٩١م، ص ٣.

(١) انظر: المصدر السابق ص ٣٣، وغيرها.

٢. حجية القرآن دون السنة — رسائل متعددة له نشرت في مجلات "أهل القرآن" في لاهور. كتب وردود العلماء ضده وضد القرآنيين
 ١. الإنصاف في بيان سبب الاختلاف — ثناء الله الأمرتسري (ت ١٩٤٨م). رد فيه على منكري السنة ومنهم أحمد الدين آمرتسري. دار الكتب السلفية، لاهور.
 ٢. القول الفصل في رد القرآنيين وأهل العدل والعقل — الشيخ ثناء الله الأمرتسري. يتضمن نقاشاً تفصيلياً مع أحمد الدين آمرتسري، ورد شبهاته حول السنة.
 ٣. التحفة الإثنا عشرية في الرد على منكري السنة النبوية — محمد أنور شاه الكشميري (ت ١٩٣٣م). فيه إشارات إلى منهج أحمد الدين وأمثاله من القرآنيين.
 ٤. مقالات الفرق الضالة — محمد منظور النعماني. ذكر فيه القرآنيين وأحمد الدين آمرتسري، ويبين انحرافاتهم.
 ٥. حجية السنة — محمد ناصر الدين الألباني (المحدث المعاصر). مع أنه ليس ردّاً مباشراً على أحمد الدين، لكنه يناقش شبهات القرآنيين وأهل القرآن بنفس أسلوبهم.
 ٦. أهل القرآن ومنكرو الحديث — عطاء الله حنيف بهوجياني. خصص فصلاً للرد على أحمد الدين آمرتسري وجماعته.
 ٧. تاريخ أهل الحديث — محمد إسحاق بهتي. فيه تراجم وردود على منكري السنة، وذكر خاص لأحمد الدين آمرتسري.
 ٨. القرآنيون وشبهاتهم حول السنة — د. فضل الرحمن الكيلاني. دراسة أكاديمية حديثة، تناولت فكر أحمد الدين آمرتسري بالتفصيل.
- كثير من هذه الكتب باللغتين الأردية والعربية، وبعضها رسائل صغيرة ظهرت في الصحافة العلمية لعلماء الهند في أوائل القرن العشرين.
- أوسع وأدق الردود المباشرة عليه كانت من الشيخ ثناء الله الأمرتسري لأنه كان معاصره وخصمه الفكري في لاهور. هل ترغب أن ألخص لك مواقف ثناء الله الأمرتسري من أحمد الدين آمرتسري بالنصوص المقتبسة مع ذكر الصفحات حتى تستخدمها مباشرة في رسالتك؟

خلاصة

أحمد الدين آمرتسري كان من أبرز زعماء القرآنيين في الهند.

فكره يقوم على إنكار السنة كمصدر للتشريع.

العلماء أجمعوا على ضلاله وخطأ منهجه، وكثير منهم شدد النكير عليه وعدّه من الزنادقة أو المبتدعة الذين شذوا عن إجماع الأمة.

المبحث الثاني: الحالة السياسية في شبه القارة الهندية في زمنه

أنشأ أحمد الدين عام ١٩٢٦م طائفته الخاصة بأمر تسري، واختار لها اسم "أمة مسلمة"، فأسرعت طائفة من الناس في الانضمام إليها، كما أصدر لهذه الجماعة مجلة خاصة هي "البلاغة" تعرض أفكارها، وتنشر نظرياتهم، وكان أفراد الأمة الإسلامية ودعاتها مجدين للغاية، فبدأوا في طباعة الكتب على نفقتهم الخاصة وإرسالها مجاناً إلى كل من يعرفون عنوانه، فظهرت من خلالها أفكارهم، وساعدت الناس على مشاركتهم أفكارهم. من الحالة السياسية في شبه القارة الهندية تتضح منة صلته بعلماء عصره، وغيرهم منهم:

صلته بسريسيد أحمد خان:

استفاد أحمد الدين من أفكار السيد أحمد خان، وإن لم يجعلها أساساً ومركزاً لأفكاره، لشدة نقد العلماء لها في ذلك الوقت، اتخذ خواجه جانب الحذر، فلم يجهر به مثل السيد أحمد خان، وإنما كنى واستعار ووري.^(١) يقول ضياء الله الابن البكر لأحمد الدين الذي قام بتحرير ترجمة حياة والده، يقول: "إنه يبدو أن أول من استند إلى القرآن الكريم هو السيد أحمد خان، وقد حددت أفكاره هذا الوضع الراهن. وقد سيطر على عقول المسلمين، ثم تبعه جكرالوي أيضاً، وظل أحمد الدين يستفيد من أفكاره وأفكار عبد الدين لبعض الوقت"^(٢)

صلته بعبد الله جكرالوي

كان أحمد الدين يتصل بعبد الله منذ ١٩٠٢م ظل أحمد الدين على اتصال بعبد الله، وكثيراً ما كان أحمد الدين يزوره أثناء تدريسه في المدرسة الإسلامية خلال الإجازة الصيفية لتبادل الأفكار، ومناقشة العديد من القضايا العلمية. تارة، كما كان يقتنع برأيه تارة أخرى. وفي العقد الأول من القرن العشرين، عندما نشر عبد الله كتابه "صلاة القرآن"، كان للخواجه لقاء خاص به ونصح به بعدم نشر مثل هذا الكتاب في الوقت الحاضر. وأثناء النقاش حضرت صلاة العصر وصلى خواجه على طريقة الجكرلوية، فقال له عبد الله "كيف تعترض على الكتاب وتصلي مثله؟ فرد خواجه عليه بقوله "إني لا أراها باطلة ولكن التفرقة لا تجوز بين المسلمين"^(٣)

صلته بالدكتور محمد إقبال

(١) انظر محمد حسين عرشي قرآن س قرآن تك ص/ ١٥ .

(٢) مجلة بلاغ ص ٨٨ عدد سبتمبر ١٩٣٦م العدد الخاص بترجمة أحمد الدين. (٢) مجلة بلاغ ص ٢٠ عدد سبتمبر ١٩٣٦م وللتفصيل بين صلاة الرجلين يُرجع إلى الفصل الأخير من الباب الثاني.

(٣) انظر قرآن سي قرآن ص ٢٢ و ٣٣ . ومجلة بلاغ (ص ٨٨) عدد سبتمبر ١٩٣٦م العدد الخاص بترجمة أحمد الدين.

قام الخواجه أحمد الدين بزيارات متكررة للدكتور محمد إقبال الشاعر، لتبادل الآراء وتمحيص القضايا الدينية واختيار ما يتوافق منها مع شرع الله تعالى. وبسبب تلك الاتصالات المتكررة، اعتقد بعض الناس أن محمد إقبال قد وقع فريسة في شباك القرآنيين، وزادت الريبة حين انتقد إقبال بعض الفئات الإسلامية المعينة في شعره، مصرحاً أنها هجرت القرآن، واتجهت إلى غيره. إلا أن الأمر ليس كذلك، فقد كان رحمه الله يأخذ ما صفا من أي جهة كان على حد قول الحديث المعروف عن النبي صلى الله عليه وسلم: "الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها" (١).

وكان إقبال يبالغ أحياناً في أمر حتى يعتقد القارئ أنه لا يقر ولا يعترف بغيره، وهذا مما يختص به الشعر عن النثر، وهذا جرى بعينه في نقده لبعض الفئات الإسلامية بأنها تركت القرآن، والتفتت إلى غيره؛ لذا لا ينبغي أن يظن أحد أنه يقول بمثل ما يقول به القرآنيون، بل إن للشاعر كثيراً من الأقوال التي تدل على معرفته بالعقيدة والسنة وجعلها الأساس لفهم الدين. ولا شك أن الدكتور محمد إقبال استفاد من لقاءاته مع أصحاب النزعات المختلفة، لكنه لم ينضم إليها ولم يتأثر بأفكارهم.

وقد ناقش خواجه في حياته كثيراً من الفرق المخالفة لأفكاره، والشخصيات التي كان لها أثر بالغ على الإسلام في نظره، نحو (آرية سماج)، وأهل الحديث، وغلّام أحمد مؤسس القاديانية (٢) دون أن يتأثر بهم، ولم يكن يشدد على مخالفته، بل كان يناقشهم بالحسنى، لذلك كان يحضر مجلسه كثير من القاديانيين والآريين وأهل الحديث والمسيحيين، بل كان خواجه بنفسه يحضر مجالس مخالفيه ودروسهم (٣).

وكان عاملاً مؤثراً في توسيع نشاط هذه الجماعة، فانجذب إليها الأثرياء، والنبهاء، نحو مولا بخش، صانع الصابون (كندن سوب)، ومحمد حسين عرشي، وخواجه عباد الله اختر، وصوفي غلام مصطفى تبسم، والسيد مقبول احمد، وجعفر شاه بهلواري، ومحب الحق عظيم آبادي، وتمنا عمادي، وأسلم جيرا جهوري، وكثير غيرهم من المحاضرين ومدرسي الجامعات، وأعضاء السلطة القضائية في عصرهم. ولكل من السابقين دور بارز في نشر أفكار الخواجه وإضافة الجديد إليها، ويمكن اعتبار كل واحد منهم مدرسة وحده ذات طابع مستقل تحت ظلال "أمة مسلمة"، كما أن لكل منهم مؤلفات في مختلف العلوم والفنون.

(١) الحديث رواه الترمذي في سننه ج ٥ ص ٥١.

(٢) هو غلام أحمد بن غلام مرتضى بن عطا محمد (١٨٤٠-١٩٠٨) سنة ١٨٩١ م ادعى أنه المسيح الموعود وفي سنة ١٩٠٠ م ادعى أنه رسول مرسل من الله.

(٣) انظر مجلة بلاغ ضياء الله ص ٤٦ عدد سبتمبر ١٩٣٦ م.

وما يبرز في فكر أحمد الدين هو انتقاده اللاذع لنظام الميراث السائد بين المسلمين، ودعوته إلى الاكتفاء بما جاء في القرآن الكريم وليس في السنة، كالميراث من الابن مع وجود ابن للمتوفى، فإن وجوب الوصية على الميت بين ورثته، وإعطاء الميراث لمستحقه، بغض النظر عن دينه وحرية، هو رأي غربي مخالف لإجماع المسلمين. وكانت له صلة بعلماء عصره امثال احمد خان وعبدالله جكرالوي ومحمد اقبال كما ذكرت هذا قبل قليل؛ وله صلة قوية بالقاديانية واسس ايضا فرقة أو طائفة اختار لها اسم «أمة مسلمة» ودخل لفييف من الناس فيها واصدر مجلة البلاغ الخاصة بالجماعة وله من الذكور الابناء خمسة وهم: (ضياء الله - عطاء الله - هداية الله - ثناء الله - سخاء الله) وانثى. كما ذكرنا، فإن حالة الشيخ أحمد الدين الدينية والفكرية هي أنه يفسر العقائد الإسلامية حسب عقله ورايه كالعقلانية والخوارج وغير ذلك من اعداء الإسلام والفوق الضالة ويقدم آراء، ولهذا السبب ينفي الأحاديث النبوية. انه لم يترك في القرآن المجيد آية تتعلق بالإيمانيات والعقائد والنبوات والغيبيات ، الا وهوا يقدم فيها تأويلاً مستنكراً أو محرفاً. كان مرتبطاً بجماعة تستهزئ بالأوامر الإسلامية، وترفض أحاديث الرسول في كل قضية من الإسلام، وتتخذ تعليمات من البريطانيين وتخلق الفتنة والفتنة بين المسلمين.

المبحث الثالث: حالته الدينية والفكرية في شبه القارة الهندية

كما ذكرت سابقاً، إن حالة الشيخ أحمد الدين الدينية والفكرية هي أنه يفسر العقائد الإسلامية بالعقل ويقدم الرأي، ولهذا السبب ينفي الأحاديث النبوية ولم يترك في القرآن المجيد آية تتعلق بالإيمان لم يقدم فيها تأويلاً مستنكراً أو محرفاً. وهذا هو السبب الرئيسي، وإلى جانب ذلك هناك أسباب أخرى كثيرة سيذكرها عند ذكر مناهجه مثل التأثير بالغرب، واتباع المستشرقين والخوارج وغيرهم.

كان مرتبطاً بجماعة تستهزئ بالأوامر الإسلامية، وترفض أحاديث الرسول في كل قضية من الإسلام، وتتخذ تعليمات من البريطانيين وتخلق الفتنة بين المسلمين. وسوف يأتي التفصيل في ما بعد عند ذكر آرائه نشأته

الدينية والفكرية

درس في المدرسة الثانوية وفي "إسلامية هائي سكول" في لاهور، وقد تتلمذ علي يده جوهدي أفضل (حق) والشيخ عنايت الله المشرقي^(١) والصوفي غلام مصطفى تبسم^(٢) وابنه خواجه ضياء الله^(٣) وعلامة محمد حسين عرشي^(٤) وشهاب الدين وغيرهم من مشاهير العصر. وترك تراثاً من الكتب مثل: "معجزة القرآن" وتفسير بيان للناس" وبرهان الفرقان" وغيرها، وبعض البحوث مثل: "أمهات المؤمنين" صحيفة قرآن مجيد اور رسول حميد" الصحيفة القرآنية والرسول الحميد "خير كثير وإثبات وجود رب القدير" وغيرها،

والمناقشات مثل "برهان القرآن مناقشة مكتوبة بينه وبين الشيخ ثناء الله الأمر تسري^(٥) وغيرها". كتب الصوفي غلام مصطفى تبسم (تلميذ الشيخ المقدمة المختصرة على تفسير؛ بيان للناس وذكر فيها الأسباب والدوافع لكتابة أحمد الدين تفسيره وملامحه العامة فيه وقال: غاب عن الناس طريقة القرآن في الاستدلال وأسلوبه العام، لذا من ادعى بأن القرآن منزّه عن المؤثرات الخارجية مع أن أسلوبه رائع فلم تقبله الطبائع الدقيقة، فعلمنا أن نكشف أسرار القرآن التي لم يكشفها المفسرون من السلف حتى نستفيد بتعليم القرآن الحقيقي وفي زمننا من تجرباً في كشف هذه الأسرار

(١) هو: عنايت الله بن عطاء المشرقي، ولد سنة ١٨٨٨ م بأمرتسر، بدأ تعليمه من قريته، ثم رحل إلى لاهور وأخذ شهادة البكالوريوس من كلية فارمن كرسجن لاهور، وشهادة الماجستير بتخصص الرياضي من جامعة بنجاب بدرجة ممتاز، سافر إلى إنجلترا وأخذ شهادات البكالوريوس في علم الطبيعات وعلم الهندسة وغيرها، وأخذ شهادة الدكتوراة من الجامعة كيمرج لندن، وحصل للشهرة في هذه الرحلة، كان مديراً في إسلامية كالج بشاور سنة ١٩١٧ م، ونائب الوزير سنة ١٩١٩ م، ومؤسساً لحركة خاكسار، ومديراً للرسالة الأسبوعية؛ الإصلاح؛ توفي سنة ١٩٦٣ م. انظر: مقدمة مقالات وخطبات لعلامة عنايت الله المشرقي، ربه غلام قدير، خواجه باكستان الفيصل ناشران كتب، لاهور، ط ١ ١٩٩٥ م، ص ٢٠-٣١.

(٢) هو: صوفي غلام مصطفى تبسم، ولد سنة ١٨٩٩ م بأمرتسر، لازم الشيخ أحمد الدين أمر تسري، كان من فضلاء كلية النصرانين للبنين (فارمين كرسجن) كالج لاهور كان ماهراً في اللغة الأردية والفارسية والبنجابية والإنجليزية، وشاعراً كبيراً في عصره، ومن كتبه ثوث بلوث، صد شعر، إقبال وغيرها. توفي سنة ١٩٧٨ م انظر باكستان مين قارى ادب كى تاريخ تاريخ الأدب الفارسي في (باكستان لظهور الدين أحمد، باكستان مركز تحقيقات فارسي إيران وباكستان إسلام آباد ط ١٣٨٤ - ٢٠٠٥ م، ج ٦ ص ٩٠-٩٩.

(٣) هو: ضياء الله بن خواجه أحمد الدين استفاد من حياة أبيه العلمية، رتب حياة أبيه بعد وفاته. انظر: مجلة بلاغ خواجه نمب، ١٩٣٦ م، ص ٧.

(٤) هو محمد حسين عرشي ولد ١٨٩٢ م بأمرتسر، قرأ كتب الصرف والنحو على حكيم فيروز الدين الطغراني وتلمذ على يد الشيخ خواجه أحمد الدين في التفسير وعلوم القرآن هاجر إلى لاهور بعد التقسيم، ومن مصنفاته: ملة إبراهيم، تحقيق، قرباني براهين وحى، وغيرهم كان ماهراً في اللغة الأردية والفارسية والعربية والبنجابية وشاعراً؛ ومديراً لمجلة؛ البلاغ؛ و؛ البيان؛ وفيض؛ الإسلام؛، ولخص تفسير بيان للناس وسماه؛ قرآن س قرآن تك توفي سنة ١٩٨٥ م في لاهور :انظر باكستان مين فارسى ادب كى تاريخ تاريخ الأدب الفارسية في باكستان) لظهور الدين أحمد ج ٦ ص ١١٤-١٢٢ وانظر معاصرين إقبال الحافظ فيوض الرحمن باكستان نيشنل بك لاهور، ط ١، ١٩٩٣ م ص ٩٩.

(٥) هو: أبو الوفاء ثناء الله بن محمد الكشميري الأمر تسري، ولد سنة ١٨٦٨ م كان من فضلاء دار العلوم ديوبند، سمع الحديث عن الشيخ عبد المنان وتلمذ على يد محمد حسين بتالوي، ومير أحمد الله كان مدرسا بمدرسة تاتيد الإسلام؛ وأمرتسر، ومديراً لمجلة أهل الحديث، كان فطيناً ومكثراً بتأليف الكتب والبحوث ومن مآثره: تفسير ثنائي، وغيره من البحوث القيمة، توفي سنة ١٩٤٨ م. انظر : نزهة الخواطر لعبد الحي الحسني، ج ٨ ص ١٢٠٥ وانظر الأعلام، لخير الدين بن محمود، الزركلي، ط ٢٠٠٢، ج ٢ ص ١٠١

القرآنية فمنهم مولوي جراج^(١) وسر سيد^(٢) والشيخ غلام علي وتلميذه خواجه أحمد الدين فالتفسير المذكور هو النقش الثاني لمساعي هذه الطائفة^(٣)

ومن نشاطه في دعوتيه الدينية والفكرية: تلقى تعليمه الديني في بلاد، أمرتسر، وكانت أعلى مستويات التعليم النظامي، هي مدرسة الثانوية الإسلامية، لكن اجتهاده وشغفه بالمطالعة، أكسبته شهرة واسعة، فعين عضواً في هيئة التدريس. بالمدرسة الإسلامية في أمرتسر. وفي ١٩١٧ م أحيل إلى التقاعد، ثم درس في مدرسة البنات فترة وأتقن العربية والفارسية والأردية والإنجليزية، وتفوق في الاقتصاد والتاريخ والجغرافيا والرياضيات والفلك والمنطق وسائر العلوم الإسلامية، كما عرف علم النبات وعلم الطبقات وغيرها من العلوم الشعبية. العلوم في ذلك الوقت، وكان يتصل بعبد الله، وكان خواجه يزور به كثيراً، ويتبادلون الآراء في العديد من المسائل العلمية. فيقنع عبد الله خواجه أحياناً كما كان يقنع هو بآراء خواجه أحياناً أخرى.

وأسس خواجه طائفته المنفصلة بامرتسر في عام ١٩٢٦ م، واختار لها اسم (أمة الإسلام)، وأصدر مجلة خاصة البلاغ لهذه الجماعة لنشر أفكارهم ونظرياتهم الخاصة، وكان يستطيع أن يجذب إليه كثيراً من البلغاء والنبهاء، وتوسّع نشاط هذه الطائفة بسبب طبيعته اللطيفة.

(١) هو: مولوي جراج علي، ولد في عام ١٨٤٤م في كشمير كان من معاصري السر سيد أحمد خان، قد طالع كثيراً من الكتب الدينية في اللغة الأردية والإنجليزية وللاطينية واليونانية، وكان يكتب في الرسائل الإنجليزية وكذا في مجلة؛ تهذيب الأخلاق؛، وله كثير من الكتب في تلك اللغة، ومن كتبه في اللغة الأردية: تعليقات البركية الدنيوية للإسلام أيام الناس الناسخ والمنسوخ، وغيرها، توفي ١٥ يونيو في عام ١٨٩٥م. انظر: دراسة أفكار السر سيد احمد خان ومعاصريه للدكتور سيد عبد الله دهلي جمن بك دبو، اردو بازار، ط ١، ١٩٦٠م، ص ٩٠-٩٣.

(٢) هو أحمد بن محمد التقي الشهير بـالسر سيد أحمد خان، ولد سنة ١٨١٧م، بدلهي انتمى إلى أسرة من عليّة القوم وذات صلة وطيدة بالحكام؛ استفاد عن الشيخ نوازش علي، والشيخ فيض الحسن، وغيرهم، وتلمذ لعلوم ولي الله علي يد الشيخ مملوك علي النانوتوي، واستفاد في السلوك من غلام علي النقشبندي، رأى السر سيد بعد ثورة ١٨٥٧م أن علاج الجمود التعليمي والسياسي والاجتماعي لأهل الهند في تعلم اللغة الإنجليزية والعلوم الغربية فسافر إلى لندن ١٨٦٩م لإطلاع على المشاريع العلمية والفنية لأهل الغرب، وأسس الجامعة الإسلامية على كبره ١٨٧٧م؛ وله مؤلفات ورسائل منها: تفسير القرآن وآثار الصناديد وتبين الكلام في تفسير التوراة والإنجيل على ملة الإسلام، وغير ذلك، توفي ١٨٩٨م. انظر حيات جاويد لألطف حسين الحالي لاهور برنت يارد برنت ط ٢٠٠٧م، ج ١ ص ٨٧-٣٣١/ وانظر موج كوثر للشيخ محمد أكرم، مكتبة جديديريس، لاهور. ط ٢٠٠٣م، ص ١٢.

(٣) انظر مجلة بلاغ خواجه نمبر ١٩٣٦م، ص ١٣.

المبحث الرابع: الدعوته الفكرية والحركية في شبه القارة الهندية

ومن أهم أعماله الفكرية والحركية في شبه القارة الهندية ما يلي:

الأول: يعتمد الشيخ أحمد الدين أكثر على الأصول التي أصل لها سرسيد أحمد خان، ومنها:

١- اكتفائه في تفسير القرآن على القرآن فقط ولم يعتن إلما عين السنة النبوية صلى الله عليه وسلم من مفاهيم القرآن، ولا إلى أقوال الصحابة والتابعين بل يفوق العقل لفهم معاني الآية.

٢- ويقوم بالتطبيق بين كلام الله والفلسفة الغربية الكونية، ويتأصل الكون ويؤول في كلام الله ويعتمد كثيراً في القصص القرآنية على نسخ التوراة والإنجيل، المتوفرة في عصره.

٣- ويستمد لإثبات معاني الآية بالأدب العربي الجاهلي، ويعتمد في بعض المسائل على آراء الإمام الرازي^(١) كما اعتمد عليه السر السيد أحمد خان في بعض المسائل. فالعجب أن الشيخ الأمر تسري لم يعتمد على من شاهدوا نزول الآيات القرآنية مع أن لغتهم لغة القرآن ولا على من تتلمذ على يدهم من التابعين، أو من يهتمون بنقل أقوالهم من أصحاب الصحاح الستة والإمام الطبري، وغيرهم، ولكن يعتمد على الأدب العربي الجاهلي وعلى ما ذكر السر السيد أحمد خان وبفهم حسب نظره. إلا أن تفسير الشيخ أحمد الدين يمتاز عن تفسير السر سيد بأمرين الأول: اهتمام الشيخ أحمد الدين بالرد على فرقة: البابية^(٢) والبهاية^(٣)، والثاني: رد أفكار مرزا غلام أحمد القادياني^(٤).

الثاني: ركز خواجه أحمد الدين تفكيره لفهم معاني القرآن على داخل القرآن الكريم مع الاستعانة بعقله، ولم يعتن بأقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله، ولا أقوال الصحابة رضي الله عنهم ولا إلى من صرف حياتهم في بيان مفاهيم القرآن الكريم من عصر التابعين إلى عصرنا الراهن.

(١) هو محمد بن عمر بن الحسين القرشي، ابن خطيب الري، فقيه، شافعي ومفسر كبير، فاق أهل زمانه في علم الكلام، ومن مآثره تفسير القرآن الكريم المسمى بمفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، وكتاب الموصول، والسر المكتوم، وغيرها، توفي سنة ٦٠٦ هـ بمراة. انظر: سير أعلام النبلاء، لشمس الدين الذهبي، بتحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ط (بدون)، ج ٢١، ص ٥٠٠ و ٥٠١ وانظر، وفيات الأعيان، لأبي العباس شمس الدين، الشهير بابن خلكان، بتحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، ط ١٩٧١م، ج ٤ ص ٤٤٨. ٢٥١.

(٢) هي فرقة أهل التشيع، وانفرد عن إثنا عشرية، وسميتها بـبابي المنسوبة إلى مؤسسها وهو: محمد علي باب الشيرازي. انظر: تاريخ التفسير والمفسرين لغلام أحمد الحريري، دهلي: تاج كمبي، ط ١٩٨٦م، ص ٤٦٩.

(٣) هي فرقة منسوبة إلى اسم خليفة علي حمد باب وهو : بهاء الله، وبالتحقيق فرقة بابي ضمت بفرقة بهائي بعد وفاة الشيخ محمد باب انظر المصدر السابق، ص ٤٧٢.

(٤) هو غلام أحمد ولد سنة ١٨٣٧ في قرية، قاديان قرأ بعض الكتب الفارسية والعربية على معلم البيت، وقرأ كتب الفلسفة والمنطق على كل علي شاه (كان) الشيخ من أهل التشيع، كان عاملاً في مكتب حاكم المديرية في سيالكوت باحث كثيراً بالمنصرين ادعى بأنه مسيح موعود ومهدي، وبعد ذلك ادعى النبوة، وأنكر الجهاد بالسيف توفي سنة ١٩٠٨م. انظر: موج كوثر للشيخ محمد أكرم، ص ١٧٧-١٧٩.

الثالث: لم يعتمد على استشهاد العلماء بلغة العرب، لتعيين مفاهيم القرآن ومعانيه، بل أسس لاستشهاد أصولاً من نفسه.

الرابع: اجتهد من خلال تفسيره في بيان التطبيق بين كلام الله والفلسفة الغربية الكونية، ورأى الكون أصلاً وتعمق نظره في الكون بالأصول، والأساليب، والمناهج التي عينتها الفلسفة الغربية.

الخامس: اهتم أحمد الدين في بيان ربط السورة اللاحقة السابقة ويربطهما في الموضوعات المترادفة.

السادس: اهتم أحمد الدين في تفسيره، بيان الربط بين السور، والركوع، والآيات، والموضوعات المترادفة.^(١)

السابع: قدم تفسير الآية على ترجمتها، واختار في الترجمة أسلوباً منفرداً، بأن يذكر في ثنايا الترجمة التوضيح الطويل المتعلق الآية بين القوسين، حتى يتشوش القاري بهذه الطويلة.

ومن أشهر أفكاره العلمية المذكورة في مقدمة تفسيره بيان للناس، وسوف أبينها في النقاط التالية:

الأولى: التدين الأصلي: ذكر خلاصة التدين، وهي أن يصير الإنسان عابداً مخلصاً لماله سبحانه وتعالى، ومطمئن قلبه بذكره، وطالبا لرضائه ومتوجهاً إليه في اليسر والعسر وتصير الإنسان شاكراً في اليسر وصابراً في العسر.

والنقطة الثانية: الحسنات الأساسية المشتركة في جميع المذاهب: ذكر بالتفصيل الحسنات الأساسية المشتركة بين أهل المذاهب المختلفة، وهي عنده عقيدة عظيمة الله سبحانه وتعالى ومحبته، والدعوة إلى عبادته، والتعلق بالمالك الحقيقي، وجعل الإنسان طالبا لرضائه، ووعظ العدل والإحسان أمام خلق الله عز وجل، مع إيفاء حقوق النساء واليتامى ودرس اتحاد الأمة والأمن بينها، ومنع الجبر المذهبي وردّ الشرك والتوهّمات، والتعصبات، والبدعات^(٢) فظهر من هذه النقطة أنه ذهب إلى أن جميع أهل المذاهب المختلفة حينما يؤدّون هذه الحسنات الأساسية وأصولهم حسب، إقرارهم ولم يخالفوها فحصلت لهم حياة الجنة ونعيمها في الدنيا.

والنقطة الثالثة: التمييز بين الحسن والقبح موجود في الفطرة الإنسانية: ذهب أحمد الدين إلى أن الله سبحانه وتعالى ألهم في فطرة كل إنسان التمييز بين الحسنة والسيئة؛ فكل من هذه الأحوال والدين الصادق قد يطابق فطرة الإنسان. ورأى الشيخ تحت هذه النقطة أن الإنسان حصل وجوده من الإمكان المحض ثم ارتقى بالماء والتين وصار إنساناً^(٣)

(١) المصدر السابق، ص ٥

(٢) انظر: التمهيد لتفسير بيان للناس لخواجه أحمد الدين، ص ٤ و ٧ و ١١

(٣) انظر المصدر السابق، ص ١٧ و ١٨ و ٢٣

والنقطة الرابعة: الإيمان بالله يكون مقدما على كل شيء:

ذكر ثلاثة نكات تحت هذه النقطة ملخصها:

١- أن الإنسان جزء ضعيف من هذا الكون، وطاقة الإنسان وعلمه واختياره قليلة، ولم يسيطر على الموت. والإنسان حينما يفكر أن الله سبحانه وتعالى يراه ويرجى الإنسان الخير منه سبحانه وتعالى فيطمئن الإنسان من مثل هذه الأشياء.

٢- ألهم الله سبحانه وتعالى الطاعة في فطرة الإنسان من خلقه. والطاعة الأصلية هي طاعة الله سبحانه وتعالى.

٣- يعيش الإنسان حياة سعيدة وحصل له النعم والعسر في حياته ولكن هذه الحياة السعيدة والنعم معلقة بحياة الإنسان المادية ولم يصاحب معه بعد موته، فلزم على الإنسان أن يتعلق سبحانه وتعالى للحياة التي تبدأ بعد موت الإنسان.

والرابعة: أساس المحبة والاتحاد بين بني الإنسان هو الإيمان بالله سبحانه وتعالى، وبركة الإيمان قد تسلم حرية الإنسان.

والخامسة: ثبت من تاريخ المذاهب المختلفة أن أصحاب الحق حينما جادلوا بالمشركون فنجحوا دائما كما شهد عليه تاريخ المذاهب المختلفة ودائما يوجد في الدنيا أصحاب الكتب السماوية بالكثرة وهم ناجحون أصلا، ومن ليس لديهم أي كتاب من الكتب السماوية فهم ممن ليس لهم أي تهذيب^(١)

والنقطة الخامسة: اخراج اجبار المذهب عن القلب: هو سبب أساسي لقيام الأمن، ورأى أحمد الدين تحت هذه النقطة: لكل إنسان حق بأن يظهر أفكاره ولو كان دهريا أو مشركا، وليس له أن يجبر على الآخر لقبول أفكاره، ولم يجز له إفشاء الإضطرابات وذهب الشيخ إلى أن الأفكار المختلفة الجديدة بواعث لترويج العلوم، وموجب للتحقيقات الجديدة فلذا وجد العلوم والفنون الجديدة بسبب عقائد الدهريين والمشركون الفاشلة كما وجد علم الهيئة وعلم الحساب بسبب عابدين الكواكب^(٢)

والنقطة السادسة: الطريق لإزالة التفريق بين الأمة: ذكر أحمد الدين بالتفصيل طريقة مهمة لإزالة التفريق بين الأمة وهي: أن الحسنات الأساسية مشتركة بين المذاهب المختلفة الإلهامية وقانون الاعتدال أيضا مؤيدها فإذا المذهب المختلفة الإلهية الدلائل النظرية المعقدية فزالت التفرقة بين الأمة فناسب لأصحاب المذاهب المختلفة أن يسلموا هذه الأصول والأساسيات المشتركة بينهم ولم يخالفوها في أقوالهم وأفعالهم أما الفروعيات فهي مختلفة لكل مذهب، فأقامها أصحاب كل مذهب بطريق مناسب بأن لم تختلف هذه الأصول والأساسيات المشتركة، فصارت هذه الاختلافات فرعية، غير أصلية، أما في الفروعيات المختلفة فيما بينهم فلم تأصلوها بأن يكفر بعضاً من بعض، فأبي جماعة من

(١) انظر، المصدر السابق، ص ٢٥ و ٢٦ و ٢٩ و ٣٢ و ٣٣.

(٢) انظر المصدر السابق، ص ٦٨-٦٩.

الدنيا قد عملوا على هذه الأصول، فهي خير أمة كما قوله سبحانه وتعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلَ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ^(١) وكذا قال عز وجل: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾^(٢)

والنقطة السابعة: ضرورة تفسير القرآن بالقرآن: بين أحمد الدين تحت هذه النقطة، أهمية تفسير القرآن بالقرآن وقال "إن المسلمين في وقت نزول القرآن لم ينقسموا إلى فرق مختلفة، من السني والشيعة والخارجي والجبري والقدري، وأهل الحديث والمعتزلة وغيرهم، إلا أن هناك فرقة ضالة غير مسلم من اليهود والنصارى والصائبيين وغيرهم. ضرب القرآن الكريم عدة مرات، مثلاً عن تعليم الأنبياء والرسول وانتج منه بأن من يتبع تعليم الأنبياء والرسول فينجي في الدنيا والآخرة إلا كل جبار عنيد فهم يخسرون دائماً وكذا في سورة إبراهيم ذكر القرآن الكريم جميع الأنبياء والرسول، وأمرهم وقدم بأن تعليمهم واحد وهو باعث للفوز والنجاة وصدق القرآن الكريم التوراة والإنجيل وغيرهم من كتب إلهية، وأكد الإيمان بذلك الكتب وادعى أهل الكتاب إلى التوحيد وإلى التعليم الفطرية التي لم تتبدل، ويعلم القرآن أهل المذاهب بأن تسكنوا بالأمن والسلامة بعيداً عن المخصصات والمشاجرات، وهذا هو تعليم القرآن فقط، أما الأشياء الأخرى فهي سبب بنفسها لتفريق الأمة المسلمة لأنها متخلفة فيما بينهم، فكيف يدع غيرهم أي أهل الكتاب إلى الوحدة؟

ذكر أحمد الدين ضرورة بعثة الرسل إلى أممهم وقال: إن الدين الاساسي والاصلي هو الفطرة التي يخلق عليها الإنسان وألهم الله طريق التقوى والفجور إلى كل نفس فهذه الفطرة كانت موجودة في وقت تخلق كل إنسان لذا كان يسكن في جوء الجنة ولم يخلو كل نفس عن هذه الفطرة والإلهام، ولكن أغمرتهما التوهّمات والشبهات فالإنسان حينما يعمل حسب الفطرة والإلهام فلا حاجة لهم تعليم الأنبياء والرسول وأضل الإنسان الشيطان، الأول العواطف والثاني: الاعتقادات الكاذبة والتوهّمات والشبهات، وبسببهما أخرج الإنسان عن جوء الجنة وبعد الخروج التمسّت له حاجة لتعليم الأنبياء والرسول، أي التعليم الإلهامي، حتى اجتنب الإنسان عن العواطف والاعتقادات الكاذبة والتوهّمات، فسبب احتياج الإنسان إلى التعليم الإلهامي، هو تغافلهم عن الفطرة الإلهامية، فقليل للإنسان في وقت إخراجه عن جوء الجنة ﴿اهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾^(٣)

ثم أجاب أحمد الدين الشبهة وهي: لماذا لا يمكن حصول التعليم الإلهامي للإنسان في الجنة قبل إخراجه عنها؟ فأجاب: حصول التعليم الإلهامي محال قبل قدرة الإنسان على التكلم فيما بينهم، ولم يمكن حصول التعليم الإلهامي

(١) آل عمران ٣: ١١٠.

(٢) القرآن ٩٢: ٢١ (لم ينص الشيخ هاتين الآيتين بل ذكر ترجمتهما باللغة الأردية. انظر: المصدر السابق، ص ٧٢ و ٧٣ و ٧٤.

(٣) لم يذكر الشيخ نص الآية القرآنية وهي ٣٨ و ٣٩ من سورة البقرة، وهذا منهج عام للشيخ بأن يعتمد على ذكر ترجمة الآية دون نصها. انظر:

التمهيد لتفسير بيان للناس لخواجه أحمد الدين، ص ٧٨ و ٧٩.

في وقت تخليق الإنسان^(١) ثم استدل الشيخ بآية القرآن وانتج منها^(٢) أن الوحدة الدينية كانت موجودة في الإنسان من البداية، ولذا كانت أمة واحدة ولكن حينما تفرق في الأمة بسبب الشبهات والاعتقادات الكاذبة، فبعث الله الأنبياء لكي يردوا شبهاتهم واعتقاداتهم الكاذبة، ويرفعوا اختلافاتهم، ويجعلوهم أمة واحدة كما كانت.^(٣) ثم بين الشيخ "أن القرآن الكريم هو كتاب نهائي، وصاحبه خاتم الأنبياء بأن حينما ظهر جميع الشبهات والاعتقادات والتوهّمات في كل أمة سابقة، فالآن التمسّت الضرورة للكتاب الذي يفسد الشبهات ويبطل الاعتقادات ويكذب التوهّمات ويبحث حولها كبحت علمي ويعلم طريقة الحق المجتنب عنها ويجعل جميع أهل المذاهب أمة واحدة ويُعد حكماً فيما بينهم وهو القرآن الكريم^(٤)

والنقطة الثامنة: ضرورة القرآن الكريم:

ذكر الشيخ أهمية القرآن في نقطتين فرعيتين هما:

- ١- أن ارتفاع النزعات الدينية واجب، وللناس اختيار في الخروج عن التوهّمات والعواطف وعدم الخروج عنها ولكن لزم أن توجد الصورة المناسبة والمعتدلة من الله سبحانه وتعالى لرفع النزاعات الدينية، فهذا أمر مسلم وأن الله سبحانه وتعالى علم أهل الدنيا الطريقة المرتفعة بالنزاعات الدينية ولكن أهل الكتب لم يتوجهوا إليها بل اخترعوا الطريق من لديهم لرفع نزاعاتهم الدينية، فضلو وأضلو واختلّفوا فيما بينهم وتفرّقوا إلى فرق متعددة، فعلينا أن نصلح بينهم ونجتهد لرفع نزاعاتهم الدينية، دون أن نكذب كتبهم الدينية وأصل الدين والحياة والأمر المسلم هو توحيد إلهي وذكر الإله والشفقة على المخلوقات وهذا الأصل مشترك بين جميع كتب إلهية فإن توجد هذه المسلمات فلا حرج في قبول بعض التغيير والتبديل^(٥) ظهر من هذا أنه قائل بوحدة الأديان بشرط أن توجد هذه الأشياء الثلاثة.
- ٢- أن الحسنات الأساسية معروفة ومركزة في فطرة الإنسان ولكن يتوجه الإنسان دائماً إلى الاعتقادات الباطلة. وسمى أحمد الدين هذه الحسنات بأصل الدين، وتعليم الأنبياء السابقين التوهّمات والشبهات ووجه القرآن الكريم أكثر منه إلى ذكر الله وفكر الآخرة وتصحيح الاعتقادات الباطلة وضرورة الإصلاح لذا حينما نرى إلى الكتب السابقة من حيثما هو الحكم بين الكتب الإلهية؟ فهو القرآن الكريم الذي قدم الدين المعتدل وغير صالح للتبديل^(٦)

النقطة التاسعة: خلاصة أفكاره المنهجية من تفسير القرآن:

(١) انظر المصدر السابق، ص ٧٩.

(٢) ذكر الشيخ ترجمة الآية في الأردية ولم يذكر نص الآية، وهي ٢١٣ من سورة البقرة، انظر: المصدر السابق ص ٨٠.

(٣) انظر: المصدر السابق، ص ٨٠.

(٤) انظر: المصدر السابق، ص ٨١-٨٣.

(٥) انظر المصدر السابق، ص ٨٣-٨٨.

(٦) انظر: المصدر السابق، ص ٨٨ و ٨٩.

أ- رأي أحمد الدين أن البسملة جزء من القرآن الكريم، ولم يقدر أي شخص بأن يدخل البسملة في القرآن من قبله^(١)

ب- ذكر أحمد الدين في الأمر الثاني؛ التركيب النحوي للبسملة، وتعلق الباء (من بسم الله) بالمحذوف هو ابدء أو اقر أو اتل أو استعين أو مثله بصيغة الواحد المخاطب، أو ابدعوا أو اقرءوا أو اتلوا أو استعينوا أو مثله بصيغة الجمع المخاطب^(٢)

ج- رأى أحمد الدين بأن سورة الفاتحة هي متن القرآن والسور الباقية هي تفسيرها وشرحها والبسملة الأولى المتصلة بسورة الفاتحة هي جزء سورة الفاتحة أما الباقية هي فصل بين السور القرآنية غير جزئها^(٣)

د- ذكر أحمد الدين فيه عدد السور وهي مائة وثلاث عشر سورة عنده وعد سورة الأنفال وسورة البراءة سورة واحدة وقسمهما حسب المضمون إلى جزئين الأول: ذكر الله سبحانه وتعالى في الجزء الأول (سورة الأنفال) غزوة بدر وضعف المسلمين من حيث الطاقة وظاهر الأسباب، وفي الجزء الثاني: ذكر الله عز وجل غلبة الإسلام كاملة وشرفه، وذكر الشيخ بعده المقصود من ذكرهما وهو أراد الله سبحانه وتعالى أن يُنظر؛ من يوفي وعده بالضعفاء؟ ومن يكرم الساقطين من حيث الشرف؟^(٤)

د- رأى أحمد الدين بأن كل سورة هي كتاب قيم كما قال تعالى: فِيهَا كُتِبَ قِيَمَةٌ^(٥) فلا بد أن ترتب السورة حسب الترتيب النزولي، والظاهر أن المفهوم يبدل بتبديل الترتيب الأصلي (النزولي) في المضمون، ولكن كل آية أو آيات حينما نزلت رتبت في الكتابة مع سابقها ولاحقها ومضمونها، لم يكمل غير هذا الترتيب مثل مضمون الآيات التي نزلت في طلاق زيد رضي الله عنه لزينب رضي الله عنها. والنتائج المستنتجة من هذا الترتيب لم يستنتج من غيره بأن توضع هذه الآيات حسب الترتيب النزول في سورة البقرة أو سورة الطلاق أو غيرها فرعاية مناسبة الآيات ونظمها وسياقها وسباقها ضروري لفهم آيات القرآن الكريم، وذكر الشيخ فائدتين لرعاية ترتيب الآيات ونظمها وربطها الأولى: أنها مفيدة في حصول العلم ومعرفة القصص الصادقة، والثانية معرفة الحقيقة للقصص التي تبين بالإفراط والتفريط. وذكر الشيخ تحت الأمر الخامس مسألة النسخ ورأى بأن لم يوجد التعارض بين الآيات القرآنية لذا لم تنسخ أي آية بآية أخرى. أما الآيات المتناقضة، فيما بينها، ظاهرة فضرِب الشيخ مثلاً واحداً وذكر التطبيق بين الآيتين المتعارضتين وأثبت عدم التعارض بينهما وهو قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ

(١) انظر المصدر السابق ص / ٩١.

(٢) انظر المصدر السابق ص / ٩١.

(٣) انظر: المصدر السابق ص ٩١-٩٣.

(٤) انظر المصدر السابق ص ٩٤.

(٥) القرآن ٩٨: ٣.

وَعَشْرًا ﴿١﴾ وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَقَّؤْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لَأَزْوَاجِهِمْ مَتْنَعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ ﴿٢﴾ (٣)، نحن تركنا التفصيل بسبب الطويلة.

ز- حدد أحمد الدين فيه تعريف المكي والمدني من سور القرآن والفاصل بينهما، هو هجرة النبي، وقدم الشيخ أحوال المسلمين في الدور المكي والمدني التي تساعد في معرفة مكية السور ومدنيتها حسب مضامين السورة، بأن نزلت في مكة الآيات المتعلقة بالعقيدة ورد الشرك، ووظيفة الرسول ﷺ في الدعوة الدين، وتسلية الرسول وأصحابه على إيذاء أعداء الإسلام وعلى ترك الرسول ﷺ وأصحابه بيوثهم للهجرة إلى المدينة وغيرها من الآيات المكية، ونزلت في المدينة الآيات المتعلقة بالأحكام من تحويل القبلة وفرضية الصوم والزكاة والحج، وغيرها من الأحكام، والغزوات من غزوة بدر، وأحد، وفتح مكة، وتبوك، وغيرها، وكذا ما تتعلق بالغزوات من تقسيم مال الغنيمة، وحكم الأسارى، وغيرها^(٤): ورأى أحمد الدين أن أول ما نزلت هو سورة الفاتحة وآخر ما نزلت هو المعوذتين من سورة الفلق والناس ونزلت في مكة سبع وثمانين سورة، وفي المدينة ست وعشرين سورة، فمجموعها مائة وثلاث عشرة سورة، ورتب القرآن بأن تضع أولاً عشرة سورة من المكية ثم تلي عشرة من المدنية وهكذا إلى آخر القرآن واعتبر فيه الترتيب النزولي حسب الإمكان. ورد على من رأى بأن سورة العلق من أول ما نزلت بدليلين.

الأول: يمنع رسول عليه السلام، عن قراءة القرآن، فأنزل الله سبحانه وتعالى هذه السورة.

الثاني: أن سورة العلق مبدونة بقوله سبحانه وتعالى: (اقْرَأْ) فليس معناه: اقرأ المقروء، وكيف يمكن بأن يأمر الأستاذ التلميذ وقال اقرأ وبدء التميز قراءته وقال، اقرأ فظهر منها، أن شيء ما من القرآن، كان قد نزل قبل نزول سورة العلق، فلذا قال الله سبحانه وتعالى: (اقْرَأْ) (٥) (٦)

ج: بحث أحمد الدين فيه حول جمع القرآن في الصدور والنقوش، وقدم دلائلاً على كتابة القرآن وهو قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾ ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى﴾ ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إسماعيل﴾ ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إدريس﴾^(٧) يعني كان هناك كتاباً، كتبت فيه الآيات القرآنية فأمر الله سبحانه وتعالى نبيه أن يذكر في ذلك الكتاب مريم وموسى وإسماعيل وإدريس عليهم السلام وللنبي صلى الله عليه وسلم كتاب من كانوا يكتبون القرآن تحت إشراف رسول

(١) البقرة ٢: ٢٣٤.

(٢) البقرة ٢: ٢٤٠.

(٣) انظر مقدمة تفسير بيان للناس الخواجه أحمد الدين من ٩٥ و ٩٦.

(٤) انظر: المصدر السابق، ص ٩٧ و ٩٨.

(٥) القرآن ٩٦: ١.

(٦) انظر: مقدمة تفسير بيان للناس الخواجه أحمد الدين، ص ٩٩ و ١٠٠.

(٧) القرآن ١٦: ١٩ و ٥١ و ٥٦٥٤.

الله، وكذا دليل آخر من قوله تعالى: (إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ) ^(١) فثبت منه أن جمع القرآن وقراءته على الله سبحانه وتعالى. ^(٢)

و: أنكر أحمد الدين من نزول القرآن في القراءات السبع بدليل أن القراءات الستة الأخرى ليس منزلة من الله سبحانه وتعالى، أما الاختلاف في القراءات الثابت فحقيقتها: أن بعض الناس كان يصنع في قراءة القرآن، ويقول نحن قادرون على قراءة هذه الآية كذا وكذا، فشوش بعض الناس ولكن قام حفاظ القرآن بوضع الحركات والسكنات على ألفاظ القرآنية. ^(٣)

ه: ذكر أحمد الدين فيه أداب تلاوة القرآن أن نبداً بقراءة أعوذ بالله بدليل قوله تعالى ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الْمُنِيطِينَ﴾ ^(٤) ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونَ﴾ ^(٥) وبحسن النية مع التوجه إلى الله سبحانه وتعالى لا إلى غيره، ولا نكتفي على قراءة الألفاظ القرآنية فقط، بل نتوجه إلى معانيها، ويناسب لنا أن نقرأ في آخر التلاوة المعوذتين العاشر، بين الشيخ فيه أصولاً لتفسير القرآن وقال: إن القرآن هو كلام الله والكون هو عمل الله لذا التفسير الصحيح هو التفسير الذي يطابق مع أفعال الله وهي التي نشاهد في الكون والقرآن كلام لأحكام الحاكمين، فلذا هو حاكم على جميع الناس، فمن عين على القرآن حاكماً أو قاضياً من الناس مع أنه صالح فارتكب ظلماً عظيماً، فالأسف على من ينسخ كلام أحكام الحاكمين بالأحاديث أو بالإجماع، إلا من يجعل الآخر تحت حكم القرآن حاكماً أو قاضياً من الذي يسعد في حل مطالب القرآن فهو صحيح وصالح للتقدير، فأنزل الله القرآن، أن لم يبحث حامله شيئاً آخر مثل الوحي، ولا تبقى له ضرورة لشيء آخر بعد القرآن، وليس معناه بأن لم يؤخذ شيئاً آخر وهي معقولة، ويناسب لنا أن نستفيد من القرآن معقولاً ومعروفاً، ولكن لم يناسب لنا أن نتأصل حضارة الدولة الخاصة، أو القوم الخاص أو حضارة الزمن الخاص، لجميع الدول والأقوام والأزمنة ونبدل الأشياء الباقية حسب الحضارة. وفي آخر المقدمة ذكر الشيخ أهمية فهم اللغة العربية لتفسير القرآن وقرر التأويلات التي تخالف اللغة العربية فاسدة، وانتهى الشيخ المقدمة بقوله: إن أريد إلا الإصلاح، ما استطعت وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب. ^(٦)

(١) القرآن: ٧٥: ١٧.

(٢) انظر مقدمة تفسير بيان للناس لخواجه أحمد الدين، ص ١٠٠ و ١٠١ و ١٠٢.

(٣) انظر المصدر السابق، ص ١٠٢.

(٤) البقرة: ٢٣: ٩٧.

(٥) المؤمنون ٢٣: ٩٨.

(٦) انظر: مقدمة تفسير بيان للناس لخواجه أحمد الدين، ص ١٠٣ و ١٠٤.

الفصل الثاني

عوامل بناء شخصية أحمد الدين الفكرية؛ وفيه مباحث

المبحث الأول: علاقة أحمد الدين بالإنجليز المحتلين لشبه القارة الهندية

المبحث الثاني: علاقة أحمد الدين بالمدرسة العقلانية عموماً

المبحث الثالث: أهم رجال الفكر الذين تأثر بهم وتلمذ عليهم أحمد الدين

المبحث الرابع: منهجه في نشر فكره وعقيدته في شبه القارة الهندية

المبحث الأول: علاقة أحمد الدين بالإنجليز المحتلين لشبه القارة الهندية

واستمر طريق الضلال هذا عبر التاريخ بمختلف طوائفه، وعلى مستوى الأمة الإسلامية في الشرق والغرب، حتى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، حيث نبحت بذور الشربين المسلمين في الهند. من ظهور ما سمي بالفرقة القرآنية، الطائفة التي ادعت الاعتماد على القرآن فقط وترك السنة. وبعد الإستعمار البريطاني هاجروا من الهند إلى باكستان بعد التقسيم باسم "البروزيين" وقد استغل الاستعمار أصحاب هذه الدعوات المنحرفة من أجل تحقيق أهدافه من السيطرة على المسلمين وإضعافهم بتمزيقهم وتفريق جماعتهم، فأغدق الإنجليز عليهم الأموال ويسرّوا لهم سبل نشر دعوتهم الضّالة، إلّا أنهم لم ينتشروا ولم يكتب لآرائهم الذبوع، على عكس البابية والبهائية^(١) التي انتشرت على يد المستعمر. وقد تصدّى علماء شبه القارة الهندية لفكرة "أهل القرآن" منذ وجودها لما يترتب عليها من خطر وردّة عن الدّين، وقاموا بتنفيذ شبهاتهم، وذلك بدراسات علمية كشفت ضلال هذه الطوائف، وفندت جوانب الرّيف والانحراف لهذه الطوائف الضّالة.

لما وُضِعَ الإنجليز أيديهم على "شبه القارة الهندية" دانت لهم كثير من الطوائف غير المسلمة كالهندوس والبوذيين وغيرهم، وأمّا المسلمون أنهم لم ينقادوا للإنجليز وقاموا باستعمارهم بالعديد من الثورات كان أشهرها ثورة مايو عام ١٨٥٧م. وبعد ذلك دبّر المستعمر الإنجليز حُطّةً مآكرة، واستقطبوا أشخاصاً من المسلمين باعوا دينهم مقابل السلطة والمال، فكان هؤلاء العملاء يؤلفون المؤلفات تظاهراً بالإسلام والحرص عليه والدعوة إليه، وفي ثنايا هذه المؤلفات السم الزعاف والشبهات الخبيثة التي يبتونها تشكيكاً للمسلمين في دينهم، ومن أبرز هؤلاء العملاء القادياني "ميرزا غلام أحمد" الذي ادّعى النبوة، وأحمد رضا خان الذي غالى في حبّ النبي صلى الله عليه وسلم وأضفى إليه بعض صفات الله تعالى، وأحمد خان، الذي باع دينه واشترى به ولاءه المطلق للإنجليز.

لقد ذكرنا سابقاً أن ظهور أهل القرآن كان ثمرة طبيعية للحركة التي زرع بذورها أعضاء حركة سيد أحمد خان. تقليد الحضارة الغربية وأسسها المادية، وأن على المسلمين إذا أرادوا الرقي والتقدم والازدهار أن يتخلوا عن مبادئ دينهم ونظام شريعتهم، ويقلدوا استعمار في كل أمور دينهم ودنياهم. هذه هي طريقتهم في النمو والتطور. وقد أخذ بحثه في الوصايا من خلالها الكثير من موضوعه الكلامي، فبدأ يبحث في أمور الغيب من خلالها، مثل تعريف الشيطان بأنه قوة العدائية، لا سيطرة للإنسان عليها.^(٢)

(١) البابية، والبهائية، حركة إنشققت من المذهب الشيعة، سنة ١٢٦٠هـ - ١٨٤٤م تحت رعاية الاستعمار الروسي، واليهودية العالمية، والاستعمار البريطاني، تحدف إفساد العقيدة الإسلامية، وتفريق المسلمين، وصرفهم عن قضاياهم الأساسية. انظر: البايون والبهايتون ماضيهم وحاضرهم، عبد الرازق الحسين، وقد سبق ذكره في الفصل الأول.

(٢) ينظر مجلة إشاعة السنة ١٩ / ملحق ٧ / ٢١١.

ومن فترة الاحتلال الإنجليزي على يد أحمد خان الذي فسر القرآن بالرأي المحض، ووضع شروطاً تعجيزية لقبول الحديث مما جعله ينكر أغلب الأحاديث. جاء عبد الله جكرالوي في باكستان الذي كان يشتغل بدراسة الحديث، من ثم اصطدم بالعديد من الشبهات حوله، فتوصل في النهاية لإنكار كافة الأحاديث وأن القرآن هو ما أنزله الله على الرسول محمد، وأسس جماعة تسمى أهل الذكر والقرآن التي دعا من خلالها إلى أن القرآن هو المصدر الوحيد لأحكام الشريعة وألف في ذلك كتباً كثيرة.

وتبنى نفس الفكر أحمد الدين الأمرتسري مؤسس جماعة أمة مسلمة التي كان يدعو فيها لأفكاره. وأخيراً غلام أحمد برويز حيث كان تفسير إحدى الآيات القرآنية سبباً في تحوله لفكر القرآنيين فيقول: "ذات يوم كنت أطلع التفسير فمررت بقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مَا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾^(١) وقد ذكر القرآن بالتفصيل عناد بني إسرائيل وغلوهم على موسى (عليه السلام)، ولكنني وجدت في تفسير هذه الآية حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) وهو روى البخاري أن بني إسرائيل اتهموا موسى بالجدام، فخرج الحجر من ثوبه، فضرب موسى الحجر بعصاه، فارتعدت حواسي، وفكرت، ونشأت الشكوك الواحدة تلو الأخرى. واستمر هذا وبدأ في الترويج للفكر الإنجليزي بشكل مباشر مما ثبت في حياته منه الرد علي الاستعمار أو خلافهم. وهذا بسبب التحاق أحمد الدين بمدرسة المنصرين فدرس التوراة والإنجيل الموجودين عند النصاري الآن والعلوم العصرية الحديثة^(٢)

وبعد تخرجه من مدرسة المبشرين التحق بالثانوية الإسلامية في أمرتسر، ثم بدأ يدعو لأفكاره من خلال مجلة طلوع الإسلام التي أسسها لهذا الغرض. ولا تزال أفكار هذه الحركات متواجدة في شبه القارة الهندية إلى الآن.^(٣) ولذلك، فإن أفكاره تظهر مدى كونه مؤيداً للاستعمار، الذي لطالما عارض علماء الحق، لكن لم يثبت أنه عارض الاستعمار على الإطلاق.

(١) الأحزاب: ٦٩.

(٢) ملخصاً من مجلة بلاغ عدد سبتمبر ١٩٣٦ م، والعدد الخاص بحياة الخواجه نقلاً عن القرآنيون لخدم حسين ص: ٣٣.

(٣) شبهات القرآنيين حول السنة النبوية أ.د. محمود محمد مزروعة ٢٦ يناير ٢٠٢٠ على موقع.

المبحث الثاني: علاقة أحمد الدين بالمدرسة العقلانية عموماً

وتتضح العلاقة بينهما من خلال شرح مواقفهما من مختلف القضايا. وتأويلات الخاطئة، ونلخص من نماذجهم الأول في باب النبوت: ومنها في ما يلي:

علاقة بينهما في باب الوحي

موقف أحمد الدين من الوحي.

لا أجد فيما أعلم خلاف بين الأمة الإسلامية في قسمي الوحي الجلي والخفي أو المتلو وغير المتلو إلا أن أحمد الدين شذ بقوله إن الوحي الحقيقي المنزل من الله على رسوله نوع واحد المسمى بالقرآن . يعني الوحي المتلو أو الجلي، أما ما سواه فليس بوحي لما يلي:

- ١- لو كانت سنة قولية فعلية وتقريرية النبي وحيًا، لكان مساوياً للقرآن، قوة وحفظاً ولكن الأمر ليس كذلك.
- ٢- إن السنة مغايرة القرآن من حيث إن القرآن كله قطعي الثبوت، خلافاً للسنة فإنها ظنية.
- ٣- الوحي المتلو . القرآن . واجب العمل وغيره ليس كذلك.

موقف المدرسة العقلية من الوحي:

وقد قدموا تعريفات جديدة للوحي، لا فرق فيها بين رأيهم وبين رأي الأعداء، ثم أخذوا من بعدهم بأقوال أهل الغرب وأعرب عن تقديره بقدر كبير من الثقل، وكانوا مقتنعاً بأن محمداً كان عبقرياً وليس نبياً، وأن القرآن كان نتيجة معرفة محمد للحقيقة من خلال التأمل لا من طريق الوحي. بل إنه ادعى بعد ذلك أن ذلك ليس ببعيد عن عقيدة المسلمين ولما فعل ذلك رجال المدرسة العقلانية الحديثة، فإنهم فعلوا ذلك خوفاً من أن يتناقض دينهم مع النظريات العلمية الحديثة، فطرحوا مشكلة الوحي وإثباته وجعله قريباً من أذهان الغربيين والماديين. قدراً كبيراً من الأهمية. ولهذا أعرض الشيخ محمد عبده عن تعريف السلف للوحي، وجاء بتعريف جديد من عنده مما لا يعرفون^(١).

فقال في تعريف الوحي "بأنه عرفان يجده الشخص من نفسه، وقد عرفوه في الشرع بأنه أمر شرعي ومثله تبليغ من الله تعالى لنبي من أنبيائه، فنعرفه بحسب حالنا بأنه عرفان يأتيه الإنسان من داخل نفسه مع اليقين بأنه من الله. بواسطة أو بدون واسطة. بالصوت الذي يشبه ما تسمعه أو بدون صوت، ويميزه عن الإلهام، والإلهام شعور تتيقن به النفس ويؤدي إلى ما هي عليه. وهو يشبه بوجدان الجوع والعطش والحزن واللذة، أما تعريفه للوحي فهو: علم يكتسبه الإنسان من نفسه، ويظهر عليه.^(٢) هوأشد معلوم من أنواع الوحي حيث قال الله حين مثل كيف يأتيك

(١) انظر تاريخ الأستاذ الإمام : محمد رشيد رضا ج ١ ص ١١.

(٢) رسالة التوحيد: محمد عبده ص ١٠٨٠.

الوحي فأجاب " أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً في كلمني فأعي ما يقول^(١) ومن ذلك أيضاً ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾^(٢) فهذا لا يشمل كله، الوصف بأنه عرفان يجده الشخص من نفسه، فهو وصف قاصر لا يصح القول به . الأمر الديني وكذا قوله ومع اليقين بأنه من عند الله، لا يصح، ذلكم أن بعض النفوس قد تستيقن ما تجده من عرفان بأنه من عند الله وما هو من عنده، بل هو من الشيطان فما الوسواس الذي يجده الموسوسون في نفوسهم في إلا اعتقاداً منهم بأنه تنبيه إلهي لهم بتقصيرهم في الضوء مثلاً فيعيدونه مرات ومرات وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا. وما ذلكم الوسواس إلا من الشيطان قال تعالى ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾^(٣) يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى "كل من خالف الرسول لا يخرج عن الظن وما تهوى الأنفس، فإن كان ممن يعتقد ما قاله وله فيه حجة، يستدل بما كان غايته الظن الذي لا يغني من الحق شيئاً، كاحتجاجهم بقياس فاسد أو نقل كاذب، أو خطاب ألقى إليهم اعتقدوا أنه من الله وكان من إلقاء الشيطان"^(٤)

ثم إن كلام الأستاذ محمد عبده في الوحي ويجده الشخص من استعداد نفسه خاطئ، لا يصح، لأن الوحي لا يأتي من النفس البشرية بل من خارجها، فهو يأتي من الله تعالى، وليس من النفس البشرية، لكن شكك أعداء الإسلام في الوحي عندما زعموا أنه حدث لك تدريجياً عن طريق الوحي أو زعموا أنه وحي نفسي ولهذا رأى الشيخ رشيد أن هذا القول يتضمن (قبل التفرقة بينه وبين الإلهام) ما يسميه بعضهم بالوحي النفسي أو الإلهام الفاض من الذات العليا. وقال " وقد أثبت ذلك بعض علماء الغرب، كغيرهم، عن نبينا، ويقولون إن ما بشر به محمد صلى الله عليه وسلم من الدين القويم، والشرعية، والأخلاق الرفيعة. "بالنظر إلى أنه من المستحيل أن تكون كاذباً"^(١) ثم لا ندري سبب إصرار محمد عبده وتلميذه السيد رشيد على وصف الوحي بأنه عرفان، أو شيء يجده الإنسان من نفسه، من غير تفكير أو استنباط "ولنقرأ تعريف السيد رشيد رضا الذي عزّ عليه الاعتقاد عن تفسير الوحي الذي كان عليه اسلاف، وثبت أيضاً أن لا يعتمد بتعريف أستاذه فقال "الوحي في اللغة إعلام في خفاء الله تعالى إلى أنبيائه علم يخصهم به من غير كسب منهم، ولا تعلم من غيرهم، بل هو شيء يج دونه في أنفسهم من غير تفكير، ولا استنباط، مقتزناً بعلم وجداني ضروري بأن الذي ألقاه في قلوبهم، هو الرب القادر على كل شيء، وقد يكون بغير وساطة ملك"^(٥) وأنت ترى أن هذا التعريف من السيد رشيد، يبطله غالباً قوله تعالى (عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى)^(٦) ثم إنه ينقضه بنفسه بقوله بعد هذا " وقد يتمثل لهم ملك فيلقنهم ذلك العلم.

(١) أخرجه البخاري ومسلم والموطأ والترمذي واللفظ للبخاري.

(٢) سورة النساء : من الآية ١٦٤.

(٣) سورة الناس.

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية : جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد ج ١٣ ص ١٨١٧.

(٥) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ١ ص ٢٢٠.

(٦) سورة النجم الآية : ٥.

الثاني: طاعة الرسل والأنبياء:

التمهيد: الطاعة في المفهوم القرآني

تُعَدُّ قضية طاعة الرسول والأنبياء من أهم القضايا العقدية والتشريعية التي تناولها المفكرون المسلمون والقرآن الكريم يؤكد أن طاعة الرسول جزء لا يتجزأ من طاعة الله: (مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ) (النساء: ٨٠) كما يربط بين طاعة الله وطاعة الرسول في مواضع عديدة (آل عمران: ١٣٢، النساء: ٥٩، النور: ٥٤).

موقف أحمد الدين من طاعة الرسل والأنبياء: أخطأ المصنف بأن كل ما ذكره النبي من مسألة الدينية ليست مبنية على وحي إلهي بزعمه أنه ليس للنبي حق التشريع قط لأن الأمر كله لله وإن الحكم إلا لله، فكان مُبَلِّغٌ وليس مشرّعٌ فلذا تنقسم أفعاله إلى ما يلي:

الأول: أفعاله التي اعتبرها القرآن وصدقه وجعلها واجب الإتيان للأمة.

الثاني: أفعاله التي سكت القرآن الكريم عن ذكرها ولكن جعلها واجب العمل والإتيان في وقت دون آخر فحكم قسم الأول لديه واجب الإتيان والثاني بعكسه.

الثالث: موقوفة بخيرة الناس عملاً وتركاً إن شأوا عملوا بمقتضاها وإن شأوا تركوها وهذا النوع كالمباح عند الأصوليين^(١) ومعنى طاعة الرسول في القرآن، ليس طاعته في جميع أقواله وأفعاله وتقريراته، بل المراد به طاعته كمبلغ القرآن من الله فقط بدليل قوله: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢)

ومثل هذا يقول جمال الدين الأفغاني: "القرآن وحده مصدر الهدى وأساس الدعوة. وأما آراء الناس واستنباطاتهم ونظرياتهم التي تجمعت وتراكمت حولها، فلا يجب أن نعتمدها وحياً، بل نتخذها رأياً. ويحذر الناس من إضاعة الوقت في تقديمه. يقول "ولا ينبغي لنا أن نرفعه على أيدينا لندعوه ونرشد الأمم إلى تعاليمه، فإن تقديمه صعب، وصعب ومضیعة للوقت"^(٣)

موقف المدرسة العقلية (محمد عبده ورشيد رضا) من طاعة الرسول والأنبياء

قد ظهر في القرن التاسع عشر الميلادي اتجاه إصلاحی عُرف بـ "المدرسة العقلية الحديثة" يتزعمه الإمام محمد عبده (١٨٤٩-١٩٠٥م) وتلميذه الشيخ محمد رشيد رضا (١٨٦٥-١٩٣٥م).

تميّز هذا الاتجاه بمحاولة الجمع بين النصوص الشرعية والعقل، والنقد لطرق التقليد الجامد، مع تأكيد العودة إلى القرآن الكريم والسنة الصحيحة. ويبرز هنا سؤال جوهری: ما هو موقف هذه المدرسة من طاعة الرسول والأنبياء؟ هل هي طاعة مطلقة، أم مقيدة بالوحي؟

(١) انظر: تفسير بيان للناس ٢١٨/١ - ٢٢٢، ٥٩٤.

(٢) سورة المنافقون . ٨.

(٣) جمال الدين الأفغاني لعبد القادر المغربي ص ٦٢-٦٣.

ومن هنا، صاغت المدرسة العقلية فهمها لهذه الطاعة وفق منهجها الخاص في الجمع بين النقل والعقل.

المحور الأول: موقف الإمام محمد عبده ميّز محمد عبده بين التشريع الديني والأمور الدنيوية:

التشريع الديني: ما جاء به الرسول ﷺ من القرآن والوحي، وهذا واجب الطاعة المطلقة.

الأمور الدنيوية والاجتهادية: ما كان من رأي بشري للرسول ﷺ في السياسة أو الحرب أو التدبير الإداري، فلا يلزم المسلم اتباعه فيه.

يقول محمد عبده في رسالة التوحيد: "الرسول مبلغ عن الله تعالى، فما جاء به من عند الله فهو الحق الذي لا يجوز

العدول عنه، أما ما كان من رأيه في أمور الدنيا فليس داخلياً في باب الوحي" (١)

يظهر هذا الاتجاه أيضاً في تفسيره لبعض آيات جزء عم حيث اعتبر أن وظيفة الرسول الأساس هي البلاغ المبين.

المحور الثاني: موقف الشيخ رشيد رضا

رشيد رضا تبني موقف أستاذه، لكنه وسّع دائرة الاعتماد على السنة الصحيحة المروية، معتبراً أنها وحي غير متلو.

في تفسير المنار عند قوله تعالى: {من يطع الرسول فقد أطاع الله}، قال: "ما يأمر به من حيث هو رسول فهو من

الله، فمن أطاعه في ذلك لأنه مبلغ عن الله فقد أطاع الله" (٢) وعند تفسير قوله تعالى: (ومن يطع الله ورسوله

يدخله جنات) (النساء: ١٣):

وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم هي اتباع ما جاء به من الدين عن ربه عز وجل، فطاعته هي عين طاعة

الله" (٣)

لكنه رفض الاحتجاج بالأحاديث الضعيفة أو بما يخالف القرآن والعقل، مؤكداً أن السنة المعتمدة هي الصحيحة

الموافقة للقرآن ومقاصده.

رفض الاحتجاج بالأحاديث الضعيفة أو بما يخالف القرآن والعقل، مؤكداً أن السنة المعتمدة هي الصحيحة الموافقة

للقرآن ومقاصده.

المحور الثالث: طاعة الأنبياء عموماً

عند أحمد الدين أن الأنبياء جميعاً يُطاعون في ما يبلّغونه من وحي، والطاعة لهم ليست مستقلة، بل هي فرع من

طاعة الله.

وهذا يتوافق مع الآيات: {وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله} (النساء: ٦٤).

المحور الرابع: الفرق بينهم وبين أحمد الدين

(١) رسالة التوحيد، محمد عبده، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٣م، ص ١١٨-١٢٠

(٢) تفسير المنار، محمد عبده، تفسير جزء عم، تحقيق محمد عفيفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٠م، ج ٥، ص ٢٨٠.

(٣) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج ٥، ص ٢٨٠، ٣٣٢، دار المعرفة، بيروت، ١٩٤٧م.

أحمد الدين أنكر السنة جملةً، وقصرها على القرآن.

بينما المدرسة العقلية أثبتت حجية السنة الصحيحة، لكن مع إخضاعها للتمحيص العقلي والنقد العلمي. فهي وسط بين المحدثين التقليديين والقرآنيين.

أقول

خلصت المدرسة العقلية (محمد عبده ورشيد رضا) إلى أن طاعة الرسول والأنبياء واجبة فيما يبلغون عن الله من الوحي والتشريع. أما اجتهاداتهم وآراءهم البشرية فلا تدخل في دائرة الطاعة الدينية.

السنة عندهم معتبرة، لكن بشرط أن تكون صحيحة موافقة للقرآن والعقل.

بهذا قدّمت هذه المدرسة طرْحاً وسطاً، يحفظ مكانة السنة النبوية ويستجيب لمقتضيات العقل والعصر.

ولهذا السبب توجد هناك تشابه كبير بينهم وبين أحمد الدين

الثالث: علاقة بينهما في المعجزات:

موقف أحمد الدين من المعجزات:

قد قام أحمد الدين بعدم اعتراف المعجزات الأنبياء وتأويل المحكمات القرآن وإنكار الأحاديث حيث يقول:

١- أن المعجزات . كانشقاق القمر وانفلاق البحر وما إلى ذلك . تخالف العقل، تخرق العادات، وتبدل فطرة الله التي فطر الخلق عليها والاعتراف بصدورها، تلزم تغيير سنة الله الكونية الثابتة ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأُولَىٰ فَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾^(١)

٢- لا مصلحة أصلاً في إتيان الأشياء ما تخالف العقل لكونها غير مفيدة والله منزّه عن كل عبث غير مفيد فإذا انتفى المصلحة لزم مفسدة والعبث لأن رفع النقيضين باطل واجتماعهما محال^(٢)

٣- إنكار حق الردّة بدعوى حرية الفكر والرأي والانفتاح الفكري^(٣) ويتجاوز بعضهم الحد عندما يطالب باحترام حقوق الملحدين وضرورة السماح لهم بنشر آرائهم بين المسلمين يقول جودت سعيد وهو من رموز هذا التيار "الكفر ليس ذنباً دينياً والكفر ذنب أخروي فالله يحاسب الكافر عليه والكافر له حق أن يعيش والملحد له حق أن يعيش محترماً وإن استطاع الملحد أن يقنع الناس بإلحاده فلا حرج عليه لكنه لا يفرض رأيه بالقوة ويجب أن نزيل التنازع بالكفر"^(٤)

٤- انفلاق البحر: تفسير الشيخ لانفلاق البحر بضرب موسى بعصاه كمعجزة له لا يستقيم أبداً لقوله: أن الطريق كان موجوداً من قبل وكان موسى عالم به وممرّ به عدة مرات ولما غاب في الماء أمر الله موسى أن يأخذ عصاه

(١) سورة فاطر . ٤٣

(٢) انظر: تفسير بيان للناس لأحمد الدين ٧ / ٤٠ . ٤١

(٣) مقالات في المذاهب والفرق ص ٨٢ (٣)

(٤) المدرسة العصرية ص ٢٢٥ (٤)

ويبحث الطريق في الماء ففعل وهذا هو المراد بقوله تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾^(١)

٥- انشقاق القمر: وهذا ما قاله الرشيد، نقلا عن الحديث في إثبات المعجزة التي نصت عليها الآية الكريمة ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾^(٢) فأبطل أدلة هذه الأحاديث وزعم أنه لا دليل على حدوث الانقسام القمر وحدث المعجزات فيها. وأما بقية آيات الكريمة كيف نهي عنها السيد رشيد رضا فقال " فإذا رجعت إلى معجم القرآن لتفهم الآيات دون هذه الأحاديث. وجدت في لسان العرب ما نصه، وشق الصبح يشق شقاً إذا طلع وفي الحديث ﴿ فلما شق الفجران أمرنا بإقامة الصلاة ﴾ يقال شق الفجر، وانشق إذا طلع، كأنه شق موضع طلوعه، وخرج منه، وانشق البرق، وتشقق انفلق وشقيقة البرق عقيقته، وهو ما استطار منه في الأفق وانتشراً. ه فعلى هذا يقال انشق القمر، بمعنى طلع وانتشر نوره. ويكون في الآية بمعنى ظهر الحق ووضح كالقمر، يشق الظلام بطلوعه ليلة البدر، وقال الراغب في مفردات القرآن (وانشق القمر) قيل انشقاؤه في زمن النبي عليه السلام، وقيل هو انشقاق يعرض فيه حين تقرب القيامة، وقيل معناه وضح الأمر، ونقله عنه صاحب التاج، وهذا الأخير هو المتبادر من الآية بنص اللغة ومعونة السياق لأن صيرورة القمر شقتين منفصلتين، لا دخل لها في إنذار المشركين الذي هو موضع السورة ولم يسبق أن عد من آيات الساعة كانشقاق السماء، وانفطار الكواكب، فلم يبق إلا أنه بمعنى ظهور الحق ووضوحه بآيات القرآن.

ثم ينحى كلامه تنفي هذه المسألة بقوله فإذا اطمأن المسلم إلى قبول هذه الأحاديث كلها على حثياتها، وكان يرى أن معارضة حديث وحجة قطعية أيسر من معارضة حقيقة زيد وعمر وحججهما، فلو حدثت هذه الآية ولم يحدث شيء من ذلك. يتم إرشادهم. ولم يبلغ أحد من الخلفاء ولا من الصحابة المتقدمين أنه رآه واستدل به، فضلاً عن تواتره، فلا يحق له أن يجعل منه اعتقاداً^(٣)

هذا ما قاله السيد فيما ورد من القرآن والسنة في مسألة انشقاق القمر، ولن نذهب في الرد عليه بتتبع ما أورده فقره فقره فهذا مما يطول بنا ولكني أكتفي هنا بإيراد قول السلف في تلك المسألة ومن قرأه استطاع بنفسه أن يرد على قول السيد كله وعلى غيره من الشبهات.

موقف المدرسة العقلية من المعجزات

ورجال المدرسة العقلية الحديثة ناقشوا معجزات الأنبياء السابقين، وأثبتوا حدوثها، وأنكروا صحتها وتأثيرها بين أصحاب العقول المتقدمة. ويرى الشيخ محمد عبده (مفهوم كلامه) "أن المعجزات تكون فقط لمن لا يحاول فهم الحجج التي في ذهنه، ورواية هذه المعجزات لا تضر الإسلام، بل روايتها تنفيه، هو ليس ديناً عاقلاً. ويقول "اعتقادنا

(١) سورة الشعراء - ٦٣

(٢) سورة القمر الآية الأولى

(٣) مجلة المنار: المجلد ٣٠ الجزء الخامس ص ٣٧٢ ٣٧٣.

بأن الله نصر الأنبياء بالآيات (المعجزات) ليجذب قلوب من لم تتربى عقولهم على فهم الحجة، لا يخالف الواقع. وأن ديننا دين الفطرة فيجب علينا أن نؤمن بأنه دين، لا تغيير ولا تحويل للخلق من خلال شهود سنة الله تعالى" (١)

وقال أيضاً: إن الإسلام في دعوته ومطالبته بالإيمان بالله ووجدانيته لا يعتمد إلا على الدليل العقلي والفكر الإنساني المتبع للنظام الطبيعي، فهو لا يستغرب الكائن، ولا يعمي. بصرك بخطوات غير عادية، لا يسكت لسانك بالقرعات السماوية، ولا يوقف حركة أفكارك بالدعوة الإلهية. (٢)

فثبت من هذا أن موقف أحمد الدين في المعجزات هو نفس موقف المدرسة العقلية تماماً.

ولقد كان موقف المدرسة العقلية الإصلاحية - الممثلة في جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، ورشيد رضا - مختلفاً عن الموقف التقليدي من المعجزات، إذ سعوا إلى التوفيق بين النصوص الشرعية والمعارف الحديثة، وإبراز الجانب العقلي للدين.

فالأفغاني لم يُكثر من مناقشة تفاصيل المعجزات، غير أنه أقرّ بقدرة الله تعالى على خرق العادة، ورأى أن وقوع المعجزات ثابت لتأييد الأنبياء، لكنه شدّد على أن الإيمان لا يقوم عليها بقدر ما يقوم على البرهان العقلي، معتبراً القرآن الكريم المعجزة الكبرى الدائمة (٣)

أما محمد عبده، فقد كان الأكثر وضوحاً في التأويل العقلي، إذ فسر حادثة انشقاق القمر بأنها ظاهرة بصرية أو إشارة مستقبلية، لا انشقاقاً مادياً حقيقياً، كما فسّر الطير الأبايل في سورة الفيل بأنها وباء أو جراثيم أهلك جيش أبرهة، واعتبر إبليس رمزاً لقوى الشر في النفس الإنسانية. وهو يرى أن المعجزات لم تكن أساس الدعوة النبوية، بل أعظم معجزة باقية هي القرآن الكريم بما فيه من إعجاز بياني وتشريعي يخاطب العقل والوجدان (٤)

أما رشيد رضا، فقد سار على منهج أستاذه في الجملة، فاعتبر أن المعجزة الحقيقية الكبرى هي القرآن، وأن بقية المعجزات وقعت لأقوام مخصوصين. وقد مال أحياناً إلى التأويل الطبيعي كما فعل

(١) تفسير المنار (١/٣١٥).

(٢) رسالة التوحيد لمحمد عبده ص (١٤٣).

(٣) عمار الطالبي، جمال الدين الأفغاني: الداعية المفترى عليه، ص ١١٢-١١٥؛ محمد عمارة، الأفغاني: موقف الشرق وفيلسوف الإسلام، ص ٢٠٣.

(٤) تفسير المنار لمحمد عبده ورشيد رضا، ج ٣٠، ص ٢١١-٢١٤ (سورة الفيل)، وص ٣٣٥-٣٣٨ (سورة القمر)؛ محمد عمارة، الإمام محمد

عبده: تجديد الدنيا بتجديد الدين، ص ٢٧٥-٢٨٠.

في تفسير سورة الفيل، لكنه في مواضع أخرى رجع إلى التفسير التقليدي تحت تأثير النقد من العلماء، محاولاً التوسط بين الاتجاهين العقلي والمحافظة^(١)

وهكذا يتضح أن المدرسة العقلية لم تُنكر المعجزات من حيث المبدأ، لكنها فسّرت كثيراً منها تفسيراً رمزياً أو طبيعياً، بهدف دفع ما عدّوه شبهة تعارض بين الدين والعلم، وترسيخ فكرة أن الإسلام دين عقل وبرهان قبل أن يكون دين خوارق ومعجزات.

العلاقة بين أحمد الدين أمرتسري والمدرسة العقلية في موضوع المعجزات الموقف المشترك:

كلا الطرفين (مدرسة عبده وأمرتسري) شدّدوا على أن المعجزة الكبرى هي القرآن الكريم، باعتباره الخطاب الباقي للعقول والأجيال، وأن المعجزات الحسية إنما وقعت في ظروف خاصة ولأقوام مخصوصين. اعتمدوا على التأويل العقلي أو الطبيعي لكثير من المعجزات التي وردت في القرآن. ويتقاطع منهج خواجه أحمد الدين أمرتسري (من أعلام القرآنيين في الهند) مع المدرسة العقلية الإصلاحية (الأفغاني، محمد عبده، رشيد رضا) في موقفهم من المعجزات، من حيث الاعتماد على العقل والتأويل، غير أن بينهما قدراً من الاختلاف في الدرجة والغاية. فقد أكّد الطرفان أنّ المعجزة الكبرى الباقية هي القرآن الكريم، وأن المعجزات الحسية إنما وقعت في ظروف مخصوصة ولأقوام بعينهم^(٢). ولهذا لجأ كل منهما إلى التأويل العقلي لبعض الظواهر: فمحمد عبده فسّر حادثة انشقاق القمر بأنها ظاهرة بصرية أو إشارة مستقبلية^(٣) واعتبر الطير الأبايل في سورة الفيل وباءً أهلك جيش أبرهة^(٤)، بينما ذهب أحمد الدين أمرتسري إلى تأويل قريب من ذلك، إذ رأى أنّ ما ورد في القرآن عن الطير الأبايل إشارة إلى مرض كالجدري، وأنّ القول بالطيور الحسية يتعارض مع السنن الكونية^(٥)

غير أنّ الفارق الجوهرى بين المدرستين يكمن في أن العقلانيين لم ينكروا إمكان خرق العادة، بل أكدوا قدرة الله على إظهار المعجزات متى شاء، مكتفين بالتأويل حين يصعب التوفيق بين ظاهر

(١) تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده رشيد رضا، ج ٢، ص ٣٤٥-٣٥٠؛ يوسف القرضاوي، المدرسة العقلية الحديثة بين الإيجابيات والسلبيات، ص ٩٢-٩٥.

(٢) تجديد الدنيا بتجديد الدين، محمد عمارة، الإمام محمد عبده: ص ٢٧٥-٢٨٠.

(٣) تفسير المنار محمد عبده ورشيد رضا، ج ٣٠، ص ٣٣٥-٣٣٨ (سورة القمر).

(٤) المصدر نفسه، ج ٣٠، ص ٢١١-٢١٤ (سورة الفيل).

(٥) إظهار الحق أحمد الدين أمرتسري، ص ٥٥-٦٠.

النصوص والمعارف العلمية. أما أحمد الدين أمرتسري فقد كان أكثر تشددًا، إذ أنكر المعجزات الحسية جملة، وعدّ القرآن وحده المعجزة الخالدة، رافضًا ما أثبتته الأخبار الحديثية من خوارق الأنبياء، بحجة أنّها ليست من القرآن ولا يعضدها البرهان العقلي^(١).

وعليه، فإن المدرسة العقلية وأحمد الدين أمرتسري يلتقيان في مبدأ إخضاع النصوص للعقل، وفي جعل القرآن المعجزة الكبرى، لكنهما يفترقان في المنهج: إذ اقتصر العقلانيون على التأويل، بينما ذهب أمرتسري إلى الإنكار الصريح للمعجزات الحسية.

فثبت الربط بين خواجه أحمد الدين أمرتسري (القرآني) وبين المدرسة العقلية (الأفغاني، عبده، رضا) في موضوع المعجزات أن الاثنين اشتركوا في منهج تأويل النصوص وإخضاعها للعقل، في باب المعجزات وإن اختلفت درجاتهم ومقاصدهم.

الغاية من التأويل:

عند المدرسة العقلية: الدفاع عن الدين أمام الحضارة الغربية وإثبات أنه لا يتعارض مع العقل والعلم. عند أحمد الدين أمرتسري: تأسيس مذهب قرآني صرف يكتفي بالقرآن مصدرًا وحيدًا، ويُسقط الروايات الحديثية التي تدعم المعجزات.

ومن المعجزات التي انكرت منها أحمد الدين وأصحاب المدرسة العقلية شق القمر ايضا

شق القمر عند أحمد الدين

رد أحمد الدين أحاديث انشقاق القمر وأول الآيات الواردة فيه من عنده كما في قوله تعالى: ﴿اَفَتَرَبَّتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ. وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾^(٢) إنكاراً صريحاً، وقال: "إن في القمر أجراماً ومواد نارية يضيء ويطفو ويشعل ويخمد مثل الشهب الثاقبة. فحقيقة انشقاق القمر نوع من هذه الشهب في السماء وليس المراد فرقه إلى جزئين، وفرقتين أو فلقنتين كما جاء وري في الأحاديث بألفاظ متقاربة مترادفة تدل بمعنى واحد. وبذلك ينكر الأحاديث الدالة على انشقاق القمر نذكر منها عند بيان آراء جمهور المفسرين. واستدل لرأيه بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ شَقَّقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا﴾^(٣) والظاهر أنه ليس المراد بانشقاق الأرض شقه جزئين، أو فرقتين كما روي في انشقاق القمر^(٤).

موقف المدرسة العقلية من شق القمر

(١) برق، دو إسلام، غلام جيلاني ص ١٠٣-١١٠؛ رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده، ج ٢، ص ٣٤٥-٣٥٠.

(٢) سورة القمر ١-٢٠.

(٣) سورة عبس ٢٦.

(٤) انظر: تفسير بيان للناس ٤١/٧.

تُعدّ حادثة شقّ القمر من أبرز المعجزات التي أثبتتها جمهور المفسرين وأهل الحديث للنبي ﷺ، حيث نقلت الروايات الصحيحة في "الصحيحين" وغيرهما أنّ النبي ﷺ أشار إلى القمر فانشقّ فرقتين، حتى رآه الناس بأعينهم. غير أنّ المدرسة العقلية الحديثة - وفي طليعتها الإمام محمد عبده وتلميذه رشيد رضا - كان لها موقف مغاير، قائم على إعادة قراءة النصّ في ضوء المنهج العقلي ومقتضيات العلم الحديث.

فالإمام محمد عبده يرى أنّ حمل الآية: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١] على المعجزة الحسية غير مقبول، إذ لو كان القمر قد انشقّ فعلاً لكان ذلك حادثاً كونياً يشهده جميع أهل الأرض، وينقله المؤرخون في مختلف الأمم، ولم يقتصر خبره على روايات آحاد من قريش. ومن ثمّ فسّر عبده الانشقاق إمّا بأنّه ظاهرة بصرية رآها قوم النبي، أو أنّه انفراج للسحاب ظهر كأثّة انشقاق، أو أنّ التعبير جاء بصيغة الماضي مراداً به المستقبل، أي أنّ انشقاق القمر من علامات الساعة التي ستقع مستقبلاً^(١)

أما رشيد رضا فقد تابع أستاذه في هذا التأويل، مؤكّداً في تفسير المنار أنّ الروايات الواردة في شقّ القمر "آحاد" لا تبلغ درجة اليقين الذي يُقاوم به حكم العقل أو مقتضيات العلم. ومن هنا رأى أنّ "انشقّ" قد تكون بمعنى "سينشق"، أي أنّها صيغة ماضية يقصد بها المستقبل، أو أنّها تشير إلى انشقاق صوريّ في نظر الرائي لا انقساماً حقيقياً في جرم القمر^(٢)

ويلاحظ أنّ هذا الاتجاه يخالف ما عليه جمهور المفسرين من السلف، كالطبري والقرطبي وابن كثير، حيث قرّروا بالإجماع تقريباً أنّ شقّ القمر وقع فعلاً معجزةً للنبي ﷺ، مستدلّين بأحاديث متعدّدة في "الصحيحين" و"المسانيد"، معتبرين أنّها من دلائل النبوة الثابتة^(٣)

وبذلك يظهر أنّ المدرسة العقلية قدّمت قراءة تأويلية لنصوص شقّ القمر، انسجماً مع منهجها في تقديم العقل وتأويل الظواهر الخارقة بما يتناسب مع المعرفة الحديثة، على خلاف التفسير التقليدي الذي يثبت المعجزة الحسية على ظاهرها.

فثبت أن أحمد الدين والمدرسة العقلية لهما موقف واحدة. في شقّ القمر

العلاقة بين أحمد الدين وأمرتسري والمدرسة العقلية في السمعيات منها

حمل العرش:

موقف أحمد الدين من حمل العرش وعلاقته بالمدرسة العقلية

(١) تفسير جزء عمّ، ص ١٣٤-١٣٦

(٢) المنار، ج ٩، ص ٥٩٥-٦٠٠

(٣) انظر: الطبري، جامع البيان، ج ٢٢، ص ٥؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٤، ص ٢٣٥؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٧، ص

شد أحمد الدين في بيان تفسير حملة العرش في قوله تعالى: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ عن منهج اهل السنة والجماعة فالجمهور يقولون بأن المراد بثمانية الملائكة (مخلوق نوراني) لكون اللفظ صريح لا يحتمل غيره باعتباره من القرآنيين (المنكرين للأحاديث)، كان يفسر هذه (وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ) (الحاقة: ١٧) تفسيراً رمزياً/تأويلياً.

ويفسر أحمد الدين بأن المراد بثمانية سبع سموات والأرض ويعمل رأيه بأن الملائكة التي تعتبرونها حملة العرش لا تستطيعون أي أمر في تلك الأحوال فكيف يحمل عرش ربك؟ ويرى أن العرش في القرآن ليس كرسيًا أو سريراً مخلوقًا، وإنما هو رمز للسلطان والقدرة والهيمنة الإلهية. وهكذا يقول

أما "حمل العرش" فليس ملائكة يحملون عرشاً مادياً، بل هو تمثيل لقوة الملائكة/سنن الكون/النظام الكوني الذي يجري بأمر الله. أي: إن حمل العرش عنده يعني حفظ النظام الإلهي وتدير أمر العالم، وليس حملاً حسيًا.^(١) استدل على ذلك من أن لفظ "العرش" في القرآن يأتي بمعنى الملك، مثل: ﴿ولها عرش عظيم﴾ (النمل: ٢٣).

موقف المدرسة العقلية (محمد عبده ورشيد رضا):

محمد عبده في رسالة التوحيد وتلميذه رشيد رضا في تفسير المنار تبنا اتجاهًا قريبًا، العرش رمز للملك والسلطان الإلهي لا لكرسي أو جسم مخلوق. "حملة العرش" هم الملائكة الكرام الذين أقامهم الله على تدبير شؤون الكون. وفسروا قوله تعالى: ﴿الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم﴾ (غافر: ٧) بأنهم الملائكة الموكلون بالعالم، يسبحون ويدعون للمؤمنين. رفضوا التفسير الحرفي (أن العرش جسم والملائكة يرفعونه بأجنحتهم)؛ لأنه عندهم يتعارض مع تنزيه الله عن الجسمية.^(٢)

والعرش عندهم ليس عرشاً مادياً له قوائم يُحمل، بل هو رمز لملك الله وسلطانه وتديره للكون. محمد عبده قال في تفسير المنار: العرش كناية عن الهيمنة والسلطان الإلهي، لا كرسي مادي.

الحمل في قوله تعالى:

﴿الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم﴾ (غافر: ٧) ففسروه بأنه حفظ أمر الله وتدير شؤون خلقه، لا حمل جسمي. وحملة العرش ليسوا ملائكة بأجساد وأجنحة يحملون شيئاً ثقیلاً، بل هم قوى روحية أو ملائكة معنويون وُكِّلوا بأمر العالم، أو رموز لأهل الطاعة والدعاء.

رشيد رضا يؤكد في المنار أن الأحاديث التي تصف حملة العرش بأشكال عجيبة (وجوه كالبقر أو الأسد...) من قبيل الإسرائيليات أو المرويات التي لا يصح حملها على ظاهرها، بل يُؤخذ منها المعنى الرمزي.^(٣)

(١) انظر: تفسير بيان للناس ١٤٦/٧.

(٢) انظر تفسير المنار رشيد رضا، ج ٩، ص: ١٩٣.

(٣) تفسير المنار الرشيد رضا ج ١٢ ص ١٦ والعقائد الإسلامية - مركز المصطفى (ص) - ج ٢ - الصفحة ٤٠٣.

المدرسة العقلية تعتمد دائماً إلى تأويل الغيبيات بما لا يناقض العقل، وترفض التصوير الأسطوري المادي الذي شاع في بعض كتب التفسير القديمة.

أقول

أحمد الدين أمرتسري أنكر حمل العرش بالمعنى الحسي، وقال هو رمز للسلطان الإلهي والنظام الكوني . المدرسة العقلية: فسرت العرش بالملك والسلطان، وحملته بالملائكة الموكلين بالتدبير، فقبلوا به لكن بتأويل عقلي يرفع عنه التجسيم. المدرسة العقلية ترى: أن العرش السلطان والقدرة الإلهية. الحملة قوى معنوية أو ملائكة مدبرون. الحمل التدبير والحفظ لا الحمل المادي. الأحاديث ذات التصويرات الحسية مؤولة أو مردودة.

الحياة البرزخية: العلاقة بين أحمد الدين أمرتسري والمدرسة العقلية في الحياة البرزخية

وحياة البرزخ هي حياة الإنسان من الموت إلى البعث وما يناله من النعم، أو العقوبات في حياة القبر نتيجة أولية لأعماله في الحياة الأولى. وهي عقيدة إسلامية مسلمة منذ صدر الإسلام، والقرآنيون كلهم متفقون على إنكاره، وقد تحدث عن ذلك الحافظ أسلم على لسان أصحابه الذين قالوا: "إن عالم البرزخ عالم ميت بلا حياة ولا أي شكل من أشكال الوعي" ويقول برويز "أنه لا وجود لحقيقة البرزخ في القرآن لأنه مكان دفن الميت الذي يحمي الجو الخارجي من تعفنه، إلا أن يبقى ذلك الجسد على تلك الحالة، لأن الجثة المدفونة في القبر ليس لها حياة ولا شعور" ^(١) وقد استند القوم في معتقدهم هذا إلى أدلة عقلية ونقلية سنعرضها بإيجاز ونجيب عليها.

١ _ موقف أحمد الدين أمرتسري من الحياة البرزخية

خواجه أحمد الدين أمرتسري (القرآني / من منكري الحديث في الهند) له موقف خاص من القضايا الغيبية مثل الحياة البرزخية.

١. يعتمد على القرآن فقط

كان أحمد الدين يرفض الاستدلال بالأحاديث في مسائل العقيدة، ومنها عذاب القبر وسؤال الملكين. يرى أن القرآن الكريم لم يثبت إلا وجود برزخ إجمالي بين الموت والبعث (المؤمنون: ١٠٠)، ولم يذكر عذاب القبر أو سؤال الملكين. صرح أن البرزخ ليس فيه حياة ولا عذاب، بل هو مجاز عن الفترة بين الموت والبعث. ^(٢)

٢. ينكر التفاصيل الحديثية أنكر تماماً ما ورد في السنة من: سؤال منكر ونكير. ضغطة القبر. عرض النار صباحاً ومساءً. اعتبرها من الإسرائيليات أو من وضع المحدثين. ^(٣)

٣. التفسير الرمزي للبرزخ

(١) تبويب القرآن ج ٣ ص ١٣٠٤.

(٢) ترجمان القرآن لأحمد الدين (مجلة كان يصدرها) في مقالاته عند تفسير المؤمنون: ١٠٠، وغافر: ٤٦، ترجمان القرآن، العدد (١٩٢٥م تقريباً)، ص

٢١٢-٢١٥.

(٣) محمد سعيد، "القرآنيون وشبهاتهم"، ص ١٤٥-١٥٠: نقل موقف أحمد الدين من إنكار عذاب القبر

ويفسّر البرزخ بأنه فترة فاصلة تنقطع فيها علاقة الروح بالدنيا إلى أن تقوم الساعة، واعتبر أن النعيم والعذاب لا يكون إلا يوم القيامة، وليس في القبر.^(١)

٤. يوافق لتيار أحمد خان والقرآنيين في كتبه ومقالاته تبني الموقف نفسه الذي قال به السيد أحمد خان: البرزخ فترة انقطاع لا حياة فيها. الحساب والعذاب والنعيم كلها مؤجلة ليوم القيامة..

٢_موقف المدرسة العقلية من الحياة البرزخية :

أن المدرسة العقلية الحديثة قد تعاملت مع هذا الموضوع بمنهج تأويلي؛ فمحمد عبده ورشيد رضا أثبتا أصل البرزخ لكنهما حملاه على معنى روحي نفسي لا على معنى حسي مادي، في حين أنكر أحمد خان وأمين الخولي تفصيلاته اعتماداً على الاختصار على القرآن وردّ أخبار الآحاد. أما خواجه أحمد الدين أمرتسري فقد مثل الاتجاه الأكثر تشدداً، إذ رفض جميع المرويات المتعلقة بعذاب القبر ونعيمه وسؤال الملكين، وحصر مفهوم البرزخ في كونه فاصلاً زمنياً بين الموت والبعث، دون وجود حياة أو شعور فيه، متبنياً في ذلك منهج القرآنيين في شبه القارة الهندية. ومن ثمّ فإنّ قضية الحياة البرزخية تُعدّ نموذجاً جلياً لافتراق المسلك النقلي الذي اعتمده أهل السنّة عن المسلك العقلي التأويلي الذي تبنته المدرسة العقلية والقرآنيون، بما يعكس اختلاف المرجعية المعرفية بين الطرفين في بناء العقيدة الإسلامية.

٣_موقف أهل السنة والجماعة من الحياة البرزخية ،

١. إثبات البرزخ بالقرآن

قال تعالى: (وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) (المؤمنون: ١٠٠) قال المفسرون: هذه الآية نص صريح على وجود مرحلة فاصلة بين الموت والبعث، وهي حياة حقيقية تختلف عن الدنيا والآخرة.^(٢)

٢. إثبات عذاب القبر ونعيمه بالأحاديث: أحاديث متواترة منها: قول النبي ﷺ: «إن أحدكم إذا مات عُرض عليه مقعده بالغداة والعشي...»^(٣)

٤. موقف علماء العقيدة

الطحاوي (ت ٣٢١هـ): قال في العقيدة الطحاوية: "ونؤمن بعذاب القبر لمن كان له أهلاً، وسؤال منكر ونكير في قبره عن ربه ودينه ونبيه، على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله ﷺ".^(٤)

(١) إبراهيم صديقي، "منكرو الحديث في شبه القارة الهندية"، ص ٢٣٣-٢٤٠: خصّص فصلاً في إنكاره للبرزخ.

(٢) الطبري: جامع البيان، ج ١٨، ص ٢٨. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج ١٢، ص ١٥٠.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر.

حديث سؤال الملكين: (صحيح البخاري، كتاب الجنائز، حديث رقم ١٣٣٨ وفتح الباري (ج ٣، ص ٢٣٣) أن أحاديث عذاب القبر بلغت حد التواتر المعنوي.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية، أبي العز: ص ٣٨٧-٣٩٢.

البيهقي (ت ٤٥٨هـ) عقد باباً كاملاً في إثبات عذاب القبر ونعيمه في كتابه. (١)

ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ): قال: "عذاب القبر ونعيمه حق باتفاق أهل السنة والجماعة" (٢).

ابن القيم (ت ٧٥١هـ). أفاض في الروح و إعلام الموقعين في بيان حقيقة حياة البرزخ وعذاب القبر. (٣)

٥. موقف المفسرين

القرطبي: أفرد في التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة فصلاً في إثبات حياة القبر ونعيمه وعذابه. (٤)

ابن كثير: عند تفسيره لقوله تعالى: {النار يعرضون عليها غدوًّا وعشيًّا} (غافر: ٤٦)، قال: "هذه الآية أصل في

عذاب القبر" (٥)

المقارنة وعلاقة التوافق بين أحمد الدين أمرتسري والمدرسة العقلية

أهل السنة: يثبتون حياة برزخية حقيقية تشمل سؤال الملكين، ونعيم القبر وعذابه حسياً وروحياً. أدلتهم: القرآن (المؤمنون: ١٠٠، غافر: ٤٦)، والأحاديث المتواترة.

المدرسة العقلية: إما تفسير رمزي (محمد عبده، رشيد رضا)، أو إنكار كلي (أحمد خان، القرآنيون)، أو رفض الأحاديث (أمين الخولي).

أهل السنة: يثبتون حياة برزخية كاملة (سؤال، نعيم، عذاب). أحمد الدين أمرتسري: يثبت البرزخ بالمعنى القرآني (فترة بين الموت والبعث). ينكر أي حياة أو عذاب أو نعيم في القبر. ويرى أن الحساب يبدأ يوم القيامة فقط. من خلال المقارنة يتضح أن أهل السنة والجماعة قد قرروا مبدأ الحياة البرزخية باعتباره من المسلّمات العقدية، مستنديين إلى النصوص القرآنية المحكمة وإلى الأحاديث المتواترة التي بلغت في دلالتها حدّ القطع، فجعلوا عذاب القبر ونعيمه جزءاً من أركان الإيمان بالغيب.

الشفاعة

العلاقة بين أحمد الدين أمرتسري والمدرسة العقلية من الشفاعة يوم القيامة،

(١) إثبات عذاب القبر ص ١٥-٢٠.

(٢) مجموع الفتاوى، ج ٤، ص ٢٧٤.

(٣) الروح، ص ٥٧-٧٥.

(٤) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة ص ١٠٣-١٣٠.

(٥) تفسير ابن كثير، ج ٤، ص ٨٢.

موقف أحمد الدين من الشفاعة: أنكر أحمد الدين تفسير القرآن بالأحاديث النبوية ورد على البخاري في الحديث الذي^(١) ثبت فيه شفاعة إبراهيم لأبيه بقوله أنه مختلق تماماً فلا شفاعة لأحد مطلقاً واستدل بقوله تعالى: ﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةَ وَلَا شَفَاعَةً وَالْكَافِرُونَ هُمْ الظَّالِمُونَ﴾^(٢) وقوله ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾^(٣)

١. أحمد الدين أمرتسري : أنكر الشفاعة في تفسيره "بيان الناس" بمعناها المعروف عند جمهور أهل السنة، أي أن النبي ﷺ أو غيره يشفع في العصاة ليُغفر لهم.

يرى أن الشفاعة في القرآن تعني النصرة أو الحجة أو الدعاء في الدنيا، وليست تدخلاً بعد الموت لتغيير حكم الله. استدل بقوله تعالى: "فما تنفعهم شفاعة الشافعين" (المائدة: ٤٨) "ولا يشفعون إلا لمن ارتضى" (الأنبياء: ٢٨) تفسيره يركّز على أن "الشفاعة" هي المغفرة من الله مباشرة لمن يشاء، وليست وساطة من الأنبياء أو الأولياء.^(٤)

٢. المدرسة العقلية (محمد عبده - رشيد رضا - جمال الدين الأفغاني)

أ- محمد عبده (ت ١٩٠٥ م)

أنكر الشفاعة بالمعنى الشائع، واعتبرها من الأمور التي تفسد العقيدة وتجرح المسلمين إلى الاتكال على غير أعمالهم. يرى أن الآيات التي نفت الشفاعة قطعية، وما ورد في بعض الأحاديث لا يُبنى عليه اعتقاد. قال في تفسير المنار: "الشفاعة التي أثبتها القرآن هي شفاعة الأعمال الصالحة، لا شفاعة الأشخاص." المصدر: محمد عبده، تفسير جزء عمّ (ضمن الأعمال الكاملة)، (٥)

ب- رشيد رضا (ت ١٩٣٥ م)

تابع شيخه محمد عبده، وأكد أن الشفاعة بمعنى الوساطة في رفع العقاب مردودة بالقرآن. لكنه لم ينفي تماماً ما ورد في بعض الأحاديث، بل أولها بأن الشفاعة تكون في تعجيل دخول الجنة لمن رضي الله عنهم لا في مغفرة الذنوب للعصاة.

الملائكة:

موقف أحمد الدين من الملائكة:

(١) ونص الحديث: "عن علي، قال: سمعت رجلاً يستغفر لأبيه وهما مشركان، فقلت له: أتستغفر لأبيك وهما مشركان؟ فقال: أوليس استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك، فذكرت ذلك للنبي فنزلت: (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ) [التوبة: ١١٣]: "هذا حديث حسن". وفي الباب عن سعيد بن المسيب عن أبيه. سنن الترمذي ٢٨١/٥ باب ومن سورة التوبة من أبواب تفسير القرآن عن رسول الله.

(٢) انظر: تفسير بيان للناس ٢٥٨/١، ٢٥٨/٢، ١٣٠/٢.

(٣) سورة الأنعام. ٥١.

(٤) أحمد الدين أمرتسري، تفسير بيان الناس، ج ١، ص ٣١٢-٣١٥ (طبعة لاهور).

(٥) ص ١٣٤.

فكما يستمر أحمد الدين في تفسيرات الفاسدة في العقائد الإسلامية وشعائر الإسلام، كذلك الملائكة الذي مخلوق من مخلوقات الله تعالى مكلفون بأمور مختلفة من الله تعالى، وبه إجماع الأمة، ومن خالف هذه العقيدة يعتبر كافراً، لكن أحمد الدين يخالف علماء الجمهور في تعريف الملائكة أيضاً حيث يقول: "والعقول التي يسودها لون العصيان تسمى إبليس ومن هنا الملائكة والشياطين هما عبارتان عن العقول تماماً كما يعمل ضوء الشمس وفقاً لترتيبه الخاص. الملائكة مجرد وسيط، تماماً مثل الدمى ليست حقيقية، لذا فإن الملائكة ليسوا حقيقيين يعني ذلك فقط إعطاء وظيفة النقل ولكن في الواقع مثل الصفر" (١)

لا شك أن أحمد الدين تتبع المدرسة العقلية في كثير من المسائل الكلامية والعقدية، لأن القيمة المشتركة بينهم هي العقل الذي غالباً، ما يبني المسائل على العقل، ولذلك فإن المدرسة القرآنية تتبع المدرسة العقلية فيما يتعلق بالملائكة أيضاً، ونحن نعرف أيضاً، ما ورد في معتقدات وأحاديث السلف عن الملائكة، لكننا نأتي إلى المدرسة الحديثة التي جاءت بالعقائد والتأويلات والفقه والغريب، وشذت كل الشذوذ عن منهج أهل السنة، بل صارت قاب قوسين أو أدنى لفكر المعتزلة، لذا سأشرح أولاً موقف المدرسة العقلية بالملائكة، ثم سأعرض رأي أحمد الدين فيه.

موقف أصحاب المدرسة العقلية من الملائكة،

الشيخ عبده لا ينفي احتمال وجود الملائكة، فعندما نتردد في القيام بشيء ما أو نتركه، يشعر بذلك الجميع في أفكارهم عندما يهتمون بأمر يتعلق بالحق أو الخير، له جانب. ومواجهة هذه الاتجاهات المزعجة هي فكرة الباطل أو الشر في حد ذاتها، ومن الممكن أن يكون هناك صراع في حد ذاته عرض فيه الأمر على مجلس الشورى، وكان من شأنه أن يضطر الإنسان إلى القول لا هو والآخر يقول لا تفعلوا حتى ينتصر، أي نجتمع أنفسنا، ونسميه أحد العقلين، تلك هي قوته، لقد جمعت لا يفهم، ونفس الله تعالى هي الملك أو الطرفين، وحقيقتها لا تخفى أسبابها أو ملائكتها أو ما شاءت، فلا يبعد أن يناديها أحد باسمها. وليس هناك مانع من تسمية الأشخاص، فكيف يحرم على من له الإرادة المطلقة والسلطة القوية والعلم الواسع؟ (٢)

ثم يطبق الشيخ محمد عبده هذا المفهوم على قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (٣) فيقول "إذا صح هذا التأويل، فلا يبعد أن تشير الآية إلى أن الله حين خلق الأرض ودبرها بما شاء من القوى الروحية، خلق بها الأرض والتركيب والنظام، فقد خصص لأنواع المخلوقات كل نوع من القوة، لا أكثر ولا أكثر مما خصها بها، ثم يلي ذلك ما خصص لها. خلق الإنسان، وإعطاؤه مثل هذه القوة وتمكنه من تسخير كل هذه القوى، واستخدامها في عمارت الأرض، فتجلى أمامه ممارسة جبارته في السجود، الذي وصف

(١) تفسير بيان الناس ج ١ ص.

(٢) تفسير المنارة (١/٢٦٨).

(٣) البقرة: ٣٤.

معنى الخضوع والطاعة، فصنعه. وهكذا لما لا نهاية له وعبر عن تسخير هله القوى له بالسجود الذي يفيد معنى الخضوع والتسخير، وجعله بهذا استعداد الذي لا حد له والتصرف الذي لم يعط لغيره خليفة الله فيترجم.

ثم يوسع الشيخ عبده اعتقاده في الملائكة فيقول "أليس لله ملائكة في الأرض وملائكته في السماء؟" هل تعلم أين تعيش ملائكة الأرض؟ هل حددت مواقعهم وبنيت موائلهم؟ هل تعرف أين يجلسون ومن عن يمينك ومن عن يسارك، هل ترى أجسادهم المضئية تنير لك في الظلام أو إذا هاجموك، هل لديك أي أوهم؟ فإن كنت تؤمن أنها قوة أو روح يحيط بك وما بين أمامك وما خلفك، وأن الله قد ذكره لك كما علم به سلفك. وبالعبرة التي وبالكلمات التي تعلمتها منهم حتى لا تشعر بالوحدة، يفاجئوك ويتركوك تنظر إلى الوجوه التي تعرف أنك تثق بها، أليس هذا طريقاً للذهاب إلى نفسك ودعوة السلام؟ أيها العقل، ألم تر شيئاً خلف الستار وتعثرت على سر الكتاب؟ فإن لم تجد في نفسك الاستعداد لقبول أشعة هذه الحقائق وكنت ممن يؤمنون بالغيب ويؤمنون بفهم الواقع ويقولون إننا نؤمن به، فكل هذا لنا، إنه من عند الرب "ولا ترتابوا في الذين يطلبون العلم حتى يؤمنوا بالكتاب الذي تؤمنون به وتؤمنون بهذا الرسول ويقول : آمنا به كل من عند ربنا، فلا ترم طلاب العرفان بالريب ما داموا يصدقون بالكتاب الذي آمنت به، ويؤمنون بالرسول الذي صدقت برسالته وهم في إيمانهم أعلى منك كعباً، وأرضى برهم نفساً، ألا إن مؤمننا لو مالت نفسه إلى فهم ما أنزل إليه من ربه على النحو الذي يطمئن إليه قلبه كما قلنا كان من دينه في ثقة، ومن فضل منك ربه في سعة"^(١) إن ما ذكرته المدرسة العقلية يخالف القرآن، ويشكك في معتقد أولئك الأبرار الذين استمدوا عقيدتهم من القرآن الكريم فاعتقدوا أن الملائكة قابل للتشكل والظهور بمظهر البشر كما أسلفت.

الإجماع الأمة في الملائكة :

يقول السلف إن الملائكة مخلوقون من نور، وقد أخبرنا الله تعالى عن وجودهم وبعض أعمالهم، فيجب أن تؤمن بهم، والواقع لا يتوقف على ذلك معرفة، لذلك نحن نخصص المعرفة. فإن قيل إن لها أجنحة، فقلنا إنها ليست كأجنحة الريشة، ولا كأجنحة الطيب، لو كانت كذلك لرأيناها. نحن ننتمي إلى العوالم المادية، فنستدل من ذلك أن هناك عالماً آخر في الكون أخف من العالم الصلب، وأن له أنظمته وأوامره الخاصة، وأن العقل لا يحكمه، بل هو يحكم بفضائله، ويحكم بحقيقة الوحي الذي جاء إليه. "ثم قال معلقاً"^(٢) وقد بحث أناس في جوهر الملائكة، وحاولوا ولكن من وقفهم الله تعالى على هذا السر قليلون.

(١) تفسير المنارة (١/٢٧٣). (٢) تفسير المنارة (١/٢٧١).

(٢) رياض الجنة في الرد ١٥٠ رياض الجنة في الرد علي المدرسة العقلية ومنكري السنة لسيد بن حسين العفاني.

المبحث الثالث: أهم رجال الفكر الذين تتلمذوا على أحمد الدين وتأثروا به

يجب أن نتذكر أن أحمد الدين هو أحد رواد المدرسة القرآنية وقد تأثر به كثير من الناس وخاصة طلابه وأصدقائه تأثروا به كثيراً وبدأوا في متابعة أفكاره، ثم قام بتأليف الكتب أيضاً في ظل هذا الاهتمام، التي سيتم ذكرها بإيجاز في ما يلي ومن تلاميذته ومن تأثر بهم فمنهم فيما اطلعت بأسمائهم منهم.

١- جودهري افضل حق مؤسس (مجلس احرار الإسلام) في شبه القارة الهندية كان تلميذا له في المرحلة الثانوية بكلية الإسلامية بلاهور. كتب كتاباً عن شيخه (أحمد الدين) بعنوان التصوف سنة ١٩٤٥م وطبعه دوست إيسوسيشين لاهور. (١)

مؤلفاته: زندگي، محبوب خدا، دين اسلام، آزادي ند، ميرا افسانه، جوارات معشوق، پنجاب شعور دياتي رومان Pakistan and untouchability تاريخ احرار، دنيا مين دوزخ. ودكتور/الشيخ عنايت الله: (Ph.D) كان مؤلفاً ومحققاً مشهوراً من كُتاب انسانيكولويديا برتانيكا (الموسوعة برتانيكا) كان من تلاميذته في إسلامية هائي سكول (٢).

٢- وخواجه عباد الله اختر (عضو خاص لادارة الثقافة الإسلامية لاهور باكستان) وله مصنفات كثيرة باللغة الإنجليزية والأردية وكتب عن الشيخ أحمد الدين مقالة خاصة بعنوان بلاغ سوانح خواجه نمبر تحدث فيه عن حياة شيخه (٣)

٣- صوفي غلام مصطفى تبسم (الشاعر المشهور باللغة الاردية) كان رئيساً لحزب (أمة مسلمة) ومديراً لصحيفة (البلاغ) سنة ١٩٢٩م وكتب أيضاً عن مميزات تفسير بيان للناس (٤).

٤- وابنه خواجه سخاء الله (مدير إسلامية كالج بشاور) باكستان (٥). والشاعر المشهور بالأردية والفارسية علامة عرشي من بنجاب. وكان من ورثة الشيخ أحمد الدين في جهوده العلمية (٦) لقيه عام ١٨٩١ وكتب رسالة باسم بلاغ ١٩٢٤م، وحكيم شهاب الدين وعلامه محمد حسين عرشي وخواجه عبد الحفيظ امرتسري أيضاً (٧)

حاولت حسب جهدي المتواضع محاولة جادة لإطلاع بالمصادر أكثر مما تقدم ذكرها ولكن متأسفالم أعثر بمزيد منها فاكتفيت بذكر ما تيسر لي الحصول عليها.

(١) انظر: مقدمة تسهيل البرهان ص ٧٩.

(٢) المصدر السابق ص ٨٠.

(٣) انظر: بلاغ سوانح خواجه نمبر ص ١٥، المطبع دوست ايسي سويت لاهور ١٩٣٦م.

(٤) انظر: مقدمة تسهيل البرهان ص ٨٢.

(٥) المصدر السابق ص ٨٣.

(٦) المصدر السابق ص ٨٥.

(٧) انظر: المصدر السابق ص ٨٦، أما ترجمة هؤلاء الأعلام، فلم أعثر عليهم لعلهم من المعاصرين.

المبحث الرابع: منهجه في نشر فكره وعقيدته في شبه القارة الهندية

أسس خواجه أحمد الدين عام ١٩٢٦م طائفته الخاصة في أمرتسركما سبق، واختار لها اسم (أمة مسلمة)، وتدافع الناس إلى عضويتها بالإضافة إلى إصدار مجلة بلاغ الخاصة لهذه الجماعة حملت أفكارهم ونشرت نظرياتهم. هذا وقد نشط أعضاء أمة مسلمة ودُعاهم في طباعة الكتب على نفقتهم الخاصة وإرسالها مجاناً إلى كل من يعرفونه، فنشروا أفكاره، مما ساعد على انتشارها وإشراك الناس بها.^(١)

وهناك الطرق المختلفة في نشر أفكاره وعقيدته في شبه القارة الهندية منها:

١- الكتب والرسائل والمناقشات.

٢- الأصول والنظريات الموضوعية الخاصة له.

الأول: الكتب في نشر أفكاره واعتقاداته منهم:

١- معجزة القرآن: وقد تكلم أحمد الدين في هذا الكتاب عن جميع المعجزات الأنبياء بالتفصيل، وقدم الحجج والادلة بالتفصيل، وأكد على أن المعجزات تخالف العقل، وأكبر ما ساقه هو أن الله خلق لكل شيء قانوناً وشرعاً ويحدث كل شيء تحت هذه القوانين الذي ليس فيه تغيير، ولا تبديل ولذلك فإن المعجزات تخالف العقل، والقانون المحددة من الله، لذلك يقدم تفسيرات عقلانية لجميع الآيات المعجزة.

٢- أصل مطاع. (اسم كتاب)

٣- تفسير بيان للناس في السبعة مجلدات، ووصل فيه إلى قوله تعالى ﴿لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (سورة القصص آية ٧٠) وهذا التفسير مليء بالتأويلات الخاطئة والفاصلة من أوله إلى آخره يتوّل في كل آية سواء كانت تتعلق بالإيمانيات أو تتعلق بالاقتصاديات أو تتعلق بالمعجزات أو تتعلق بالغيبيات أو تتعلق باللاهوت أو تتعلق بالعبادات في كل هذه الآيات يفسر على أصوله الخاصة، وهو أمر خاطئ تماماً ومختلف تماماً عن تفسيرات أهل السنة والجماعة، والسلف. وعندما يناقش المؤلف آية أو مسألة فهو إما أن يتبع المعتزلة أو يتبع الخوارج أو يتبع اليهود، فيأخذ المعنى اللغوي ويترك معنى الإصطلاح المشروعة، مثلاً معنى الصلاة، عنده فهو الذكر، لا كالصلاة المفروضة المشروعة. والحج بمعنى مؤتمر العالمي وليست عبادة مفروضة، كما يؤدي الناس، وكذلك في مسائل الزكاة والطلاق والميراث، فله أسلوب الخاص الذي يخالف السلف الصالحين تماماً، التي ذكرتها في هذا البحث في المواضع المختلفة.

١- قرآن مجيد ورسول حميد، مجلد واحد.

٢- برهان الفرقان، مجلد واحد.

٣- ربحان القرآن، مجلد واحد.

٤- مباحثة في جوش خوري، مجلد واحد (الكلام حول أكل اللحم)

٥- خير كثير، در إثبات وجوب رب قدير، إثبات الرب عز وجل).

وقد تمكنت من مراجعة كتبه الأربعة الأولى، بالإضافة إلى العديد من مواضيع الخواجة المنتشرة في المجلة (بلاغ) و(البيان) التابعتين للأمة المسلمة). ومن خلال دراستي لأفكار أحمد الدين وشروحاته المتنوعة، فهو يعتمد على فهم القرآن وشرحه للناس باللغة فقط، حتى بالألفاظ المنقولة كالصلاة والطواف. اللغة العربية في فهم الكتاب المقدس إلا إذا قصد استنباط نظرية معينة، وانتقد المفسرين لعدم سلوكهم هذا الطريق، حيث قال عن المفسرين إنهم اهتموا بغير القرآن أكثر من القرآن. وإن القرآن لو نظرنا إليه بعين بصيرة لوجدناه، مفصلاً، ففيه تفسير حقائقه وحل مشكلاته وشرح مصطلحاته وكل ذلك يعود فهمه إلى تعلم العربية، فمن عرف العربية، فهم القرآن دون معونة علم آخر^(١) وطبق برويز هذه الفكرة على شروحه المختلفة للقرآن، وذلك بتصنيف لغات القرآن، وشرح مختلف الاشتقاقات المنسوبة إلى كتب اللغة، ثم بعد ذلك القرآن في ضوء ذلك. وكان الشيخ أحمد الدين يتبع هذا الطريق بكل اهتمام.

الثاني: أصول ثلاثة في نشر فكره وعقيدته في شبه القارة الهندية

يقوم منهج أحمد الدين في نشر فكره وعقيدته في شبه القارة الهندية على أصول ثلاثة، وفي الحقيقة تلك الأصول مناهج للمدرسة القرآنية كلها، كما ذكرناها في مباحث سابقة، أما الآن فنذكره على الاختصار.

الأصل الأول: الإكتفاء بالقرآن: حيث يقول حسبنا كتاب الله، يكفيننا في كل ما يتعلق بالحياة الإسلامية؛ فبعد الله، وأحمد الدين، وأصحاب بلاغ القرآن، يردون كفاية القرآن وكماله بذكر الأصول والجزئيات^(٢).

أما برويز وأستاذه الحافظ أسلم، فيرون كمال القرآن في اشتماله على كل المبادئ وذكر التفاصيل التي هي سيرته وأما الجزئيات التي لم ترد في القرآن، فيتولّى تقنينها مركز الملة. ومركز الدين هو السلطة العليا بين القرآنيين في حكومة تحكم بالقرآن وحده. ويتفق القرآنيون على أن ما بين دفتي القرآن، لا وجود فيه لآيات منسوخة^(٣).

الأصل الثاني: الاعتماد الكامل على اللغة العربية في فهم الكتب المقدسة إلا إذا كان الهدف تحقيق مذهب معين. وبناء على هذا المنهج اللغوي فقد أنكر أغلب القرآنيين معظم الحقائق المتعلقة بالأحاديث النبوية وأنكروا ما روي عن الصحابة من الأحكام الشرعية والتاريخ الإسلامي والقصص القرآنية، ولم يفعلوا شيئاً بل منعهم من الكتابة^(٤). ويقول الحافظ أسلم: "الأمر الذي لا مرأى فيه، أن الصحابة قد أدركوا نهي النبي عن كتابة سنته، وعرفوا أن الأمم السابقة لم تضل إلا بسبب كتابة روايات أنبيائها"^(٥).

(١) مجلة طلوع إسلام ص ٢٩ عدد إبريل ١٩٣٩ م.

(٢) برهان الفرقان (ص ٢)، وترجمة القرآن (١/ ١١) لعبد الله. وانظر مجلة بلاغ القرآن (ص ٢٥) عدد فبراير ١٩٧٥ م.

(٣) تبويب القرآن لبرويز (١/ ٤٤٦)، ومقام حديث للحافظ أسلم (ص ١٤٢). ج: ص: ٤٩٣.

(٤) مقام حديث، (ص/ ٧).

(٥) مقام حديث: (ص/ ١٠٤).

وقال: "والشيء المِفْتُ للنظر هو أنَّ الأحاديث لو كانت لها الصفة الدينية، لَمَا اشْتَدَّ نَهْيُ النَّبِيِّ وصحابته عن كتابتها، وهَيَّؤُوا السَّبِيلَ لحفظها وتدوينها"^(١)

ويقول أحمد الدين: "تعلم أن طاعة الرسول كانت طاعة محدودة بزمانه، وأن أوامره لم تطاع بعد حياته، وهذا الباب مغلق منذ وفاته، وقالوا: إن السنة قد طعنت في إذاعاته ونصوصه ومن دخل في النقد فلا يستحق الدين. النظام الاقتصادي القرآني، أو نظرية الاشتراكية الأموال."^(٢)

ويقول برويز إن "جمع المواد في ظل هذا النظام، النظام الاقتصادي للقرآن، لا يجوز قطعاً وهناك تهديد شديد لمن يجمعها" ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(٣) إن أموال التبرعات في النظام القرآني، لا يمكن أن تبقى في أيدي أصحابها، ولا يمكن أن نتصور ملكية فردية في ظل هذا النظام. بل يتم تقسيم الأرض والأموال والمصانع والتجارة إلى ملكية جماعية، حتى يتمكن النظام من تلبية احتياجات أعضائه. لقد جلب برويز الدجال الأفكار الاقتصادية للاشتراكيين وألبسها الملابس القرآنية حتى يتمكن من نشرها بين المسلمين، وأنكر الملكية الفردية، وهذا خلاف لصريح القرآن والسنة والإجماع، ولا يقول به إلا كذّاب مفتر. فأين هو من قول الله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾^(٤) ؟ وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبَعُونَ مِمَّا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾

الأصل الثالث: النظريات الخاصة لهم، والإلحاد والتفسير وتحكيم العقل في التعبير عن مراد الله، بغض النظر عن اللغة ومعناها الظاهر، لاستنباط أفكار معينة قبلها القرآنيون وفق أهوائهم، ومن هذه النظريات.

أ- نظرية مركز المِلَّة:

وكان أسلم أول من تحدث عن ذلك. ووَضَّحَ حدودها وخصائصها تلميذه برويز، وتلخص تصوره لمركز الطائفة في النقاط التالية.

- ١ - الآيات التي تذكر طاعة الله ورسوله، أصبح معناها الآن، طاعة مركز المِلَّة.
- ٢ - مركز المِلَّة، هو النظام الذي، يحكم بوفق القرآن.
- ٣ - ومن صلاحيات هذا المركز تحديد الأحكام الشرعية في تلك الأحكام التي لم ترد في القرآن الكريم ودون الإخلال بالأحكام السابقة.^(٥)
- ٤ - من حقِّ مَنْ يَخْلُفُ هذا النظام ألا يتفق النظام القرآني السابق في الأحكام التي حدده حسب بصيرته.

(١) مقام حديث: (ص/ ١١٠).

(٢) مجلة البيان: (ص/ ٣٢) عدد أغسطس ١٩٥١ م.

(٣) التوبة: ٣٤.

(٤) يس: ٧١.

(٥) مجلة بلاغ القرآن عدد يناير ١٩٧٥ م.

الباب الثالث

آراء خواجه أحمد الدين الأمرتسري الدينية، وفيه فصلان

الفصل الأول: آراء أحمد الدين الاعتقادية عموماً، وفيه مباحث

المبحث الأول: منهجه في تقرير المسائل الاعتقادية

المبحث الثاني: موقفه من المسائل الاعتقادية عموماً ومصادره في ذلك (العقل اللغة الرأي)

المبحث الثالث: موقفه من أركان الإسلام عموماً

المبحث الرابع: تفردات أحمد الدين الاعتقادية المتنوعة

الفصل الثاني: آراؤه الاعتقادية في أبواب العقيدة الرئيسة، وفيه مباحث

المبحث الأول: آراؤه الاعتقادية في باب الإلهيات

المبحث الثاني: آراؤه الاعتقادية في باب النبوات

المبحث الثالث: آراؤه الاعتقادية في باب السمعيات منها (الشفاعة، والغيبات)

المبحث الرابع: آراؤه الاعتقادية المتعلقة بالملائكة

الفصل الأول

آراء أحمد الدين الدينية عموما، وفيه مباحث

المبحث الأول: منهجه في تقرير المسائل الاعتقادية

المبحث الثاني: موقفه من المسائل الاعتقادية عموما ومصادره في ذلك (العقل اللغة الرأي)

المبحث الثالث: موقفه من أركان الإسلام عموما

المبحث الرابع: تفردات أحمد الدين الاعتقادية المتنوعة والتأويلات

تهديد:

أقول؛ وبالله التوفيق: إن أحمد الدين يتكلم عن المسائل العقدية بطريقة خاصة، وله منهج خاص في توضيح المسائل العقدية، ربما ينكر أو يفسر بالرأي حتى إنه ليؤول المحكمات، وينحرف عن الأصول المتفق عليها. ولا يرجع في استدلاله على المسائل إلى حديث نبوي، ولا يعتد بأقوال الصحابة والتابعين، بل وينكر الإجماع، وبالتالي المسائل المجمع عليها، كما أنه ليس عنده اعتبار للقياس، ويأخذ أدلته من القرآن حسب فهمه له ومن العقل الذي يعبر عنه أحيانا بالفطرة.

وفي السطور التالية سأذكر منهج أحمد الدين في المسائل العقدية، مع ذكر موقف جمهور العلماء عند الضرورة، وأقدم خلاصة لبعض أهم الأمور كمنهجه أو أصوله في الشرائع الدينية. وأما نماذجه وتطبيقاته بالتفصيل، فسوف أذكره في المبحث القادم تحت عنوان موقفه من المسائل الاعتقادية عموماً وبالله التوفيق.

المبحث الأول: منهجه في تقرير المسائل الاعتقادية

خواجه أحمد الدين أمرتسري (القرآني)، فهو لم يكن مجرد مفسر، بل كان له منهج خاص في إخراج وتقريب المسائل الاعتقادية، يختلف عن المنهج التقليدي لأهل السنة أو المتكلمين. أعرض لك ملامح منهجه في تقرير العقائد: اتبع أحمد الدين ثلاثة مناهج أساسية في تقرير المسائل الاعتقادية (ومن دونها مناهجه العامة سوف اذكر) اما المناهج الأساسية هي

١_ الاعتماد على القرآن وحده وذلك حسب رأيه

٢_ استخدام الرأي والعقل في تقرير المسائل الاعتقادية.

٣_ استخدام اللغة المعجمية والأخذ بظاهر المعنى اللغوي دون المعنى الشرعي.

المنهج الأول: الاعتماد على القرآن وحده وذلك حسب رأيه

يرى أحمد الدين أن أصح التفاسير هو تفسير القرآن بالقرآن وحده ، ولا يجوز عنده سواه، لكون سواه يؤدي إلى الشقاق والخلاف بين الأمة الإسلامية في دينهم ودنياهم على المستوى الديني والسياسي وغيره من المعاملات الفردية والاجتماعية. وهذا يخالف تماماً مقصد نزول القرآن، وهو توحيد الأمة وسد كل باب ووسيلة تؤدي إلى الخلاف والشقاق. وبما أن القرآن مُبَيَّن وبيان وتفصيل لكل شيء فلا مجال ولا حاجة إلى أي نوع التفسير للقرآن إلا بالقرآن بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾^(٢).

(١) سورة الأنعام - ٣٨.

(٢) سورة النحل - ٨٩.

أضاف أحمد الدين أنه لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم موحى إليه بنوعي وحي، لأيده الله بكلا النوعين، الوحي المتلو؛ القرآن، وغير المتلو؛ السنة. ولكن الأمر ليس كذلك؛ لأن النوع الأول مؤيد ومحفوظ من الله (١) دون الآخر. ولم يصرح النبي ﷺ بأن بعض الكلام الموحى إليه وحي خفي، ولو قال لكان محفوظا لدينا ووصل إلينا.

ودليله الآخر هو أن الرسول ﷺ مؤيد بالقرآن وهو معجزته الخالدة، فكيف تكون السنة حاكمة وشارحة للقرآن الذي هو أثبت منها. وبلفظ آخر: كيف يجوز بناء القوي؛ القرآن، بالضعيف؛ السنة؟ وإضافة إلى ذلك أن الرسول مأمور ومكلف بالقرآن مثل أمته بدليل أن شهادته تعادل شهادة غيره من أفراد الأمة قوة ونصا وقبولاً، وأخيراً اتهم أحمد الدين الإمام البخاري بأنه اختار الأحاديث المرضية عنده والمؤيدة لرأيه من بين ستمائة ألف حديث، ورد بقية مجموعة الأحاديث بدليل فقدان الشروط التي وضعها البخاري لقبول الأحاديث عنده.

وبإمعان النظر في استدلال أحمد الدين وتكلفه في التعبير والتفسير يتجلى أن همه رد السنة النبوية وإنكارها، بزعمه أن القرآن تبيان وتفصيل كل شيء، فلا حاجة لغيره من أي دليل آخر من السنة والإجماع وما إلى ذلك، وسنرى بطلان هذا الرأي عند بيان استدلال جمهور المفسرين من أهل السنة والجماعة في الآتي. التفسير بطريق شرح الألفاظ بألفاظ أخرى: ضل أحمد الدين، عن سواء السبيل في بيان معاني الألفاظ بألفاظ أخرى وشرحها، نذكر بعض هفواته من هذا القبيل فيما يلي على سبيل المثال. (اهْبِطُوا): فسر كلمة "الهبوط" في قوله تعالى: ﴿فَأَرْزُقْهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرِجْهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ (٢) بمعنى النزول من الحالة الرفيعة إلى حالة أدنى بدليل قوله ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا﴾ (٣). وهذا الاستدلال يستلزم إنكار وجود الجنة في السماء. وسبب ذلك اتباع المصنف منهجه العقلاني البحت شبرا بشير وأخذه بالنواجد (٤)

(الْأَقْصَى) وهكذا تفسيره للفظ الأقصى الوارد في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (٥) بالناحية البعيدة واقعة في حدود مكة تفسير ما أنزل الله به من برهان. ثم يقول ليس المراد بالمسجد الأقصى بيت المقدس ويخطأ في الاستدلال بقوله ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى﴾ (٦) بأن المراد في الآية بالأقصى الناحية البعيدة، فهكذا في سورة الإسراء مراد به المسجد الواقع في ناحية بعيدة في حدود مكة (٧). وهذا الاستدلال صريح ومستلزم في إنكار معجزة المعراج النبي والأحاديث المتواترة مروية فيها. (لَيْلَةُ الْقَدْرِ): يظهر من كلام أحمد الدين عن تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ

(١) لقوله تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) [سورة الحجر - ٩]، وقوله بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ۝ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ [سورة البروج ٢١ - ٢٢]

(٢) سورة البقرة - ٣٦.

(٣) سورة البقرة - ٦١.

(٤) انظر: تفسير بيان للناس ١/١٧١.

(٥) سورة الإسراء - ١.

(٦) سورة القصص - ٢٠.

(٧) انظر: تفسير بيان للناس ٣/١٢١.

فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ^(١) بأنها لست ليلة التي وردت الأحاديث الصحيحة بوجودها في شهر رمضان وخاصة في العشر الأواخر في الوتر. يقول: ليس المراد من ليلة القدر: ليلة في رمضان، بل المراد منها الليلة المباركة التي وصفها بصفات منزلة في قوله تعالى: ﴿حَمْدُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ۝ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾^(٢)،^(٣). علماً بأن هذا التفسير يؤدي . لا محالة . إلى إنكار الأحاديث الصحيحة الصريحة المصنوعة نصاً قاطعاً بوجودها في شهر رمضان، يلتمسوها المسلمون في العشر الأواخر في الوتر.

المنهج الثاني: استخدام الرأي المجرد والعقل بدون دليل قاطع في تقرير المسائل الاعتقادية:

اتخذ أحمد الدين منهجاً عقلياً بحثاً في المسائل الاعتقادية؛ لذا أخطأ في تفسير الآيات التي تبين المسائل الاعتقادية ومعجزات الأنبياء؛ لأن تفسيرها توقيفي منصوص من الله ورسوله، لا مجال فيه لعقل ورأي حرٍّ مطلقاً، فنتيجة لهذا المنهج أنكر أحمد الدين الأحاديث النبوية ذكرت بعض منها ثانياً هذه البحث ويجدر بنا أن نذكر قوله في هذا الصدد: أنه لا بد لمفسر القرآن في تفسيره من العقل والمشاهدة لأن الأنبياء يشرعون حسب فهمهم وهناك مجال واسع لأولي الأبصار من العلماء وعامة الناس لتدبر واجتهاد في أمور كثيرة بدليل قوله تعالى: (وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ)^(٤) الآية^(٥)

ولذا يفسر قوله تعالى: ﴿حَمْدُ تَنْزِيلٍ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾^(٦) بقوله: فصل القرآن كل ما يحتاج إليه البشرية تفصيلاً وافياً فلا ضرورة إلى غيره، أي غير القرآن من مصادر الهداية والرشاد، وهناك حاجة ماسة للبحث والتحقيق واستعمال العقل والرأي في المسائل الفرعية ليس لأحد إنكاره ومنع الآخر منه.^(٧)

وهكذا يقول في تفسير الآية: (وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)^(٨) إنها تدل على إثبات الاستدلال بالمعقول والذين يعكفون بمفاهيم الألفاظ وتفسير الكلمات فقط هم ضالون مضلون^(٩) ويشرح قوله تعالى: (اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ۝ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ۝

(١) سورة القدر - ١ .

(٢) سورة الدخان ١ - ٤ .

(٣) تفسير بيان للناس ٧/٢٦١ .

(٤) سورة الشورى - ٣٨ .

(٥) انظر: تفسير بيان للناس ٢/٣٨ .

(٦) سورة فصلت ١ - ٤ .

(٧) انظر: تفسير بيان للناس ٦/١٨٩ .

(٨) سورة الأعراف - ١٧٤ .

(٩) انظر: تفسير بيان للناس ٢/٢٨٥ .

سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ^(١) أنه لا بد أن يكون تفسير القرآن بالمشاهدات الكونية والفطرية التي فطر الله الخلق عليها^(٢) أما جمهور المفسرين، فعندهم التفسير بالرأي على نوعين؛ هما:

أحدهما: الرأي المحمود: هو جارٍ على موافقة كلام العرب وموافقة الكتاب والسنة فهذا لا يمكن إهمال مثله لعالم لأُمور وهذا ملخص ما قاله:

الأول: أن الكتاب لا بد فيه من القول ببيان معنى واستنباط حكم وتفسير لفظ وفهم المراد ولم يأت جميع ذلك عمن تقدم فإما أن تتعطل الأحكام بالتوفيق أو لا بد من القول بما يليق.

والثاني: لو كان النبي بين لنا كل شيء فلا مجال لأحد في الاجتهاد والمعلوم أنه لم يفعل ذلك فدل على أنه ترك كثيراً مما يدركه أرباب الاجتهاد باجتهادهم.

والثالث: أن الصحابة كانوا أولى بالاحتياط من غيرهم وقد علم أنهم فسروا القرآن على ما فهموا ومن جهتهم بلغنا تفسير معناه والتوقيف ينافي هذا.

والرابع: أن النظر في القرآن من جهتين:

أ- من جهة الأمور الشرعية فقد يسلم القول بالتوفيق فيه وترك الرأي والنظر جدلاً.

ب- ومن جهة المآخذ العربية وهذا لا يمكن فيها التوقيف.

ثانيهما: وهو التفسير بالرأي المذموم أي غير الجاري على موافقة اللغة العربية أو الأدلة الشرعية فهذا هو الرأي المذموم من غير إشكال لانه تقول على الله من غير برهان فيرجع إلى الكذب على الله^(٣)، ونجد أن الإمام ابن القيم رحمه الله يذكر لنا أنواعاً للرأي المذموم أو الباطل كالاتي:

النوع الأول: الرأي المخالف للنص، وهذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام فساد، وبطلانه، ولا تحل الفتيا به ولا القضاء، وإن وقع فيه من وقع بنوع تأويل وتقليد.

النوع الثاني: هو الكلام عن الدين بالظن والظن، مع إهمال معرفة النصوص وفهمها واستنباط الأحكام منها. ومن جهل ذلك، وقيس برأيه ما استفسر عنه بغير علم، إلا بالقياس الذي يجمع بين الأمرين، حق أحدهما على الآخر، أو بالقياس الذي يرى بينهما. . ومن القول المنكر والباطل التفريق بينهما في الحكم دون النظر إلى النصوص والإشارات.

(١) سورة الرعد ٨ - ١٠

(٢) انظر: تفسير بيان للناس ١٤٥/٣.

(٣) انظر: الموافقات للشاطبي ٢٧٧/٤ - ٢٨٠ بتصرف يسير.

النوع الثالث: الرأي الذي يتضمن إسناد أسماء الله وصفاته وأفعاله بمعايير باطلة إلى أهل الباطل والضلال كالجهمية والمعتزلة والقادرية ومقلديهم. واستخدموا تشبيهاتهم الكاذبة وآرائهم الباطلة وقياساتهم المتناقضة في رفض النصوص الصحيحة والصريحة. فردوا لأجلها ألفاظ النصوص، التي وجدوا السبيل إلى تكذيب رواها، وتخطتتهم ومعاني النصوص التي لم يجدوا إلى رد ألفاظها سبيلا فقابلوا النوع الأول بالتكذيب والنوع الثاني بالتحريف والتأويل فأنكروا لذلك رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة وأنكروا كلامه وتكليمه لعباده وأنكروا مباينته للعالم واستواءه على عرشه وعلوه على المخلوقات. ومن أجل ذلك حرفوا النصوص عن جوهرها ونزعوها من معانيها وحقائقها بآراء مجردة، وهي في الحقيقة قذارة العقول، قذارة الأفكار، قذارة الآراء، همسات الصدور. القلوب بالشك، والعالم بالفساد، وكل ذي عقل يعلم أن خراب العالم إنما جاء بالرأي قبل الوحي. والهوى على العقل وما استحکم هذان الأصلان الفاسدان في قلب إلا استحکم هلاكه وفي أمة إلا فسد أمرها أتم فساد.

النوع الرابع: الرأي الذي تولد به البدع، وتغيرت به السنن، وتعم به البلاء، وترى عليه الصغير، والكبير، فهذه الأنواع الأربعة من الرأي. اتفق سلف الأمة وأئمتها، على إنكاره وإخراجه من الدين.

النوع الخامس: ما ذكره أبو عمر بن عبد البر^(١) عن جمهور أهل العلم، "أن الرأي المذموم في هذه الأحاديث عن النبي وعن أصحابه والتابعين، هو أنه القول في أحكام شرائع الدين بالاستحسان، والظن، والاشتغال بحفظ العضلات، والأغلوطنات، ورد الفروع بعضها على بعض بالقياس دون الرجوع إلى أصولها، والنظر في أسبابها واعتبارها، فاستعمل فيها الرأي قبل أن ينزل"^(٢) ويعتقد أحمد الدين أن أصح طرق تفسير القرآن هي "تفسير القرآن بالقرآن واللغة فقط ولا يعتبر غيرهما من الطرق تفسير إلا ما يطابق العقل والرأي ويستدل لرأيه بأن القرآن يُفسّر بعضه بعضا وأنه تبيان وتفصيل كل شيء فإذا لا توجد فيه أي لفظ أو كلمة تحتاج تفسيرها غير القرآن ولو وجدت لفسرها الله سبحانه وتعالى بنفسه"^(٣) ثم يستخدم هذا المنهج في جميع المسائل الاعتقائية وغيرها.

وفي باب التفسير شذ أحمد الدين عن منهج جمهور المفسرين في حجية التفسير بالمأثور؛ لأن جمهور المفسرين اتفقوا على صحة تفسير القرآن بالقرآن والسنة الثابتة من غير خلاف، واعتبروا تفسير الصحابة والتابعين قابلا للالتفات والاعتبار مشروط بتحقيق وتمحيص: وكذلك تفسير بالآثار الضعيفة دائر بين القبول والرد مطلقا أو مشروطا بشروط المفسرين حسب مناهجهم.

(١) هو أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر المالكي، من كبار حفاظ الحديث، مؤرخ وأديب، ولد بقرطبة ٣٦٨هـ - ٩٧٨م. وله رحلات طويلة في غرب الأندلس. وتوفي (بشناطة ٤٦٣هـ - ١٠٧١م). ومن كتبه: الدرر في اختصار المغازي والسير، الاستيعاب، جامع بيان العلم وفضله والتمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد وغير ذلك. انظر: الاعلام لزركلي ٢٤٠/٨

(٢) انظر: إعلام الموقعين، ٥٤/١. ٥٥. محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى ٧٥١هـ)، تحقيق محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م؛ بتصرف يسير.

(٣) انظر: تفسير بيان للناس لخواجه أحمد الدين الطبعة الأولى ٢٨/١.

وبهذا المنهج وأصوله ينكر من السنة النبوية: وسوف نفصل الكلام عن هذه الأمور في الفصل الثاني من هذا الباب إن شاء الله.

المنهج الثالث: الأخذ بالمعنى اللغوي دون الشرعي:

نزل القرآن نزل بلسان عربي مبين، لكن ليس كل تعبير عربي غنياً عن البيان، خصوصاً في مجال التشريع والتقنين الذي نرى تفصيله في السنة؛ لذا ارتبطت علوم الشريعة باللغة العربية ارتباطاً وثيقاً، بحيث يستحيل على طالب اللغة العربية أن يعرف كنه هذه اللغة وأسرارها وأعماقها ما لم يعد إلى أصلها ومصادرها فالمراد بتفسير القرآن باللغة منهج التفسير الذي يهتم المفسر اهتماماً شديداً بالقراءة والقواعد حتى يقف على الصحيح منها، لأنه ينبعث عن تحريف القراءة، تحريف اللفظ القرآني المنزل، ومن ثم تحريف المعنى وبالتالي الأحكام الشرعية على السواء.

ومن خلال دراسة نظريات الحركة القرآنية وتفسيراتها المختلفة، يمكن أن نلاحظ أنها اعتمدت على فهم القرآن وتفسيره للناس باللغة المجردة، حتى في المفردات المنقولة كالصلاة والطواف. وقد أعلن أهل القرآن هذا الطريق لفهم القرآن الكريم، وسلكه بعضهم دون التصريح به. ويعتمدون اعتماداً كلياً على اللغة العربية إلا إذا كان المقصود منها استخلاص نظرية معينة منها، ولهذا انتقد الحافظ محمد أسلم المفسرين لعدم سلوكهم هذا الطريق، قائلاً: إن المفسرين يبحثون عن غير القرآن أكثر منهم في القرآن، وإن القرآن إذا نظرنا إليه بعين البصيرة لوجدناه مفصلاً، ففيه وضوح المصطلحات، وكل هذا بسبب فهمه لتعلم اللغة العربية، فمن يعرف اللغة العربية يفهم القرآن دون الاستعانة بأي علم آخر.

وقد طبق تلميذه برويز هذه الفكرة في تفاسيره المختلفة للقرآن الكريم. لغات القرآن، مع شرح مختلف الاشتقاق المنسوبة إلى كتب اللغات، ثم أتبعه بمفهوم القرآن في ضوء ما سجله بلغاته، والشيخ أحمد الدين سلك هذا الطريق على الاهتمام كامل ومن النماذج فيه مثل (النملة) في الآية، دائماً يتبع أحمد الدين منهجه العقلي حيث ينكر أو يأول كل ما يخالف العقل، ومن هذا القبيل انحرافه في تفسير (النملة) في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِي النَّمْلِ قَالَتِ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَخْطِمْكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(١)، يقول: إن المراد بالنملة ليست نملة حقيقة التي دابة من دواب الأرض المعروفة، بل هي اسم القبيلة ما زالت موجودة وتسكن في اليمن، وكانت ترأسها المرأة التي جاءت لاستقبال سليمان. فهي قائلة لهذه المقولة "يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ" ويستدل أن مثل هذه الأسماء توجد لدى العرب نحو مازن اسم قبيلة المعروفة. ومعنى المازن بيضة نملة.

وعلى منواله سار أحمد الدين في معنى أَبَايِلَ في الآية ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾^(١) بأن المراد بالأبَابِيل الحُمر الوحشية، ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ﴾ عند احساسهم وجود الحياة فيهم تدرجوا عليهم الحجارة من قمم الجبال حتى صاروا كعصف مأكول.

مكانة اللغة العربية في تفسير الآيات عند جمهور المفسرين:

روى البيهقي بسنده عن يحيى بن سليمان بن نضلة، يقول: سمعت مالك بن أنس يقول: "لا أوتى برجل غير عالم بلغات العرب يفسر ذلك إلا جعلته نكالا"^(٢) فمن هذا الكلام المأثور عن إمام أهل المدينة المنورة "الذي قيل فيه، لا يُفتي ومالك في المدينة"^(٣)، تتبين أهمية اللغة العربية ومكانتها في تفسير كتاب الله تبارك وتعالى.

قال الإمام الشاطبي عند "بيان قصد الشارع في وضع الشريعة للأفهام" ومن أراد تفهمه؛ فمن جهة لسان العرب يفهم، ولا سبيل إلى تطلب فهمه من غير هذه الجهة "وأما عربية، وليس فيها شيء من العجمة أي نزلت بلغة مألوفة للعرب بألفاظها وطرق معانيها الخاصة، تُخاطب بالعام يُراد به ظاهره، وبالعام يُراد به العام في وجه والخاص في وجه، وبالعام يُراد الخاص، والظاهر يُراد به غير الظاهر. وكل هذا يعرف من أول الكلام أو وسطه أو آخره، فتكلم بكلمات تدل بداياتها على النهاية، أو النهاية عن البداية، وتقول شيئاً يعرف بالمعنى والدلالة. وتسمي شيئاً واحداً بأسماء عديدة وأشياء كثيرة باسم واحد، وكل هذا معروف عندها لا ترتاب في شيء منه هي، ولا من تعلق بعلم كلامها^(٤) إن القرآن جُمع في عهد رسول الله وقت نزوله بدليل قوله تعالى: ﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّخَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾^(٥)، ﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾^(٦) وقوله تعالى ﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾^(٧) وغير ذلك من الآيات تدل أن كلما نزل الوحي جمعه رسول الله وكتبه في المصاحف ولو كان الأمر ليس كذلك لما يستقيم قوله (وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ) أي في مكتوب فالمراد بالكتاب المكتوب في في المصحف لا محالة.

(١) سورة الفيل - ٣.

(٢) شعب الإيمان ٥٤٣/٣ لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الحُسْرُو جردى الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، التعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، طبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

(٣) معني المحتاج، إلى معرفة معاني ألفاظ. ٤٧/٢ لشمس الدين، محمد بن أحمد، الشافعي (المتوفى: ٩٧٧هـ)، دار الكتب العلمية، ط الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م، بلفظ "لا يفتي ومالك بالمدينة".

(٤) الموافقات للشاطبي ١٠٣، ١٠٢/٢.

(٥) سورة مريم - ١٦.

(٦) سورة مريم - ٤١.

(٧) سورة مريم - ٥١.

وأنكر أحمد الدين إجماع المفسرين على أن القرآن نزل بقراءات سبع مشهورة أو أكثر من هذا بزعمه لو كان القراءات الأخرى من عند الله تعالى لكانت محفوظة حسب وعده ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(١) ولا يخلف الله وعده ويقول : أن القرآن كلام الله روعي فيه فطرة خلقه فلذا يجوز تفسيره إما بالقرآن نفسه تفسير القرآن بالقرآن أو بما يطابق الفطرة ويلائم بمقتضاياتها ويؤيده العقل ولا يؤخذ بما وراء ذلك من أنواع التفسير ويرفض القول بجواز نسخ أحكام القرآن بالسنة والإجماع ويتعجب منه لأن غاية نزول القرآن في رأيه استغناء البشرية من أي شيء آخر غير القرآن واعتبار المعقول أي كل ما يؤيده العقل.^(٢)

مناهجه العامة منها

١. التأويل العقلي للنصوص الغيبية

يتبنى تأويل الآيات التي تتحدث عن الغيب تأويلاً عقلياً ولغوياً. يرفض المعاني الحرفية التي تفيد التجسيم أو الغيب المطلق الذي لا يقبله العقل. مثلاً: قوله في حمل العرش: لا يقبل بوجود ملائكة يحملون العرش، بل يفسره بمعنى عظمة أمر الله وتدبيره. (وقد سبق تفصيله)

٢. ردّ العقائد إلى مقاصد التوحيد: يركز على أن العقائد كلها ترجع إلى توحيد الله ونفي الشرك. أي مسألة لا تخدم التوحيد أو تتعارض مع العقل يرفضها. لذلك هاجم عقائد مثل: الشفاعة الخاصة بالنبي ﷺ. و انكار عذاب القبر. في الحياة البرزخية. (قد سبق تفصيله)

٣. التقريب بين الدين والعقل: يرى أن الدين الحق لا يمكن أن يتعارض مع العقل. لذلك، إذا ظهر التعارض بين ظاهر النص والعقل، فإنه يؤوّل النص. وهذا متأثر بالمدرسة العقلية (محمد عبده، رشيد رضا)، لكنه أكثر تشدداً لأنه لا يقبل الحديث أصلاً.

٤. تغليب العقل والتأويل الرمزي: إذا تعارض ظاهر النص مع العقل، فإنه يؤوّل النص. يميل إلى المعاني المجازية لا الحرفية

مثال: "ويحمل عرش ربك" [الحاقة: ١٧] يفسرها بتدبير الله لا بملائكة يحملون عرشاً مادياً. (سبق تفصيله)^(٣)

٥. نفي الغيبات التي لا يقبلها العقل: يرفض عذاب القبر والحياة البرزخية. ينكر رؤية الله في الآخرة.

مثال: "النار يعرضون عليها غدواً وعشياً" (غافر: ٤٦)، يفسرها بالعرض يوم القيامة لا في القبر.^(٤) مثال: "لا تدركه الأبصار" [الأنعام: ١٠٣] دليل على نفي رؤية الله.

(١) سورة الحجر . ٩

(٢) انظر: تفسير بيان للناس ٩٣/١، ١٠٠، ٢٨٥/٢، ٢١٨/٣، ٢٢٤ و ٢٥٩/٧ بتصرف يسير.

(٣) بيان للناس، ص ٧٦٥-٧٦٧

(٤) بيان للناس، ص ٤٨٧-٤٨٩ _ بيان للناس، ص ٢٢٨-٢٣٠

هذه النماذج توضح أن منهجه قائم على:

نفي الغيبات التي لا يقبلها العقل.

ردّ العقائد إلى القرآن والتأويل الرمزي.

رفض الأحاديث في تقرير العقيدة.

النماذج التطبيقية

المسألة	موقف أحمد الدين أمرتسري	المرجع (بيان للناس)
الشفاعة:	لا توجد شفاعة خاصة للنبي ﷺ، إنما الشفاعة بمعنى نصرته الله للمؤمنين بقبول أعمالهم.	
	بيان للناس ص ٣١٢-٣١٥	
عذاب القبر:	ينكر حياة برزخية مستقلة وعذاب القبر، ويرى أن العرض على النار يكون يوم القيامة.	
	بيان للناس ص ٤٨٧-٤٨٩	
رؤية الله :	ينكر إمكان رؤية الله في الدنيا أو الآخرة، والرؤية تعني إدراك عظمته وآثاره.	
	بيان للناس ص ٢٢٨-٢٣٠	
حمل العرش:	يرفض وجود ملائكة يحملون العرش، ويفسره بالملك والتدبير الإلهي، و"الثمانية" قوى كونية أو ملائكة تدبير.	
	بيان للناس ص ٧٦٥-٧٦٧ قد سبق	
الجن وإبليس	إبليس رمز للنفس الأمارة، والجن بشر غرباء أو قوى طبيعية خفية، لا مخلوقات نارية غيبية.	
	٥٨-٥٥	
	٢٣٠	

المبحث الثاني: موقفه من المسائل الاعتقادية عموماً ومصادره في ذلك (العقل اللغة الراي) مع**ذكر النماذج****التميد:**

اهتم خواجه أحمد الدين ربما بإثبات التطابق بين كلام الله والفلسفة الغربية الكونية، وجعل هذا التطبيق أصلاً من أصوله، وأول كلام الله عز وجل حتى يوافق كلام الخلق ونظرياتهم، وردّ ما ظهر له من الآية أنها تخالف أصول علوم الكون، وبني معرفة حقيقة الكون وبيان تعبيراته على الأصول والقواعد والمناهج التي أسستها الثقافة الغربية، ومن أمثلة ذلك أنه فسر قول الله تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بَعْصَاكَ الْبَحْرَ فَأَنْفَلِقْ﴾^(١) بأن المعجزة لا يمكن أن يظهر أثرها على البحر بضرب عصا حتى انفلق البحر، فأول النص بأن السبيل كان موجوداً قبل ذلك وكان

موسى عليه السلام علماً به، ومر به عدة مرات، ولما غاب السبيل في الماء أمر الله سبحانه وتعالى موسى عليه السلام أن يأخذ عصاه ويبحث طريقه في الماء، فضرب موسى عصاه في البحر حتى وجد السبيل الذي غاب عنه^(١). وبعامته هو وعقله، ويفسر الآيات القرآنية بطريقة سلبية ويستخدم رأيه السلبي في معارضة علماء الإسلام فسيأتي الأمثلة. فينتج من ذلك وغيره من الأمثلة عدم قدرة انسجام أحمد الدين في تقديم المعلومات وأكثر كلامه لم يربط فيما بينه ولم يوافق مع سياق القرآن ونظمه، فلذا يصعب فهمه للقارئ. ولم يذكر أحمد الدين مصادر معلوماته وآرائه، ولم ينسب الأقوال إلى قائلها عموماً، بل يسترسل في العبارات، ومعظم معلوماته مخالف عن موقف الجمهور وإجماعهم، وأساس هذه المعلومات هو عقله وفكره، وتفسيره مملوء بالتكلفات والتفردات، ومنهجه لا يلائم بمنهج المحققين والعلماء الراسخين من السلف الصالحين، واعتزل الشيخ الأمر تسري عن الأصول التي أسسها علماء السلف، وبالأخص الأصول المساعدة في تعيين معان ألفاظ القرآن الكريم.

ومن توضيح عقيدته:

في السطور التالية نرى موقفه من المسائل الاعتقادية مع ذكر بعض نماذج فيها لتوضيح عقيدته. كما ذكرنا سابقاً أن أحمد الدين هو أحد مؤسسي المدرسة القرآنية فإن موقفه من المعتقدات الإسلامية كموقف أصحاب المدرسة نفسه.

أولاً: دائماً يستخدم الرأي الشخصي ويلجأ إلى التفسيرات الخاطئة، والمذمومة والابتعاد عن التفسيرات العامة. وهو مخالف للإجماع الامة ويخالف منهج الصحابة والتابعين في التفسير يستعمل الكلمات بمعناها الظاهر ويرفض المعنى المجازي. وبسبب ذلك أنكر الأحاديث ويقول "إن الأحاديث ظني لا يستدل بظني في العقائد والشرائع لان القرآن قطعي الثبوت والدلالة. ولذلك ان منهج احمد الدين في نشر فكره ومن المسائل الاعتقادية عموماً في شبه القارة الهندية. تقوم على ثلاثة أصول. وفي الحقيقة تلك الأصول هي مناهج لمدرسة القرآنية ايضاً كما ذكرنا في المباحث السابقة اما الآن فنذكره موقفه باختصار.

الثاني: عدم الرجوع إلى الحديث الشريف، لا قيمة لكل هذا التراث الحديثي الهائل. يقول خواجه أحمد الدين "اعلم أن طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم كانت طاعةً مُقَيَّدَةً بزمه... الخ قد سبق ذكره^(٢)

الثالث: مرجعية اللغة في فهم القرآن فقد هاجم القرآنيون أسباب النزول لأنها تقيد من وجهة نظرهم دلالة القرآن الكريم وهاجموا كذلك الحديث الشريف للسبب نفسه ومن ثم قالوا: لا طريق لفهم القرآن إلا اللغة العربية وبذلك أنكروا وجود أي دور للطرق والعلوم الأخرى لعل هذا ما يلفت نظرنا لبعض النتائج المستغربة بعض الشيء عندهم

(١) انظر تفسير بيان للناس، لخواجه أحمد الدين الأمر تسري، باكستان دوست ايسوسى ايتس، لاهور، ١٩٩١م، ج ٤ ص ٩٤.

(٢) مجلة البيان (ص ٣٢) عدد أغسطس ١٩٥١م.

لكونها معتمدة بشكل حادّ على الجذر اللغويّ كما في موضوع الطواف وفق ما أسلفنا بيانه فحينما أنكروا حجّة السنّة رجعوا إلى حاقّ اللغة ليثبتوا أنّ الطواف هو التردد على الشيء وليس الدوران حوله.

وبناءً على هذا المسلك اللغويّ نفى أكثر القرآنيّين جُلّ الحقائق ما يتعلق بالاحاديث النبوية وما ورد من الصحابة في احكام الشرعية والتاريخ الإسلامية والقصص القرآنية

الرابع: استخراج مجموعة من القواعد ثم الذهاب إلى المصاديق الخارجيّة المستحدثة لعرضها على هذه القواعد القرآنيّة فإن ناقضت واحدةً منها حكم بعدم إباحتها وإن لم تناقض أيّاً منها حكم بإباحتها لا أن نرجع إلى الروايات التي تتحدّث عن الكلب العقور والمثلة فيه لنستكشف دلالتها على حكم التشريح مثلاً بل علينا الاكتفاء بالتأصيلات القرآنيّة حينما ننظر للوقائع الخارجيّة فإن كانت الوقائع تتعارض مع تلك التأصيلات فيحكم بحرماتها وإلا فهي جائزة.

أما مصادره ، ثلاثة؛ القرآن، الرأي، اللغة؛

- ١- فالمراد من القرآن، تفسير القرآن بالقرآن حسب عقله فقط، وإنكاره من السنّة.
- ٢- أنفسير القرآن بالرأيه المذمومة مثل الراي المستشرقين والخوارج.
- ٣- والمراد باللغة يعني الاخذ بظاهر المعنى من اللفظ دون التفسير بالاحاديث النبوية.

النماذج ، تحت مصادره

النماذج من مصدره الأول: الأخذ بالقرآن حسب عقله وتركه السنّة:

حيث يقول حسبنا كتاب الله "أصح التفاسير هو تفسير القرآن بالقرآن فقط، ولا يجوز سواه لكونه يؤدي إلى الخلاف بين الأمة الإسلامية في كل مجالات الحيات دينهم وديناهم. وهذا يخالف تماماً مقصد نزول القرآن وهو . وبما أن القرآن مُبَيّن وبيان وتفصيل كل شيء فلا مجال ولا حاجة إلى أي نوع التفسير غير القرآن بالقرآن بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾^(١)، وقوله تعالى ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾^(٢)

وقد سبق ذكرها في المنهج الأول له، اما الان فنقدم إلى النماذج، ومن النماذج من تفسير القرآن بالقرآن حسب عقله وتركه لسنة النبوية في ما يلي:

النموذج الأول: براءة موسى

(١) سورة الأنعام - ٣٨.

(٢) سورة النحل - ٨٩.

النموذج الثاني: الشفاعة (وقد سبق ذكرها)

النموذج الثالث: واقعة الإفك

النموذج الرابع: المعوذتين عن السحر

النموذج الأول: براءة موسى: قال الله عن براءة موسى عليه السلام: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾^(١) بعد ذكر قصة إيذاء موسى الواردة في الأحاديث الصحيحة^(٢) يقول أحمد الدين "إن هذه الحكاية باطلة تماماً لم تقع أبداً وهكذا أُتهم رسول الله في الأحاديث والعياد بالله بمتبع هواه والمتعصب والمتزوج بأكثر من أربعة وتخيُّله أنه فعل فعلاً وما فعله بسبب السحر واختلال عقله وما إلى ذلك أليس هذا غلو؟ وتصديقه كوشي الهنيء إهانة كتاب الله؟ وأليس هذا تعدي برسالة رسول الله وشخصيته؟ وأليس معتقد هذه الأمور والآراء بفاسق؟^(٣)

موقف جمهور العلماء من هذه الآية الكريمة، يقول ابن كثير رحمه الله الآية المذكورة بحديث الذي رواه البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله "إن موسى كان رجلاً حياً" وذلك قوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ الآية^(٤) هكذا أورد هذا الحديث هنا مختصراً جداً وقد رواه في أحاديث "الأنبياء" بهذا السند بعينه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله "إن موسى كان رجلاً حياً، لا يُرْمَنُ جلدُهُ شَيْءٌ استحياء الخ، وطَفَقَ بالحجر ضرباً بعصاه فوالله إن بالحجر لندباً من أثر ضربه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً^(٥) فذلك قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ وبلفظ قريب روى الخازن^(٦) عن أبي هريرة مثل ما جاء به ابن كثير "واختلفوا فيما أودى به موسى فروى

(١) سورة الأحزاب . ٦٩

(٢) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله: "إن موسى، كان رجلاً حياً سبَّيراً، لا يُرَى من جلده شيء استحياء منه، فأذاه من آذاه من بني إسرائيل، فقالوا، ما يستر هذا التستر إلا من عيب الخ... وطَفَقَ بالحجر ضرباً بعصاه فوالله إن بالحجر لندباً من أثر ضربه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً. صحيح البخاري ١٥٦/٤ كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام. وغيرها من الأحاديث كثيرة مبسطة في كتب السنة والآثار.

(٣) انظر: تفسير بيان للناس ٣٨٦/٥.

(٤) صحيح البخاري ١٢١/٦ كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى﴾ [الأحزاب: ٦٩].

(٥) صحيح البخاري ١٥٦/٤ كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام، وانظر: تفسير ابن كثير ٤٢٧/٦

(٦) هو علي بن محمد بن إبراهيم الشَّيْخِيّ علاء الدين المعروف بالخازن: عالم بالتفسير والحديث، من فقهاء الشافعية. بغداد الأصل، نسبته إلى "شيخة" بالحاء المهملة، من أعمال حلب. ولد ببغداد ٦٧٨ هـ . ١٢٨٠ م، وسكن دمشق مدة، وكان خازن الكتب بالمدرسة السميحية فيها. وتوفي بحلب ٧٤١ هـ / ١٣٤١ م. له تصانيف، منها "لباب التأويل في معاني التنزيل" في التفسير، يعرف بتفسير الخازن وغير ذلك. انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ١١٦/٤، الألفاظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (١٢/شعبان/٧٧٣ هـ ٨٥٢ هـ / ١٤٤٩ م)، تحقيق مراقبة / محمد عبد المعيد خان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، سنة النشر ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م، مكان النشر صيدر اباد/ الهند، الاعلام لزركلي ٦٠٥/٥.

أبوهريرة أن رسول الله قال: كان بنو إسرائيل يغتسلون عرا ينظر بعضهم سوءاً بعض وكان موسى يغتسل وحده.. الخ قال أبوهريرة والله إن بالحجر ندباً ستة أو سبعة من ضرب موسى الحجر، أخرجها البخاري ومسلم^(١) وفصل الماوردي^(٢) قوله في تفسير الآية؛ يقول: "معناه لا تؤذوا محمدًا فتكونوا كالذين آذوا موسى، وفيما آذوا به رسوله محمدًا ﷺ قولان:

أحدهما: قوله زيد بن محمد، أي قولهم، حكاه النقاش ذكره قرطبي في تفسيره^(٣) ثانيهما: أن النبي قسم، فقال رجل من الأنصار، إن هذه القسمة ما أريد بها وجه الله فذكر ذلك للنبي فغضب وقال "رحم الله موسى قد أؤذي بأكثر من هذا فصبر"^(٤) قاله أبووائل^(٥) وفيما أؤذى به موسى ثلاثة أقاويل وهي كما يلي:

أولاً: أن رمّوه بالسحر، والجنون.

ثانياً: هو حديث أبي هريرة السابق.

ثالثاً: ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما عن علي "أن موسى صعد وهارون الجبل، فمات هارون، فقال بنو إسرائيل أنت قتلتهم وكان ألين لنا منك وأشدّ حباً، فأذوه بذلك فأمر الله الملائكة، فحملته فمروا به على مجلس بنو إسرائيل فتكلمت الملائكة بموته ثم دفنته فما عرف موضع قبره إلا الرحم، وأن الله جعله أصم أبكم، ومات هارون قبل موسى في التيه، ومات موسى قبل انقضاء مدة التيه بشهرين^(٦).

(١) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل المعروف بتفسير الخازن ٤٣٧/٣ - ٤٣٨ لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيعي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ)، تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ. والحديث متفق عليه: أخرجه البخاري ٦٤/١ كتاب الغسل، باب من اغتسل عريانا وحده في الخلوة، ومن تستر فالتستر أفضل، وصحيح مسلم ١٨٤١/٤ كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى.

(٢) هو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب المشهور بالماوردي نسبة إلى عمل عائلته بصناعة ماء الورد وبيعه. ولد بالبصرة عام ٣٦٤هـ، وأقضى قضاء عصره من العلماء الباحثين، توفي ببغداد سنة ٤٥٠هـ، ودفن بمدينة المنصور بباب حرب في بغداد. من مصنفاته: أداب الدنيا والدين، وأحكام السلطانية والولايات الدينية، والخواص في فقه الشافعية. (ينظر: الأعلام ١٤٦/٥، وطبقات الشافعية ٢٦٧/٥).

(٣) تفسير الماوردي - لأبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي ج ٤ - ص ٤٢٧

(٤) صحيح البخاري ١٥٩/٥ كتاب المغازي، باب غزوة الطائف، وصحيح مسلم ٧٣٩/٢ كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلف قلوبهم على الإسلام وتصبر من قولي إيمانه.

(٥) شقيق بن سلمة، أبو وائل الأسدي الكوفي، الإمام الكبير، شيخ الكوفة، أبو وائل الأسدي، والأشعث بن قيس، وسلمان بن ربيعة، وسهل بن حنيف، وشيبة بن عثمان، وعمرو بن الحارث المصطلق، وقيس بن أبي غرزة، وأبي هريرة، وأبي الهياج الأسدي، وخلق سواهم. ويروي عن قرآنه: كمسروق، وعلقمة، وجران بن أبان وكان من أئمة الدين.. انظر: سير أعلام النبلاء ١٧٧/٧، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة.

(٦) تفسير الماوردي ٤٢٦/٤ - ٢٧ لأبي حسن علي بن محمد، الماوردي البصري، طبعة الأولى ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود. دار الكتب العلمية.

اقول : يفسر أحمد الدين حسب عقله بحت ومنهجه العقلاني الخالص وأرى أن سبب انحرافه أنه لم يجد في القرآن تفسير قصة موسى ولعدم اعترافه بالسنة وحجيتها التبس عليه الحقائق وصار في مهاوي الضلالة . أعاذنا الله منها لإنكاره وقوع الواقعة أصلاً واتهامها بالباطل ومعتزف بوقوعها فاسقاً كما تقدم .

أما جمهور المفسرين اعتبروا السنة شارحة القرآن ومفسرة له فتمسكوا بالروايات والآثار التي تفسر الآية المذكورة عن إيذا موسى فوقاهم الله عن ما وقع فيه أحمد الدين وأمثاله ووقفهم إلى الصواب والسداد فيما نرى . والله أعلم بالصواب .

النموذج الثاني: واقعة الإفك

موقف أحمد الدين من واقعة الإفك: تأول المصنف الآيات المنزلة في واقعة الإفك وبراءة عائشة رضي الله عنها تأويلاً بعيداً يؤدي إلى إنكار الأحاديث الصحيحة فيها، فذهب إلى أن بعض المؤمنات كن يشتركن في الغزوات لمساعدة الجيش، ففي بعض الغزوات خرجت بعضهن للبحث عن الماء، فضللن الطريق، وأوصلهن بعض الرجال إلى الجيش، فساء ظن بعض الناس بهن. وفي الحقيقة ليس هناك ذكر لعائشة رضي الله عنها ولو إشارة، بل وردت الآيات عامة في جملة من النساء، ويؤيد رأيه أن الآيات لو نزلت في براءة عائشة . كما يقول جمهور المفسرين وأهل الحديث . لصح الظن برسول الله أنه لم يرض بترك زوجه عائشة وأنزلت الآيات (١١ - ١٨ من سورة النور) حسب مرامه وهواه ولكن لو سلمنا أن هذه الآيات عامة في نساء المؤمنات وأيد الله ورسوله برأتهن لكان الأمر جيد وحسن ولتكون فضيلة رسول الله وعظيمته وكرامة له ولو أخذنا بخلافه . أي هذا الرأي . وهو أن الآيات في براءة عائشة كما يقول أهل الحديث بأن الرسول كان في شبهة حتى نزلت الآيات ولم يتكلم . - بقوله : ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾^(١) فهذا محل نظر في شخصية النبي^(٢) ولكن لا يستقيم رأيه أمام آراء أهل السنة والجماعة وأدلتهم القاطعة ذكرها فيما يلي :

موقف جمهور أهل العلم من آيات واقعة الإفك:

جميع المفسرين من أهل السنة والجماعة وغيرهم من المعتزلة ذكروا واقعة الإفك منهم: ابن كثير: حيث يقول " هذه الآيات العشر نزلت في عائشة أم المؤمنين حين كذبها المنافقون وافترؤا عليها، مما قالت من الكذب والافتراء، مما جعل الله يغار عليها وعلى نبيه. فأظهر الله براءته حماية لكرامة النبي فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ﴾ أي جماعة منكم يعني ماهو واحد ولا إثنان، وقائد هذا الملعون هو عبد الله بن أبي، وهو زعيم المنافقين، كان

(١) سورة النور - ١٦ .

(٢) انظر: تفسير بيان للناس ٣٤٠/٤ .

يجمعهم ويستعيد منهم حتى طراً هذا الأمر على أذهان بعض المسلمين، فتكلموا عنه وأجازاه بعضهم. وبقي على ذلك نحو شهر حتى نزل القرآن وجاء سياقه في الأحاديث الصحيحة.^(١)

وسار أبو السعود^(٢) مسيره لقوله: "إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ أَيُّ بِأَفْصَحِ الْكُذْبِ وَالْإِفْتِرَاءِ، وَقِيلَ الْبُهْتَانُ لَا يَدْرِكُ بِهِ حَتَّى يَفَاجِتَكَ وَأَصْلُهَا الْإِفْكَ وَهُوَ الْقَلْبُ لِأَنَّهُمْ أَفَوُكُ عَنْ وَجْهِهِ وَسَنَنِهِ، وَالْمَرَادُ بِهَذَا أَفْكَ بِهِ الصِّدِّيقَةُ الْمُؤْمِنِينَ رَضَ اللَّهُ عَنْهَا، بَعْدَ نَزْوِلَةِ الْحِجَابِ وَقَوْلُهُ تَعَالَى (عَصَبَةُ مَنْكُمْ) خَيْرٌ إِنَّ أَى جَمَاعَةٍ، وَهِيَ مِنَ الْعَشْرَةِ إِلَى الْأَرْبَعِينَ وَكَذَلِكَ الْعِصَابَةُ وَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي، وَزَيْدُ بْنُ رِفَاعَةَ وَحَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ، وَمَسْطُحُ بْنُ أَثَاثَةَ، وَجَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ، وَمَنْ سَاعَدَهُ وَقَوْلُهُ تَعَالَى (لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمْ) اسْتِثْنَانٌ، حُوطِبَ بِرَسُولِ اللَّهِ، وَأَبُوبَكْرٍ وَعَائِشَةُ، وَصَفْوَانُ، تَسْلِيَةً لَهُمْ مِنْ أَوَّلِ الْأَمْرِ وَالضَّمِيرُ لِلْإِفْكِ (بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ) وَلِهَذَا السَّبَبُ تَنَالُ أَجْرًا عَظِيمًا وَتُظْهِرُ كِرَامَتَكَ أَمَامَ اللَّهِ (لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ) أَيْ فِي الْآخِرَةِ أَوْ فِي الدُّنْيَا أَيْضًا فَإِنَّهُمْ جَلَدُوا وَارْتَدَّتْ شَهَادَتُهُمْ وَصَارَ ابْنُ أَبِي مَطْرُودًا مَشْهُودًا عَلَيْهِ بِالتَّفَاقُ وَحَسَّانُ أَعْمَى وَأَشَلَّ الْيَدَيْنِ وَمَسْطُحٌ مَكْفُوفُ الْبَصَرِ، وَفِي التَّعْبِيرِ عَنْهُ بِالَّذِي وَتَكَرَّرَ الْإِسْنَادُ وَتَنَكَّرَ الْعَذَابُ وَوَصَفَهُ بِالْعَظَمِ مِنْ تَحْوِيلِ الْخُطْبِ مَا لَا يَخْفَى^(٣)

ويقول المودودي^(٤) في الآية " إن فيها إشارة إلى تلك التهمة التي اتهم المنافقون فيها عائشة بالزنا وقد أورد الله لفظ الإفك حتى يعلم منه أنها كانت بريئة وهذا اجتنبان عليها ثم ذكر المودودي حادثة الإف كمن رواية عائشة رضى الله عنها: عن عائشة رضى الله عنها زوج النبي، حين قال لها أهل الإفك ما قالوا، فبرأها الله منه، قال الزهري " وقد روى لي جماعة منهم بعض أحاديثه، وبعضهم أعلم من بعض، فتأكدت من صحته، وحديث عائشة ولها بعض الأحاديث صحيحة.^(٥) والمتأمل فيما سبق يجد أن المصنف أحمد الدين قد أنكر صحة وقوع الحادثة ومن ثم فقد أنكر الحديث وطعن في أبي هريرة وغيره من أهل الحديث وخالف المفسرين.

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٩/٦.

(٢) هو محمد بن محمد بن مصطفى العمادي المولى أبو السعود فقيه حنفي، أصولي، شاعر، مفسر، ولد بقرب القسطنطينية سنة ٨٩٨هـ، وتوفي بها سنة ٩٨٢هـ. وتقلد القضاء في بروسة فالقسطنطينية فالروم إيلي. من تصانيفه: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم المعروف بالتفسير أبي السعود. (ينظر: الأعلام ٢٨٨/٧، ومعجم المؤلفين ٣٠٢/١١).

(٣) انظر: تفسير أبي السعود ٤٤٣/٨، ٧٣/٨ لشيخ الإسلام أبي سعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى المتوفي سنة ٩٨٢هـ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٩م دار الكتب العلمية بيروت.

(٤) هو سيد أبو الأعلى مودودي بن سيد أحمد حسن، يتصل نسبه بالشيخ أبو أحمد من أولاد سيدنا حسين، ولقد هاجر أحد فروع هذه الأسرة من منطقة هرات إلى ديار الهند في أواخر القرن التاسع الهجري في عهد الأسكندر لودهي، واستقر الجد الأكبر لهذا الفرع في قرية براس القريبة من كرنال. فولد أبو الأعلى المودودي رحمه الله في أرنج آباد عام ٣ رجب ١٣٢١هـ، ١٩٠٣م، وتوفي ٢٢ ستمبر ١٩٧٩م. له ثروة علمية ضخمة في مجالات شتى منها: المصطلحات الأربعة في القرآن، والجهاد في الإسلام، وكيف تقوم الحكومة الإسلامية، وتدوين الدستور الإسلامي وغيرها. (انظر: المودودي، حياته ودعوته وجهاده. خليل أحمد حامدي ص ٥ وما بعدها بتصرف).

(٥) تفهيم القرآن ٣/ ٣٦٦. مولانا أبو الأعلى المودودي، ادارة ترجمان القرآن لاهور..

النموذج الثالث: قوله في المعوذتين من السحر

يمكن بيان رأي أحمد الدين وتفسيره الآيات المتعلقة بالسحر في النقاط التالية:

١- أنه خالف جمهور أهل السنة والجماعة لإنكاره حقيقة السحر لقوله أنه صنعة واختراع ومكيدة فقط ويستدل بالآيات منها قوله تعالى: ﴿يُحِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَمَّا تَسْعَى﴾^(١) وقوله ﴿وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾^(٢) وغيره من الآيات.

٢- إذا كان الرسول محفوظ بحفاضة الله من كل سوء فكيف يمكن أثر السحر به وخاصة بمن نزل عليه القرآن وحفظه الله تعالى من شر كل شيء.

٣- إن أهل الحديث ادرجوا الأحاديث المختلفة المصنوعة في كتاب الله كما جاء في صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ سُحْرَ حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن قال سفيان، وهذا أشد ما يكون من السحر، إذا كان كذا فقال "يا عائشة أعلمت أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه، أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال الذي عند رأسي للآخر، ما بال الرجل؟ قال مطبوع، قال ومن طبه؟ قال لبيد بن أعصم . رجل من بني زريق حليف ليهود كان منافقا . قال وفيهم قال في مشط ومشاطة قال وأين؟ أما الله فقد شفاني وأكره أن أثير على أحد من الناس شرا"^(٣)

فيظهر من أراء هؤلاء المحدثين أن عقل رسول الله تأثر بهذا السحر فهل يعتبر وحي لمثل المسحور الذي تأثر عقله؟ وهل يكون وحي الذي . أعني المعوذتين . نزل في مثل هذه الحالة يعتبر حق اليقين؟

٤- عبر الله قول الذين يقولون: ﴿إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا . انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾^(٤) وما جاء في سورة الفرقان: ﴿وَقَالُوا مَا لِيَ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا . أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا . انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾^(٥) فثبت من هذه الآيات أن إتهام النبي بالجنون أو السحر في حق الرسول باطل لا يصح وحقا نحن نتبرا من مثل هذه الأحاديث التي شيمة أهل الحديث ويليق بهم^(٦)

(١) سورة طه . ٦٦ .

(٢) سورة طه . ٦٩ .

(٣) صحيح البخاري ١٣٧/٧ كتاب الطب، باب هل يستخرج السحر؟ وانظر: تفسير الخازن ٤/٥٠٠ .

(٤) سورة الإسراء ٤٧ . ٤٨ .

(٥) سورة الفرقان ٩ . ٧ .

(٦) تفسير بيان للناس ٧/٢٨٠ .

موقف جمهور من الآيات والأحاديث التي وردت في معوذتين عن السحر

فسر السمرقندي قوله تعالى: (وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ) يعني الساحرات، المهيجات اللواتي ينفثن في العقد ثم قال: (وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ) يعني كل ذي حسد أراد به لبيد بن أعصم اليهودي ويقال لبيد بن عاصم وروى أعمش، عن يزيد بن حيان، عن زيد، قال سحر النبي رجل من اليهود عقد له عقداً فاشتكى لذلك أيأماً فأتاه جبريل قال له، إن من اليهود رجلاً سحرك فبعث علياً واستخرجها فحلّها فجعل، كلما حل عقدة، وجد النبي لذلك خفة، حتى حلها كلها، فقام النبي كأنما نشط من عقال فما ذكر النبي ذلك لليهود وروي في بعض الأخبار عن النبي أنه قال: "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَا سَأَلَ مِنْهَا سَائِلٌ وَلَا اسْتَعَاذَ مُسْتَعِذٌ بِمَثَلِهَا قَطُّ" وهذه الآية دليل أن الرقية جائزة إن كانت بذكر الله تعالى وبكتابه والله أعلم بالصواب^(١) ويقول أبي السعود العمادي تحت آية (وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ) أي وَمِنْ شَرِّ النَّفْسِ أَوْ النَّسَاءِ السَّوَاكِ... وَفُرِّئِ النَّفَّاثَاتُ كَمَا فُرِّئِ النَّفَّاثَاتُ بغير ألفٍ وتعريفها، أما للعهد أو للإيدان بشمول الشر لجميع أفرادهنّ وتمحضهنّ فيه وتخصيصه بالذكر لما روى ابن عباس رضي الله عنه وعائشة، أنه كان غلاماً من اليهود يخدم النبي عليه الصلاة والسلام وكان عنده أسنان من مشطه فأعطاهما اليهود فسحرّوه فيها الخ ذكره حديث طويلاً^(٢).

وقيل المراد بالنفث في العقد، إبطال عزائم الرجال بالحيل، مستعار من تليين العقدة، بنفث الربق، ليسهل حلّها، وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ أَي إِذَا أَظْهَرَ مَا فِي نَفْسِهِ مِنَ الْحَسَدِ... لما أن ضرر الحسد قبله إنما يحقق بالحاسد لا غير^(٣).

ويقول العلامة الألوسي البغدادي رحمه الله الآية ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ أي ومن شر النفوس السواكر اللاتي، يعقدن عقداً في خيوط، وينفثن عليها فالنفثات، صفة للنفوس واعتبر ذلك لمكان التأنيث مع أن تأثير السحر إنما هو من جهة النفوس الخبيثة والأرواح الشريرة وسلطانها منها وقدر بعضهم النساء موصوفاً والأول أولى ليشمل الرجال ويتضمن الإشارة السابقة ويطابق سبب النزول فإن الذي سحره كان رجلاً على المشهور كما ستسمع إن شاء الله تعالى.

وقيل: أعانه بعض النساء ولكون مثل ذلك من عمل النساء وكيدهن غلب المؤنث على الذكر هنا وهو جائز على ما فصله الخفاجي في شرح درة الغواص والنفث النفخ مع ريق كما قال الزمخشري وقال صاحب اللوامح: هو شبه النفخ يكون في الرقية ولا ريق معه فإن كان يريق فهو تفل والأول هو الأصح لما نقله ابن القيم من أنهم إذا

(١) انظر: بحر العلوم للسمرقندي ٦٣٧/٣ وانظر روايات، السنن الكبرى ٤٥٠/٣ لأبي عبد الرحمن الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، تحقيق:

حسن عبد المنعم شليبي، بيروت، طبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، ومسنّد ابن أبي شيبة ٣٥١/١.

(٢) تفسير أبي السعود ٢١٥/٩، لأبي السعود العمادي (المتوفى: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث، بيروت، وانظر مسنّد أبي يعلى ٩٣/٦ لأبي يعلى أحمد بن علي بن المثنى...، الموصلي (المتوفى: ٣٠٧هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون التراث دمشق، طبعة الأولى، ١٤٠٤ - ١٩٨٤.

(٣) انظر: نفس التفسير المذكور ٢١٥/٩، ٢١٦.

سحروا واستعانوا على تأثير فعلهم بنفس يمازجه بعض أجزاء أنفسهم الخبيثة وقرأ الحسن^(١) "النَّفَّاثَات" بضم النون وقرأ هو أيضا وابن عمر وعبد الله بن القاسم ويعقوب في رواية "النافثات" وأبو الربيع والحسن أيضا "النَّفَّاثَات" بغير ألف كالحذرات وتعريفها إما للعهد أو للإيدان بشمول الشر لجميع أفرادهن وتمحضهن فيه وتخصيصه بالذكر لما روى البخاري ومسلم وابن ماجة^(٢)

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: سحر رسول حتى إنه ليخيل إليه أنه فعل الشيء ولم يكن فعله
قالت، فقلت يا رسول الله أفلا أحرقت؟ قال، لا أما أنا فقد عافاني الله تعالى وكرهت أن أثير على الناس، شرا فأمرت بها فدفت^(٣).

أقول : موقف جمهور المفسرين عن حقيقة السحر مبني بأدلة من الكتاب والسنة فلذا اعترفوا بحقيقته وأثره وأضراره ووجود علاجه من الكتاب (بالمعوذتين وغيرهما) والسنة (من غسل بماء سدر وما إلى ذلك) أما شيخ أحمد الدين أنكر حقيقته وأول الآيات التي تنص بوجوده تأويلاً لا طائلاً تحته كما تقدم عند بيا موقفه وسبب ذلك منهج تفسيره . تفسير القرآن بالقرآن . وأخذ فقط ما يتبادر إلى الذهن ويقبله العقل البشر وما ليس كذلك فليس من تفسير القرآن في شيء عنده.

موقف العلماء من تفسير القرآن بالقرآن

تفسير القرآن بالقرآن: انطلاقاً لقوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ . فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ . ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾^(٤) ﴿وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾^(٥)، ولقوله: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾^(٦) تكفل بيان القرآن وتفصيله، منه ما جاء في القرآن نفسه فإذا أن تفسير القرآن بالقرآن أصح التفاسير وأجودها، لأنه أدرى بمراد كلامه. فلا بد للمفسر اللجوء إلى وهذا النوع من التفسير ولا يجوز الانتقال من هذه المرحلة إلى غيرها لأن

(١) هو الإمام، الحسن بن أبي الحسن بن يسار البصري، مولى الأنصار، وأمه خيرة مولاة أم سلمة رضي الله عنها. وربما أرسلتها في الحاجة فتشغل عن ولدها الحسن وهو رضيع، فتشاغله أم سلمة بتدبيرها فيدران عليه فيرتضع منهما. ودعا له عمر ابن الخطاب قال " اللهم فقهه في الدين، وحبيه إلى الناس. قال ابن سعد ولد لستين بقيتا من خلافة عمر ونشأ بوادي القرى وكان فصيحاً. رأى علياً وطلحة وعائشة وكتب للربيع بن زياد والي خراسان في عهد معاوية . وروى عن أبي بن كعب وسعد بن عباد وعمر بن الخطاب ولم يدركهم... مات سنة ١١٠هـ، قال محمد بن سعد كان الحسن، عالماً، رفيعاً فقيهاً، ثقة مأموناً وعابداً. يراجع: تهذيب التهذيب ٢/٢٦٣، رقم ترجمته . ٤٨٨، والبداية والنهاية ٩/٢٦٦).

(٢) هو محمد بن يزيد، الحافظ أبو عبد الله، ابن ماجة القزويني، مصنف السنن والتاريخ والتفسير. ولد سنة ٢٠٩ هـ، وتوفي في رمضان سنة ٢٧٠هـ. وفيات الأعيان ٤/٢٧٩، البداية والنهاية ١١/٥٢).

(٣) روح المعاني ١٥/٥٢٠، ٥٢١، والحديث أخرجه بهذا اللفظ أو يعلى في مسنده ٨/٢٩٠، والبخاري ٧/١٣٧ كتاب الطب، باب السحر، صحيح مسلم ٤/١٧١٩ كتاب الطب، باب السحر، وسنن ابن ماجة ٢/١١٧٣ لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد المتوفى: ٢٧٣هـ)، كتاب الطب، باب السحر. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية . فيصل عيسى البابي الحلبي.

(٤) سورة القيامة ١٧ - ١٩.

(٥) سورة الأنعام - ١٠٥.

(٦) سورة الأنعام - ١٢٦.

القرآن يفسر بعضه بعضاً. وكما قال الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "فان قال قائل، فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب إن أصح طرق في ذلك، أن يفسر القرآن بالقرآن. فما أجمل في مكان، فإنه قد فُسِّرَ في موضع آخر، وما اختُصر من مكان، فقد بُسِطَ في موضع آخر، فإن أعيانك ذلك فعليك باتباع بالسنة النبي، فإنها شارحة للقرآن وتفسر له" (١).

وقد اعتبر الدكتور الذهبي، القرآن الكريم، هو المصدر الأول للتفسير في عصر الصحابة. كما ذكرنا آنفاً أن أصح طرق التفسير وأكثرها اعتماداً لدى العلماء جميعاً هو تفسير القرآن بالقرآن لذلك أجمع العلماء على الرجوع إلى القرآن لتفسيره.

أقول: لا شك أن لقرآن الكريم يفسر بعضها بعضاً، بل هو أولى وأحكم نوع من أنواع التفسير إلا أن المصنف اكتفى بتفسير القرآن بالقرآن وكل ما يؤيده العقل. علماً بأن جمهور المفسرين يتمسكون بتفسير القرآن بالقرآن ويعتبرونه أحسن طرق التفسير ويرجعون إلى السنة وأقوال الصحابة والتابعين والقواعد واللغة وأصول الدراية بشكل عام. وسيزيد وضوح هذه الناحية في المباحث إن شاء الله تعالى.

المصدر الثاني للرأي: فسر أحمد الدين القرآن بالرأي المذموم مثل الرأي المستشرقين والخوارج.

فلا بد من ذكر بيان منهجه (استخدام الرأي) في المسائل الاعتقادية وذكر بعض النماذج فيها ليتضح امام القاري موقف احمد الدين من المسائل الاعتقادية عموماً. وقبل ذكر موقفه لا بد ان اذكر حول الرأي اما الرأي لغة واصطلاحاً وشروط قبوله في المسائل الاعتقادية على الاختصار فهو مايلي:

تعريف الرأي لغة:

قال ابن منظور الافريقي: "الرؤية بالعين تتعدى إلى مفعول واحد ومعنى العلم تتعدى إلى مفعولين يقال رأى زيداً عالماً ورأى رأياً ورؤية وراءه مثل راعة وقال ابن سيده (٢) الرؤية النظر بالعين والقلب" (٣)

وقيل للرأي، اعتقاد النفس أحد النقيضين عن غلبة ظن، وقيل استخراج صواب العاقبة، وعلى هذا قوله تعالى ﴿يُرَوِّهُمْ مِثْلِيهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ﴾ (٤) أي يظنونهم بحسب مقتضى مشاهدة العين مثليهم (٥) ومنه التفكير في الشيء

(١) مقدمة في أصول التفسير ص ٣٩، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، الحنبلي الدمشقي المتوفى: ٧٢٨هـ، دار مكتبة الحياة، بيروت، شالطبعة: ١٤٩٠هـ / ١٩٨٠م.

(٢) هو علي بن إسماعيل، المعروف بابن سيده، أبو الحسن: إمام في اللغة وآدابها، ولد بمرسية في شرق الأندلس سنة ٣٩٨هـ، وانتقل إلى دانية فتوفي بها سنة ٤٥٨هـ، وكان ضريباً وكذلك أبوه). ومن مصنفاته: المخصص، وشرح ما أشكل من شعر المتنبي، والأنيق في شرح حماسة أبي تمام. ينظر: الأعلام ٦٩/٥، ومعجم المؤلفين ٣٦/٧.

(٣) لسان العرب ٢٩١/١٤.

(٤) سورة آل عمران - ١٣.

(٥) التوقيف على مهمات التعاريف ص ١٧٣ لزين الدين محمد، بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين، القاهري المتوفى: ١٠٣١هـ، عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت. الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ١٩٩٠م، والكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوي ص ٤٨٠ لأيوب بن موسى الحسيني،

والإمالة بين خواطر النفس في تحصيل الرأي^(١) ومنه النظر المؤدى إلى الاعتبار نحو قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ^(٢)) وقوله تعالى: (بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ^(٣))

أي بما علمك^(٤) وفي المعجم الوسيط: " (الرأي) الاعتقاد والعقل والتدبير والنظر والتأمل ويقال رأيته رأي العين حيث يقع عليه البصر والرأي (عند الأصوليين) استنباط الأحكام الشرعية في ضوء قواعد مقررة وجمعه آراء"^(٥)

تعريف الرأي اصطلاحاً:

وقد عرفه الدكتور الذهبي قائلاً "يطلق الرأي على الاعتقاد، وعلى الاجتهاد والقياس، والمراد بالرأي هنا، الاجتهاد، فالتفسير بالرأي، عبارة من تفسير القرآن بالاجتهاد، بعد معرفة المفسر لكلام العرب، ومناحيهم في القول، ومعرفته للألفاظ العربية، ووجوه دلالتها واستعانتها في ذلك بالشعر الجاهلي، ووقوفه على أسباب النزول، ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن، وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسر"^(٦) وقال الإمام الزركشي: هو تفسير القرآن الكريم بالنظر إلى مفردات الألفاظ من لغة العرب ومدلولاتها واستعمالاتها بحسب السياق"^(٧)

الراجع: أما الراجع من التعريفات المذكورة عندي . والله أعلم . هو تعريف الدكتور الذهبي لأنه أجمع وأشمل لجميع جوانب.

شروط قبول التفسير بالرأي: ذكر الإمام الزركشي أربعة شروط لإباحة التفسير بالرأي وهي مما يلي .

١ - النقل عن رسول صلي الله عليه وسلم، وهذا هو النوع الأول ولكن ينبغي الحذر مما هو ضعيف وموضوع لأنه كثير .

٢ - الأخذ بقول الصحابي فإن تفسيره بمنزلة المرفوع إلى النبي .

٣ - والأخذ بمطلق اللغة فإن القرآن نزل بلسان عربي مبين .

٤ - الأخذ بما يقتضيه الكلام ويدل عليه قانون الشرع"^(٨)

الكفوي، أبو البقاء الحنفي المتوفى ١٠٩٤هـ)، تحقيق لعدنان درويش . محمد المصري، مؤسس الرسالة . بيروت، وتاج العروس من جواهر القاموس ١٠٩/٣٨ .

(١) التوقيف على مهمات التعاريف ص ٩٦ .

(٢) سورة الفرقان . ٤٥ .

(٣) سورة النساء . ١٠٥ .

(٤) المفردات في غريب القرآن ص ٣٧٥، وانظر: تاج العروس من جواهر القاموس ١٠٣/٣٨ .

(٥) المعجم الوسيط ص ٣٢٠ لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، ص ٢٩٩ ملفتي محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، الصدف ببلشرز .

(٦) التفسير والمفسرون للذهبي ١٨٣/١ .

(٧) البرهان في علوم القرآن للزركشي ١٧٢/٢ .

(٨) البرهان في علوم القرآن للزركشي ١٥٦/٢-١٥٧ .

فهذه شروط لقبول التفسير بالرأي لأن القرآن نزل على رسول الله فهو الذي يفهم ما نزل عليه ويبين غوامضه ويبين حقيقته ثم الصحابة وهم المخاطبون في أول الفرصة وهم الذين يسألون عن رسول الله إذا أشكل عليهم شيء منه ولهذا أمثلة كثيرة عندنا ثم الأخذ بمطلق اللغة لأن اللغة التي نزل عليه القرآن لها قواعد متميزة وعباراتها غير عبارات اللغات الأخرى.

أحمد الدين وتفسيره لمسائل الاعتقادية بالرأي:

اتخذ أحمد الدين (منهجاً عقلياً ومنهجاً الراي) في تفسير المسائل الاعتقادية فلذا أخطأ في تفسير الآيات التي تبين معجزات الأنبياء لأن تفسيرها توقيفية منصوبة من الله ورسوله لا مجال فيه لعقل ورأي حرّ مطلقاً فنتيجة لهذا المنهج أنكر المفسر الأحاديث النبوية ذكرت إلى بعض منها ثانياً هذه الرسالة ويجدر بنا أن نذكر قوله في هذا الصدد: أنه لا بد لمفسر القرآن في تفسيره من العقل والمشاهدة لأن الأنبياء يشرعون حسب فهمهم وهناك مجال واسع لأولي الأبصار من العلماء وعامة الناس لتدبر واجتهاد في أمور كثيرة بدليل قوله تعالى: (وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ) ^(١) الآية ^(٢)

ولذا يفسر قوله تعالى حم ﴿١﴾ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ ^(٣) بقوله: فصل القرآن كل ما يحتاج إليه البشرية تفصيلاً وافياً فلا ضرورة إلى غيره. أي غير القرآن. من مصادر الهداية والرشاد وهناك حاجة ماسة للبحث والتحقيق واستعمال عقل ورأي في المسائل الفرعية ليس لأحد إنكاره ومنع الآخر منه ^(٤)

وهكذا يقول في تفسير الآية: ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ^(٥) أنها تدل على إثبات استدلال بالمعقول والذين يعكفون بمفاهيم الألفاظ وتفسير الكلمات فقط هم ضالين مضلين ^(٦) ويشرح قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ۚ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ۚ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ ^(٧) أنه لا بد أن يكون تفسير القرآن بالمشاهدات الكونية والفطرية التي فطر الله عليها ^(٨)

موقف الجمهور من تفسير القرآن بالرأي في المسائل الاعتقادية

(١) سورة الشورى - ٣٨.

(٢) انظر: تفسير بيان للناس ٣٨/٢.

(٣) سورة فصلت ١ - ٤.

(٤) انظر: تفسير بيان للناس ١٨٩/٦.

(٥) سورة الأعراف - ١٧٤.

(٦) انظر: تفسير بيان للناس ٢٨٥/٢.

(٧) سورة الرعد ٨ - ١٠.

(٨) انظر: تفسير بيان للناس ١٤٥/٣.

عند العلماء، التفسير بالرأي على نوعين:

أحدهما_ الرأي المحمود:

هو جارٍ على موافقة كلام العرب وموافقة الكتاب والسنة فهذا لا يمكن إهمال مثله لعالمٍ لأُمورٍ وهذا ملخص ما قاله.

الأول: ولا بد في الكتابة من بيان المعنى، واستنباط الأمر، وتفسير كلمة، وقول الشيء بفهم المعنى، وكل هذا لم يصدر عمن سبقوه، فإما أن تتعطل الأحكام بالتوفيق أو لا بد من القول بما يليق.

والثاني: لو كان النبي بين لنا كل شيء فلا مجال لأحد في الاجتهاد والمعلوم أنه لم يفعل ذلك فدل على أنه ترك كثيراً مما يدركه أرباب الاجتهاد باجتهادهم

والثالث: أن الصحابة كانوا أولى بالاحتياط من غيرهم، وقد علم أنهم فسروا القرآن على ما فهموا، ومن جهتهم بلغنا تفسير معناه والتوقيف ينافي هذا.

والرابع: أن النظر في القرآن من جهتين:

أ- من جهة الأمور الشرعية فقد يسلم القول بالتوفيق فيه وترك الرأي والنظر جدلاً

ب- ومن جهة المآخذ العربية وهذا لا يمكن فيها التوقيف

ثانيهما: وهو الرأي المذموم:

أي غير الجار على موافقة اللغة العربية أو الأدلة الشرعية فهذا هو الرأي المذموم من غير إشكال لانه تقول على الله من غير برهان فيرجع إلى الكذب على الله^(١) ونجد أن الإمام ابن القيم رحمه الله يذكر لنا أنواعاً للرأي المذموم أو الباطل كالآتي:

أحدها: الرأي الذي يخالف النص، وهذا هو الشيء الذي يجب أن يكون باطلاً، وباطلاً من دين الإسلام، ولا يجوز الإفتاء به أو القضاء، حتى لو وقع فيه أحد بنوع من التأويل والتفسير أو تقليد

النوع الثاني: هو الكلام في الدين بالحرص وشبهة، مع وجود نقص في العلم والإهمال في معرفة النصوص وفهمها، واستنباط الأحكام منها، وفي هذا يقيم رأيه. بل المجرد قدر جامع يربط بين شيئين، فالحق يقودهما إلى آخر، أو المجرد قدر فاصل، رؤيتهما كالفارق بينهما في الحكم من غير نظر إلى النصوص والآثار فقد وقع في الرأي المذموم الباطل.

النوع الثالث: آراء تتضمن تحريف أسماء الله وصفاته وأفعاله بلمقاييس الباطلة يروجها أهل البدع والضلال كالجهمي والمعتزلة والقدرية ومقلديهم. وبقياساتهم الفاسدة وظنونهم الخاطئة وشككهم في رفض النصوص الصحيحة الواضحة،

(١) انظر: الموافقات للشاطبي ٤/ ٢٧٧ - ٢٨٠ بتصرف يسير.

رفضوا ألفاظ النصوص التي وجدوا سبيل إلى تكذيب رواتها وتخطتتهم، ومعاني النصوص التي لم يجدوا إلى رد ألفاظها سبيلاً فقابلوا النوع الأول بالتكذيب والنوع الثاني بالتحريف والتأويل فأنكروا لذلك رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة وأنكروا كلامه وتكليمه لعباده وأنكروا مباينته للعالم واستواءه على عرشه وعلوه على المخلوقات، ولهذا حرفوا النصوص من مكانها، وأخرجوها من معانيها وحقائقها بآراء مجردة، هي في حقيقتها قذارة العقول، وقذارة الأفكار، وقذارة الآراء. وهذا همس الصدور، فملأوا الصحف مداداً سواداً، والقلوب شگاً، والدنيا مفسدة، وكل من له مسكة من عقل يعلم أن فساد العالم وخرابه إنما نشأ من تقديم الرأي على الوحي والهوى على العقل وما استحکم هذان الأصلان الفاسدان في قلب إلا استحکم هلاكه، وفي أمة إلا فسد أمرها أتم فساد.

النوع الرابع: الرأي الذي أحدثت به البدع، وغيّرت به السنن، وعم به البلاء وترى عليه الصغير، وهرم فيه الكبير، فهذه الأنواع الأربعة من الرأي الذي، اتفق سلف الأمة وأئمتها على ذمه وإخراجه من الدين.

النوع الخامس: والنوع الخامس هو الذي ذكره أبو عمر بن عبد البر عن عامة العلماء. فالرأي المذموم في هذه الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين هو بيان الأحكام الشرعية والأحكام الشرعية على الإثبات والشك، والاشتغال بالمحافظة على العضلات والأخطاء، وتجاه بعضها البعض، ويجب وصف الفروع بالظن دون الرجوع إلى أصولها، والبحث عن أسبابها والنظر فيها، فاستعمل فيها الرأي قبل أن ينزل^(١)

نماذج من آراء الكلامية لدى أحمد الدين في المسائل الاعتقادية معذرموقف الجمهور:

النموذج الأول: خروج آدم وحواء عليهما السلام من الجنة وموقف أحمد الدين فيه: قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(٢) المراد بالجنة عند أحمد الدين في الآية المذكورة الراحة النفسية وسرورها أي الإطمينان القلبي والحالة الرفيعة المرموقة بدليل تفسير الكلمة (أهبطوا) يعني انزلوا إلى حالة أدنى من حالة الأعلى التي كنتما فيها ويفسر لفظ (الشَّجَرَةَ) باختلاف فمعنى الآية فلما اختلفا أهبطا من حالة الرفيعة إلى الأدنى لأن الجنة. الحالة الرفيعة والإطمينان القلبي. ليس محل الخلاف والشقاق الذي عبّر بلفظ الشجرة في الآية^(٣)

التفصيل في هذه المسألة:

بعد أن أمر الله الملائكة بالسجود لآدم أمر آدم أن يسكن الجنة بقوله "وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة" أي لازم الإقامة واتخذها مسكناً وذلك بعد إخراج الله تعالى إبليس من الجنة بكفره وإبعاده^(٤)

(١) انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين ١/٥٤. ٥٥. لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ. ١٩٩١م؛ بتصرف يسير.

(٢) سورة البقرة - ٣٥.

(٣) انظر: تفسير بيان للناس ١/١٧٨. ١٧٩.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن المعروف بتفسير القرطبي ١/٢٩٨.

وقال المفسرون أن اتخاذ الجنة مأوى ومنزلاً ليس معناه الاستقرار لأنه لم يقل اسكنتك الجنة لأنه خلق لعمارة الأرض ولما أسكن الله آدم في الجنة بقي وحده ليس معه من يستأنس به، ويجالسه، فالتقى الله عليه النوم ثم خلق زوجه من ضلعه الأيسر من غير، أن يحس بذلك آدم، ولم يجد ألماً. ولو وجد ألماً لما عطف رجل على امرأة قط. وسميت حواء لأنها خلقت من حي فلما استيقظ آدم من نومه ورأها جالسه كأحسن ما خلق الله تعالى فقال لها من أنت؟ قالت، زوجتك حواء، وقال ولماذا خلقت؟ قالت لتسكن إليّ وأسكن إليك^(١) وقوله تعالى: (وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا) أي وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا من الجنة رزقاً واسعاً هنيئاً من العيش حيث شئتما^(٢) وقوله ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ نهي عن أكل ثمار شجرة مخصوصة لكن اختلف أهل التأويل في عين تلك الشجرة فقال بعضهم هي السنبلة وقال آخرون هي الكرمة وقيل غير ذلك

والصواب في ذلك أن يقال: إن الله نهي آدم وزوجته، عن أكل شجرة بعينها من أشجار الجنة دون سائر الأشجار، فخالفاً إلى ما فأكلا منها، ولا علم عندنا أي شجرة كانت على التعيين لأن الله لم يضع لعباده دليلاً على ذلك في القرآن^(٣) وإلى ذلك ذهب أكثر المفسرون وهو الحق لأن في ذلك ليس للعقل مجال حتى يختار شجرة مخصوصة وما نقل إلينا أخبار عن الصدوق والمصدوق فليس عندنا مرجع غير ذلك حتى نصدق ونعتمد عليه والله أعلم.

اختلف أهل التأويل في الجنة التي أسكنها آدم وزوجه إلى أقوال نذكرها كالآتي:

- ١- قول الجمهور من أهل السنة والجماعة، أنها دار الثواب وجنة الخلق التي وعد الله المؤمنين والمصدقين رسله، وأنها موجودة في العالم العلوى، واستدلوا بذلك على وجوه.
- أ- أن الألف واللام في لفظ الجنة لا يفيدان العموم، لأن سكنى جميع الجنان محال، فلا بد من صرفها إلى المعهود السابق، والجنة التي هي المعهودة المعلومة بين المسلمين، هي دار الثواب، فوجب صرف اللفظ إليها^(٤)
- ب- واحتج القائلون بأنها جنة الخلد بما روي عن رسول عليه السلام قال: "يجمع الله تعالى الناس فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة فيأتون آدم فيقولون، يا أبانا استفتح لنا الجنة فيقول، وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم؟ وذكر الحديث^(٥) قالوا هذا يدل على أن الجنة التي أخرج منها، هي بعينها التي يطالب منه أن افتتاحها^(٦) وفي حديث الصحيحين، احتجاج آدم وموسى، وقول موسى، أخرجتنا من الجنة ولو كانت في الأرض منهم قد خرجوا

(١) انظر: تفسير الخازن ٣٨/١.

(٢) يراجع: جامع البيان للطبري ٥١٦/١.

(٣) انظر: جامع البيان للطبري ٥٢٠/١، ٥٢١ بتصرف.

(٤) التفسير الكبير للرازي ٤٥٢/٣.

(٥) صحيح مسلم ١٨٦/١ كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها عن حذيفة.

(٦) انظر: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ص ٢٦ لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية المتوفى ٧٥١هـ، طبعة المدني، القاهرة.

من بساتين، فلم يخرجوا من الجنة، وكذلك قول آدم للمؤمنين يوم القيامة، وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم وخطيئة لم تخرجهم من جنات الدنيا^(١).

وقد وصف الله سبحانه جنة آدم بصفات التي لا موجد في جنة الخلد فقال ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَوْنَكَ لَا تَضْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى﴾^(٢) وهذا لا يكون في الدنيا أصلاً لأن الإنسان في الحياة الدنيا يعرض لذلك دائماً ولا يبقى دون ضرر^(٣).

ج- تلك الجنة لو كانت في الدنيا لعلم آدم كذب إبليس حيث تأكد به إلى شجرة الخلد^(٤).

هكذا استدلو بروايات متعددة نكتفي بهذا ونأتى إلى شبهات المنكرين والرد عليهم

١. قال أبو مسلم الأصفهاني: هذه الجنة، كانت في الأرض، واحتج عليها بوجوه.
- أ- لو كانت هذه الجنة دار الثواب، لكانت جنة الخلد، ولو كان آدم في الجنة الخلد لما غلب عليه كذبالشيطان بقوله: ﴿هَلْ أَذُكُّ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾ والجواب، أن دخول إبليس الجنة، لا يستحل لتعزير آدم.
- ب- أنه من يدخل جنة الخلد فلا يخرج منها قوله (وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ) والجواب، الخروج من الجنة فليس محال، وقد دخل الملائكة والنبي ليلة أسرى، ثم خرج منها، وأخبر بما فيه.
- ج- أن الجنة التي هي دار الثواب لا يفنى نعيمها لقوله (أَكُلْهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا)
- د- أنه لا يجوز في حكمته تعالى أن يبتدىء الخلق في الجنة، ولا تكليف لجواب هذه الشبهة، أن هذا إذ دخل المؤمنون يوم القيامة، كما يدل عليه سياق الآيات كلها.
- ذ- إن الجنة دار جزاء وثواب، لا دار تكليف، فكيف كلف الله آدم بالنهي عن الأكل الشجرة، فدل على أن تلك الجنة دار التكليف لا دار خلود.
- وأجاب منه ابن القيم رحمه الله من وجهين.

أحدهما: أنه إنما تمتنع أن تكون دار تكليف إذا دخلها المؤمنون يوم القيامة، فحينئذ ينقطع التكليف وأما وقوع التكليف فيها دار الدنيا فلا دليل على امتناعه البتة، كيف وقد ثبت عن النبي أنه قال: دخلت البارحة الجنة فرأيت امرأة تتوضأ إلى جانب قصر فقلت لمن أنت... الحديث^(٥) وغير ممتنع أن يكون فيها من يعمل بأمر الله.

(١) نفس المرجع.

(٢) سورة طه ١١٨-١١٩.

(٣) انظر: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ابن قيم الجوزية ص ٢٧.

(٤) نفس المرجع.

(٥) الحديث مخرّج في صحيح البخاري في عدة مواضع؛ منها ١١٧/٤ بلفظ؛ عن أبي هريرة قال: بينا نحن عند رسول الله، إذ قال: "بيننا أنا نائم رأيتني في الجنة، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر فقلت: لمن هذا القصر؟ فقالوا: لعمر بن الخطاب فذكرت غيرته فوليت مدبراً، فبكى عمر وقال: أعليك أغار يا رسول الله"، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة.

الوجه الثاني: أن التكليف هذا، لم يكن كالتي، يكلف بها الناس في الدنيا من الصيام والصلاة والجهاد ونحوها، وإنما كان في شجرة واحدة من جملة أشجارها، وهذا القدر لا يمتنع وقوعه في دار الخلد، وهذا لا يدل على مطلوبكم^(١) وقد أجب عن جميع هذه الشبهات بأجوبة يطول ذكرها وننقل إلى ذكر القول الثالث.

٢. وهو قول الجبائي: أن تلك الجنة كانت في السماء السابعة إلى السماء الأولى، والإهباط الثاني كان من السماء إلى الأرض^(٢).

٣. أن كل هذا ممكن، والأدلة النقلية ضعيفة ومتعارضة، فوجب التوقف، وذهب إلى ذلك أبو حنيفة، وأبو منصور الماتريدي، في تفسيره المسمى بتأويلات أهل السنة حيث قال "ثم لا يدرى ما تلك الجنة التي أمر آدم وحواء بالسكون والمقام فيها: أهي التي وعد المتقون أو جنة من جنات الدنيا إذ ليس في الآية بيان ذلك"^(٣).

بعد ذكر هذه الآراء مع الدلائل يبدو لي . والله أعلم . أن يكون القول الأول راجحاً وذلك نظراً إلى دلائلهم القوية الثابتة بالأخبار قال ابن جرير عن مجاهد: (وَلَا تَقْرَبَاهُذِهِ الشَّجَرَةَ) تينة قال: (اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ) وقد اختلف في الجنة التي أسكنها آدم أهي في السماء أم في الأرض؟ والأكثر على الأول، اما المعتزلة والقدرية فوهم بأنهم في الأرض^(٤) ويفسر الماوردي عن الجنة، وخروج آدم وحواء عليهما السلام، عنها، حيث يقول ذكر الآية قوله تعالى: (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ) واختلف في الجنة التي أُسْكِنَاهَا على قولين:

الأول: أنها جنة الخلد.

الثاني: أنها جنة، أعدها الله لهما، والله أعلم. قوله: (وَلَا تَقْرَبَاهُذِهِ الشَّجَرَةَ) وفي الشجرة التين، أربعة أقاويل.

(١) انظر: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم ص ٤٢ - ٤٣ ..

(٢) التفسير الكبير ٤٥٢/٣.

(٣) تأويلات أهل السنة والجماعة ١٠٦/١.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير ٢٣٤/١.

أولها: قول ابن عباس رضي الله عنه أنها البر.

والثاني: وقول السدي^(١) وجعدة بن هبيرة أنها الكرم.

والثالث: قول ابن جريج وعن بعض الصحابة، أنها التين وهذا.

والرابع: هي شجرة الخلد، التي تأكل منه الملائكة^(٢).

أقول: شتان بين رأي أحمد الدين وحقائق الشرعية والإيمان بالأمور الغيبية التي من أركان الإيمان والعقيدة الصحيحة ولا يخفى على المتعمق في نصوص الشريعة وأراء جمهور المفسرين والمؤمن بيوم الدين أن يتردد في وجود الجنة التي أسكن الله فيها آدم وحواء.

أما إنكار المصنف الجنة وحقيقتها وتعبيرها بالحالة الرفيعة والإطمينان القلبي والاستدلال بالآيات تقدم ذكرها عند بيان موقفه لا تحتاج مزيد من المناقشة لوضوح بطلانه ومعارضته الحق والله أعلم.

النموذج الثاني: ذبح إبراهيم ابنه إسماعيل عليهما السلام وموقف أحمد الدين

يقول في قوله تبارك وتعالى ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ، قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ، إِنَّ هَذَا لَهُ الْبَلَاءُ الْمُبْتَلَى، وَقَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾^(٣) فهذا يدل أن تعبير الرؤيا ليس كحقيقتها ومشاهدتها كتعبير يوسف رؤيته^(٤) ورؤية صاحبي السجن^(٥) وعزيز مصر^(٦) وما إلى ذلك فهكذا ليس المراد من الرؤية إبراهيم ذبح ابنه^(٧) لأن الله منعه من ذبحه ولو كان كذلك لما منعه الله فالتعبير السديد للرؤياه أن حرر ابنك اسحاق لعبادة الله طول حياته^(٨)

أقول: ان هذه التفسير يخالف جميع التفاسير أهل السنة والجماعة لانني لما رجعت في هذه المشكلة إلى التفاسير المشهورة فوجدت تفسير هذه الآيات الكريمة مما يخالف من تفسير أحمد الدين كلا وسوف أذكر لكم هذه التفاسير فمنهم: أبي الحسن الماوردي الذي فسر. قوله تعالى: ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ، قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي

(١) هو إسماعيل بن عبد الرحمن السدي، تابعي حجازي الأصل. سكن الكوفة، صاحب التفسير والمغازي والسير. كان إماماً عارفاً بالوقائع وأيام الناس. انظر: الأعلام ١/٣١٧.

(٢) انظر: النكت والعيون المعروف بتفسير الماوردي ١/١٠٤٤، ١٠٥.

(٣) سورة الصافات ١٠٤/١٠٧.

(٤) قوله تعالى: (إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ) سورة يوسف ٣. ٥.

(٥) قوله تعالى: (وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أُحْمَلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) سورة يوسف ٣٦.

(٦) قوله: (وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ يِمَانٍ... أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنَّ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ). سورة يوسف ٤٣.

(٧) قوله تعالى: (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَابْنَئِي إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ) سورة الصافات ١٠٢.

(٨) تفسير بيان للناس ٦/٣٢.

الْمُحْسِنِينَ إِنَّ هَذَا هُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ، وَقَدْ يَنَازَعُهُ بِذَنْعٍ عَظِيمٍ ﴿١﴾ قال: "رؤيا الأنبياء في المنام وحي وناديه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا أي عملت ما رأيته في المنام، وفي الموضوع الذي أراد دمج فيه ثلاثة أقاويل كما يلي:
أحدها: بمكة. الثاني: في منى. الثالث: الشام. قاله ابن جريج. وهو إسماعيل، قاله ابن عباس رضي الله عنهما وعبد الله بن عمر (١) وأنه ذبحه بمنى، عند الجمار التي رمى إبليس،" (٢)

النموذج الثالث: قصة مريم عليها السلام وموقف أحمد الدين منها

لا يساوي موقف أحمد الدين من قصة مريم عليها السلام في قول الله تعالى: (كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَأْمُرُيْمُ أُنَى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) (٣) شيئاً لقوله: لقد ولدت مريم بعد وفات أبيها وكفلها زكريا وأسكنها في المحراب المكان الخاص به وعند غيابها عنها يأتي الناس إليها بالرزق ولا يأتون عند حضوره، وبهذا أنكر المصنف معجزة إتيان الرزق إليها من عند الله بلا واسطة وهذا من سوء فهمه وزيف عقله (٤) أما موقف بعض جمهور المفسرين من قوله تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَأْمُرُيْمُ أُنَى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ يقول الزمخشري قيل "بني لها زكريا محراباً أي غرفة في المسجد يصعد إليها بسلم، والمحراب أشرف المجالس، كأنها وضعت في أشرف موضع من بيت المقدس. وروى أنه كان لا يدخل عليها إلا هو وحده، وكان إذا خرج غلق عليها سبعة أبواب، وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا كَانَ رِزْقَهَا يَنْزِلُ عَلَيْهَا مِنَ الْجَنَّةِ، فكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء، أُنَى لَكَ هَذَا؟ من أين لك هذا الرزق الذي لا يشبه أرزاق الدنيا، والأبواب مغلقة عليك، لا سبيل للدخول به إليك؟ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ،" (٥)

ويقول الشوكاني قوله تعالى: (كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ) قدم الظرف للاهتمام به وكلمة: كل، ظرف والزمان محذوف وما، مصدرية أو نكرة موصوفة والعامل في ذلك قوله: وجد أي، كل زمان دخوله عليها وجد عندها رزقاً أي، نوعاً من أنواع الرزق والمحراب في اللغة: الموضع المقدس في المسجد. قاله القرطبي "قيل إن زكريا جعل لها محراباً، لا يرتقى إليه إلا بسلم، حتى كبرت فيه، وكان إذا دخل عليها، وجد عندها فواكه الشتاء في

(١) هو الإمام سعيد بن المسيب بن حزن القرشي، فقيه المدينة، أجل التابعين، كان واسع العلم وافر الحرفة، متين الديانة، قَوَالاً للحق، سمع من عمر، وروى عنه، وعن زيد، والسيدة عائشة وغيرهم. قال قتادة: ما رأيت أحداً قط أعلم بالحلال والحرام منه، وطاف مكحول بالأرض كلها في طلب العلم فما لقي أعلم منه. وكان الحسن إذا أشكل عليه شيء كتب إليه. ولسعة علمه بالسنة، قال ابن المديني: إذا قال سعيد: مضت السنة فحسبك به، وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله لا يقضي قضاء حتى يسأله. انظر: تهذيب التهذيب ٤/٨٤.

(٢) انظر: تفسير الماوردي ٥/٦٠ - ٦٢، وانظر: تفسير الكشاف للزمخشري ٤/٤٢.

(٣) سورة آل عمران - ٣٧.

(٤) انظر: تفسير بيان للناس ٤/١٠٩ - ١٣٦.

(٥) تفسير الكشاف للزمخشري ١/٣٥٨.

الصيف، وفواكهة الصيف في الشتاء، فقال يا مريم أنى لك هذا الرزق الذي لا يشبه أرزاق الدنيا؟ قالت هو من عند الله فليس ذلك بعجيب وجملة قوله: إن الله يرزق من يشاء بغير حساب^(١) وفي هذه المسألة نقاط:

النقطة الأولى: رؤية التاريخية عن ولادة عيسى، وموقف العلماء عنها، أي عن ولادتها: لقد كانت تلك التنشئة الطاهرة التي تكونت مريم في ظلها بريئة من دنس الرذيلة تمهيداً لإصطفاء الله تعالى لها دون العالمين وكل هذه الأمور كانت إرهامات، لذلك الأمر الخطير الذي تشير إليه إشارة سريعة قبل أن نذكر بالتفصيل. فإن هذا الأمر هو خطاب الملائكة بالبشارة، بأن الله تعالى سيرزقها الله ولدا طاهرا يكون نبيا كريما طاهرا شريفا تؤيده المعجزات، وتتعجب بوجود ابن، لأنها ليس لها زوج وهي من هؤلاء الذين يتزوج منهم . وأخبرته الملائكة أن الله قادر على ما يشاء، وأنه إذا قضى أمراً فإنما يقول: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ..... إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٢)

وذلك هو إختبار الله تعالى لأن تكوناً لمن يولد من غير نطفة آدمية إذ أن ولادته من غير أب من أم كانت حياتها كلها للنسك والعبادة والعكوف على التقوى لأمر يؤكد ما وصلت إليه تحت ظل نبي من أنبياء الله تقطع الريب والإفك وتجعل المؤمن يؤمن بآية الله الكبرى في هذا الكون بالبشارة بالسيد المسيح وكانت من عاداتها الخروج من الهيكل لبعض حاجاتها وفي هذا المقام تتوارد أقوال وتفسيرات حول الخروج^(٣)

وكانت تمضي الأيام على هذا النهج، وهي تعبد الله وتخدم الهيكل على نوبتها حق الخدمة، وكلما يمر يوماً تزداد في عمرها يوماً حتى "لما بلغت عليها السلام مبلغ النساء وأصبحت في سن الثالثة عشر من العمر وقد خرجت يوماً من محرابها لبعض شئونها وانفردت شرقي المسجد الأقصى ترويحاً عن النفس وطلباً للراحة"^(٤) وهذا ما ورد على لسان بعض المؤرخين وقد ذكر البعض الآخر "بأنها لما بلغت مبلغ النساء دخل عليها زكريا فقالت له إني رأيت أمراً قبيحاً يعنى أتاها الحيض، فأمرها أن تكون عند خالتها"^(٥) حتى تظهر وكان هذا هو الحيض الأول عندما بلغت الثالثة عشر من العمر أو الخامسة عشر ولما بدت علامات الطهارة أرادت الإغتسال فخرجت إلى عين ماء وانفردت عن قومها للغسل إستحياء^(٦) لا حاجة لنا لتعيين العمل الذي خرجت له بل نقول كما قال القرآن الكريم بأنها خرجت

(١) فتح القدير للشوكاني ٣٨٥/١.

(٢) سورة آل عمران ٤٢-٤٦.

(٣) البداية والنهاية ٤٣٩/٢، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، (الدمشقي المتوفى ٧٧٤هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، طبعة الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، سنة النشر: ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م.

(٤) النبوة والأنبياء للصابوني، ص ١٩٠، البداية والنهاية، ص ٥٩، المجلد الأول، لا خلاف بين الكتابين إلا ذكرناها بتغيير يسير.

(٥) كتاب قصص الأنبياء عليهم السلام محمد بن عبد الله الكسائي المجلد الثاني، ط لندن، سنة ١٩٣٢ م. تصحيح إسحاق بن ساوول إيزنبرغ.

(٦) بدائع الزهور في وقائع الدهور لأبي البركات محمد بن أحمد بن أبياس الحنفي، ص ٢٢٢، مطبع شركة مكتبة مصطفى البابي، سنة ١٩٥٠ م ط الثالثة تفسير عثمان، ص ٣٩٧، ٣٩٦.

من بيت المقدس وكانت بعيدة من أهلها إذ بعث الله إليها الروح الأمين جبرئيل، كما قال تعالى: ﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّخَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ (١)

فقد راعها جبرئيل في صورة شاب جميل، مكتمل الرجولة قد تسرر عليها خلوتها، فظنت مريم بالشباب ظن السوء وخشيت أن يكون قد أراد منها ما يريد الرجل من المرأة فقالت له ﴿قَالَتُ لِيَّ أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ تَقِيًّا﴾ (٢) فأجابها بأن الأمر ليس كما ظننت وأنه لم يرد بها سوء وأنه ليس من البشر بل هو رسول رب العالمين جاء ليهبها غلاماً زكياً قال ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ (٣) وحينئذ تمكنها العجب بأن كيف يكون لها غلام دون أن تنتهياً الأسباب العادية لوجود الزواج الشرعي أو الإتصال الجنسي ولا شك أنها تعرف نفسها وتذكر كل الإدراك مدى الطهر والعفاف الذي حصنها الله به ليس هذا فحسب، بل والحصانة الخلقية التي كرمها الله تعالى بها ومن هنا جاء العجب وكانت الدهشة كيف يكون لها غلام ولم يمسه بشر؟ كما أنبأنا الله تعالى بذلك ﴿قَالَتُ أَلَيْسَ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُنْ بِعِيبٍ﴾ (٤) لكن الملك المرسل من عند الله أذهب عن نفسها هذا العجب كله حينما قال لها ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّئْ﴾ (٥) وهي إجابة واضحة الدلالة على قدرة الله الذي لا يعجزه شيء ثم إزداد تعريفاً بالحكمة من خلق هذا الغلام فقال: ﴿وَلَنَجْعَلَنَّ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾ (٦)

ولا شك أن خلق عيسى على هذا الوضع آية بالغة على كمال قدرة الله على أنواع الخلق فإنه تعالى خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى وخلق حواء من ذكر بلا أنثى وخلق بقية الخلق من ذكر وأنثى ولما كانت الحكمة من الله تعالى تقتضي الخلق من العدم خلق عيسى عن غير أب فكمثل بدائع حكمته (٧) كما في قوله تعالى ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٨)

النقطة الثانية: موقف جمهور المفسرين من ولادة عيسى عليه السلام

قال الشوكاني "﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ هو جبرئيل وقيل، هو روح عيسى، لأن الله سبحانه خلق الأرواح قبل الأجساد، والأول أولى لقوله (فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا) أي تمثل جبرئيل لها بشراً مستوياً الخلق لم يفقد من نعوت بني آدم شيئاً قيل ووجه تمثل الملك لها بشراً أنها، لا تستطيع أن تنظر إلى الملك وهو على صورته، فلما رآته في صورة

(١) سورة مريم ١٦-١٧.

(٢) سورة مريم، الآية: ١٨، إن مثل عيسى د. حسن عزالدين، ص ٧٨.

(٣) سورة مريم - ١٩.

(٤) سورة مريم - ٢٠.

(٥) سورة مريم - ٢١.

(٦) سورة مريم - ٢١.

(٧) بدائع الزهور في وقائع الدهور، محمد ابن إياس الحنفى المصري ص ٢٢٣.

(٨) سورة آل عمران - ٥٩.

إنسان، ظنت أنه يريد بها بسوء فاستعادت بالله منه ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ تَقِيًّا﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ ﴿أَيُّ﴾ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ مَنْ رَبِّكَ الَّذِي اسْتَعَدْتُ بِهِ، وَلَسْتُ مِمَّنْ يَتَوَقَّعُ مِنْهُ إِirَادَةُ السُّوءِ ﴿لَأَهْبَبَ لَكَ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ جعل الهبة من قبله لكونه سبباً فيها من جهة ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ أي لم يقربني زوج ولا غيره (وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا) البغي هي الزانية التي تبغى الرجال أي لم يمسسني بشر وقيل: إن المس عبارة عن النكاح الحلال وعلى هذا لا يحتاج إلى بيان وجه قولها: (وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا) وما ذكرناه من شموله أولى باستعمالات أهل اللغة وما يوجد في محاوراتهم مما يطول تعداده اه (وَلَنَجْعَلَنَّ آيَةً لِلنَّاسِ) أي ولنجعل هذا الغلام أو خلقه من غير أب آية للناس يستدلون بها على كمال القدرة قوله سبحانه: (هُوَ عَلَيَّ هَيِّئْ) وجملة ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّئْ﴾ مستأنفة والقائل هو الملك والكلام فيها كالكلام فيما تقدّم من قول زكريا وقوله: (وَرَحْمَةً مِنَّا) لأن كل نبي رحمة لأُمته (وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا) أي وكان ذلك المذكور أمراً مقدراً قد قدره الله سبحانه وجف به القلم (فَحَمَلْنَاهُ) ها هنا كلام مطوي والتقدير، فاطمأنت، فدنا منها فنفخ في جيب درعها فوصلت النفخة إلى بطنها فحملته وقيل: كانت النفخة في ذيلها وقيل: في فمها قيل، إن وضعها كان متصلاً بهذا الحمل من غير مضي مدة الحمل ويدل على ذلك قوله: (فانتبذت به مكاناً قصياً) أي تنحت واعتزلت إلى مكان بعيد والقصيّ هو البعيد (فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ) أي ألجأها واضطرها^(١)

وقال السمرقندي في تفسير الآيات ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ . قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ تَقِيًّا . قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهْبَبَ لَكَ غُلَامًا زَكِيًّا. قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا . قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّئْ وَلَنَجْعَلَنَّ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا^(٢) ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ يعني: بعثنا إليها جبريل ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ يعني: تشبه لها في صورة شاب تام الخلق فدنا منها فأنكرت مريم مكان الرجل ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ تَقِيًّا﴾ (قَالَتْ مَرْيَمُ لَجَبْرِيلَ: ﴿أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾ يعني من أين يكون لي ولد؟) (وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ) يعني لم يقربني زوج (وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا) يعني لم أك فاجرة، قال، لها جبريل (كذلك) يعنيهكذا كما قلت ﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّئْ﴾ يعني خلقه عليّ يسير ﴿وَلَنَجْعَلَنَّ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ يعني: عبرة لبني إسرائيل (وَرَحْمَةً مِنَّا) أي ونعمة منا (وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا) يعني قضاء كائناً^(٣)

(١) انظر: تفسير فتح القدير ٣/٣٢٧ - ٣٢٨، وانظر: تفسير البضاوي ٩/٤، ١٠.

(٢) سورة مريم ١٦ - ٢١.

(٣) انظر: بحر العلوم المعروف بتفسير سمرقندي ٣٧١/٢.

المقارنة بين الموقفين:

ذكرت موقف أحمد الدين من مسألة ولادة عيسى ونقلت تفاسير المفسرين فيه أيضا فعرفنا ان الشيخ أحمد الدين قائم على عقيدته على ان الولد بدون الاب ليس ممكن ويفسر الآيات الواردة في ولادة عيسى بالرأي حتى يأول المحكماتلان الشيخ دائما يفسر بالعقل والرأي وأما موقف المفسرين فلا خلاف بينهم في تفسير الآيات الواردة حول ولادة عيسى بأن ولادته بدون الأب معجزة الهية منصوصة في القرآن

النموذج الخامس: قصة ابن نوح عليه السلام وموقف أحمد الدين منها

موقف أحمد الدين: تفسير أحمد الدين قوله: ﴿قَالَ يَأْتِيكَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ . قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(١) من هفواته التي ما أنزل الله بها من سلطان يقول . والعياذ بالله . إن المراد بقوله (إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ) يعني ليس ابنك بل هو ولد من الزنا. ويؤيد رأيه هذا بتفسير قوله: ﴿فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ أنه لا تسأل عن فعل وقع من قبل ولا يفيد بيانه وعلمه بعد مضي وقته ولا يناسب لني أن يسأل عن شيء غير مفيد ثم يقول بكل صراحة ووضوح أن زوجة نوح ليست كافرة فقط بل كانت خائنة كذلك ويستدل بقوله: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾^(٢) فإذا ثبت احتمال ارتكاب الفاحشة من زوجات النبي فكيف ينكر في حق زوجة نوح ولو لا هذا الإحتمال لما فائدة بيان مضاعفة العذابوبطلان هذا التفسير والرأي واضح وسيزيد الوضوح هذا البطلان بعد التتبع في آراء جمهور المفسرين التالي ذكرهم^(٣)

رأي جمهور المفسرين عن تفسير قصة ابن نوح : منهم المودودي يقول: المراد من قوله هو أن أخلاقه فاسدة وأنه مشرك ولا المقصود أنه ليس ابنه الحقيقي بل أن المشرك لا يكون أهلا من الأسرة الصالحة لأن الرابطة تكون دينية وما يحكم به الآن فهي حكم بين الإيمان والكفر وبين الهداية والضلال^(٤)

قال الشوكاني"معنى ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ﴾ دعاه والمراد، أراد دعاءه بدليل الفاء في ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ وعطف الشيء على نفسه غير سائغ فلا بد من التقدير المذكور ومعنى قوله(إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي) أنه من الأهل الذين وعدتني بتنجيتهم بقولك: وأهلك فإن قيل: كيف طلب نوح إنجاز ما وعده الله بقوله: (وَأَهْلَكَ) ثم أجاب الله سبحانه عن نوح ببيان أن ابنه غير داخل في عموم الأهل وأنه خارج بقيد الاستثناء فقال: (يَا نُوحُ إِنَّهُ

(١) سورة هود ٤٦ - ٤٧ .

(٢) سورة الأحزاب . ٣٠ .

(٣) انظر: تفسير بيان للناس ٣ / ٦٦ - ٦٧ .

(٤) انظر: تفهيم القرآن ١ / ٢٤٣ - ٢٤٢ .

لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ) الذين آمنوا بك وتابعوك وإن كان من أهلك باعتبار القرابة ثم صرح بالعلة الموجبة لخروجه من عموم الأهل المبينة له بأن المراد بالقرابة قرابة الدين لا قرابة النسب وحده فقال: إنه عمل غير صالح قرأ الجمهور: عمل على لفظ المصدر وقرأ ابن عباس وعكرمة والكسائي ويعقوب: عمل على لفظ الفعل ومعنى القراءة الأولى المبالغة في ذمه كأنه جعل نفس العمل وأصله ذو عمل غير صالح ثم حذف المضاف وجعل نفس العمل كذا قال الزجاج وغيره ومعنى القراءة الثانية ظاهر أي: إنه عمل عملاً غير صالح وهو كفره وتركه لمتابعة أبيه^(١)

وهكذا فسر أبو السعود: (وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ) أي أراد ذلك بدليل الفاء في قوله تعالى (فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي) وقد وعدتني إنجاءهم في ضمن الأمر بحملهم في الفلك أو النداء على الحقيقة والفاء لفتصيل ما فيه من الإجمال (وَأَنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ) أي وعدك ذلك قال (أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ) أي ليس منهم أصلاً لأن مدار الأهلية هو القرابة الدينية ولا علاقة بين المؤمن والكافر أو ليس من أهلك الذين أمرت بك بحملهم في الفلك لخروجه عنهم بالاستثناء بقوله تعالى (إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ) أصله إنه ذو عمل غير صالح فجعل نفس العمل مبالغة^(٢)

المصدر الثالث اللغة: استخدامه اللغة في تفسير الآيات القصص وفيه النماذج التالية:

النموذج الأول: قصة أصحاب الكهف

النموذج الثاني: قصة أبابيل

النموذج الثالث: تفسير قصة مجمع البحرين

النموذج الرابع: مسألة مدة تبليغ نوح قومه

تمهيد:

تفسير القرآن باللغة: نزل القرآن بلسان عربي مبين لكن ليس كل تعبير عربي غنياً عن البيان خصوصاً في مجال التشريع والتقنين الذي نرى تفصيله في السنة فلذا رتبط علوم الشريعة باللغة العربية ارتباطاً وثيقاً بحيث يستحيل على طالب اللغة العربية أن يعرف كنه هذه اللغة وأسرارها وأعماقها ما لم يعد إلى أصلها ومصادرها فالمراد بتفسير القرآن باللغة منهج التفسير الذي يهتم المفسر اهتماماً شديداً بالقراءة والقواعد حتى يقف على الصحيح منها لأنه ينبعث عن تحريف القراءة تحريف اللفظ القرآني المنزل ومن ثم تحريف المعنى وبالتالي الأحكام الشرعية على السواء.

موقف أحمد الدين من تفسير القرآن باللغة:

كدأب المصنف ومنهجه العقلي بحث ينكر أو يأول كل ما يخالف العقل ومن هذا القبيل انحرافه في تفسير (النملة) في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِيِ التَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَخْطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ﴾

(١) انظر: تفسير فتح القدير ٥٧٠/٢.

(٢) انظر: إرشاد العقل السليم، المعروف بتفسير أبي السعود، ٢١٢/٤.

وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ^(١) يقول: إن المراد بالنملة ليست نملة حقيقة التي دابة من دواب الأرض المعروفة بل هي اسم القبيلة ما زالت موجودة وتسكن في اليمن وكانت ترأسها المرأة التي جاءت لاستقبال سليمان فهي قائلة لهذه المقولة (يَا أَيُّهَا النَّملُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ) ويستدل أن مثل هذه الأسماء توجد لدى العرب نحو مازن اسم قبيلة المعروفة ومعنى المازن بيضة نملة. وحسب منواله زل المفسر في تفسير ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾^(٢) بأن المراد بالأبابل الحُمُر الوحشية (تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ) عند احساسهم وجود الحياة فيهم تدرجوا عليهم الحجارة من قمم الجبال حتى صاروا كعصف مأكول^(٣)

موقف جمهور المفسرين من تفسير القرآن باللغة

اللغة العربية والتفسير: روى البيهقي روى عن يحيى بن سليمان بن فضلة يقول: سمعت عن مالك بن أنس، يقول "ألا أوتى برجل غير عالم بلغات العرب، يفسر ذلك إلا جعلته نكالا"^(٤) فمن هذا الكلام المأثور عن إمام أهل المدينة المنورة "الذي قيل فيه لا يُفْتي ومالك في المدينة"^(٥) تتبين أهمية اللغة العربية ومكانتها في تفسير كتاب الله تبارك وتعالى، ونحن في هذا البحث: سنذكر أقوال كبار العلماء في اللغة والتفسير فيما يتعلق بموضوعنا هذا.

قال الإمام الشاطبي عند عقد المسألة المهمة "في بيان قصد الشارع في وضع الشريعة للأفهام" من أراد تفهم القرآن فمن جهة لسان العرب يفهم، ولا سبيل إلى تطلب فهمه من غير هذه الجهة، بأن القرآن نزل بلسان العرب، وإنه عربي وإنه لا عجمة فيه، فبمعنى أنه أنزل على لسان معهود العرب في ألفاظها الخاصة، وأساليب معانيها، وأنها فيما فُطرت عليه من لسانها" قد سبق ذكرها.^(٦)

ههنا مسائل من طريق التفسير باللغة

المسألة الأولى: منهج الصحابة في التفسير من طريق اللغة

(١) سورة النمل - ١٨.

(٢) سورة الفيل - ٣.

(٣) انظر: تفسير بيان للناس ٥٥/٥ لتفسير النملة، و٢٧١/٧ لتفسير الأبابل.

(٤) شعب الإيمان للبيهقي: (٤٥٨هـ)، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض، بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ.

٢٠٠٣ م.

(٥) انظر: مغني المحتاج، إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج لشمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي المتوفى: ٩٧٧هـ، ص ٤٧/٢ دار

الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.

(٦) الموافقات للشاطبي ١٠٢/٢، ١٠٣.

إن من منهج الصحابة في تفسيرهم للقرآن: أن يرجعوا إلى لغتهم التي نزل بها القرآن الكريم قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(١) الآية^(٢) فكان لا بد من فهم معانيه وإدراك مقاصده ومعرفة ألفاظه وجمليته وأساليبه من التبحر في لغته العربية الصافية الضافية.

ولهذا كان ملجأ الصحابة بعد رسول الله فيما لم يفسرهم لهم إلى لغتهم الأم "اللغة العربية" فهذا عبد الله بن عباس "ترجمان القرآن" يرجع في فهم كثير من الألفاظ القرآنية وتفسير الآيات الكريمة إلى اللغة العربية كان أحد أوعيتها الشعر العربي الجاهلي كما كان يغره يفعل ذلك حين تلجئه الحاجة إلى ذلك وهذا عمر بن الخطاب حين سأله رجل وهو يخطب على منبره عن تفسير آية من كتاب الله تعالى فيقوم رجل من العرب الأفحاح يطلب من عمر أن يسمح له بأن يُجيبه عما سأل مما يحفظ من أشعار قومه فيسمح له عمر بذلك وخبر هذا أورده الإمام الشاطبي: "في قوله تعالى: (أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ)^(٣) فإنه سئل عنه على المنبر فقال له رجل من هُذَيْل، التَخَوُّف عندنا التنقص ثم أنشده: (٤)

المسألة الثانية: ضوابط التفسير اللغوي

بما أن التفسير اللغوي للقرآن الكريم لا يخرج عن مفهوم التفسير النقلي^(٥). أي، بما نُقل عن العرب من لغة. فإن شروطه تكاد تكون مطابقة لشروط التفسير النقلي فلا ضرورة من إعادة ذكرها هنا^(٦)

فالتفسير اللغوي للقرآن الكريم ليس بتفسير حر مسترسل بل هناك قواعد وضوابط وضعها علماءنا للتفسير اللغوي للقرآن الكريم منهم الإمام القرطبي حيث نص في مقدمة تفسيره^(٧) عند كلامه عن ضوابط التفسير اللغوي يقول "والوجه الآخر أنه يسارع إلى تفسير القرآن ظاهرياً باللغة العربية، دون أن يتذكر سماع ونقل غرابية القرآن وما فيه من كلمات غامضة ومتغيرة. الاختصار والحذف والتعظيم والسبق والتأخير، فالإنسان الذي لا بيت في ظاهر

(١) سورة يوسف . ٢ .

(٢) لقد جاء الوصف بأن القرآن الكريم عربي في تسع آيات في: سورة النحل: ١٠٣، وسورة الشعرا: ١٩٥، وسورة فصلت: ٤٤٣، وفي سورة الرعد:

٣٧، وفي سورة طه: ١١٣، وفي سورة الزمر: ٢٨، وفي سورة الشورى: ٧، وفي سورة الزخرف: ٣.

(٣) سورة النحل . ٤٧ .

(٤) الموافقات للشاطبي ١٤٠/٢، وورد الشعر في ديوان تميم بن أبي تميم بن أبي بن مقبل من بني العجلان من عامر بن صعصعة أبو كعب، شاعر جاهلي أدرك الإسلام وأسلم فكان يكي أهل الجاهلية؛ وألفاظ الشعر المذكور عنده هكذا: تَخَوُّفَ الشَّيْءِ مِنْهَا تَامِكًا قَدْ كَمَا تَخَوُّفَ غُودَ النَّبْعَةِ السَّقْفُ التَامِكُ: السنام. والقرء: الذي تجعد شعره فكان كأنه وقاية للسنام. والنبع: شجرٌ للقسى والسهم: والسفن: كل ما ينحت به غيره.

(٥) نضرة الإغراض في نصرة القريرض ص ٢٩٨. لمظفر بن الفضل بن يحيى، أبو علي، العلوي الحسيني العراقي (ت ٦٥٦ هـ .

(٦) رواه البخاري في كتاب الأدب باب رقم ٩٠، والترمذي: أدب: ٦٩، وابن ماجه: أدب ٤١، والدارمي: استئذان ٦٨، والإمام أحمد،

١/٢٦٩، ٢٧٢، ٣/٤٥٦، ٥/١٢٥.

(٧) تفسير القرطبي ٣٤/١.

التأويل ويسارع إلى استخلاص المعاني فقط بفهم اللغة العربية، يرتكب أخطاء كثيرة، و لم يحكم ظاهر التفسير وبادر إلى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية، كثر غلظه ودخل في زمرة القرآن، بالرأي^(١)

ثم أضاف "لابد لنقل والسماع في ظاهر التفسير أولاً، ليتقي به مواضع الغلط، ثم بعد ذلك يتسع الفهم والاستنباط والغرائب التي لا تفهم إلا بالسماع كثيرة، ولا مطمع في الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر، ألا ترى أن قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا﴾^(٢) معناه آية مبصرة فظلموا أنفسهم بقتلها فالناظر إلى ظاهر العربية يظن أن المراد به أن الناقة كانت مبصرة ولا يدري بماذا ظلموا وأنهم ظلموا غيرهم وأنفسهم فهذا من الحذف والإضمار وأمثال هذا في القرآن كثير"^(٣)

وقال العلامة ابن قيم الجوزية "وينبغي أن يتفطن ههنا لأمر لا بد منه وهو أنه لا يجوز أن يحمل كلام الله عز وجل ويفسر بمجرد الاحتمال النحوي الاعرابي الذي يحتمله تركيب الكلام ويكون الكلام به له معنى ما فإن هذا مقام غلط فيه أكثر المعربين للقرآن فإنهم يفسرون الآية ويعربونها بما يحتمله تركيب تلك الجملة ويفهم من ذلك التركيب أي معنى اتفق وهذا غلط عظيم يقطع السامع بأن مراد القرآن وإن احتمل ذلك التركيب هذا المعنى في سياق آخر وكلام آخر فإنه لا يلزم أن يحتمله القرآن مثل قول بعضهم في قراءة من قرأ: ﴿وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ بالجر أنه قسم ومثل قول بعضهم في قوله تعالى: ﴿وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ إن المسجد مجرور بالعطف على الضمير المجرور في به ومثل قول بعضهم في قوله تعالى: ﴿لَكِنَّ الرَّاْسُخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾ إن المقيمين مجرور بواو القسم ونظائر ذلك أضعاف أضعاف ما ذكرنا وأوهي بكثير بل ان للقرآن عرف خاص، ومعان معهودة لا يناسبه تفسيره بغيرها، ولا يجوز تفسيره بغير عرفة، والمعهود من معانيه فإن نسبة معانيه إلى المعاني كنسبة ألفاظه إلى الألفاظ بل أعظم، فلا يجوز حمله على المعاني القاصرة بمجرد الاحتمال النحوي الإعرابي فتدبر هذه القاعدة"^(٤)

وقال الإمام ابن تيمية في الذين يفسرون القرآن بمجرد اللغة العربية "والذين فسروا القرآن فقط بالقول إنه يجوز لمتكلم العربية أن يستدل بكلماته دون متكلم القرآن الذي نزل عليه أو نزل عليه رأى ذلك، دون ان يتم

(١) تفسير القرطبي ٣٤/١، وروى الإمام الشاطبي في كتابه الموافقات ١٥٢/٤: "أن رجلاً جاء إلى ابن مسعود فقال: تركت في المسجد رجلاً يفسر القرآن برأيه، يفسر هذه الآية (يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ سُورَةُ الدُّخَانِ ١٠) قال: يأتي الناس يوم القيامة دخان فيأخذ بأنفاسهم حتى يأخذهم كهيئة الزكام، فقال ابن مسعود: من علم علماً فليقل به، ومن لم يعلم، فليقل: الله أعلم، إنما كان هذا، لأن قريشاً استعصوا على النبي فدعا عليهم بسنين كسني يوسف، فأصابهم قحط وجهد حتى أكلوا العظام، فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد". والأثر كذلك مروي في صحيح مسلم ٢١٥٦/٤ كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب الدخان.

(٢) سورة الإسراء ٥٩٠.

(٣) تفسير القرطبي ٣٤/١، وانظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي ١٥٥/٢، وغرائب القرآن، لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري المتوفى: (٨٥٠هـ)، ص ٦١ /تحقيق، الشيخ زكريا عميرات/دار الكتب العلمية - بيروت/ الطبعة الأولى /١٤١٦ هـ.

(٤) بدائع الفوائد لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية المتوفى: (٧٥١هـ)، ٢٧/٣، ٢٨ /دار الكتاب العربي/ بيروت.

التطرق؛ فالأولون راعوا الاعتبار المعنى دون النظر إلى المعنى والتفسير الذي تستحقه كلمات القرآن. والبعض الآخر اعتبر الألفاظ فقط، وعندهم يجوز استعمال اللغة العربية دون مراعاة لما يناسب المخاطب أو سياق الكلام^(١) فهؤلاء إذا أرادوا أن يفسروا هذه الآية الكريمة: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَسُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾^(٢) فإنه لا يتأتى معهم المعنى المراد من السياق وما يليق بحق الله تعالى من أنه سبحانه لا يأمر بالفحشاء والمنكر فلا يجوز قصر التفسير على معاني اللغة العربية فحسب بل يجب اعتبار ما سبق له الكلام وملاحظة المراد من النص ثم التنبيه لحق الله تعالى من تقديس ذاته العلية وتنزيه صفاته الكريمة عما لا يليق بالحضرة الإلهية، ومما يجب التنبيه له أنه ربما يصادف المفسر في تفسير المعنى مخالفة لتقدير الإعراب فما هو الواجب اتباعه في مثل هذه الحالة، يجب على هذه المسألة الإمام ابن جني^(٣) في كتابه الخصائص "باب في الفرق بين تقدير الإعراب وتفسير المعنى"^(٤)

نماذج من تفسير أحمد الدين القرآن باللغة

النموذج الأول: قصة أصحاب الكهف

قال الله عن أصحاب الكهف: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ۚ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۚ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۚ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾^(٥)

لم يعتبر أحمد الدين بعث أصحاب الكهف والرقيم معجزة إلهية، وأولها تأويلاً بعيداً؛ يقول: "إن الكهف كان مغلقاً ومسدوداً حيث لا يدخل فيه الهواء (أكسجين) O₂ فغشي أصحاب الكهف بسبب الغاز المسموم (ثاني كربون أكسيد) Cabondeoxide لعدم دخول الشمس والهواء وبُعثوا بعد نوم خمسة أيام. وأما قول الله تعالى ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾^(٦) في الحقيقة يتعلق بحكاية عن قول القائلين في الآية ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ سَبْعٌ﴾^(٧) والقصة التي رواها المفسرون في تفاسيرهم مبنية على الكذب والظن لقوله تعالى: ﴿أَمْ

(١) مجموع الفتاوى لتقي الدين ١٠٠٠ بن تيمية، المتوفى / ٧٢٨هـ، ٣٥٥/١٣، ٣٥٦ تحقيق/ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف/ المدينة النبوية/ المملكة العربية السعودية/ ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

(٢) سورة الإسراء - ١٦.

(٣) هو عثمان بن جني الموصلي، أبو الفتح: من أئمة الأدب والنحو، وله شعر. ولد بالموصل وتوفي ببغداد ٣٩٢ هـ - ١٠٠٢ م، عن نحو ٦٥ عاماً. وكان أبوه مملوكاً رومياً لسلیمان بن فهد الأزدي الموصلي. من تصانيفه رسالة في من نسب إلى أمه من الشعراء، شرح ديوان المتنبي، المحتسب؛ في شواذ القراءات، والخصائص وغير ذلك. الاعلام لزركلي ٢٠٤/٤.

(٤) الخصائص ٢٨١/١ وبعد، لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي المتوفى: ٣٩٢هـ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: الرابعة.

(٥) سورة الكهف ٩ - ١٢.

(٦) سورة الكهف - ٢٥.

(٧) سورة الكهف - ٢٢.

حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا^(١) يعني أتجعل هذه القصة من آياتنا المعجبة، بل هي ليست في الحقيقة من آياتنا، فهذا استفهام إنكاري معناه أن هذه القصة ليست من آياتنا ولكن افترها المفترون (٢).

أما موقف جمهور المفسرين من قصة أصحاب الكهف: فسر ابن كثير الآيات بقوله: وهذا إخبار عن قصة أصحاب الكهف، والرقيم، على سبيل الإجمال والاختصار، ثم بسطها بعد ذلك فقال ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾^(٣) أي هذا ليس أمراً عجباً في قدرت الله، فإن خلق الأرض والسموات، واختلاف النهار والليل وتسخير الشمس والقمر، وغير ذلك من الآيات العظيمة، الدالة على قدرة الله تعالى، وأنه على كل شيء قادر، ولا يعجزه شيء أعجب من أخبار أصحاب الكهف والرقيم، كما قال ابن جريج حوله^(٤) عن مجاهد^(٥) ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾^(٦) يقول: ومن بين آياتنا ما هو أكثر إثارة للدهشة^(٧).

فسرها البغوي: فهل ظننت يا محمد أن أصحاب الكهف والرقيم من عجائب آياتنا؟ وقيل: معنى ذلك أن هذه ليست بأعجوبة من آياتنا، ولكن خلق السماوات والأرض وما فيهما من العجائب أغرب منه وقوله تعالى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾^(٨) فضربنا على آذانهم أي، أمناهم وألقينا عليهم النوم وقيل: معناه منعنا نفوذ الأصوات إلى مسامعهم.. واختلفوا في قوله (أَخْصَى لِمَا لَبِثُوا) أحفظ لما مكتوفي كهفه مني أما أي: غاية وقال مجاهد: عددًا ونصبه على التفسير وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لَيَسَاءَ لُؤَا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾^(٩) أي: كما أن منام في الكهف، وحفظنا أجسادهم

(١) سورة الكهف - ٩٠.

(٢) انظر: تفسير بيان للناس ٧٨/٤.

(٣) سورة الكهف - ٩٠.

(٤) هو ابن جريج الأموي عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، الإمام، شيخ الحرم، وأبو الوليد القرشي الأموي المكي، صاحب التصانيف، وأول من دون العلم بمكة. مولى أمية بن خالد. وكان جده جريج، عبداً لأم حبيب بنت جبير، زوجة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد الأموي، فنسب ولأوه إليه، وهو عبد رومي، وكان لابن جريج أخ اسمه محمد، لا يكاد يعرف، وابن اسمه محمد. حدث عن: عطاء بن أبي رباح وعن: ابن أبي مليكة، ونافع مولى ابن عمر. وأخذ عن: مجاهد حرفين من القراءات، وميمون بن مهران، ويوسف بن ماهك... وخلق كثير. انظر: سير اعلام النبلاء ٣٩٦/١١ - ٣٩٧.

(٥) هو مجاهد بن جبر المكي المخزومي مولاهم، أبو الحجاج، الإمام التابعي الشهير. قال النووي: "اتفق العلماء على إمامته وجلالته وتوثيقه، وهو إمام في الفقه والتفسير والحديث". توفي سنة ١٠٣ هـ، وقيل غير ذلك. انظر: تهذيب الأسماء واللغات ٨٣/٢.

(٦) سورة الكهف - ٩٠.

(٧) تفسير القرآن العظيم المعروف بتفسير ابن كثير ١٣٨/٥.

(٨) سورة الكهف - ١١.

(٩) سورة الكهف - ١٩.

من البلى على طول الزمان، فكذلك بعثناهم من النوم... أنهم لبثوا أكثر من يوم. ﴿قَالُوا رُبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ وقيل: إن رئيسهم مكلسليمانا، لما سمع الاختلاف بينهم قال: دعوا لاختلاف ربكم أعلم بما لبثتم. (فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ) يعني يملئها، إِلَى الْمَدِينَةِ^(١) قيل هي طرسوس، وكان اسمه في الجاهلية أفسوس، فسموها في الإسلام طرسوس^(٢)

إذن تبين مما سبق وغيره من كتب التفاسير بطلان تفسير أحمد الدين وفساد فهمه للقرآن الكريم، وفصل الإمام المودودي رحمه الله قوله في تفسير الآيات بقوله: "إن الكهف يطلق على الغار الواسع وبنفس المعنى استعمل في اللغة الأردنية، واختلف السلف في الرقيم بقولين:

الأول: أنه اسم القرية التي وقعت فيها الواقعة المذكورة وهذا ما رجحه أبو الكلام أازاد في تفسيره ترجمان القرآن، **والثاني:** أن المراد بالرقيم اللوح الذي نصب على الكهف.

أما مفاد الآية ومعناها: أترى أن الله الذي خلق السموات والأرض ليس بقادر على أن يبعث بضع الناس بعد نومهم لمدة مأتين أو ثلاثة مائة سنين في حالة التي كانوا فيها فلو تتفكرون في الآفاق أي في خلق السموات والأرض والشمس والقمر لما حسبت أن الله ليس بقادر على أن يبعثهم بعد ما أماتهم لمدة طويلة.

ثم يستدل العلامة من كتب أهل الكتاب لتأييد هذه القصة قائلاً: إن عظات قسيس جيمس سروجي (ولد عام ١٨٥٢م) بعد وقعة الكهف بسنين تؤيد هذه القصة وترتب عظاته بلغة السريانية حوالي عام ١٨٧٤م وترجمته إلى اللغات أخرى كالإيونانية واللاتينية وهذا شرح واف وتفصيل كاف لهذه القصة الذي قدمه من المصادر المذكورة (من كتب أهل الكتاب) أما ملخص القصة المذكورة في كتابه "انحطاط وسقوط دولة الروم" تحت عنوان "سبعة نائمين" باب رقم ٣٣ يوافق مفسرين المسلمين حيث يظن أن المرجع والمصدر واحد عند الجميع.

وقد اختلف علماء الإسلام في اسم الملك الذي فر الفتية من ظلمه من دقيانوس أو دقيانوس أو دقيوس، وجزم جبن بأن اسمه ديسيز الذي حكم الروم من ٢٤٩ إلى ٢٥٧، وهذه الفترة معروفة بقهر المسيحيين آنذاك علماً بأن المدينة التي وقعت فيها الواقعة اسمها عند مفسرينا إما أفسس أو أفسوس، وصرح جبن بأنها إفسس اطلالها مازالت موجودة اليوم.

وهكذا يوجد التوافق في اسم الملك الذي بعث الله أصحاب الكهف في عصره ورد اسمه عند المفسرين تيدوسيوس ويقول جبن بأنه تيدوسيوس الثاني الذي استولى الروم بعد تنصره من ٤٠٨ إلى ٤٥٠ وهكذا اسم صاحب الكهف الذي أرسلهم بورقة إلى المدينة لشراء الطعام يملئها عند المفسرين ويملأ عند جبن.

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم ١٢٥/٥.

(٢) تفسير البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، المعروف بتفسير البغوي، ٥٤١/٣. دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ.

فخلاصة ما مضى هو أن الفتية الذين لجأوا إلى الكهف عند قهر قيصر دسيس النصارى وخروجهم في عام ٤٤٥ أو ٤٤٦ (السنة الثامنة وأربعون) عصر قيصر تقيود ويسيئ الثاني حيث تنصرت الدولة الروم بأسرها وعلى ذلك تكون مدة مكثهم في الغار ١٩٦ سنة. وبناء على هذا رد بعض المستشرقين قصة أصحاب الكهف، بأن المدة المذكورة ١٩٦ سنة لا توافق العدد المذكور (٣٠٩ سنة) في القرآن ولكن تفند العلامة المودودي هذه الشبهة بقوله بأن المدة المذكورة في القرآن حكاية قولهم وليس قول الله (قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا) وهكذا ما روي عن ابن عباس (١)

المقارنة:

لا يأخذ أحمد الدين بالمنقول ويأخذ فقط بالمنقول الذي تؤيده التجربة والمشاهدة في نظره؛ لذا لا يقبل أن يُبعث هؤلاء الشباب بعد سنوات طويلة من النوم في الكهف؛ فهذا بعيداً عن واقع في نظره، ثم بعيداً عن يقبل العقل هذه الحادثة، ولا ضرورة لحدوثها. لكن الإمام المودودي وغيره من المفسرين ذكروا حكمة البعث بعد الموت هؤلاء الشباب بأن العصر الذي حدث فيه هذه القصة، كانوا منكري البعث ويجادلون فيه وجرت بينهم المناظرات وسيطرت. هذه العقيدة من فلاسفة اليونان واليهود الذين كانوا يسكنون في مدنهم فأراد الله أن يثبت لهم البعث بعد الموت. فأحياهم أصحاب الكهف لكي يشاهد الناس هذا الحادث بأعينهم عامة، والمنكرين بصفة خاصة ويثبت لهم البعث بعد الموت بالدليل والبرهان.

النموذج الثاني: قصة الطير الأبايل:

موقف أحمد الدين من قصة أبايل: اختلق أحمد الدين تفسير سورة الفيل لم أجده والله أعلم. من سبقه إليه غيره تفسيره صريح في إنكار الحقائق الثابتة الواردة في الأحاديث النبوية الصحيحة منها: قوله: إن الله لم يرسل أبايل قط، بل سار جيش أبرهة في واد نزلت فيه الوباء، فابتلى هم الله بذلك الوباء حتى صاروا مثل الموتى، فأرسل الله عليهم الحمر الوحشية ولما أحسوا فيهم الحياة، فخرجوا عليهم الحجارة من قمم الجبال، لكي ينتهي فيهم رمق الحياة كله وبعد موتهم يأكلونهم، فذلك جعلهم كعصف مأكول.

وبإمعان النظر في تفسيره لا يخفى على القارئ إنكاره الأحاديث الصحيحة نذكرها في الآتي عند بيان تفسير السورة لدى أهل السنة والجماعة (٢).

فأحمد الدين قد ترك الحقيقة وتمسك بالباطل ولا عجب في ذلك لأن من فسدت عقيدته فقد فسد فهمه للدين الإسلامي وتعاليمه فعلياً أن نرجع إلى التفاسير المشهورة والسنة النبوية ونعلم الحقيقة. أما موقف جمهور المفسرين

(١) انظر: تفهيم القرآن ١٣/٣ لسورة الكهف.

(٢) انظر: تفسير بيان للناس ٢٧١/٧.

من قصة أباييل فمنهم تفسير ابن كثير: يقول: وقال ابن هشام^(١) الأباييل، الجماعات، وأما السجيل، أنه عند العرب الشديد الصلب، وذكر بعض المفسرين، أنهما كلمتان بالفارسية جعلتهما العرب كلمة واحدة، وإنما هو سنجوجل، يعني بالسنج الحجر، والجل، الطيني قول: الحجارة من هذين الجنس ينال حجروالطين. وقال: والعصف: وقال ابن عباس رضي الله عنه والضحاك^(٢) أباييل يتبع بعضها بعضاً وقال الحسن البصري وقتادة^(٣): الأباييل بمعنى الكثيرة، وقال مجاهد: أباييل يعني شتى متتابعة مجتمعة. وقال ابن زيد^(٤) الأباييل: المختلقة وتأتي من هاهنا ومن هاهنا، أتتهم من كل مكان. وذكر الواقدي بأسانيده، أنهم لما اندفعوا لدخول الحرم وأعدوا الفيل لدخول إلى الحرم، لم يقودوه إلا حيث ذهب، فلما أمره أن يأخذوه إلى الملجأ ركع وصعد. أعلى وعلى حارس الفيل دب دبه، وانتهره وضربه حتى يجبر الفيل على دخول الحرم، وهو أمر عجيب، وبينما هم كذلك بعث الله عليهم طيور الأباييل، كلها صفراء، وكان الحمام وأرجله حمراء، وكان مع كل طائر ثلاثة حجارة، فأتى فطار فوقهم، ورجمهم، بحجارة فهلكوا. وقال محمد بن كعب جاء وابفيلين، فأما محمود فرفض، وأما الآخر فشجع فحصب، وقال ابن إسحاق: فخرجوا يتساقطون بكل طريق ويهلكون على كل منهل وأصيب أبرهة في جسده وخرجوا به معهم يسقط أئمة أئمة حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر، انصدع صدره عن قلبه في ما يزعم^(٥)

ويقول محمد بن علي الشوكاني^(٦) الاستفهام في قوله: (الْمَتَر) لتقرير رؤيته بإنكار عدمها، وقوله تعالى (وَأَرْسَلْ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ)، أي: أقاطيع يتبع بعضها بعضاً، كالإبل المؤبلة، قال أبو عبيدة: "أباييل جماعات في تفرقة، يقال

(١) هو ابن هشام عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين: مؤرخ، كان عالماً بالأنساب واللغة وأخبار العرب. ولد ونشأ في البصرة، وتوفي بمصر سنة ٢١٣ هـ. ٨٢٨ م. أشهر كتبه: السيرة النبوية؛ المعروف بسيرة ابن هشام، رواه عن ابن إسحاق. وله: القصائد الحميرية في أخبار اليمن وملوكها في الجاهلية، والتيجان في ملوك حمير رواه عن أسد بن موسى، عن ابن سنان، عن وهب بن منبه، وغير ذلك. انظر: الأعلام للزركلي ١٦٦/٤

(٢) هو الضحاك بن مزاحم الهلالي أبو القاسم، ويقال أبو محمد الخراساني أخو محمد بن مزاحم. قال زيد بن الحباب عن سفيان الثوري "خذوا التفسير من أربعة، سعيد بن جببر، ومجاهد، وعكرمة، والضحاك... قال أبو نعيم مات سنة ١٠٥ هـ. يراجع: تهذيب التهذيب ٤/٥٣٣، وتهذيب الكمال، في أسماء الرجال/١٣/٢٩١.

(٣) هو ابن دعامة بن عزيز أبو الخطاب السدوسي، عالم أهل البصرة مفسر، وكان ضريباً أكمله، كان آية في الحفظ وإماماً في النسب ورأساً في العربية. روى عن ابن سرجس، وأنس بن مالك، وسعيد المسيب. وروى عنه أيوب السخيتاني، ومعمّر بن راشد. قال عنه الإمام أحمد بن حنبل: إنه أحفظ أهل البصرة. كان عالماً بالحديث ومفرداته واللغة وأيام العرب والنسب. ولد سنة ٦٠ هـ، وتوفي بواسط بالطاعون سنة ١١٧ هـ. ينظر: سير الأعلام النبلاء ٢٦٩/٥، وشذرات الذهب ١/١٥٣.

(٤) هو أحمد بن إبراهيم بن كثير الدورقي، الحافظ، الإمام، المجود، المصنف، أبو عبد الله العبدوي، أخو الحافظ يعقوب، ووالد المحدث الثقة عبد الله بن أحمد. وهذه نسبة إلى بيع القلائس الدورقية. قال أبو حاتم: صدوق. ذكره الخطيب، وورخ وفاته في شعبان، سنة ست وأربعين ومائتين، وله ثمانون سنة. انظر: سير أعلام النبلاء ١٢٥/٢٣

(٥) تفسير القرآن العظيم ٨/٤٨٦ وبعد.

(٦) هو محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ثم الصنعاني اليمني، ولد بمجرة الشوكان من بلاد خولان سنة ١١٧٢ هـ وقيل ١١٧٣ هـ، نشأ بصنعاء، وولى القضاء، توفي بصنعاء سنة ١٢٥٠ هـ. ومن مؤلفاته: إرشاد الفحول في أصول الفقه، ونيل الأوطار، وفتح القدير في التفسير، والبدر الطالع. يراجع: فتح المبين ٣/١٤٤، ومعجم المؤلفين ١١/٥٣.

جاءت الخيل أبابيل؛ أي: جماعات من هاهنا وهاهنا ولم ير قبلها ولا بعدها؛ قالقتادة: هي طير سوداء، جاءت من قبل البحر فوجاً فوجاً، مع كل طائر ثلاثة أحجار، حجران في رجله، وحجر في منقاره، لا يصيب شيئاً إلا هشمه، والعرب تستعمل الأبابيل في الطير كما في قول الشاعر:

تراهم بالبالد اعيسرا كأثمهم، أبابيل طير، تحت دجن مسجن. (١) (٢)

وبين صاحب الكشف سبب نزول هذه السورة بقوله "أنّ ملك اليمن أبرهة بن الصباح الأشمر مبنكيسة بصنعاء وسمها القليس، وأراد أن يصرف إليها الحجاج، فكان رجل من كنانة فبال فيها ليلاً، فغضب بذلك وقيل: أجمعت رفقة من العرب ناراً فحملتها الريح فأحرقتها، فحلف لهدم الكعبة، فخرج بالحشّة ومعه فيلا سمه محمود الخ" وعن ابن عباس رضي الله عنهم أنه رأى منها عنداً هانيء نحو قفيز مخططة بحمرة كالجزع الظفاري، فكان الحريق على رأس رجل فيخرج من دبره، وعلى كل حجر اسم من يقعا. الخ..... حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة فلما أتمها، وقع عليه الحجر، فخرميتاً بين يديه.

وعن عائشة رضي الله عنها: رأيت قائد الفيل وسائسه أعميين مقعدين يستطعمان، وأن أبرهة أخذ لعبد المطلب مائتي بعير، الخ... ثم رجع وأتى باب البيت فأخذ بحلقته وهو يقول: لَأَهْمُ إِنَّا لَمَرْءٌ يَمْنَعُ رَحْلَهُ فَا مَنَعَ خَالَكَ. لَا يَغْلِبَنَّ صَلْبِيهِمْ وَمُحَالُهُمْ عَدُوًّا مُحَالُكَ. إِنْ كُنْتُ تَارِكُهُمْ وَكَعْبَتَنَا، فَأَمْرٌ مَا بَدَالَكَ أَرْبَ لَا أَرْجُوهُمُ سِوَاكَ يَا رَبِّ فَا مَنَعَ مِنْهُمْ جَمَاكَ (٣)

فالتفتوه ويدعو فإذا هو بطير من نحو اليمن فقال: والله إنها لطيور غريبة ما هي ببحرية ولا تهامية وعن أبي سعيد الخدري أنه سئل عن الطير فقال: حمام مكة منها" (٤)

وقال الإمام البيضاوي في تفسيره "ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل الخطاب للرسول وهو وإن لم يشهد تلك الواقعة لكن شاهد آثارها وسمع بالتواتر أخبارها فكانه رآها وإنما قال كيف ولم يقل ما لأن المراد تذكير ما فيها من وجوه الدلالة على كمال علم الله تعالى وقدرته وعزة بيته وشرف رسوله فإنها من الإرهاصات إذ روي أنها وقعت في السنة التي ولد فيها رسول الله قصتها أن أبرهة بن الصباح الأشمر ملك اليمن. الخ ذكر بنفس

(١) أضاف الإمام الثعلبي هذا الشعر في تفسيره إلى إمروء القيس، ولكن عند البحث والرجوع إلى ديوانه لم أجده. والله أعلم. انظر الكشف والبيان، عن تفسير القرآن لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق المتوفى: ٤٢٧هـ، ص ٢٩٧/١٠ تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت. لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م. وهكذا استدرك الإمام القرطبي في الهامش قائلاً: "كذا في نسخ الأصل، بالخاء المعجمة والنون). وفي تفسير الثعلبي: ... تحت دجن مسحر. بالخاء المعجمة والراء). وقد نسبته إلى امرئ القيس، ولم نجده في ديوانه. ولعل صوابه: ... تحت دجن مسخر بالخاء المعجمة والراء". راجع: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٩٧/٢٠ دار الكتب المصرية القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

(٢) تفسير فتح القدير للشوكاني ٦٠٥/٥، ٦٠٦.

(٣) نهاية الأرب في فنون الأدب لأحمد بن عبد الوهاب، شهاب الدين النوري المتوفى: ٧٣٣هـ، ٣٠٧/١٥، ٣٩٨/ دار الكتب القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ، وتفسير الطبري ٦١٣/٢٤.

(٤) انظر: تفسير الكشف للزمخشري ٧٩٧/٤ - ٧٩٩.

القصة..... فأرسل الله تعالى طيرا كل واحد في منقاره حجر وفي رجله حجران أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة فترميهم فيقع الحجر في رأس الرجل فيخرج من دبره فهلكوا جميعا^(١) ومن كل هذه الأحاديث المذكورة يتضح تماما أن قصة أبرهة لم تكن قصة كاذبة وثبت أيضاً أن أباييل كانت طيوراً وليست أمة وثبت أيضاً أن أباييل كانت نوعاً خاصاً من الطيور التي كانت تجلب معها الحجارة عليهم، وكان هذا واضحاً جداً من ظاهر الألفاظ في جميع الأحاديث والآيات، فتفسيره بلا حجة وعلى الهوى لا يجوز مطلقاً. ولا أحد يعترف بذلك.

النموذج الثالث: قصة مجمع البحرين:

موقف أحمد الدين: شذ أحمد الدين في تفسير قصة مجمع البحرين من الناحيتين:

ذهب إلى أن المراد بمجمع البحرين ليس مقام الذي يلتقي البحرين فيه كما قال به جمهور من أهل السنة والجماعة بل يرى أن المراد به التقاء ماء بحر الروم الذي يلتقي بماء منسل حين طغيانه الطريق الجبلي اليابس بسبب الطوفان من جانب الشمال وقت الصباح ولذا انكر معجزة انفلاق البحر عند ما ضرب موسى البحر بعصاه سوف نذكره في مكانه إن شاء الله تعالى.

وزعم أن السفر موسى مع فتاه إلى مجمع البحرين للقاء العبد الصالح "خضر" ليس سفراً منفرداً مستقلاً، بل هو السفر الذي فر فيه موسى خوفاً من فرعون عند قتله القبطي وتوجه لتقاء مدين ففي الطريق إلى المدين يأتي المقام المسمى بمجمع البحرين وهذا هو المراد به في الآية^(٢)

أما موقف بعض جمهور حول الآية: فمنهم العلامة المودودي فيقول: "مما يحدث في الدنيا وما يواجهه الإنسان من المصائب والمشاكل يكون فيهما من حكم الله وأسراره الخفية التي لا يعرفها الإنسان والمؤمن يصبر عليها ولأجل هذا قد أراد الله إخبار تلك الأسرار الخفية ولكن متحدث هذا أين؟ ما صرح القرآن الكريم به وأن موسى لما خرج من مصر فهو مارجع إليه مرة أخرى وبعد التدبر وإمعان النظر يظهر إحدى الرأيين:

أولاً: أنه حدث في سنوات أولى وفترة باكرة من بعثة موسى

ثانياً: أو أنه حدث في فترة الظلم على بني إسرائيل من فرعون وملئه، لأن بني إسرائيل استيأسوا من نصر من أحد، حتى أن موسى قال بنفسه ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾ وبناء على هذا فقد سافر موسى نحو بلاد السودان والمراد من مجمع البحرين منطقة الخرطوم اليوم التي يلتقى فيها بحرا الأبيض والأزرق ولا يوجد مكان آخر التي يجمع فيها البحرين وأن موسى سافر لتحصيل العلم من العبد الصالح خضر وأنه كان

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي ٣٩٩/٥.

(٢) انظر: تفسير بيان للناس ٩٤/٤.

من الملائكة لأن الإنسان لا يجوز له أن يقتل أحد أو يجرى عليه الحد إلا بعد قيام الشهادة والثبوت وهذا ما كان جائزاً في أي شريعة من قبلنا^(١)

ويفسر الشيخ عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي رحمه الله^(٢) هذه القصة بقوله: وإذ قال موسى لفته الآية، سبب خروج موسى في هذا السفر ما روى ابن عباس رضي الله عنهم عن أبي بن كعب عن رسول الله قال "إن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل فسئل: أي الناس أعلم فقال: أنا، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه فأوحى الله إليه أن لي عبداً مجمع البحرين هو أعلم منك قال موسى: يارب فكيف أزوره؟ قال: تأخذ معك حوتاً فتجعله في مكتل فحيث ما فقدت الحوت فهو..... الخ. فكان للحوت سرباً ولموسى ولفته عجباً فقال موسى، ذلك ما كنا نبغي فارتد على آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة فاذا هو، فسلم عليه موسى فقال الخضر، ذكره قصتي إلى قوله، يريد أن ينقض^(٣)

ويقول الزمخشري بقوله "ويروى أن موسى لما ظهر بمصر مع بني إسرائيل واستقر فيها بعد وفاة الأقباط، أمره الله أن يذكر قومه بنعمه، فوقف فيهم واعظاً، وذكر نعمة الله. وقال "إنه اصطفين بيكم وكلمه فقالوا له: قد علمنا هذا في أي الناس، أعلم؟ قال أنا فعتب الله عليه، حين لم يرد العلم إلى الله فأوحى إليه، بل أعلم منك عبد لي عند مجمع البحرين وهو الخضر، وقيل: إن موسى سأل ربه: لو كان أعلم مني في عبادك فادلني قال: الخضر أعلم منك فقال: أين هو؟ قال على الساحل عند الصخرة قال يارب كيف أبحث؟ قال تأخذ..... الخ. قال: يا موسى، أنا على علم علمنيه الله لا تعلمه أنت، وأنت على علم علمكه الله لا أعلمه أنا^(٤)

النموذج الرابع: مدة دعوة نوح عليه السلام قومه:

ذكر في تفسير الآية ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾^(٥) أن مدة تبليغ نوح عليه السلام قومه كانت مئتي سنة؛ بدليل أن لفظ سنة مغاير عام تطلق بفصل من أربعة فصول العام كما جاء في المصباح المنير والعام يطلق باثني عشر شهر فإذا بينهما عموم وخصوص فلفظ العام (عام) يطلق بالسنة (لفظ خاص) لا العكس ولو كان بينهما توافق لما فائدة ذكر لفظ عام بعد سنة لكونه تحصيل حاصل، فلذا المراد بألف سنة مأتى وخمسين عام وإذا أخرجنا خمسين عام بقي لدينا مأتى عام فعلى ذلك عاش

(١) تفهيم القرآن ٣٥/٣.

(٢) هو عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج: علامة عصره في التاريخ والحديث، كثير التصانيف. مولده ووفاته ببغداد ٥٠٨ هـ. ٥٩٧ هـ = ١١١٤ - ١٢٠١ م)، ونسبته إلى مشرعة الجوز من محالها. له نحو ثلاث مئة مصنف منها: زاد المسير في التفسير؛ جامع المسانيد؛ المغني في علوم القرآن؛ وتذكرة الأريب في اللغة؛ الموضوعات؛ الواهيات؛ الضعفاء؛ المنتظم في التاريخ؛ الناسخ والمنسوخ؛ غريب الحديث؛ الوفا في فضائل المصطفى. وغير ذلك. انظر: الاعلام لزركلي ٣١٦/٣ وبعد

(٣) زاد المسير في علم التفسير ٩٤/٣ ... لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي المتوفى: ٥٩٧ هـ، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى. ١٤٢٢ هـ.

(٤) تفسير الكشاف ٧٣١/٢ وبعدها. وأخرج هذه القصة امام البخاري امير المؤمنين في الحديث في صحيحه ٨٨/٦ كتاب تفسير القرآن، باب (وإذا قال موسى لفته: لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا [الكهف: ٦٠] "زمانا وجمعه أحقاب".

(٥) سورة العنكبوت. ١٤.

نوح في قومه مأتي عام يدعوهم إلى الله ويخوفهم عن الآخرة وأهوالها ومثل هكذا من العمر معقول وثابت في الخلق وما شاع بين الناس من عمر نوح أنه تجاوز الف سنة مستحيل لا يعقل. علماً بأن هذا التفسير تكلف مبني بمجرد العقل وهو مخالف للأحاديث الصحيحة وتصريح القرآن يجب الحذر عنه^(١)

أما جمهور المفسرين: ويقول ابن الجوزي رحمه الله عن هذه الآية: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ۚ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ) قوله تعالى: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ وفي هذه القصة تسلية للنبي حيث أعلم أن الأنبياء قد ابتلوا وقوله تعالى: فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا، اختلفوا في عُمر نوح على خمسة أقوال:

أحدها: رواه يوسف بن مهران، عن ابن عباس: بُعث بعد أربعين سنة، وعاش في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، يدعوهم وعاش بعد الطوفان ستين سنة.

الثاني: وقال كعب الأحبار: أنه لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، وعاش بعد ذلك سبعين عاماً، فكان مبلغ عُمره ألف سنة وعشرين سنة.

الثالث: وقال عون بن أبي شداد: أنه بعث وهو ابن خمسين وثلاثمائة، فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، ثم عاش بعد ذلك خمسين وثلاثمائة.

الرابع: وقال قتادة، وهب بن منبه: أنه لبث فيهم ثلاث مائة سنة، ودعاهم ثلاث مائة سنة، ولبث بعد الطوفان ثلاث مائة وخمسين سنة.

الخامس: الماوردي: أن هذه الآية بيّنت مقدار عُمره كَلَّةً^(٢) ويقول الإمام القرطبي: قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾^(٣) ذكر قصة نوح تسلية لنبيه أي إبتلي النبيون قبلك بالكفار فصبروا، وخص نوحاً بالذكر، لأن نوح أول نبي، أرسل إلى الأرض، وروي عن قتادة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال "ان نوح أول نبي أرسل" قال قتادة، لبث فيهم قبل أن يدعوهم ثلاثمائة سنة، ودعاهم ثلاثمائة سنة، ولبث بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة، وقال ابن عباس رضي الله عنه: بعث نوح لأربعين سنة ولبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً وعاش بعد الغرق ستين سنة حتى كثر الناس. وقال وهب: عمر نوح ألفاً وأربعمائة سنة، وقال كعب

(١) انظر: تفسير بيان للناس ١٧٦/٥.

(٢) انظر: زاد المسير في علم التفسير ٤٠٢/٣ لابن الجوزي.

(٣) سورة العنكبوت ١٤ - ١٥.

الأخبار: لبث نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما، وعاش بعد الطوفان سبعين عاما فكان مبلغ عمره ألف سنة وعشرين عاما^(١)

المبحث الثالث: موقفه من أركان الإسلام

الأول: الصلاة:

استمر أحمد الدين يؤول حتى محكمات القرآن التي لا تحتل التأويل أو النسخ؛ فمن منطلق عقله المتحرر وإنكاره الأحاديث وكل ما لا يعقل معناه في رأيه، وعن الصلاة يقول: "عبر القرآن عن الصلاة بتسبيح وتحميد وذكر الله وهذا كله يندرج تحت مصطلح ذكر الله والغرض الأصلي من الصلاة الذكر الهني بدليل قوله: (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي)^(٢) ثم قسم الشيخ الذكر إلى قسمين:

الأول: ذكر عام الذي يجوز فيه الكلام والقيام بالمعاملات والأمر الديني وهذا غير مقيد بالأوقات والطهارة من الأنجاس والأدناس والشروط والأركان وما إلى ذلك.

الثاني: الخاص الذي لا يجوز فيه الكلام والقيام بأمر الديني في حالة الأمن وفيه حالة الخوف ونحوهما ما ورد في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَّاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾^(٣) قسم التسبيح إلى قسمين فسمي قسم الصلاة والآخر التسبيح.

فيظهر من تسمية قسم من قسمي التسبيح الصلاة أن المراد بالتسبيح الخاص بالذكر الخاص الصلاة يعني الذكر فلا يخفى على القارئ أن المفسر بهذا التفسير الزائغ ينكر وجوب الصلاة الخمس المفروضة في القرآن والسنة لأخذه إحدى المعنى اللغوي من معاني الصلاة وعدم التفاته إلى معناه الإصطلاحي الشرعي^(٤)

موقف جمهور العلماء من الصلاة:

قال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾^(٥) فذكر أن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أي يقيمون الصلاة بفروضها، وقال الضحاك، عن ابن عباس رضي الله عنه الإقامة، بمعنى إتمام الصلاة. أو الركوع والسجود، والتلاوة، والخشوع، والإقبال عليها فيها، وقال قتادة: "الإقامة، الصلاة المحافظة على مواقيتها، ووضوئها، وركوعها،

(١) تفسير القرطبي ٣٣٢/١٣

(٢) سورة طه - ١٤.

(٣) سورة النور - ٤١.

(٤) يراجع: تفسير بيان للناس ٥٧/١.

(٥) سورة البقرة - ٣.

وسجودها، وقال مقاتل بن حيان: إقامتها، المحافظة على مواقيتها، وإسباغ الطهور فيها وتمام ركوعها، وسجودها، وتلاوة القرآن فيها، والتشهد والصلاة على النبي، فهذا إقامته" (١)

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير رحمه الله ١/٦٨.

قال ابن جرير الطبري المراد بإقامة الصلاة: تمام الركوع والسجود والتلاوة والخشوع والإقبال عليها فيها "القول في تأويل قوله جل ثناؤه: الصَّلَاةُ وَرَوَى عَنْ الضَّحَّاكِ فِي قَوْلِهِ (الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ) يعني الصلاة المفروضة، وأرى: أن الصلاة المفروضة، سُمِّيَتْ "صلاة" لأنَّ المصليَّ متعرِّضٌ لاستنجاح طَلِبَتِهِ، من ثواب الله، بعمله مع ما يسأل رَبَّهُ فيها من حاجاته تعرض الداعي بدعائه رَبَّهُ استنجاح حاجاته وسؤْلُهُ" (١)

وعند الشوكاني: الإقامة في الأصل الدوام والثبات ويقال قام الشيء: أى دام وثبت وليس من القيام على الرجل وإنما هو منقول كقام الحق أى ظهر وثبت، وإقامة الصلاة، أدائها بأركانها، وسننها، وهيئاتها في أوقاتها، والصلاة أصلها اللغة، الدعاء من صلى يصلي إذا دعا وقد ذكر هذا الجوهري وغيره (٢)

الأحاديث الواردة في إقامة الصلاة: أخرج الإمام النسائي (٣) في سننه، عن أبي مسعود قال: قال رسول الله ﷺ "لا تجزئ صلاة، لا يقيم الرجل فيها صلبه، في الركوع، والسجود" (٤) وعن أبي مسعود البديري قال: قال رسول الله "لا تجزئ صلاة الرجل حتى يقيم ظهره في الركوع والسجود" (٥)

وعن علي بن شيبان: خرجنا إلى رسول الله، فبايعناه وصلينا خلفه، فلمح بمؤخر عينه رجلا لا يقيم صلاته، يعني صلبه في الركوع والسجود، فلما قضى النبي الصلاة قال: يا معشر المسلمين لا صلاة لمن لا يقيم صلبه في الركوع والسجود" (٦) وعن عبد الله ابن عمر رضي الله عنه . قال "رأيت رسول الله إذا أعجله السير في السفر يؤخر صلاة المغرب حتى يجمع بينها وبين العشاء" قال سالم وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهم يفعلها إذا أعجله السير ويقيم المغرب فيصليها ثلاثا ثم يسلم ثم قلما يلبث حتى يقيم العشاء فيصليها ركعتين ثم يسلم، ولا يسبح بينهما بركعة ولا بعد العشاء بسجدة حتى يقوم من جوف الليل" (٧)

(١) انظر: تفسير الطبري ٢٤٢/١، ٢٤٣.

(٢) انظر: تفسير فتح القدير للشوكاني ٣٥/١، ٣٦.

(٣) هو أحمد بن شعيب بن علي بن سنان الخراساني النسائي، أبو عبد الله، ولد في نساء سنة ٢١٥هـ، وتوفي شهيدا في طريقة إلى الحج بفلسطين سنة ٣٠٣هـ. له مصنفات كثيرة منها: السنن الكبرى، والسنن الصغرى، وخصائص علي، ومسند علي، ومسند مالك، وغيرها. ينظر: وفيات الأعيان ٥٩/١، تذكرة الحفاظ ٦٩٨/٢.

(٤) السنن الصغرى للنسائي ١٨٣/٢ لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي المتوفى: ٣٠٣هـ، كتاب الإفتتاح، إقامة الصلب في الركوع؛ تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية. حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ - ١٩٨٦، وقال الألباني: صحيح.

(٥) سنن أبي داود ٢٢٦/١ كتاب الصلاة، باب صلاة من لا يقيم صلبه في الركوع والسجود.

(٦) سنن ابن ماجه ٢٨٢/١ كتاب إقامة الصلاة، والسنة فيها، باب الركوع في الصلاة.

(٧) متفق عليه: صحيح البخاري ٤٢/٢ كتاب الجمعة، باب: هل يؤذن أو يقيم، إذا جمع بين المغرب والعشاء؟ وصحيح مسلم ٤٨٩/١ باب جواز الجمع بين الصلاتين في السفر. واللفظ للبخاري.

وعن أبي ذر أن رسول الله كان في سفر ومعه بلال فأراد أن يقيم فقال "أبرد" ثم أراد أن يقيم فقال رسول الله "أبرد في الظهر" قال: حتى رأينا فيء التلول ثم أقام فصلى فقال رسول الله "إن شدة الحر، من فيح جهنم، فأبردوا عن الصلاة" هذا حديث حسن صحيح^(١)

كل ما سبق من الأحاديث يدل على أن الصلاة عمل وليست مجرد الدعاء كما قال به أحمد الدين، فقد رفض أحمد الدين الأحاديث بأخذ معناها اللغوي واجتهد في تعميم آراءه لتضليل الناس. السؤال هنا، هل أحمد الدين كان أفقه من الصحابة، والصحابة يجهلون أنهم لا يعرفون معنى الصلاة؟ أقول رأي المصنف حول الصلوة المفروضة غير صحيح مخالف منهج الإسلام والمسلمين وتفسير النبي والصحابة والتابعين ومن جمهور المفسرين.

موقف أحمد الدين من يوم الجمعة:

إنكار أحمد الدين تعيين يوم الجمعة: يقولون "شر البلية ما يضحك" ولا يقل تفسير أحمد الدين من هذه البلية يقول: إن التشاور بين المسلمين من أهم أمورهم، ولا بد له للتشاور من تخصيص اليوم أسبوعياً أي يوم الجمعة ولولي الأمر أن يدعو الناس في أي وقت شاء يجب على الرعية طاعته فيه وأداء الصلاة من أهم الأمور في مثل هذا الاجتماع والأيام تجوز ادائها قبله وبعده على السواء.

فهذا التفصيل والتفسير يستلزم إلغاء فضل الجمعة وفرضيتها وإنكار الأحاديث الواردة في الصحاح وبوب المحدثين أبواب الجمعة وجمع فيه مجموعة الأحاديث تصل إلى حد تواتر لا يجوز إنكارها بحال من الأحوال فيلجأ الله المشتكى^(٢) ومن آراء جمهور المفسرين حول المسألة العلامة المودودي رحمه الله يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٣) يستفاد من الآية ثلاثة أمور:

- ١- فيها ذكر النداء (الأذان) للصلاة.
- ٢- وخص بالنداء يوماً خاصاً وهي يوم الجمعة.
- ٣- وأن صلاة يوم الجمعة كانت من قديم الزمان والناس يتسألون فيها ثم فرض الله في هذه الآية وأكده. ويثبت منها أن الله قد يأمر رسوله بأحكام لم نجده ذلك في القرآن الكريم صريحاً ويكون العمل به واجباً مثل الأحكام الذي صرح به القرآن الكريم ومنها النداء للصلاة (الأذان) كما هو المعمول به في العالم الإسلامي خمس مرات كل يوم والقرآن الكريم يؤكد بلفظ (إِذَا نُودِيَ) أي أذن ومنها: صلاة يوم الجمعة التي لم يذكر في القرآن الكريم حكمها ولا وقتها ولا كيفيتها ومع ذلك يصلى في العالم بكيفية التي صلى النبي والقرآن الكريم يؤكد وهل بعد هذا الدليل

(١) سنن الترمذي ٢٩٧/١ باب: تأخير الظهر في شدة الحر، من أبواب الصلاة عن رسول الله.

(٢) انظر: تفسير بيان للناس ١٠٥/٧.

(٣) سورة الجمعة . ٩

القاطع الصريح يقول هؤلاء المشككون في حجية السنة بأن الأحكام الشرعية هي ماثبت في القرآن الكريم وأما غيرها فليس لنا أن نعمل بها لكن هؤلاء الناس لا ينكرون السنة فقط بل ينكرون القرآن الكريم وهناك عدة أمور
١. اسمها: أن يوم الجمعة كانت تسمى في الجاهلية يوم العروبة وتجتمع فيها قريش فلما جاء الإسلام غير اسمها إلى يوم الجمعة.

٢. اختيارها: وقد كانت يوم السبت يوم العبادة لليهود ويوم الأحد للنصارى فاختر الله للمسلمين يوم الجمعة.
٣. فرضيتها: يفهم من رواية ابن عباس رضي الله عنه وابن مسعود رضي الله عنه أن صلاة يوم الجمعة قد فرضت في مكة وأنزل الله حكمها إلى النبي فيها لكنه ما صلى الجمعة فيها لأنها كانت غير ممكنة.
٤. فلما هاجر النبي إلى المدينة فأداها في الطريق من قبا إلى المدينة.
٥. ووقتها كانت بعد الزوال فوراً.

٦. وكان النبي يخطب قبل الصلاة وهي ركعتان.
٧. كل عمل حرام بعد آذان يوم الجمعة عند الفقهاء وهذا يدل على فرضية صلاة يوم الجمعة.

ففي حديث عن جابر بن عبد الله قال: خطبنا رسول الله فقال: "يا أيها الناس... الخ الي، واعلموا أن الله قد افترض عليكم الجمعة في مقامي هذا، في يومي هذا، في شهري هذا، من عامي هذا، إلى يوم القيامة فمن تركها في حياتي أو بعدي وله إمام عادل أو جائر استخفافاً بها، أو جحوداً لها، فلا جمع الله له شمله، ولا بارك له في أمره، ألا ولا صلاة له، ولا زكاة له، ولا حج له ولا صوم له، ولا بر له، حتى يتوب..." الخ^(١)
ونقل صاحب تفسير زاد المسير في تسمية هذا اليوم بيوم الجمعة ثلاثة أقوال:

أحدها: لأن فيه جمعة آدم، وروى سلمان^(٢)

(١) تفهيم القرآن ٥/ ٤٩٢ - ٤٩٧، والحديث رواه سنن ابن ماجه ٣٤٣/١ كتاب اقامة الصلاة، والسنة فيها، باب في فرض الجمعة.
(٢) هو سلمان الفارسي لتصريح الطبراني: "حدثنا أحمد بن يحيى الحلواني قال حدثنا الحسين بن إدريس الحلواني قال حدثنا سليم بن أبي هوزة قال حدثنا عمرو بن أبي قيس عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن قرثع الضبي عن سلمان الفارسي قال قال رسول الله: يا سلمان أتدري ما الجمعة ثلاث مرات قلت الله ورسوله أعلم قال جمع أبوك آدم ثم قال لكن أنا أحدثكم عن الجمعة من أتى الجمعة فتطهر كما أمر ثم مشى إلى المسجد فأنصت حتى يفرغ من صلاته كانت كفارة لما قبلها من الجمع لم يرو هذا الحديث عن منصور إلا عمرو بن أبي قيس وجريز بن عبد الحميد. المعجم الأوسط ١/ ٢٥٠ لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، دار الحرمين - القاهرة، ١٤١٥، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني.

قال: قال لي رسول الله "أتدري ما الجمعة؟ قلت لا قال فيه جُمع أبوك، يعني تمام خلقه في يوم الجمعة".^(١)

والثاني: لاجتماع الناس فيه للصلاة.

والثالث: لاجتماع المخلوقات فيه.

وفي أول من سماها بالجمعة، قولان.

أحدهما: أنه كعب بن لؤي^(٢) سماها بذلك وكان يقال ليوم الجمعة: العروبة قاله أبو سلمة^(٣) وقيل: إنما سماها بذلك لاجتماع قريش فيه.

والثاني: قال ابن سيرين، أول من سماها بذلك الأنصار.

قوله تعالى: ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ وفي هذا السعي ثلاثة أقوال مما يلي:

أحدها: أنها المشي قاله ابن عباس رضي الله عنه وكان ابن مسعود يقرؤها (فامضوا) ويقول: لوقرأتم (فاسعوا) لسعي تحت يسقط ردائي وقال عطاء: هو الذهاب والمشي إلى الصلاة.

والثاني: قال عكرمة القرظي^(٤) والضحاك: أن المراد بالسعي العمل، فيكون المعنى فاعملوا على المضى إلى ذكر الله بالتفرغ له والاشتغال بالطهارة.

(١) مستدرک علی الصحیحین للحاکم ٤١٢/١ بلفظ قريب.

(٢) هو كعب بن لؤي بن غالب، من قريش، من عدنان، أبوه صيص: جد جاهلي، خطيب. من سلسلة النسب النبوي. كان عظيم القدر عند العرب، حتى أُرخوا بموته إلى عام الفيل هو أول من سن الاجتماع يوم الجمعة، وكان اسمه "يوم العروبة" فكانت قريش تجتمع إليه فيه، فيخطبهم ويعظم. من نسله بنو سعد وبنو سهل وبنو العاص وبنو نفييل، من بطون قريش. الأعلام لزرکلي ٢٢٨/٥.

(٣) هو إياس بن سلمة بن الأكوع الأسلمي المدني مشهور، وما علمته روى عن غير أبيه. حدث عنه: موسى بن عبيدة، وعكرمة بن عمار، وابن أبي ذئب، وأبو العميس عتبة بن عبد الله، ويعلى بن الحارث المحاربي، وجماعة. وثقه: يحيى بن معين. مات: سنة تسع عشرة ومائة. سير أعلام النبلاء ٢٨٤/٩.

(٤) محمد بن كعب بن سليم القرظي، وقال ابن سعد: محمد بن كعب بن حيان بن سليم، الإمام، العلامة، الصادق، أبو حمزة. وقيل: أبو عبد الله. القرظي، المدني، من حلفاء الأوس، وكان أبوه كعب من سبي بني قريظة، سكن الكوفة، ثم المدينة. قيل: ولد محمد بن كعب في حياة النبي P. ولم يصح ذلك. قال زهير بن عباد الرؤاسي: عن أبي كبير البصري، قالت أم محمد بن كعب القرظي له: يا بني! لولا أني أعرفك طيبا صغيرا وكبيرا، لقلت: إنك أذنبت ذنبا موبقا؛ لما أراك تصنع بنفسك. قال: يا أماه! وما يؤمنني أن يكون الله قد اطع علي، وأنا في بعض ذنوبي، فمقتني، وقال: اذهب، لا أغفر لك، مع أن عجائب القرآن ترد بي على أمور حتى إنه لينقضي الليل ولم أفرغ من حاجتي. وروى: يعقوب الفسوي، عن محمد بن فضيل البزاز، قال: كان لمحمد بن كعب جلساء من أعلم الناس بالتفسير، وكانوا مجتمعين في مسجد الريدة، فأصابهم زلزلة، فسقط عليهم المسجد، فماتوا جميعا تحته. قال أبو معشر، وجماعة: توفي سنة ثمان ومائة. سير أعلام النبلاء ٧٠/٩.

والثالث: قال الحسن وابن قبيبة: أنه النية بالقلب^(١) هو المبادرة بالنية والجد.

وفي المراد "بذكر الله" قولان

أحدهما: قال الأكثرون: أنه الصلاة.

والثاني: قال سعيد بن المسيب، موعظة^(٢) قال أبو السعدي في تفسير الآيات: (يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة) أي أذن لها من يوم الجمعة، وسمي الجمعة، لاجتماع الناس منه للصلاة ورويان أول من سماها هو كعب بن لؤي، وقيل إن الأنصار قالوا قبل الهجرة لليهود يوم يجتمعون فيه بكل سبعة أيام، وللنصارى مثل ذلك فنجعل لنا يوماً نجتمع فيه، فنذكر الله فيه ونصلي، فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الأحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا إلى سعد بن زرارة فصلى بهم ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه فأنزل الله آية الجمعة فهي أول جمعة كانت في الإسلام وأما أول جمعة جمعها رسول الله فهو أنه لما قدم مهاجراً نزل قباء على بني عمرو بن عوف وأقام بها يوم الإثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس وأسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة عامدا المدينة فأدركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن وادهم فحطب وصلى الجمعة ﴿فاسعوا إلى ذكر الله﴾ أي امشوا واقصدوا إلى الخطبة والصلاة^(٣)

وقال الزمخشري "يوم الجمعة، يوم الفوج المجموع كقولهم: ضحكة للمضحوك. هي بيان لإذان وتفسير له والنداء الأذان وقالوا: المراد به الأذان عند قعود الإمام على المنبر، وقد كان لرسول الله مؤذن واحد، فكان إذا جلس على المنبر أذن على باب المسجد، فإذا نزل أقام للصلاة، ثم كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما على ذلك، حتى إذا كان عثمان وكثر الناس وتباعدت المنازل، زاد مؤذنا آخر فأمر بالتأذين الأول على داره التي تسمى زوراء فإذا جلس على المنبر أذن المؤذن الثاني، فإذا نزل أقام للصلاة فلم يعب ذلك عليه وقيل، أول من سماها "جمعة" كعب بن لؤي وكان يقال لها العروبة وقيل إن الأنصار قالوا لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة أيام وللنصارى مثل ذلك.... وعن النبي "خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أهبط إلى الأرض وفيه تقوم الساعة".^(٤)

(١) اظن. والله أعلم بالصواب. أنه ابن قتيبة أبو محمد عبد الله، وقيل المروزي، النحوي اللغوي كان فاضلاً ثقة، سكن بغداد. وحدث بها عن إسحاق بن راهويه وأبي إسحاق إبراهيم بن سفيان بن سليمان بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن زياد بن أبيه الزبدي وأبي حاتم السجستاني وتلك الطبقة، وروى عنه ابنه أحمد وابن دُر سثويه الفارسي، وتصانيفه كلها مفيدة، منها ما تقدم ذكره، ومنها: غريب القرآن الكريم، وغريب الحديث، ومشكل القرآن، ومشكل الحديث، وكتاب إعراب القراءات وغير ذلك. وكانت ولادته سنة ثلاث عشرة ومائتين، وتوفي في ذي القعدة سنة سبعين، وقيل سنة إحدى وسبعين، وقيل أول ليلة في رجب، وقيل منتصف رجب سنة ست وسبعين ومائتين، والأخير أصح الأقوال، وكانت وفاته فجأة، صاح صيحة سمعت من بُعد ثم أغمي عليه ومات، وقيل أكل هريسة فأصابه حرارة ثم صاح صيحة شديدة ثم أغمي عليه إلى وقت الظهر ثم اضطرب ساعة ثم هدأ فما زال يتشهد إلى وقت السحر، ثم مات رحمه الله تعالى. انظر: وفيات الأعيان ٤/٢٨٣ - ٤٣٠.

(٢) تفسير زاد ٢٨٢/٤، ٢٨٣.

(٣) تفسير أبي السعدي ٨/٢٤٩.

(٤) انظر: تفسير الكشاف ٤/٥٣٢.

أوقات الصلاة:

موقف أحمد الدين من أوقات الصلاة:

تقدم بيان رأي أحمد الدين من الصلاة بأن المراد به الذكر ولا يقيد ذكر الله بوقت مخصوص ولو كان كذلك لبين الله في كتابه كما أنكر عدد الصلوة لكونه ذكر والذكر ليس مقيد بعدد مخصوص فإذا يجوز خمسة صلوة وأكثر منها على السواء.

وخلاصة تفسيره الآيات ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾^(١) و﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾^(٢) وقوله ﴿وَسَبِّحْهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾^(٣) و﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾^(٤) وغيرها أنه خص وقتين للصلاة - بكرة وعشيا - فلو لم يدرك أحد الطلوع فيجوز له أن يصلي في أي وقت شاء فيجوز صلاة الليل نهارا والعكس كذلك.

قد ناقشنا رأيه وتعبيره الصلاة بالذكر وهنا نضيف أن تفسيره هذا يؤدي إلى إنكار الأحاديث الواردة في أوقات الصلاة والعياذ بالله.^(٥)

النقد:

أقول "تفسير المصنف أبعد التفاسير عن الصواب وأشد خطأ لانه ينكر الصلاة أصلاً، فكيف يعتبر لها الوقت، وهكذا ينكر من جميع الأحاديث عن أوقات الصلاة، مع ان الصلاة هي مفروضة على وقتها كما لقوله تعالى ﴿إِنَّا لِلصَّلَاةِ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْفُوتًا﴾^(٦) قال ابن عباس رضي الله عنه "أي مفروضة"^(٧) أما أقوال بعض جمهور في هذه المسألة كما يلي:

(١) سورة هود - ١١٤.

(٢) سورة مريم - ١١.

(٣) سورة الأحزاب - ٤٢.

(٤) سورة طه - ١٣٠.

(٥) انظر: تفسير بيان للناس ١/٧٢-٦٩.

(٦) سورة النساء - ١٠٣.

(٧) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ينسب، لعبد الله بن عباس رضي الله عنهم المتوفى: ٦٨هـ، ص ٧٩، جمعه: محمد بن يعقوب الفيروزآبادي

المتوفى ٨١٧هـ) دار الكتب العلمية/ لبنان.

قال العلامة حافظ عماد الدين ابن كثير: في قوله تعالى: (إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا) قال ابن عباس رضي الله عنه: أي مفروضا وكذا روي عن مجاهد وسالم بن عبد الله^(١) وعلي بن الحسين ومحمد بن علي والحسن ومقاتل^(٢)

والسدي وعطية^(٣) وقال عبد الرزاق^(٤) عن معمر^(٥) عن قتادة إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا قال ابن مسعود: إن للصلاة وقتاً، كوقت الحج^(٦)

ويفسر أبو السعود قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ فقال: "أي فرضاً موقتاً، وقال مجاهد: وقته الله عليهم فلا بد من إقامتها في حالة الخوف أيضاً على الوجه المشروح وقيل: مفروضاً مقدراً في الحضر أربع ركعات وفي السفر ركعتين فلا بد أن تؤدي في كل وقت حسب ما قد رُفِه^(٧)"

(١) هو سالم بن عبد الله بن عمر ذكر أبو زرعة أن حديثه عن أبي بكر الصديق، وعن جده عمر بن الخطاب رضي الله عنهم، مرسلاً، وهذا لا ريب فيه وذكره ابن المديني في جماعة قال لا يثبت لهم لقاء زيد بن ثابت رضي الله عنه وذكر المزني أنه اختلف في سماعه من أبي لبابة بن عبد البر. ت: حمدي عبد المجيد بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧/١٩٨٦.

(٢) مقاتل بن سليمان البلخي أبو الحسن، كبير المفسرين، أبو الحسن مقاتل بن سليمان البلخي. يروي. على ضعفه البين. عن: مجاهد، والضحاك، وابن بريدة، وعطاء، . قال ابن المبارك. وأحسن ما أحسن تفسيره لو كان ثقة! قيل: إن المنصور ألح عليه ذباب، فطلب مقاتلاً، فسأله لم خلق الله الذباب؟ قال: ليذل به الجبارين. قال ابن عيينة: قلت لمقاتل زعموا أنك لم تسمع من الضحاك. قال، كان يغلق علي وعليه باب، فقلت في نفسي: أجل، باب المدينة. وقيل إنه قال: سلوني عما دون العرش. فقالوا: أين أمعاء النملة؟ فسكت. وسأله: لما حج آدم، من خلق رأسه؟ فقال: لا أدري. سير اعلام النبلاء ٢٣٢/١٣، وتهذيب التهذيب ١٠/٢٨٥٠١٧٩.

(٣) هو عطية بن سعد، الكوفي، أبو الحسن، من مشاهير التابعين، ضعيف الحديث. روى عن، ابن عباس، وأبي سعيد، وابن عمر. وعنه: ابنه؛ الحسن، وحجاج بن أوطاة، وقره بن خالد، وزيكريا بن أبي زائدة، ومسعر، وخلق. وكان شيعياً. توفي: سنة إحدى عشرة. سير اعلام النبلاء ٩/٣٩٣.

(٤) عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري الحافظ الكبير، عالم اليمن، أبو بكر الحميري مولاهم، الصنعاني، الثقة، الشيعي. ارتحل إلى الحجاز، والشام، والعراق، وسافر في تجارة. حدث عن: هشام بن حسان، وعبيد الله بن عمر، وأخيه؛ عبد الله، وابن جريج، ومعمر. فأكثر عنه. وحجاج بن أوطاة، وعبد الملك بن أبي سليمان وغيرهم. حدث عنه: شيخه؛ سفيان بن عيينة، ومعتمر بن سليمان، وأبو أسامة، وطائفة من أقرانه، وأحمد بن حنبل، وابن راهويه، ويحيى بن معين، وعلي بن المديني، وآخرون. سير اعلام النبلاء ٩/٥٦٣. ٥٦٤.

(٥) هو معمر بن راشد أبو عروة الأزدي مولاهم، الإمام، الحافظ، شيخ الإسلام، أبو عروة بن أبي عمرو الأزدي مولاهم، البصري، نزيل اليمن.. مولده: سنة خمس، أو ست وتسعين. وشهد جنازة الحسن البصري، وطلب العلم وهو حدث. حدث عن: قتادة، والزهري، وعمرو بن دينار، وهمام بن منبه، وأبي إسحاق السبيعي وآخرون. حدث عنه: أيوب، وأبو إسحاق، وعمرو بن دينار، وابن المبارك، وغندر، وابن علية، وعبد الرزاق بن همام ومحمد بن ثور، وخلق سواهم. قال البخاري: وقال محمد بن كثير: عن معمر، قال: سمعت من قتادة، وأنا ابن أربع عشرة سنة، فما شيء سمعت في تلك السنين إلا وكأنه مكتوب في صدري. انظر: سير اعلام النبلاء ١٣/٢٠١.

(٦) تفسير ابن كثير ٢/٤٠٣.

(٧) تفسير أبي السعود ٢/٢٢٨.

أما تفسير الطبري فهو أيضاً يخالف موقف الشيخ أحمد الدين في قوله تعالى: (فَإِذَا قُضِيَتْهُمُ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَتُعُودُوا عَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا) (١)

حيث قال: وأولى التأويلين بتأويل الآية وتأويل من تأوله فإذا ازخوفكم من عدوكم وأمنتكم أيها المؤمنون واطمأنت أنفسكم بالأمن "فأقيموا الصلاة" فأتوا حدودها المفروضة عليكم، غير قاصريها عن شيء من حدودها وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالآية ولأن الله تعالى ذكره عرّف عباده المؤمنين الواجب عليهم من فرض صلاتهم بهاتين الآيتين نفي حالين:

إحدهما: حال شدة خوف أذن لهم فيها بقصر الصلاة على ما بينت من قصر حدودها عن التمام.

وثانيهما: حال غير شدة الخوف أمرهم فيها بإقامة حدودها وإتمامها والقول في تأويل قوله: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ وقال أبو جعفر "اختلف أهل التأويل في ذلك فقال بعضهم، معناه إن الصلاة كانت على المؤمنين مفروضة، وعن عطية العوفي في قوله: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ أي مفروضة، وقال ابن زيد مفروضة أي الموقوتة، والمفروضة، قال ابن مسعود: إن للصلاة وقتاً كوقت الحج، وعن زيد بن أسلم في قوله: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ وقال منجماً كلما مضى نجم جاء نجم آخر يقول "كلما مضى وقت جاء وقت آخر" (٢)

خلاصة الكلام

مع سي الأسف، لم أجد نصاً قاطعاً يوضح موقف أحمد الدين، بجلاء في عدد الصلوات المفروضة، بيد أن الذين نقلوا عن الجزء الأول من تفسيره بيان للناس (٣) يقطعون أن خواجه يقول بصلاتين مفروضتين فحسب، يقول صاحب (قرآن س قرآن تك) وهو ملخص لتفسير خواجه في هذا الموضوع ما نصه: جمع خواجه أربعاً وعشرين آية في هذا الباب، منها خمس آيات، تسمى بصلوات ثلاث، وهي تخاطب فرداً واحداً، واثنان عشرة آية أتت بصيغة الجمع، تدل على فرضية وقتين لا، غير وقد خصص خواجه خطاب الآيات الخمس بصاحب الرسالة محمد عليه الصلاة والسلام مع أن الصلاة الثالثة نافلة في حقه أيضاً، والامتنال لتلك الصلاة من أفراد الأمة شيء مرغوب فيه، ولكن طائفة أحمد الدين ليس ذلك فرضاً (٤) كما لخصت إدارة مجلة (بلاغ) موقف خواجه من الصلاة قبل وفاته. وفي ضوء هذه القرائن، يمكنني الجزم، بأن خواجه لا يرى سوى فرضية وقتين، وأما عدد ركعات هذين الوقتين فلم يقيد بها خواجه بشيء، بل نراه يصرح "أن من صلى أربعاً فهو مصيب، ومن صلى ركعة واحدة بخشوع فهو مصيب أيضاً

(١) سورة النساء - ١٠٣.

(٢) انظر: تفسير الطبري ١٦٦/٩ - ١٦٩ بتصرف يسير.

(٣) محمد حسين عرشي ص ٢٩٦.

(٤) انظر تفسير بيان للناس ج ٢ ص ٧١٠ و ٧٣٠ و ٧٤٠.

.... صلوا مع جميع الناس^(١) كما أن ما يُقرأ في الصلاة ليس بذِي بال عنده، فلذا لم ير من الصلاة مع عبد الله على طريقته الخاصة في إحدى زيارته له^(٢)

أضف إلى ذلك، أن خواجه أحمد الدين لا يرى استقبال القبلة في الصلاة، بل تجوز الصلاة عنده إلى الشرق والغرب، لأن الصلاة كلام مع الله، وكلام الله لا يحتاج إلى جهة، هذا وقد اختلف تلامذة خواجه بعد وفاته، إزاء أعداد الصلاة إلى القسمين، قسم بقي على عهد شيخه، كعباد الله أختر^(٣) وكان يقول بالصلواتين ويضيف إليها صلاة الجمعة كل أسبوع.

ب _ كالسيد مقبول أحمد عنده ثلاث صلوات في يوم واليلة، فهو يرى أن الظهر والمغرب نتيجة التقديم والتأخير، وأن المفروض من الصلوات هي الصبح، والعصر والعشاء، ويقول في ركعاتها، مثل اقوال المسلمين من الثنائية والرابعة، كما أنه يزعم أن أداء الصلوات الخمس، فُرِضَ على المسلمين، منذ أن وضعت أحاديث المعراج في القرن السابع الهجري، ولا تتقيد صلاته بطريقة معينة، وإنما يصلي المرء كما يحلو له.

وأما في الآونة المعاصرة فالمنتسبون إلى الخواجة (وأمة مسلمة) يؤدون الفروض الخمسة أشبه ما تكون بصلاة الحنفية، بالإضافة إلى أن أصحاب إدارة بلاغ القرآن يرمونهم بالميل إلى الحنفية، تأكيداً في أدائهم الفروض الخمسة، وقد توسط في عدد الصلوات بين الخماسيين والثنائين وقال: عدد الصلوات المطلوبة أربعة، التهجد والفجر والظهر والمساء، وأن من العدل أن نتوجه في التهجد والفجر إلى مشرق الشمس.^(٥)

موقفهم من الزكاة

(١) تفسير بيان للناس ج ٢ ص ٧٢٩.

(٢) تفسير بيان للناس ج ٢ ص ٧٢٩.

(٣) هو أحد تلامذة الخواجة أحمد الدين، البارزين وأحد الذين استلموا إدارة مجلة البيان، وأحد المكثرين في الكتابة عن آراء أمة مسلمة. وله مؤلفات منها بيدل أصول فقه إسلامي، مذاهب إسلامية، خلافت إسلامية، علم تصوف، إسلام مين حرية مساوت، إسلام أور حقوق إنساني، توفي في أوائل الستينات بلاهور.

(٤) انظار مطالعة حديث ص ١٤٩.

(٥) الصلاة لله والصيام للرحمن لسيد رفيع الدين. ص ١٣. هو السيد محمد رفيع الدين الملتاني عاصر محمد رمضان وحشمت علي معاً، دون أن ينضم إليها، وكانت له صلوات وجولات مع علماء الإسلام في الأربعينات من هذا القرن، وله مؤلفات عديدة منها : الصلاة) لله والصيام للرحمن) وخاتم النبيين.

قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾^(١) وقال ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾^(٢) الزكاة من أحد أركان الإسلام الخمسة، وهي تملك المال المخصوص، المستحقه بشروط مخصوصة^(٣). وهي فرض على كل مسلم حر بالغ عاقل، وصاحب النصاب^(٤).

وقد اختلف رأي أهل القرآن في هذا الركن، فانتقد أكثرهم ما روي عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، واعتبر بعضهم هذه المسألة. وحاول تقديم بديل. الذي تم انتقاده. وفي ضوء هذه الملابسات سأعرض أولاً رأي أبرز متكلمي الحركة القرآنية في الزكاة مع إرجاء المناقشة إلى الأخير.

١- رأي خواجه أحمد الدين وأتباعه

تحدث خواجه عن الزكاة، فنقد نصابها، وشرط حولان الحول فيها عند المسلمين فقال: يقال نصاب الذهب ٧٠٥ تولة، ونصاب الفضة اثنان وخمسون تولة، ومثل ذلك يقال عن نصاب الإبل والغنم، وكأن كل تلك الأنصبة شيء محتم مفروغ منه غير أن هذا التعيين لا يصلح الآن، مع إيفائه للمصالح في الأزمنة الماضية، للتوازن القائم بين تلك الأجناس آنذاك، ولا يمكن العمل على ذلك النصاب في الآونة المعاصرة، لأن ٧٠٥ تولة من الذهب لا تساوي في القيمة ٥٢ تولة من وبناء على هذا الفرق في وسع المحتالين استبدال أحد الجنسين بالآخر قراراً من الزكاة، وتجنباً لأنصبته المفروضة كما أن اللآلئ الفضة،^(٥) والجواهر والخيل والحمير أموال تدخلها الزكاة، وأما الزروع والثمار فيعطي حق الزكاة منها يوم حصادها، (وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ)^(٦)

وعين وقت وجوب الزكاة فقال: صاحب الأجر يجب أخذ الزكاة منه يوم تسلم أجره..... وأنه لا داعي للانتظار سنة كاملة ولا جدوى منه، ولا ريب أن تسلم أجر العمل (الراتب) يختلف من شخص إلى آخر، فمنهم من يقبض أجر عمله كل يوم، ومنهم من يتسلم في نهاية كل أسبوع، ومنهم من يتسلم في نهاية كل شهر. فخواجه بهذه الفكرة يوميء إلى أخذ الزكاة في كل يوم بالفعل أو بالتقدير.

والشيء الملفت للنظر فيما سجله خواجه أحمد الدين عن الزكاة هو عدم تعيينه المقدار الذي يجب أخذه زكاة ممن وجبت عليه، بل نراه يتحدث عن عطاء من وجبت عليه الزكاة، حيث يعطي من أجره ما يسد حاجته، مستحقاته ويكفيه، وهو بهذا التقدير كأنه يشير إلى أخذ ما زكاة دون تصريح.

(١) سورة البقرة آية ٤٣.

(٢) سورة الذاريات، آية ١٩.

(٣) انظر عبد الرحمن الجزيري الفقه على المذاهب الأربعة ج ١ ص ٥٩٠.

(٤) انظر ابن رشد، بداية المجتهد ج ١ ص ٢٠٧.

(٥) مسألة زكاة لأحمد الدين ص ٢٨ و ٢٩.

(٦) سورة الأنعام، آية ١٤١.

واتبع أتباع الخواجة طريقته في الزكاة، فأعادوا كتابة ما قاله عن شيخهم، ومنهم اثنان من تلاميذه، عبد الله أختر والسيد مقبول وقد تحدث الأول الزكاة فقال: يجب تقسيم الرزق على كل حسب حاجته من غير إسراف ولا تبذير وفق معيار يلائم حياة الفرد عن الخارجية، من مواده أن من حق الشورى أن يضع قوانين جديدة للزكاة، فالقرآن لم يحدد نصاب الزكاة ولا مقدارها، وتحديد الموجود الآن هو ما طبقه عمر بعد الشورى، فهذا فالإصرار هو جهد من جانبه، لذا فإن الشورى الآن يعطينا الحق الكامل في تحديد نسبة الزكاة ومقدارها حسب الظروف الحالية وفوائدها وآثارها ومتطلباتها.^(١)

٢- رأي برويز:

لقد تحدث برز عن الزكاة بتفصيل كبير، فاعتمدت أساليب كثيرة، وخرجت نظريته في الزكاة هكذا، مادة الزكاة ستكون من ز، ك، و، ومعناها النهاية والنمو. أمر الله بإيتاء الزكاة، أي توفير السلع والأثاث للآخرين الذين يتخلصون منه وزيادة راحتهم، والزكاة واجب على جماعة المؤمنين، لهم أن يقوموا بتزويد الجنس البشري بهذه الأشياء. والنظر فيما يتعلق بما يتطور ويجلب. فيحصل على السلام الذي يحسن قدراته البدنية والطبيعية، ولهذا جاء في الكتاب العظيم: "الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة"^(١)

وإيتاء الزكاة فريضة على الدولة الإسلامية .. والسؤال الذي يطرح نفسه هو كيف تبرى الدولة الإسلامية ذمتها من أداء هذه الفريضة الإلهية؟ فمن أوليات الإيفاء بهذه المسؤولية هو أن تحول جميع وسائل الإنتاج إلى الدولة، حتى تتمكن من تلبية حاجة المحتاجين، وبذلك تنمو مداركهم ومواهبهم الطبيعية والجسمية. "

أضف إلى ذلك أنه لا يجوز للإنسان أن يجمع ما بقي من كسبه، بل يدفع الفائض إلى الدولة، حتى يخرج الزكاة منه على قدر حاجته ويزيدها. ولتحقيق هذا الهدف لم يحدد القرآن نصاباً أو مقداراً محدداً لها، بل يدور الأمر كله حول تلبية هذه الحاجة، وما هو مطلوب منها لظروف حياة الإنسان، لذلك ننظر إلى القرآن 'آن. ونص على أن ما فائض وفائض عن احتياجات الأفراد ينتقل إلى الدولة حتى تتمكن من القيام بواجب التنمية. ﴿وَيَسْتَلُونَك مَادًا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَةَ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾^(٢)

هكذا أمر الزكاة عند القرآنيين، وتتلخص النصوص السابقة في النقاط الرئيسية التالية:

١- مقدار الزكاة عند مؤسس أهل الذكر والقرآن وأصحاب بلاغ القرآن، هو إعطاء الجزء العاشر على الأموال السائلة، والزروع والشمار .

٢- الأموال الزائدة عن الحاجة، هي الزكاة عند المتأخرين من القرآنيين، ولا نصاب للزكاة البتة.

(١) مجلة البيان ص ٢ عدد ص ٢ عدد يناير وفبراير ١٩٥١م تتابعون فيه أخبار دبي، الإمارات، أبوظبي، السعودية، دول الخليج، مصر، سوريا، تركيا، ومستجدات الأحداث العربية والعالمية، في السياسة والرياضة والاقتصاد والعلوم والفن والتكنولوجيا.

(٢) تفسير سورة البقرة - الآية ٢١٩.

عند برويز وأصحاب بلاغ القرآن، يتحول إيتاء الزكاة من الأفراد إلى الدولة، الحاكمة بالقرآن وحده.

ومن المفيد ألا أتجاوز في هذه النقاط الأربعة، وأما ما عدا ذلك من الأفكار والشبهات الموجودة في النصوص السابقة، فمنها ما قد مر بنا كنظرية تحويل الوسائل الإنتاج إلى الدولة، وتعريف الزكاة في اللغة وفي الشرع الله . ومنها ما لا يستحق أن يرد عليه كفكرة الزكاة اليومية، حيث أن أصحاب هذا الرأي لم يقدموا دليلاً قرآنياً فيما ذهبوا إليه، أو ما ادعوه كذب مكشوف^(١).

كقولهم إن أنصباء الزكاة جاءت عن الشورى في أيام عمر رضي الله عنه، أو من الفقهاء، فالقول بذلك كذب، لأن هذا بتواتر أن تعيين أنصبه الزكاة للإبل والبقر والغنم والذهب والفضة، جاءت عن محمد عليه السلام، وأما عمر فهو مطبق لذلك التعيين، والفقهاء رواه لا غير، أو أن ما نذكره من أدلة السنة، تتضمن الرد على الشبهات التي أثاروها عن الزكاة، كعدم اشتراط حولان الحول مثلاً، كما أنا لن نقف طويلاً عند من قال إن أنصاب الزكاة المروية لا يسعنا العمل عليها، لعدم التناسب بين قيمة الأجناس التي تحب فيها الزكاة، وكان هذا الاعتراض وجيهاً لو سلمنا أن الأنصبه وضعت حسب التناسب بين قيمة هذه الأجناس، ولكن الأمر ليس كذلك، لأن الأدلة والقرائن تشهد أن الأنصبه لم توضع لقيام التناسب بين الأجناس، بل وضعت ابتداءً، بقطع النظر عن التناسب في القيمة والتمن. فلكل الأجناس التي تحب الله عنه، الرأي لم يقدموا دليلاً قرآنياً فيما ذهبوا إليه، أو ما ادعوه كذب مكشوف.

أقول: لو سلمنا جديلاً أن دفع الزكاة من واجبات الدولة القرآنية كما يزعم هؤلاء، فهل كانت مثل هذه الدولة موجودة في التاريخ الإسلامي منذ عهد محمد إلى يومنا هذا؟ بل إن إعطاء الزكاة للناس من قبل الدولة ما هو إلا حلم يراه النائم، وعندما يستيقظ لا يحصل على شيء. وهو لا يتوافق مع النفس والحياة البشرية، ولكنه افتراء على حساب المستقبل والدين.

الصوم: موقف أحمد الدين من الصوم: افسد أحمد الدين مقصد فرضية الصوم عند تفسير قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٢) يقول: الصوم أمر مفيد سبب التقوى ومؤيد الصلاح البشر ويجوز الفدية بدل الصيام مع وجود الاستطاعة وعدم وجود العذر أو أي مانع آخر خلافاً للجمهور لأن جواز الفدية عندهم مشروطة بعدم

(١) انظر لمزيد، قرآني فيصلي ج ١ ص ١٥٣ - ١٥٥، وج ٢ ص ٢٨٧ و ٢٨٨، وانظر إسلامي معاشرت ص ٣٣، وكتاب التقدير ص ٢٨١، وقرآني قوانين ص ١٥٥ و ١٦٠، ومن ويزدان ص ١٢٣، وإنسان في كيا سوجا ص ٣٠٨، وتبويب القرآن ج ٢ ص ٨٤٥، ومنزل به منزل ص ٨٩ ص ٨٤٤.

(٢) سورة البقرة. ١٨٥.

الإستطاعة وفقدان الطاقة كما أن الصيام ليست موقته بوقت معين مخصوص وعدد معين يجوز في أي فترة من السنة أما صيامه في رمضان كانت من أجل نزول القرآن فيه وتأسى المسلمين بسنته بعده^(١)

قال ابن كثير: وقوله تعالى: (فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ) هذا إيجاب حتم على من رأى دخول شهر الصيام، أي أنه كان مقيماً في البلد عندما دخل شهر رمضان وهو لائق بدنياً للصيام، ونسخت هذه الآية الإباحة المتقدمة، أي وكان صحيحاً مستقراً، يفطر، ويؤدي الفدية بإطعام مسكينة عن كل يوم. ولما أوجب الصيام على كل سالم عاقل مقيم، أعاد ذكر الرخصة للمريض والمسافر، بشرط القضاء، فقالوا: مَنْكَامَرِيضًا أَوْ عَلسَفَرٍ الخ، معناه: ومن كان به مرض، لا يستطيع للصيام ويؤذيه أو كان على سفر، فله أن يفطروا بعد ما أفطره ولذا قال: (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) أي: إنما رخص لكم في حال المرض وفي السفر دون المقيم والصحيح، تيسيراً عليكم ورحمة بكم^(٢)

قال الإمام القرطبي "كتب الله عز وجل صيام رمضان بأي مدة هلاله، ولذا سمي الشهر، كما جاء في الحديث الشريف "فإن غمي عليكم الشهر"^(٣) أي الهلال، وقال الشاعر:

أخوان من نجد على ثقة، والشهر مثل قلامة الظفر.

حتى تكامل في استدارته، في أربع زادت على عشر.

فالواحب علينا ان نكمل عدة شعبان ثلاثين يوماً، وعدة رمضان ثلاثين يوماً، حتى ندخل العبادة على يقين، ونخرج منها يقين، فقال الله تعالى ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾^(٤) وروى الأئمة على الإثبات عن النبي قال "صوم الرؤية وأفطروا الرؤية فإن غم عليكم فأكملوا العدد"^(٥) وفي رواية "فإن غمي عليكم الشهر فعدوا ثلاثين"^(٦) ونقل الماوردي في تأويل الآية ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ ثلاثة أقاويل.

أحدها: ووقول علي، وابن عباس، والسدي: فمن شهد أول الشهر، وهو مقيم فعليه صيامه إلى آخره، وليس له أن يفطر في بقيته.

(١) انظر: تفسير بيان للناس ٣١٤/١.

(٢) تفسير ابن كثير ٥٠٣/١.

(٣) جزء من حديث الذي رواه صحيح مسلم عن أبي هريرة ٧٦٢/٢ كتاب الصيام، باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال، والفطر لرؤية الهلال، وأنه إذا غم في أوله أو آخره أكملت عدة الشهر ثلاثين يوماً.

(٤) سورة النحل . ٤٤.

(٥) صحيح مسلم ٧٦٢/٢ كتاب الصيام، باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال، والفطر لرؤية الهلال، وأنه إذا غم في أوله أو آخره أكملت عدة الشهر ثلاثين يوماً، عن أبي هريرة .

(٦) نفس المصدر.

(٧) تفسير القرطبي ٢٩٣/٢.

والثاني: قول سعيد بن المسيب، والحسن البصري، فمن شهد منكم الشهر فليصم، ماشهد منه، وهو مقيم دون ما لم يشهده في السفر.

والثالث: قول أبي حنيفة، وصاحبيه، فمن شهد بالغأفلاً مَكْلَفًا، فليصمه، ولا يسقط صوم بقيته، إذا جُن فيه.^(١) يفسر المودودي في قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ قد فرض الله على المؤمنين صوم رمضان كما كتب عليهم فرائض الإسلام الأخرى، وفي صدر الإسلام كان الرسول يأمر بصيام ثلاثة أيام وهي كانت مكتوبة، ثم قد أنزل الله حكمه بصيام شهر رمضان كاملاً، ورعى فيها مصالح العباد فاستثنى منه المريض والمسافر والمرأة الحائض والتي تلد فيه فهم يصومون قضاء بعد إنتهاء عذرهم ثم يقول المودودي أن شهر رمضان أيام مباركة وهي من نعم الله على عباده وعليها شكر هذا النعمة بتلاوة القرآن الكريم وكثرة الصلاة والصدقات وأعمال الخير كله ومن لا يشكر فكأنما رد على الله نعمته والصيام عبادة التي يجزئ الله بنفسه، كما في الحديث القدسي: "كل عمل ابن آدم له، إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به"^{(٢) (٣)}

الحج: موقف أحمد الدين من الحج وموقف الجمهور

تفرد أحمد الدين برأيه في فهم فرضية الحج ومناسكه وما إلى ذلك من الأمور المتعلقة بالحج كذلك، ونذكر بعضاً من هذه التفردات الشاذة فيما يلي:

الأمر الأول: الحج عنده مؤتمر سنوي يجمع فيه المسلمون من بقاع الأرض ومن أسمى مقاصده ابتغاء فضل الله ورضوانه^(٤) والتعاون على البر والتقوى^(٥) وحصول المنافع المرجو منه^(٦) وما إلى ذلك كما رمي الجمار واستلام الحجر وتقبيله والتميم بماء زمزم والتداوي به ليس فقط إلى أوهام وبقية من العوائد الجاهلية ليس أي فائدة من مثل هذا الحج.

الأمر الثاني: أن الحج ليس موقت بوقت مخصوص فإذا جاوز أدأؤه في وقتٍ ما في حالة الإحصار وعدمه.

الأمر الثالث: فسر قول الله تعالى: (وَلَا تَحْلِفُوا رُبُّكُمْ) ^(٧) أي اجتنبوا عن حلق رؤسكم لكونه من عادات المشركين ومن ارتكب جريمة الحلق فعليه إما الصدقة والصيام أو أي عبادة أخرى ككفارة لها.

(١) انظر: تفسير الماوردي ١/٢٤٠، ٢٤١

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ١٦٤/٧ كتاب اللباس، باب ما يذكر في المسك، بلفظ: عن أبي هريرة، عن النبي قال "كل عمل ابن آدم له إلا الصوم، الحج"

(٣) تفهيم القرآن ١/١٤٢.

(٤) (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ) سورة البقرة - ١٩٨

(٥) (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى) سورة المائدة - ٢

(٦) (لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ) سورة الحج - ٢٨

(٧) سورة البقرة - ١٩٦

الأمر الرابع: لا معنى لذبح الناس الهدى . يوم النحر ويومين بعده . متأسين بسنة إبراهيم لأن ذبح إبراهيم ابنه في الحقيقة تحريره لعبادة ربه طول حياته وليس ذبحه حقيقيا عمليا فذبح الهدى لا يقوم مقامه كما ظن بعض الناس .

الأمر الخامس: إن وجه التسمية العرفات . المكان الذي يقوم فيه الحاج يوم عرفة وهو من أركان الحج . أن آدم وحواء التقيا في ذاك الموضع وعرف كل واحد منهما الآخر كما شاع بين الناس خطأ عند المصنف ولكن المراد الصحيح بالعرفة عنده مكان . أي عرفات . تعارف الناس فيما بينهم مجتمعين في موسم الحج . وبإمعان النظر في أرائه يتجلى بكل وضوح على القارئ وكل من له علاقة بالسنة النبوية، أنها مبنية ومنبثقة من إنكار الأحاديث التي وردت في كل قضايا تقدم ذكرها^(١)

النقد:

إعلم إن التفسير لشيخ أحمد الدين حول الحج خطأ أيضاً وتخالف لآيات القرآن الكريم لان الحج هي فريضة الإسلام حتى قام به النبي إبراهيم حتى النبينا محمد وقد بقى هذه الفريضة إلى يوم القيامة ما انكر منه احد ولا تأول فيه احد الا أحمد الدين الذي فسر الحج بطريقة التي ما فسر به احد وانا قارنت رأيه مع التفاسير الأخرى فعليكم ان تشاهدوا ومن التفاسير الذي قارنت معه رأى أحمد الدين .

قال ابن عباس رضي الله عنه في تفسير الآيات المتعلقة بالحج والعمرة^(٢): "وَأَتَمُّوا الْحَجَّ وَالْعَمْرَةَ لِلَّهِ لِتَقْبَلَ اللَّهُ بِالْإِخْلَاصِ وَإِتِمَامِ الْحَجِّ إِلَى آخِرِهِ وَإِتِمَامِ الْعَمْرَةِ إِلَى الْبَيْتِ، فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ، حَبَسْتُمْ عَنْ الْحَجِّ وَالْعَمْرَةِ، مِنْ عَدُوٍّ أَوْ مَرَضٍ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَعَلَيْكُمْ مِمَّا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ شَاةً أَوْ بَقَرَةً أَوْ بَعِيرًا لَتَرْكِ الْحَرَمِ فِي عَشْرِ الْحَجِّ آخِرَهَا يَ وَمَعْرِفَةِ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَى أَهَالِكُمْ فِي الطَّرِيقِ أَوْ فِي أَهَالِكُمْ، تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ، ذَلِكَ، يَعْنِي دَمَ الْمَتْعَةِ، لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ وَمَنْزَلُهُ فِي الْحَرَمِ لِأَنَّهُ لَيْسَ عَلَى أَهْلِ الْحَرَمِ هَدْيُ التَّمَنُّعِ (وَاتَّقُوا اللَّهَ) اخْشَوْا اللَّهَ فِي تَرْكِ مَا أَمَرْتُمْ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ لِمَنْ تَرَكَ مَا أَمَرَ مِنْ هَدْيٍ أَوْ صَوْمٍ الْحَجِّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ لِلْحَجِّ أَشْهُرٌ مَعْرُوفَاتٌ يَحْرُمُ فِيهَا بِالْحَجِّ شَوَالٌ وَذِي الْقَعْدَةِ وَعَشْرَتُهُنَّ ذَا الْحِجَّةِ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَمَنْ أَحْرَمَ فِيهِنَّ بِالْحَجِّ، فَلَا رَفْتَ فَلَاجِمٌ فِي الْإِحْرَامِ وَلَا فُسُوقَ وَالسَّبَابُ مَعَ صَاحِبِهِ فِي الْحَجِّ فِي إِحْرَامِ الْحَجِّ"^(٣)

قال أبو السعود: في تفسير قول الله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفْتَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾: "معروفات بين الناس هي شوال، وذو القعدة وعشر ذي الحجة عندنا، وتسعة بليلة النحر عند الشافعي، وكله عند مالك"^(٤)

(١) انظر: تفسير بيان للناس لأحمد الدين ٣٣١.٣٢٦/١

(٢) (وَأَتَمُّوا الْحَجَّ وَالْعَمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ، (الح) سورة البقرة ١٩٦ - ١٩٨ .

(٣) تفسير ابن عباس ص ٢٧ .

(٤) تفسير أبي السعود ٢٤٣/١ .

وأحسن ما قال المودودي عن فرضية الحج "إن الحج عبادة مستقلة لله وحده ولا يجوز فيه الجدل ولا الفسوق ولا رث وفريضة من الفرائض وركن من أركان الإسلام الخمسة لمن أستطاع إليه سبيلا ومواقيته معلومة وهي شهر الشوال المكرم وذو القعدة وذو الحجة وهذا ما حدد الله. وإذا منع الحاج من الذهاب إلى مكة في الطريق، فعليه أن يقوم بذبح الهدي لله وهو لأجل منعه من الوصول إلى مكة وليس من حلق الرأس، وحلق الرأس يكون للتحلي لمن الإحرام^(١)

وفي نظري . والله أعلم بالصواب . أن الحج عبادة لله وحده وركن من أركان الإسلام جامع للعبادتين المالية والبدنية ولا يوجد أى دليل صراحتا أو دلالة للمصنف لتسميته أن الحج مؤتمر سنوي للناس وأن الحج من بقايا دين إبراهيم فأقره الإسلام ومحى عنه الأباطيل والخرافات من طواف العريان بالكعبة وقيام قريش في المعشر الحرام يوم العرفة دون عامة الناس وبعد فرضيته وبيان مناسكه بيانا وافيا في القرآن الكريم كيف طاب نفس المصنف أن الحج من أمور الجاهلية وأما الإتيان بالهدى إلى بيت الله في الحج فهي شعائر الله التي لا يجوز السخرية والاستهزاء بها كما فعله المصنف بقوله إن الهدي تؤتى بها خوفا من القحط ثم أنكر الشيخ مواقيت الحج الزمنية مع أن مواقيته الزمنية والمكانية معروفة من عصر الرسالة إلى يومنا هذا ويفسر حلق الرأس لقوله أنه عمل المشركين ويعتبره من أمور الجاهلية ويدعو الناس إلى تركه وهذا لأنه لا يعرف من حكمة حلق الرأس أنها التحليل من الإحرام واتباع حكم القرآن وتأسى بالنبي وغير ذلك.

المبحث الرابع: تفردات اعتقادية أخرى لأحمد الدين

ومنها: كيفية ولادة عيسى عليه السلام

حسب دأبه، أنكر المعجزات، وأقام فهمه لقصة ولادة عيسى عليه السلام على هذا الأساس، فقال بأن الظاهر أن كفيل المرأة يكون زوجها، فكان يحيى هو زوجها وكفيلها انداك. أي منذ صغر عمره. فتبرأت مريم من نكاح مثله واحتفظت بعصمتها عنه فمن أجل صبرها هذا بشرها ربها بولد صالح فتعجبت بأن يكون لها ولد ولم يمسهها بشر فأجاب أن الله سيتيسر أسباب ولدها وهو قادر على ذلك فأرسل إليها بشرا قويا فاستعادت بالله منه فقال: إني مرسل من الله لكي أهب لك غلاما ذكيا، فاحتملت من جانب الفرج وسافرت معه وكان قابلا لها عند وضع ولدها في مكان ذات قرار ومعين يسمى ناصرة فلذا سُمي أمته عيسى بنصاري منتسبين إلى تلك القرية. تفند أحمد الدين أراي جمهور المفسرين بقوله: إن ولادة عيسى ما كان بدون الأب بل جاء اليه بشرا بإذن الله وحملت منه لان بدون الاب لا يمكن استقرار الحمل النساء ويستدل بآية " لا تجد لسنة الله تبديلا" واما فرارها من قومها خوفا من طعنهم إياها بالزنا، وعند تتبع واستقراء رأيه يتجلى لنا أن بسبب زلته إنكاره المعجزات الباهرة وعدم الالتفات والتمسك بالسنة النبوية الشريفة الثابتة فلن يستنكف أحد أن تفسيره مبني على عقله وهواه غير مستند إلى دليل (١)

موقف أحمد الدين من التوجه إلى الكعبة في الصلاة:

قول أحمد الدين بعدم وجوب التوجه إلى الكعبة في الصلاة، مخالف إجماع الأمة لفرضية التوجه إلى البيت وعمل النبي والصحابة والأمة جميعا إلى يومنا هذا ويستدل على عدم وجوب التوجه إلى البيت بما يلي:

١. إن الأرض كرة والبيت واقع في وسطها لا يتحقق فيه تعيين جهة فإذن يجوز التوجه في الصلاة إلى أي جهة كانت.

٢. أمر الله بالتوجه إلى الشطر والشطر ليس خاص بنحو البيت، بل يطلق بأي جهة من جهات الكعبة، فلا يجب التوجه إلى عين البيت، بل يجب إلى شطره.

٣. قول الله تعالى ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَثَمَّ وَجْهُهُ﴾ (٢) ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٣) الصلاة تكون لله وهو موجود في كل مكان فاذن لا يستقيم القول بوجوب التوجه إلى البيت بالقول بالوجوب التوجه إلى البيت ترجيح بلا ملاحح وهذا باطل.

(١) انظر: تفسير بيان للناس ١٠٩/٤. ١٣٦.

(٢) سورة البقرة. ١١٥.

(٣) سورة البقرة. ١٤٢.

٤. الصلاة هو الدعاء ولم يقل أحد بوجوب التوجه إلى البيت في الدعاء حتى تجوز التوجه فيها إلى السماء فلذا القول بوجوب التوجه إلى البيت في الصلاة اجتماع نقيضين وهذا محال يعني التوجه في الدعاء ليس بواجب فكيف يكون واجب في الصلاة وهي الدعاء أيضاً^(١)

موقف جمهور من مسألة التوجه إلى البيت:

فسر الإمام المودودي قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَلِّفْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(٢) لقد كانت خلافة الله في أرضه في يد بني إسرائيل من عصر إبراهيم ثم في عهد إسحاق ويعقوب عليهما السلام ثم نقل الله منهم خلافته بسبب كفرانهم وطغيانهم المستمر إلى ذرية إسماعيل، وبعث فيهم محمد وصار إماماً ورحمة للعالمين وكان الإعلان عن تحويل القبلة صار أمراً ضرورياً بجانب تحويل الخلافة حتى يكون بني إسرائيل منعزلين عن قيادة الناس وينتقل أهمية بيت المقدس إلى بيت الله الحرام الذي كان قبلة الأولى لإبراهيم.^(٣)

ويقول الزمخشري: (سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ) الخفاف الأحلام، هم اليهود، لكرهتهم التوجه إلى الكعبة، وقيل: هم المنافقون، لحرصهم على الطعن والاستهزاء. وقيل: المشركون، قالوا رغب عن قبلة آبائهم، ثم رجع إليها، والله ليرجعن إلى دينهم (مَاوَلَاهُمْ) ماصرفهم (عَنْ قِبَلَتِهِمْ) وهي بيت المقدس (قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ) أي مواطن المشرق والمغرب، والأرض كلها (يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) من أهلها، (إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ). وهو ما توجه به الحكمة والمصلحة، من توجيههم، تارة إلى بيت المقدس، وتارة إلى الكعبة^(٤)

قال الماوردي "السُّفَهَاءُ واحد سَفِيه..... والمراد بالسفهاء هاهنا ثلاثة أقاويل:

أحدها: قول مجاهد، هم اليهود.

والثاني: قول السدي، هم المنافقون.

والثالث: وحكاة الزجاج، هم كفار قريش.

﴿مَاوَلَاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ يعني ماصرفهم عن قبلتهم الأولى، وهي بيت المقدس، وفي رواية البراء بن عازب كان يستقبلها رسول الله بعده جرته إلى المدينة بستة عشر شهراً، وفي رواية معاذ بن جبل: ثلاثة عشر شهراً، وفي رواية أنس بن مالك تسعة أشهر، أو عشرة أشهر، ثم نُسِحت قبلته هذا باستقبال الكعبة، وقول أنس بن مالك: كان رسول الله عليه السلام في صلاة الظهر بالمدينة، وقد صلى منها ركعتين نحو بيت المقدس، فانصرف بوجهه إلى الكعبة،

(١) يراجع: تفسير بيان للناس ٢٩٤:٢٧٥/١.

(٢) سورة البقرة - ٤٧.

(٣) تفهيم القرآن ١٢١/١.

(٤) انظر: تفسير الكشاف ١٩٨/١.

وقال البراء بن عازب: كنا في صلاة العصر بقباء، فمر رجل على أهل المسجد وهم ركوع في الثانية فقال: أشهد لقد صليت مع رسول الله ﷺ قبل مكة فداروا كما هم قبل البيت وقبل كل شيء: ما قَابَل وَجْهَهُ" (١)

شرح الجزائري في تفسيره الآية بقوله: "السفهاء، جمع سفيه وهو من به ضعف عقلي لتقليده وإعراضه عن النظر نجم عنه فساد خلق وسوء سلوكهما ولا هم: أي ما صرفهم عن استقبال بيت المقدس إلى استقبال الكعبة بمكة. القبلة: الجهة التي يستقبلها المرء في صلاته.

معنى الآية: يخبر الله تعالى بأمر يعلمه قبل وقوعه، وحكمة الإخبار به قبل وقوعه، تخفيف أثره على نفوس المؤمنين إذ يفقد نقدهم المرير عنصر المفاجأة فيه، فلا تضطرب له نفوس المؤمنين. فقال تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَهُمْ عَن قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ﴾؟ وحصل هذا لما حوّل الله تعالى رسوله والمؤمنين من استقبال بيت المقدس في الصلاة إلى الكعبة تحقيقاً لرغبة رسول الله في ذلك ولعلة الاختبار التي تضمنتها الآية التالية فأخبر تعالى بما سيقوله السفهاء من اليهود والمنافقين والمشركين وعلم المؤمنين كيف يردون على السفهاء فقال: ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ فلا اعتراض عليه بوجه عباده حيث يشاء ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم" (٢)

موقف أحمد الدين من الطهارة:

لا خلاف بين الأمة في اشتراط الطهارة لصحة الصلاة وفقدانها مانعة عنها، خلافاً للرأي أحمد الدين، الذي قال بوجوب الطهارة عن النجاسة الحقيقية والحكمية، ولكنها مانعة عن الصلاة الجماعة فقط ليست بمانعة من الصلاة المنفردة. وهكذا يجب طهارة اللباس عن الأدناس ولكن عدم طهارته لا يمنع من أداء الصلاة، بحسبان زعمه أن الإنسان مخلوق من نطفة نجسة لا يمكن ازالتها بأي حال، ومع هذه يقوم الإنسان أمام ربه ويناجيه. فلذا لا يجوز منع الحائضة ونفساء عن أداء الصلاة.

وأضاف بأن نحن مع كوننا ملبسين بثيابنا عراة أمام الله (٣)، فلعبد ملوث بالنجاسة الظاهرية يصلي خاشعاً خاضعاً لله أحسن وأفضل بكثير من الذي يصلي غافلاً قلبه مع الطهارة الظاهرية لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (٥) (٤). نرجوا سماحة القارئ أن يتنبه إلى الأحاديث النبوية سندكها

(١) انظر: تفسير الماوردي ١/١٩٦، ١٩٧.

(٢) أيسر التفاسير لكلام علي الكبير لجابر بن موسى بن عبد القادر ١/١٢٤، ١٢٥، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة: الخامسة، ٢٠٠٣/هـ ١٤٢٤م.

(٣) لقوله تعالى: (رَبَّنَا إِنَّا تَعَلَّمْ مَا تُخْفِي وَمَا تُغْلِبُ عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ). سورة ابراهيم - ٣٨.

(٤) سورة الكهف - ٢٨.

(٥) انظر: تفسير بيان للناس ١/٧٥ - ٨١.

ضمن بيان موقف جمهور المفسرين حول المسألة تقدم ذكرها. قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾^(١).

قال ابن كثير: "عن ابن عباس رضى الله عنه في قوله ﴿وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾ قال: لا تدخلوا المسجد وأنتم جنب إلا عابري سبيل، قال: تمر به مرا ولا تجلس. ثم قال: وروي عن عبد الله بن مسعود وأنس، وأبي عبيدة وسعيد بن المسيب، وأبي الضحى، وعطاء ومجاهد، ومسروق، وإبراهيم النخعي وزيد بن أسلم، وأبي مالك وعمرو بن دينار والحكم بن عتيبة وعكرمة، والحسن البصري، ويحيى بن سعيد الأنصاري وابن شهاب وقتادة، نحو ذلك." ^(٢).

وقال الشوكاني: "وَلَا جُنْبًا" فيصير المعنى: لا تقرب والصلاة حال كونكم جنباً لإحلال السفر، فإنه يجوز لكم أتصلوا بالتيمة، وهذا قول ابن عباس، وعليّ، وابن جبير، ومجاهد، والحاكم، وغيرهم وقالوا: لا يجوز لأحد أن يقرب الصلاة وهو جنب، إلا بعد الغسل المسافر، فإنه يتيمة، لأن الماء قد يعدم في السفر لا في الحضر، فإن الغالب أنه لا يعدم. وقال ابن مسعود، وعكرمة، والنخعي، وعمرو بن دينار، ومالك، والشافعي، عابر السبيل هو المجتاز في المسجد، وهو مروعن ابن عباس رضى الله عنهم، فيكون معنى الآية على هذا لا تقربوا مواضع الصلاة، وهي المساجد في حال الجنابة، إلا أن تكونوا مجتازين فيه امن جانب إلى جانب" ^(٣).

وقال المودودي في تفسير الآية المذكورة: الجنابة معناها الأصلية هي البعد والبراءة وهي مأخوذة من (جنب)، وفي اصطلاح الشرع "هي نجاسة التي تخرج من الإنسان بعد قضاء الشهوة أو في المنام وسميت بالجنابة لأنها تبعد الإنسان من الطهارة. والأصل في الطهارة هي الماء ويستعمل مكانه التراب عند الحاجة للتيمة. فإذا كان الإنسان جنباً ولم يجد ماء أو كان مريضاً فعليه بالتيمة، ومعناه: القصد، وفي الإصطلاح هي قصد التراب للطهارة. وقد يعترض البعض كيف يمكن الطهارة بالتراب؟

والجواب بأن التيمم تفعل لصلاة، وهو عمل نفسى مكان الطهارة بالماء لأن الصلاة رابطة بين الله وبين عبده ان الإنسان جنب يكون بعيداً نفسياً عن رب العالمين ^(٤).

(١) سورة النساء - ٤٣.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ٣/١١، وإرشاد العقل السليم من مزايا الكتاب الكريم، المعروف بتفسير أبي السعود ١٧٩/٢.

(٣) فتح القدير للشوكاني ٤٦٩/١.

(٤) تفهيم القرآن ٣٥٤/١.

التأويلات عند أحمد الدين في الآيات المتفرقة منها

آية الإسراء: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ السَّارِءُ﴾ يقصد بالمسجد الأقصى مسجد المدينة البعيد، أي المسجد الذي يقع في أقصى حدود المدينة، وفي القرآن الكريم جاء رجل من الأقصى. هنا أقصى المدينة يعني الجانب البعيد من المدينة، وهو أبعد ما يكون عن الأشخاص المذكورين في الآيات، ولا يصح اعتبار المسجد البعيد في المدينة معناه المسجد البعيد للعالم كله. لا يوجد أحد على وجه الأرض، والمسجد لا يمكن، أن يكون إقصاء، وإذا كان يمكن أن يكون، فلا يمكن أن يسمى مسجد أصحاب الكهف والمسجد الأبعد على وجه الأرض "الأقصى" ويسمى مسجد بيت المقدس بالمسجد الأقصى. لكن هذا المسجد ملك للنبي الكريم ولم يكن موجودا في ذلك الوقت، وفي الآية السابعة من هذه السورة ذكر الدمار الكامل لمسجد بيت المقدس، وبعد ذلك لم يرد وصف. في الآية السادسة ورد نفس المسجد في كلمة ديار وهذا المسجد الأقصى ليس له علاقة بالمسجد المذكورة.

وبنفس الطريقة فإن المشعر الحرام يعتبر المسجد الأقصى. في هذا الصدد، يكتب بنو إسرائيل تحت "كان هناك تجمع للحج خارج حتى عرفات، لذا فإن مشعر الحرم هو مسجد بعيد كـ". يقع هذا المسجد بالقرب من أحد أقاصي يبري في حدود مكة وكان به حديقة للمسافرين تسمى جنات المواء. لذلك، كانت هناك بركات ظاهرة حول هذا المسجد، كما كانت حدود المسجد الحرام وعرفات موجودة حوله، حيث يتم الذكر الإلهي. هذا هو السبب في أن النعم الداخلية كانت تظهر من حوله. أخذ الله رسوله إلى هذا المسجد ذات ليلة. كان الغرض من هذه الجولة هو أن نطلع الرسول الكريم على الآيات الطبيعية، كما عُرض على النبي موسى، الآيات على جبل سيناء. لا يوجد دليل على إعلان المسجد الأقصى، السجد المبارك التاريخي الذي يقع في بيت المقدس (فلسطين). وحولها أرض سورية الخصبة. وقال المعلقون أيضا إن المسجد الأقصى يقع في بيت المقدس ولا يزال قائما حتى اليوم. يهود إسرائيل اغتصبوها بالقوة.

الثاني: تليين الحديد لداود عليه السلام وتسخير الجبال والطير له في قول الله تعالى ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ أَنْ اْعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(١) أيها الجبال (أي أهل الجبل) سافروا ورافقوه (طوال اليوم) وأطيعوا (أنتم أيضا) الطيور (أي الجواسيس والمخبرون). جعل الله منطقة عماليق الجبلية تحت سيطرة داود. نعمته .. أنت تضع المخبرين تحت رعايتهم حتى إذا قاموا بأي مخطط وما إلى ذلك، فيجب معاقبتهم بشكل مناسب، أو أيًا كان ما يتطلبه الموقف. في مكان آخر يوصف الطائر على النحو التالي:

والطيور (التي جمعت من مدن كثيرة) كانوا يصلون معهم وهم) جميعاً (داود وعمالق والطيور إلخ) تحولوا إليه (الله) (ليس لداود). المكافآت) كانت. الطيور نوعان أحدهما مجنح والآخر بلا أجنحة، أي البشر. طائر، سريع الحركة، طائر، مجنح. لذلك، ورث سليمان هذه الطيور، أي العسكريين، الذين يطلق عليهم أيضاً الجن والبشر، من داود. كان حداد بينهم أيضاً، ليس حيواناً، كل هؤلاء الناس كانوا أشخاصاً صالحين.

عاش العمالق في هذه الجبال التي أطلق عليها الإسرائيليون جبارين. كانوا من الجن الذين يعيشون في الجبال. فانتصر عليهم داود صلى الله عليه وسلم وجعلهم تحت السيطرة. كان يعمل مع ديفيد طوال اليوم. كان يصلي مع داود عليه السلام صباحاً ومساءً. قال الله تعالى في سورة ساعين: يجبل أوبي معاً والطيور ٦٤ قلنا للجبال أي أهل الجبال تمشي مع داود طوال النهار ثم جعلنا الناس. من طائر أيضاً يعملون معهم. يتبين من هذا أن الجبال كانت تمشي مع داود عليه السلام. الانضباط يعني القيام بدوريات يومية. ومن الواضح أن هذا العمل ليس للجبال بل لشعوب الجبال. (كما هو مكتوب) هناك مدينة في سوريا تسمى صور، حيث كان يعيش سكان صور تفسير القرآن الكريم الذي يجب أن يكون مصحوباً بالوحي جاء في القرآن نفسه. وأي تفسير للقرآن بالوحي هو القرآن".

والسؤال إذا كان أهل الجبل يصلي مع حضرة سليمان فما هي صفته فيها؟ كما أنك كنت تعبد الله تعالى وكان الناس في كل مكان يعبدون نفس الرب، وفي هذه الصلاة في الجماعة حيث كان سليمان نفسه يشارك، كان الناس يشاركون بنفس الطريقة في كل مكان، لذا من هذا حضرة على سليمان لا يمكن العثور عليها في الخارج. بعد وصول التعليم القرآني الكامل والموحد، ليست هناك حاجة لأي وحي تشريعي. كل هذا في القرآن. قد وصل أما باقي الأمور فقررها القرآن نفسه. ثم يقول الله تعالى أن تفسير القرآن جاء في القرآن نفسه. وفقاً للقرآن، من الضروري إدخال التفسير الملهم للقرآن إلى القرآن نفسه. في التفسير غير المكشوف، كل النبلاء لديهم نفس الموقف. وقد أوضح القرآن الكريم نفسه أن تحديد القرآن من واجبات رسول الله صلى الله عليه وسلم. يقال: وَأَنْزَلْنَا

إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ^(١)

الفصل الثاني

آراء أحمد الدين الإعتقادية في أبواب العقيدة الرئيسة، وفيه مباحث

المبحث الأول: آراؤه الاعتقادية في باب الإلهيات

المبحث الثاني: آراؤه الاعتقادية في باب النبوات

المبحث الثالث: آراؤه الاعتقادية في باب السمعيات

المبحث الرابع: آراؤه الاعتقادية المتعلقة بالملائكة

المبحث الأول: الآراء الاعتقادية لأحمد الدين أمرتسري في باب الإلهيات

التمهيد: يُعدّ باب الإلهيات من أهم أبواب العقيدة الإسلامية، وقد أفرد له العلماء عناية خاصة لصلته المباشرة بتوحيد الله تعالى وصفاته. وخوجه أحمد الدين أمرتسري (المعروف بالقرآني) قد عالج قضايا الإلهيات في تفسيره "بيان للناس" من خلال منهج متميز يقوم على الاعتماد على القرآن وحده، وردّ الأحاديث، والتفسير العقلي للنصوص الشرعية، مما جعله ينفرد بآراء خاصة أثارت جدلاً واسعاً. سوف أذكره في ما يلي

أولاً: آراؤه في صفات الله تعالى

- ١- الصفات الخيرية: أول الاستواء على العرش بالاستيلاء على الملك والقدرة، لا بالجلوس أو المكان. (١)
- ٢- رؤية الله تعالى: أنكر إمكانية رؤية الله في الآخرة، مستدلاً بقوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]. (٢)
- ٣- صفة الكلام: اعتبر القرآن "تعبيراً عن الإرادة الإلهية" لا بمعنى الحروف والأصوات، ونفى أن يكون الكلام صفة قائمة بذات الله (٣).

ثانياً: آراؤه في بعض المسائل الغيبية

- ١- حمل العرش أنكر أن يكون هناك ملائكة يحملون عرش الرحمن، ورأى أن العرش رمز للسلطان والملك. (٤)
 - ٢- الملائكة: فسّر الملائكة بأنها قوى كونية وقوانين طبيعية، لا مخلوقات نورانية غيبية. (٥)
 - ٣- الشفاعة: أنكر شفاعة النبي ﷺ، ورأى أن الشفاعة للأعمال الصالحة فقط. (٦)
 - ٤- الحياة البرزخية: أنكر وجود البرزخ، واعتبر أن الإنسان يموت ثم يُبعث مباشرة يوم القيامة. (٧)
- ثالثاً: مقارنته بالمدرسة العقلية الاتفاق: مثل محمد عبده ورشيد رضا، نفى التجسيم، وأوّل الصفات الخيرية بالعقل أقول: يتضح من خلال آرائه أنّ أحمد الدين أمرتسري أقام عقيدته في الإلهيات على القرآن وحده والتأويل العقلي، فأثبت وجود الله تعالى وصفاته على وجه التنزيه المطلق، لكنه أنكر كثيراً من الغيبيات التي أثبتتها النصوص الصحيحة، مثل الشفاعة البرزخ، ورؤية الله وهذا جعله قريباً من المدرسة العقلية الإصلاحية، مع فارق التشدد في موقفه من السنة النبوية.

(١) بيان للناس، ج ١، ص ١١٢-١١٥

(٢) بيان للناس، ج ٢، ص ٣١٠.

(٣) بيان للناس، ج ١، ص ٢٠٠

(٤) بيان للناس، ج ٣، ص ٢٢٠-٢٢٣

(٥) بيان للناس، ج ١، ص ١٤٥

(٦) بيان للناس، ج ٤، ص ٥٥-٦٠.

(٧) بيان للناس، ج ٢، ص ٤٠٠.

الأول: موقف أحمد الدين من الشرك بالله:

الشرك بالله من أعظم الذنوب التي جاء القرآن بتحريمه والتحذير منه، وقد تناول خوجه أحمد الدين أمرتسري هذه المسألة في تفسيره "بيان للناس" بتفسير خاص، قائم على التنزيه المحض، وردّ الممارسات الشعبية والدينية التي يرى أنها داخلة في الشرك، معتمداً على القرآن وحده، ومنكراً للأحاديث النبوية التي وردت في هذا الباب. أولاً: تعريفه للشرك: يرى أن الشرك هو: اتخاذ وسطاء أو شركاء مع الله في العبادة أو التشريع أو الدعاء. ويركّز على أن جوهر الشرك هو إعطاء حقٍّ من حقوق الله لغيره، كحق التشريع أو الدعاء أو الاستغفار. (١)

ثانياً: أنواع الشرك عنده

١- الشرك في العبادة: أنكر بشدة كل صور التوسل بالأولياء والأنبياء أو دعائهم بعد وفاتهم، وعدّها من الشرك. وصرّح أن ما يفعله الناس عند القبور أو المراقد من نداء الأموات أو الاستغاثة بهم شرك صريح. (٢)
٢- الشرك في التشريع: عدّ اتباع غير القرآن في الحلال والحرام نوعاً من الشرك، وانتقد اعتماد الأمة على الحديث أو الفقه المذهبي في استنباط الأحكام. قال إن التشريع حق خالص لله تعالى، ومن يضع تشريعاً غيره فقد اتخذ نفسه شريكاً لله. (٣)

٣- الشرك في الطاعة: يرى أن طاعة النبي ﷺ واجبة في حياته لأنه رسول مبلغ عن الله، أما بعد وفاته فالطاعة للقرآن وحده. واعتبر طاعة العلماء والمشايخ فيما يخالف القرآن نوعاً من الإشراك. (٤)
ثالثاً: موقفه من الشرك الخفي: فسّر الشرك الخفي بأنه اعتماد الإنسان على الأسباب أو المخلوقات من دون الله، أو خوفه من القوى الطبيعية دون إرجاعها إلى الله. لكنه لم يتوسع في هذا الباب كما توسع في نقد الشرك الظاهر عند المسلمين (كالتوسل والزيارات) (٥).

رابعاً: نقده للواقع الديني في الهند: ركّز على أن المسلمين في الهند في عصره وقعوا في أنواع من الشرك بسبب انتشار التصوف والطقوس الشعبية عند الأضرحة. وصرّح أن هؤلاء لا يختلفون عن المشركين الأولين الذين قال الله عنهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]. (٦)

التوضيح والتحليل مزيداً

(١) بيان للناس، ج ١، ص ٧٥-٧٧

(٢) بيان للناس، ج ٢، ص ١٨٠-١٨٣

(٣) بيان للناس، ج ١، ص ٢١٠-٢١٢

(٤) بيان للناس، ج ٣، ص ٩٥-٩٧.

(٥) بيان للناس، ج ٢، ص ٢٥٠.

(٦) بيان للناس، ج ٤، ص ١٢٢-١٢٥.

الشرك بالله: هو اعتقاد أن الله تعالى له شريك في ذاته أو شيء من صفاته. ومن هذا التعريف تظهر صور الشرك بإجماع المسلمين، ولكننا نرى أحمد الدين يضيف شكلاً آخر من أشكال الشرك، على رأي الحركة القرآنية. الذي لا يوجد هذا عند غيرهم من المسلمين، كما مذهبهم أن اتباع السنة النبوية المذكورة في الحديث شرك، واتباع هذه الأحكام شرك. ووسيلة لإحياء الشرك، وتكذيب المعتقدات الشركية.

ثم يقول أحمد الدين: وابتكر الناس أساليب لإحياء الشرك، فقالوا، نحن نعتقد أن أصل الطاعة هو الله، إلا أن الله أمره باتباع رسوله، فأصل الطاعة هو طاعة الله، وزادت هو المتابعة، ويستدل بهذا الدليل ان طاعت الرسول شرك، وبناء على هذا الدليل الفاسد، لقد صححه جميع أنواع الشرك، هل يجوز للأجنبي أن يتزوج امرأة متزوجة وزوجها يقول إنها زوجته ولكن الله لم يأذن بمثل هذا الأمر، **إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ**.^(١)

أقول: ما أقبح هذه الحجة، وما أبعد هذا الاستدلال، وما أكذب هذا الكذب. وهل ارسل الله تعالى رسله لإحياء الشرك أم لمحوه، بأن اتباع السنة والحكم بوفقها هي اتباع وتطبيق لأحكام القرآن، فكيف يكون شركاً، كما قال تعالى: **﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾**^(٢) وأن الله كما أمر باتباع الرسول كذلك أمر بإطاعته. والآيات القرآنية المتعلقة باتباع الرسول وإطاعة الرسول تدل على أن الطاعة تعني به اتباع السنة النبوية الواجبة على كل مسلم، ولا فرق بينهما ومن الآيات الواردة في القرآن وموقف العلماء منها أذكر بالابحاز في مايلي:

وموقف العلماء من اتباع النبي ﷺ

يقول الإمام الآجري رحمه الله "فرض على الخلق طاعته ﷺ في القران أكثر من ثلاثين موضعاً"^(٣) وقال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه "وقد أمر الله بطاعة رسوله في أكثر من ثلاثين موضعاً من القرآن، وقرن طاعته بطاعته، وقرن بين مخالفته ومخالفته؛ كما قرن بين اسمه واسمه، فلا يذكر الله إلا ذكر معه"^(٤) ومن هذه المواضع قوله تعالى: **﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ خَفِيفًا﴾** النساء: ٨٠، وقوله تعالى: **﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾** آل عمران: ٣٢، وقوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾** النساء: ٥٩.

(١) المصدر السابق ص ٩٧.

(٢) النساء / ٦٥.

(٣) الشريعة للآجري ص ٤٩

(٤) مجموع الفتاوى (١٩/١٠٣).

يقول ابن القيم رحمه الله في هذه الآية “أمر تعالى بطاعته وطاعة رسوله، وأعاد الفعل إعلماً بأن طاعة الرسول ﷺ تجب استقلالاً من غير عرض ما أمر به على الكتاب، بل إذا أمر وجبت طاعته مطلقاً سواء كان ما أمر به في الكتاب أو لم يكن فيه، فإنه أتى الكتاب ومثله معه، ولم يأمر بطاعة أولي الأمر استقلالاً بل حذف الفعل، وجعل طاعتهم في ضمن طاعة الرسول ﷺ، إيداناً بأنهم إنما يطاعون تبعاً لطاعة الرسول، فمن أمر منهم بطاعة الرسول ﷺ وجبت طاعته، ومن أمر منهم بخلاف ما جاء به الرسول ﷺ فلا سمع له ولا طاعة؛ كما صح عنه ﷺ أنه قال: لا طاعة في معصية الله؛ إنما الطاعة في المعروف^(١)، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ آل عمران: ٣٢، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ الأعراف: ١٥٨، وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ الحشر: ٧، وقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الأعراف: ١٥٧، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ الأعراف: ١٥٨، وقال جل وعلا: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ الحشر: ٧.

فالاتباع للرسول ﷺ دليل حبه؛ كما أن ثمرته غفران الذنوب وفي اتباعه ﷺ فلاح العبد ونجاحه؛ كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ الأنفال: ٢٤، فأمر الله المؤمنين بأن يستجيبوا للرسول ﷺ فيما أمرهم ونهاهم، وذلك الحياة الطيبة؛ كما قال ابن القيم رحمه الله “إذ الحياة الحقيقية الطيبة هي حياة من استجاب لله ولرسوله ظاهراً وباطناً، فهؤلاء هم الأحياء وإن ماتوا، وغيرهم أموات وإن كانوا أحياء الأبدان، ولهذا كان أكمل الناس حياة أكملهم استجابة لدعوة الرسول ﷺ، فإن كل ما دعا إليه بقية الحياة، فمن فاته جزء منه فاته جزء من الحياة، وفيه من الحياة بحسب ما استجاب للرسول^(٢)، وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ النساء: ٦٥ فنفى الإيمان عمن لم يتحاكم إلى النبي ﷺ في حياته، وإلى سنته بعد موته قال ابن كثير رحمه الله عند تفسيره لهذه الآية: “يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد

(١) انظر إعلام الموقعين (٤٨/١)، والحديث أخرجه البخاري (٦٨٣٠)، ومسلم (١٨٤٠).

(٢) الفوائد لابن القيم (ص ٨٨) بتصرف.

حتى يحكم الرسول ﷺ في جميع الأمور، فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطناً وظاهراً، ولهذا قال تعالى: ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا أَيُّ إِذَا حَكَمَكَ يَطِيعُونَكَ فِي بَوَاطِنِهِمْ فَلَا يَجِدُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا حَكَمْتَ بِهِ، وَيَنْقَادُونَ فِي الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ، فَيَسْلَمُونَ لَكَ تَسْلِيمًا كَلِيمًا مِنْ غَيْرِ مَمْنَعَةٍ، وَلَا مَدَافَعَةٍ وَلَا مَنَازَعَةٍ^(١)

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ النور: ٥١ وقال تعالى: وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴿الأحزاب: ٣٦﴾ فهاتان الآيتان توجبان الانقياد الكامل، والتسليم المطلق لما حكم الله به، وحكم به رسوله ﷺ.

وأما أدلة السنة على وجوب اتباع النبي ﷺ، وطاعته فيما أمر، واجتناب ما قد نهى عنه وزجر؛ فهي كثيرة أيضاً فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي، قالوا: يا رسول الله! ومن أبي؟ قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبي^(٢) وعن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون، وأصحاب يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف، يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، ومن جاهدكم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل^(٣)

والمتمأمل في آيات القرآن، وأحاديث النبي ﷺ، الأمر باتباعه؛ والمحنة من معصيته ومخالفته، يتساءل ما حال أهل البدع والأهواء الذين زعموا حب النبي ﷺ وخالفوا أمره، ولم يتبعوا سنته. إنهم في خزي، وحسرة، وندامة يوم القيامة؛ كما قال الله تعالى: وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا الفرقان: ٢٧، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ الأحزاب: ٦٦ وقد أجمع العلماء على وجوب طاعة النبي ﷺ واتباعه؛ وقد تمثل إجماع الأمة على وجوب طاعة الرسول ﷺ، واتباعه؛ في اعتبار السنة هي المصدر الثاني من مصادر التشريع، وذلك بعد المصدر الأول الذي هو القرآن الكريم^(٤). وإتباع الرسول في الحقيقة إتباع سنته، وليس شرك كما قال به أحمد الدين.

وقد عدّ العلماء اتباعه ﷺ، وطاعته فيما أمر ونهى؛ ركنًا من أركان قبول العمل الصالح؛ مستدلين بأدلة كثيرة منها قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ

(١) تفسير ابن كثير (١/٥٢٠).

(٢) رواه البخاري (٦٨٥١).

(٣) رواه مسلم (٥٠).

(٤) انظر مجموع الفتاوى (٣٣٩/١١).

عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا الْكَهْفُ: ١١٠، وقوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَقُورُ﴾ الْمَلِك: ٢ وقوله تعالى: وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ الْبَيِّنَات: ٥ وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها؛ فهجرته إلى ما هاجر إليه.^(١)

في هذه الآيات الدلالة الواضحة على أن الهداية والرحمة في اتباعه عليه الصلاة والسلام، وكيف يمكن ذلك مع عدم العمل بسنته أو القول بأنه لا صحة لها أو لا يعتمد عليها والعمل به شرك. إذا: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النور: ٦٣).

موقف أحمد الدين من مسألة حمل العرش مع ذكر موقف الجمهور.

شد الشيخ في بيان تفسير حملة العرش في قوله تعالى: ﴿وَالْمَلِكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ عن منهج اهل السنة والجماعة فالجمهور يقولون بأن المراد بثمانية الملائكة (مخلوق نوراني) لكون اللفظ صريح لا يحتمل غيره ولكن الشيخ يفسر بأن المراد بثمانية سبع سموات والأرض ويعلل رأيه بأن الملائكة التي تعتبرونها حملة العرش لا تستطيعون أي أمر في تلك الأحوال فكيف يحمل عرش ربك؟^(٢) والحقيقة أن هذا التفسير يؤدي إلى إنكار الأحاديث والآثار الواردة بوجود حملة العرش ثمانية من الملائكة الآتي ذكرها عند آراء جمهور.

ويقول هو وجماعته أن المقصود بعرش الرحمن ليس العرش الحقيقي، بل السلطة والملكية، وأن التصور المادي للعرش ينبع من الجهل وعدم فهم الحقائق الدينية، كما أن المراد من استوائه على العرش، يعني أنه ملك جميع الأنظمة الموجودة وله سلطة فريدة عليها، ويقال إن فلانا هو ملك عرش الدولة الفلانية، فهما أنه له سلطة على كل الأمور، فالمقصود من استواء الله على العرش هو حتما معنى مجازي.

والجواب: لقد ذكر الله تعالى عرشه إحدى وعشرين مرة في القرآن، منها قوله عز وجل: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾^(٣)

ونظر لهذه الصفات وغيرها، مما جاء ذكره في الكتاب والسنة، ذهب أهل الحق إلى أن العرش مخلوق، له أجزاء خلقه الله، وأمر ملائكته بحمله، وتعبدتهم بتعظيمه، فهم يؤمنون بما جاء عن الله، ويفوضون حقيقته إلى الله

(١) أخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧).

(٢) انظر: تفسير بيان للناس ١٤٦/٧.

(٣) التوبة ١٢٩.

(١) وأما ما جعلوا حمل الاستواء على جميع السلطة الكونية، فهو حمل مجازي ينقصه الدليل؛ إذ المعروف لغة أن اللفظ لا يصرف إلى المعنى المجازي إلا إذا تعذر حمله على معناه الحقيقي، مع قرينة دالة على ذلك، وليس الأمر في الاستواء كذلك، وكل ما في الأمر أنا لا نعرف كيفية الاستواء بالنسبة لله عز وجل، مع أن الاستواء معروف بالنسبة للبشر والأسلم في باب الصفات، هو إثبات ما أثبتته الله لنفسه، أو أثبتته له نبيه عليه الصلاة والسلام، من غير تعطيل، ولا تكيف، ولا تمثيل (٢).

أما موقف جمهور المفسرين فيلاحظ في الآتي:

قال العلامة الآلوسي في تفسير الآية ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ (٣) أي جوانبها جمع رجي بالقصر وهو من ذوات الواو ولذا برزت في الثنية قال الشاعر (٤) كأن لم تري قبلياً سيراً مقيداً ولا رجلاً يرمي به، الرجوان والضمير للسماء والمراد بجوانبها أطرافها التي لم تنشق أخرج ابن المنذر (٥) عن ابن جبير (٦) والضحاك قال إنهما قال أو الملك على أرجائها أي على مالمينشق منها ولذلك الت جاء منهم للأطراف مما داخله من ملاحظة عظمة الله أو اجتماع هناك للنزول وأخرج ابن المنذر وعبد بن حميد (٧) عن الربيع بن أنس (٨) قال والملك على أرجائها أي الملائكة على شقها وقال الإمام يحتمل أنهم يقفون على الأرجاء لحظة ثم يموتون (وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ) أي فوق الملائكة الذين على الأرجاء المدلول عليهم بالملك، وقيل فوق العالم كلهم وقيل الضمير يعود على الملائكة الحاملين أي

(١) انظر فتح الباري ج ١٣ ص ٤٠٥ والذهبي العلو للعلي الغفار ص ١٩٥ والرد على الجهمية ص ١٢.

(٢) انظر عرش الرحمن لابن تيمية - ص ١٧.

(٣) سورة الحاقة ١٣.

(٤) هو طهمان بن عمرو الكلبي المتوفى ٨٠ هـ / ٧٠٠ م شاعر إسلامي، من صعلاليك العرب وفتاكهم، كان زمن عبد الملك بن مروان، جمع السكريشعره وأخبره في كتاب اللصوص، وطبع جزء من ديوانه من غير أن يعرف أنه له، ثم ظهر له ديوان. ط) شرح أبي سعيد السكري. انظر: الآلي في شرح أمالي القاضي ٤٧٣/١ لعبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري، دار الكتب، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، تحقيق: عبد العزيز الميمني. ولفظ شعره المذكور هو: كأن لم ترى قبلي، أسيراً مكبلاً، ولا رجلاً يرمي به، الرجوان. واللفظ الذي أورده صاحب التفسير موجود في كتاب "الأمالي في لغة العرب ٤٥/١ لأبي علي إسماعيل بن القاسم القاضي البغدادي، سنة الولادة ٢٨٨ هـ / سنة الوفاة ٣٥٦ هـ، دار الكتب العلمية بيروت ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.

(٥) هو محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري الشهير بان المنذر، ولد سنة ٢٤٢ هـ، وتوفي سنة بمكة المكرمة على التحقيق سنة ٣١٨ هـ. من آثاره العلمية: المبسوط في الفقه، والإشراف على مذاهب أهل العلم، الإجماع، وتفسير القرآن الكريم وغيرها. يراجع: اعلام ١٨٤/٦، معجم المؤلفين ٢٢٠/٨.

(٦) هو سعيد بن جبير الأسدي مولاهم الكوفي ثقة ثبت فقيه، وقتل بين يدي الحجاج سنة خمس وتسعين. يراجع: التقريب ٢٣٤ رقم ترجمته ٢٢٧٨.

(٧) هو أبو محمد عبد بن حميد بن نصر الكسي، ولد بعد السبعين ومائة، وحدث عن علي بن عاصم الواسطي، ومحمد بن بشر العبدي، ويزيد بن هارون، ويحيى بن آدم، وحدث عنه مسلم، والترمذي، والبخاري تعليقا في دلائل النبوة من صحيحه، وقال عبد الحميد، حدثنا عثمان بن عمر، حدثنا معاذ بن العلاء، عن نافع، عن ابن عمر في حنين الجدع، فقيل: هذا هو عبد. انظر: سير أعلام النبلاء ٢٢٧/٢٣.

(٨) هو الربيع بن أنس بن زياد البكري الخراساني. أخبرنا عمار بن نصر الخراساني قال: كان الربيع بن أنس من بكر بن وائل من أنفسهم. وكان من أهل البصرة وقد لقي ابن عمر، وجابر بن عبد الله، وأنس بن مالك. وكان هرب من الحجاج فأتى مرو فسكن قرية منها يقال لها برز ثم تحول إلى قرية أخرى منها يقال لها سدور. فكان فيها إلى أن مات. وقد كان طلب أيضاً بخراسان حين ظهرت دعوة ولد العباس فتغيب فتخلص إليه عبد الله بن المبارك وهو محتف فسمع منه أربعين حديثاً. وكان عبد الله يقول: ما يسرني بما كذا وكذا لشيء سماه. ومات الربيع بن أنس في خلافة أبي جعفر المنصور. الطبقات الكبرى ٢٦١/٧، وسير أعلام النبلاء ٢١٥/١١.

يحمل عرش ربك فوق ظهورهم أورؤسهم (يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ) والمرجع وإن تأخر لفظاً لكنه متقدم رتبة وفائدة فوقهم الدلالة على أنه ليس محمولاً بأيديهم كالمعلق مثلاً وأيد هذا واعتبار الظهور بما أخرج الترمذى وأبوداود وابن ماجه عن العباس بن عبدالمطلب في حديث وفوق ذلك ثمانية أوعاليين أظلافهن ووركهن ما بين سماء إلى سماء ثم فوق ظهورهن العرش بين أسفله وأعلاه مثل ما بين السماء إلى السماء والمراد بالأوعال فيه، ملائكة على صورة الأوعال، كما قال ابن الأثير وغيره وهمل بكسر العين تيس الجبل ولكل واحد منهم أربعة أجنحة وأخرج عبيد بن حميد عن ابن زيد عن النبي أنه قال، يحمله اليوم أربعة، ويوم القيامة ثمانية وأخرج عنه ابن أبي حاتم^(١) أنه لم يسم من حملة العرش، إلا إسرافيل، قالوا ميكائيل ليس من حملة العرش، فمن زعم أنهم ما وجبرائيل وعزرائيل، من جملة حملته، يلزمه إثبات ذلك بخبر يعول عليه، وعن شهر بن حوشب أربعة^(٢)

وفي فتح القدير: "أي يحمله فوق رؤوسهم يوم القيامة، ثمانية ملائكة وقيل: ثمانية صفوف من الملائكة، لا يعلم عددهم إلا الله، وقال الكلبي وغيره، ثمانية أجزاء من الملائكة"^(٣)

(١) هو عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر، أبو محمد ابن أبي حاتم التميمي الحنظلي. قال ابن منده "صنف ابن أبي حاتم المسند في ألف جزء، وكتاب الزهد وكتاب الكنى والفوائد الكبير وفوائد الرازيين وتقديم الجرح والتعديل وصنف في الفقه واختلاف الصحابة والتابعين وعلماء الأمطار، وله كتاب في الجرح والتعديل في عدة مجلدات، تدل على سعة حفظه وإمامته، وكتاب الرد على الجهمية في مجلد كبير، وله تفسير في أربع مجلدات. وتوفي في المحرم سنة سبع وعشرين وثلاثمائة. . فوات الوفيات ٢٨٨. ٢٨٧/٢ محمد بن شاكر، الملقب بصلاح الدين المتوفى: ٧٦٤هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر بيروت، الطبعة: الأولى، ج ١ / ١٩٧٣، ج ٢ / ٣، ٤. ١٩٧٤.

(٢) انظر: تفسير تفسير روح المعاني ٥١/١٥، ٥٢.

(٣) انظر: تفسير فتح القدير للشوكاني ٣٣٧/٥.

توضيح المسألة المذكورة في الكتاب والسنة

إن كون عرش الرحمن له حملة يحملونه هو أمر ثابت في الكتاب والسنة فقد جاء ذكر حملة العرش في موضعين من القرآن الكريم قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ فالآيتان تدلان على أن لعرش الله حملة يحملونه اليوم ويوم القيامة قال شيخ الإسلام "إن قوله ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ﴾ وقوله: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ يوجب أن لله عرشا يحمل ويوجب أن ذلك العرش ليس هو الملك كما تقوله طائفة من الجهمية فإن الملك هو مجموع الخلق فهنا دلت الآية على أن لله ملائكة من جملة خلقه يحملون عرشه وآخرون يكونون حوله وعلى أنه يوم القيامة يحمله ثمانية" (١)

وأما السنة فهي مليئة بالأحاديث والآثار الدالة على أن لعرش الرحمن حملة من الملائكة يحملونه فعن جابر قال: قال رسول الله "أُذِنَ لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش، إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبع مائة عام" (٢) وكذلك ما جاء في حديث الأوعال "ثم فوق ذلك ثمانية أملاك أوعال" (٣) ما بين أظلافهم إلى ركبهم، مثل ما بين سماء، إلى سماء ثم فوق ظهورهم العرش" (٤) والقول بأن حملة العرش هم من الملائكة هو قول السلف الذين يثبتون العرش على أنه جسم عظيم خلقه الله فوق العالم وأن الله استوى عليه بعد أن خلق السموات والأرض وهذا ما جاء به القرآن والسنة وأجمع عليه السلف من الصحابة والتابعين ومن تبعهم.

وأما الذين أنكروا استواء الله على عرشه وقالوا: إن استوى بمعنى استولى وأن المراد بالعرش الملك فإنهم أنكروا أيضا كون حملة العرش، هم من الملائكة فقالوا: إن قوله: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ يَحْمِلُ بالجذب عَرْشَ رَبِّكَ ملك ربك للأرض والسموات فَوْقَهُمْ، أي فوق الملائكة الذين هم على أرجائها يوم القيامة ثمانية أي السموات السبع والأرض (٥) وقيل المراد بالثمانية: السموات والكرسي (٦) فقد أولوا هذه الآية كما أولوا آيات الاستواء

(١) نقض التأسيس لابن تيمية ١/٥٧٥.

(٢) سنن أبي داود ٢٣٢/٤ كتاب السنة، باب في الجهمية.

(٣) قال ابن الأثير في بيان أوعال: الوعول الأشراف والرعوس. شبههم بالوعول، وهم تيوس الجبل، واحدها: وعل، بكسر العين. وضرب المثل بها لأنها تأوي شعف الجبال. وقد روي مرفوعا مثله. ومنه الحديث في تفسير قوله تعالى ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ قيل: ثمانية أوعال، أي ملائكة على صورة الأوعال. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٥/٢٠٧.

(٤) الحديث مخرج في مستدرك على الصحيحين بلفظ: "عن العباس بن عبد المطلب، في قوله: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ الحاقة: ١٧ قال: «ثمانية أملاك على صورة الأوعال بين أظلافهم إلى ركبهم مسيرة ثلاث وستين سنة» هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. وقد أسند هذا الحديث إلى رسول الله شعيب بن خالد الرازي، والوليد بن أبي ثور، وعمرو بن ثابت بن أبي المقدم، عن سماك بن حرب ولم يحتج الشيخان بواحد منهم. وقد ذكر حديث شعيب بن خالد إذ هو أقربهم إلى الاحتجاج به". المستدرك على الصحيحين ٢/٥٤٣.

(٥) محاسن التأويل للقاسمي ٩/٣١١.

(٦) الفصل ٢/١٢٦.

والآيات التي جاء فيها ذكر عرش الرحمن تبارك وتعالى: أما الصنف الآخر الذين زعموا أن العرش المذكور في الآيات المراد به الفلك التاسع وهم الفلاسفة فهم يقولون: إن المراد بالحملة الثمانية في قوله: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ الثمانية أفلاك التي تحت الفلك المحيط أو ما يسمونه الفلك التاسع^(١).

وقد تقدم الرد على كلا الفريقين أثناء الكلام على الأقوال في العرش، فمما تقدم تقرر أن لعرش الله حملة من الملائكة يحملونه بقدرة الله وقد أخبرنا الله أنهم يوم القيامة ثمانية ولكن اختلف في هؤلاء الثمانية هل هم ثمانية أملاك أم ثمانية أصناف أم صفوف وهل هم اليوم ثمانية أم أقل على عدة أقوال:

القول الأول: إن المراد بالثمانية، ثمانية صفوف من الملائكة، لا يعلم عدتهم إلا الله. وهذا القول مروى عن ابن عباس، في تفسير قوله تعالى ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ قال "ثمانية صفوف من الملائكة"^(٢) وهو أيضاً مروى عن سعيد بن جبيرة والشعبي وعكرمة والضحاك وابن جريج^(٣).

القول الثاني: إن المراد بالثمانية: أنهم ثمانية أجزاء من تسعة أجزاء من الملائكة وبهذا القول قالوا الكلبي وغيره^(٤).

القول الثالث: إن حملة العرش هم اليوم ويوم القيامة ثمانية من الملائكة.

ويستدل لهذا القول بحديث العباس بن عبد المطلب الذي جاء فيه: "ثم فوق ذلك ثمانية أملاك، ما بين أظلافهم إلى ركبهم، مثل ما بين سماء إلى سماء، الخ"^(٥) الحديث يدل على أن حملة العرش هم اليوم ثمانية وكذلك ما روي عن حبي بن هانئ، أنه سمع عن عبد الله بن عمر يقول "حملة العرش فوق ثمانية، ما بين موق أحدهم، إلى مؤخر عينه، مسيرة مائة عام"^(٦) وقال الربيع بن أنس "ثمانية من الملائكة"^(٧).

القول الرابع: إن حملة العرش اليوم أربعة من الملائكة ويوم القيامة ثمانية، وهذا القول رجحه ابن كثير^(٨) وبه قال ابن الجوزي، وزاد بأنه قول الجمهور^(٩). ويستدل لهذا القول بعدة أدلة، منها ما رواه الطبري عن ابن إسحاق قال "بلغنا أن رسول الله قال "هم اليوم أربعة" يعني حملة العرش "وإذا كان يوم القيامة أيدهم الله بأربعة آخرين فكانوا

(١) تسع رسائل في الحكمة والطبيعات رسالة في النبوات (٨٧).

(٢) انظر: تفسير ابن جرير ٢٣/٢٢٧، وتفسير ابن كثير ٨/٢١٢. وأورده السيوطي في الدر المنثور ٨/٢٦٩.

(٣) تفسير ابن كثير ٨/٢١٢.

(٤) فتح القدير للشوكاني الجامع ٥/٢٨٢.

(٥) المستدرك على الصحيحين ٢/٥٤٣، وتقدم تخرجه مفصلاً.

(٦) تفسير ابن كثير ٨/٢١٢.

(٧) أخرجه ابن أبي شيبه في كتاب العرش ح (٣١). وأورده السيوطي في الدر المنثور ٦/٢٦١ من طريق عبد بن حميد عن الربيع بن أنس مثله. إسناده منقطع وفيه ضعف لسوء حفظ أبي جعفر الرازي.

(٨) انظر: تفسير ابن كثير ٦/١٠.

(٩) زاد المسير ٤/٣٣١.

ثمانية^(١) واستدلوا أيضاً بما جاء عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله "صدق أمية بن أبي الصلت^(٢) في شيء من شعره، فقال:

رجل وثور، تحت رجل يمينه، والنسر للأخرى، وليث مرصد.

فقال النبي "صدق"^(٣) واستدلوا أيضاً بما جاء في حديث الصور المشهور فقد جاء فيه: "ويحمل عرش ربك فوقهم، يومئذ ثمانية، وهم اليوم أربعة أقدامهم على تخوم الأرض السفلى والسموات إلى حجزهم، والعرش على مناكبهم"^(٤) ولعل هذا القول أقرب إلى الصواب ولكن ليس هناك نص صريح عن النبي في المسألة والله أعل

المبحث الثاني: آراؤه الاعتقادية في باب النبوات

ويشتمل هذا المبحث على ثلاث نقاط (طاعة النبي والرسول، الوحي، المعجزات)

النقطة الأولى: في طاعة النبي والرسول. وفيه مطلبان؛ المطلب الأول: في تعريف النبي والرسول لغةً واصطلاحاً والفرق بينهما والمطلب الثاني: في موقف أحمد الدين من طاعة الأنبياء والرسول،

والنقطة الثانية: في الوحي، وفيه مطلبان؛ المطلب الأول: في تعريف الوحي لغةً واصطلاحاً أقسامها واتباعه والمطلب الثاني: في موقف أحمد الدين من الوحي،

والنقطة الثالثة: في المعجزات؛ وفيه مطلبان؛ المطلب الأول: في تعريف المعجزة لغةً واصطلاحاً وأنواعها في الشريعة الإسلامية، والمطلب الثاني: في موقف أحمد الدين من المعجزات مع النقد والتحليل.

(١) انظر: تفسير الطبري ٢٣/٥٨٤.

(٢) هو أمية بن عبد الله أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي: شاعر جاهلي، من أهل الطائف. قبل الإسلام قدم إلى دمشق. وكان عالماً على الكتب القديمة، وهو ممن حرموا على أنفسهم الخمر، ونبدوا عبادة الأوثان، في الجاهلية. ثم رحل إلى البحرين فأقام حتي ظهر في أثنائها الإسلام، ثم عاد إلى الطائف، فسأل عن محمد، فقيل له: يزعم أنه نبي. فقدم عليه بمكة وسمع منه آيات القرآن، وانصرف عنه، فتنبعته قريش وسالوا عن رأيه فيه، فقال: أشهد أنه على الحق، قالوا: فهل تتبعه؟ فقال: حتى انظر في أمره. وخرج إلى الشام. وهاجر رسول الله إلى المدينة، وعاد أمية من الشام، يريد الإسلام، فعلم بمقتل أهل بدر وفيهم ابنا خال له، فامتنع. وأقام في الطائف إلى أن مات عام ٥ هـ. ٦٢٦ م. وشعره من الطبقة الأولى، وعلماء اللغة لا يحتجون به لورود ألفاظ فيه لا تعرفها العرب. وهو أول من جعل في أول الكتب: باسمك اللهم. قال الأصمعي: ذهب أمية في شعره بعامة ذكر الآخرة، وذهب عنزة بعامة ذكر الحرب، وذهب عمر ابن أبي ربيعة بعامة ذكر الشباب. انظر: اعلام لزركلي ٢٣/٢.

(٣) مسند احمد ٤/١٥٩، والمعجم الكبير ١١/٢٣٣، لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني المتوفى: ٣٦٠ هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، الطبعة: الثانية.

(٤) انظر: تفسير ابن جرير الطبري ٤/٢٦٧، ومسند إسحاق بن راهويه ١/٨٤ لأبي يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم الخنظلي المروزي المعروف بـ ابن راهويه المتوفى: ٢٣٨ هـ)، تحقيق: د. عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، مكتبة الإيمان - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ - ١٩٩١.

النقطة الأولى: تعريف النبي والرسول والفرق بينهما وطاعتهم، وفيه مطلبان.

المطلب الأول: تعريف النبي والرسول لغةً واصطلاحاً والفرق بينهما

أولاً: تعريف النبي والرسول لغةً:

النبي مشتق من النبأ وهو الخبر قال تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ﴾^(١) وسمي النبي لأنه مُخْبَرٌ، أَنَّ الله أخبره وأوحى إليه ﴿قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾^(٢) وهو مُخْبَرٌ عن الله تعالى أمره ووحيه ﴿نَبَّيْتُ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(٣) وَنَبَّيْتُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ^(٤) وقيل إن النبوة مشتقة من النبوة التي، وكانت العرب تطلق كلمة النبي على علامة من علامات الأرض التي يهتدى بها. والتطابق بين كلمة "نبي" ومعناها اللغوي هو أن النبي ذو عظمة عظيمة وقوة في الدنيا والآخرة، والأنبياء هم أشرف الخلق وهم الآيات التي يهتدي بها الناس. تصلح لهم الدنيا والآخرة.^(٥)

تعريف الرسول لغة

يقول راغب اصفهاني: أصل الرِّسَالِ هو الانبعاث على التَّؤَدَةِ، ويقال ناقة رِسْلَةٍ سهلة السَّير وإبل مَرَّاسِيلٍ، منبعثة انبعاثاً سهلاً، ومنه الرُّسُولُ المنبعث، وتصور منه تارة الرِّفْقُ فقليل على رِسْلِكَ إذا أمرته بالرِّفْقِ وتارة الانبعاث فاشتق منه الرُّسُول.^(٦)

ثانياً: تعريف النبي والرسول اصطلاحاً

تعددت الأقوال في تعريفهما، وقد ذكر الشوكاني رحمه الله هذه الأقوال فقال "النبي في الشرع من بعث إليه بشرع فإن أمر بتبليغه فرسول وقيل هو المبعوث إلى الخلق بالوحي لتبليغ ما أوحاه والرسول قد يكون مرادفاً له وقد يختص بمن هو صاحب كتاب وقيل هو المبعوث لتجديد شرع أو تقريره والرسول هو المبعوث للتجديد فقط وعلى الأقوال النبي أعم من الرسول"^(٧)

(١) سورة النبأ ٢٠١.

(٢) سورة التحريم - ٣.

(٣) سورة الحجر - ٤٩.

(٤) سورة الحجر - ٥١.

(٥) لسان العرب لابن منظور، ٣٠٣/١٥، والصحاح للجوهري، ٧٤/١، تحقيق: أحمد عبدالغفور، ط الثانية، ١٤٠٢هـ.

(٦) المفردات في غريب القرآن ص ٣٥٢، وانظر: التوقيف على مهمات التعريف ص ٣٦٣ للمناوي.

(٧) نيل الأوطار ١٩/١ محمد بن علي الشوكاني المتوفى: ١٢٥٠هـ)، تحقيق: عصام الدين، دار الحديث مصر، ط: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

وقال في موضع آخر: الرسول الذي أرسل إلى الخلق، بإرسال جبريل إليه عياناً ومحاورته شفاهاً والنبي الذي يكون إلهاماً أو مناماً وقيل الرسول من بعث بشرع وأمر بتبليغه والنبي من أمر أن يدعو إلى شريعة من قبله ولم ينزل عليه كتاب ولا بد لهما جميعاً من المعجزة الظاهرة^(١)

ثالثاً: الفرق بين الرسول والنبي

قال الكلبي^(٢) والفراء^(٣) كل رسول نبي من غير العكس وقالت المعتزلة "لا فرق بينهما فإنه تعالى خاطب محمد مرة بالنبي وبالرسول مرة أخرى، وعند العلماء، أن الرسول أعم من النبي، فالرسول، هو من أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه. والنبي، من أوحى إليه، ولم يؤمر بالبلاغ، وعلى ذلك فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً^(٤)

والتعريف المختار: الرسول هو من يعطي إليه شريعة جديدة، واما النبي، هو المبعوث لتقرير شرع من قبله"^(٥) ويجب علينا أن نؤمن أن الله بعث الأنبياء ورسلاً إلى البشر وكل أمة بعث الله لها نبياً قال تعالى ﴿إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾^(٦) ونؤمن أن الله أخبرنا عن بعض الأنبياء والرسول ولم يخبرنا عنهم جميعاً قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾^(٧) وقال أيضاً ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾^(٨) أما الأنبياء الذين وردت أسماؤهم في القرآن الكريم فيب علينا الإيمان بهم جمعاً لا ننفي نبوة أحد منهم.

(١) تفسير فتح القدير للشوكاني ٤٦١/٣.

(٢) هو هشام بن محمد أبي النضر ابن السائب ابن بشر الكلبي، أبو المنذر المتوفى ٢٠٤ هـ ٨١٩م): مؤرخ، عالم بالأنساب وأخبار العرب وأيامها، كثير التصانيف. من أهل الكوفة، ووفاته فيها. له نيف ومئة وخمسون كتاباً، منها "جمهرة الأنساب، الأصنام، نسب الخيل، بيوتات قريش، الكنى، افتراق العرب، ألقاب قريش، ألقاب اليمن، ملوك الطوائف، ملوك كندة، بيوتات اليمن، تاريخ أجناد الخلفاء، صفات الخلفاء، تسمية من بالحجاز من أحياء العرب وأسواق العرب وغير ذلك. انظر: اعلام لزركلي ٨٧/٨، ٨٨.

(٣) أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء؛ فإنه كان مولى لبني أسد، من أهل الكوفة، وأخذ عن أبي الحسن علي، وأخذ عنه سلمة بنت عاصم. وكان إماماً ثقة. ويحكى عن أبي العباس أحمد بن يحيى، أنه قال: لولا الفراء لما كانت اللغة؛ لأنه خلصها وضبطها، ولولا الفراء لسقطت العربية؛ لأنها كانت تنازع ويدعيها كل من أراد، ويتكلم الناس على مقادير عقولهم وقرائحهم فتذهب. انظر: نزهة الألباء ص ٨١ لعبد الرحمن بن محمد الأنصاري، المتوفى ٥٧٧هـ)، تحقيق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الأردن، ط الثالثة، ١٤٠٥ هـ. ١٩٨٥م/ والأعلام لزركلي ١٤٥/٨، ١٤٦.

(٤) التعريفات لعلي بن محمد علي الجرجاني ص ١٤٨.

(٥) الرسل والرسالات ص ١٥ العمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر، مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة: الرابعة، ١٤١٠ هـ. ١٩٨٩م.

(٦) سورة فاطر ٢٣ - ٢٤.

(٧) سورة غافر - ٧٨.

(٨) سورة النساء - ١٦٤.

المطلب الثاني: موقف أحمد الدين وجمهور من طاعة الأنبياء والرسل

حاجة المؤمنين إلى النبوة (الأنبياء والرسل)

الإيمان: الذي هو المدخل الأساسي يحتاج الإنسان فيه إلى الرسل للفت نظره إلى الحق وتسديد خطواته للوصول إليه من أقرب السبل.

الصحة أو المعية

التي هي فريضة وضرورة كقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْتُمُ الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَرَزُلُوا عَنْ رُسُلِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾^(١) فالآية الكريمة تصف أتباع الرسول بالإيمان والتبعية أي آمنوا به وهي تبعية قامت وسط المحن والشدائد المتطاولة ولم يرخص القرآن للمؤمنين في تركها أو تأجيلها وإنما اعتبر هذه التبعية سنة الله الماضية المطردة ولذلك دعا أصحاب محمد إلى مثله. وحثهم على الثبات عليها مع نبيهم مقررًا أنهم سيصيبهم في مثل هذه التبعية ما أصاب إخوانهم المؤمنين من قبل، وعند ما تثبت القلوب على مثل هذه المحن المزلزلة، عندئذ تتم كلمة الله، ويجيء النصر من عند الله^(٢). وقد سجل القرآن الكريم هذه التبعية لرسول الله في كل العصور والأقوام وجعلها وصفاً ثابتاً للمؤمنين مع كل دعوة جاء بها رسول كريم وقد سلك القرآن طريقين في تسجيل هذه التبعية

موقف أحمد الدين من طاعة الرسل والأنبياء

أخطأ أحمد الدين بأن كل ما ذكره النبي من مسألة الدينية ليست مبنية على وحي الهي بزعمه أنه ليس للنبي حق التشريع قط لأن الأمر كله لله وإن الحكم إلا لله فكان مُبَلِّغٌ وليس مشرّعٌ فلذا تنقسم أفعاله إلى ما يلي:

الأول: أفعاله التي اعتبرها القرآن وصدقه وجعلها واجب الإلتباع للأمة.

الثاني: أفعاله التي سكنت القرآن الكريم عن ذكرها ولكن جعلها واجب العمل والإلتباع في وقت دون آخر فحكم قسم الأول لديه واجب الإلتباع والثاني بعكسه.

الثالث: موقوفة بخيرة الناس عملاً وتركاً إن شأوا عملوا بمقتضاها وإن شأوا تركوها وهذا النوع كالمباح عند الأصوليين^(٣) وبعد إمعان النظر حول الآراء ممكن أن نقول: لا يصح تقسيم أحمد الدين لأفعال النبي بهذه الطريقة، لأن أفعال النبي على قسمين عند أهل العلم: مختصة به وغير مختصة به.

أما المخصوصة: هي تتعلق بذاته ولزومها علينا ليس ضرورة كقيام ليله ووصال صيامه وتعدد زواجه بأكثر من أربعة وما إلى ذلك.

(١) سورة البقرة - ٧.

(٢) تفسير ابن كثير ٣٩٣/١.

(٣) انظر: تفسير بيان للناس ٢١٨/١ - ٢٢٢، ٥٩٤.

أفعال غير المخصوصة: وهي تشتمل على ثلاثة أقسام الأوامر النواهي والتوقيفات التي واجب الإتيان على الأمة أن المصنف في الحقيقة ينكر من السنة النبوية تقدم الكلام عنه ثانياً هذا البحث مع ذكر النماذج فلا ضرورة فيه إلى التفصيل إلا أني أريد أن أقدم كلاماً موجزاً فيه في ما يلي

موقف خواجه أحمد الدين أمرتسري (القرآني) من الأوامر والنواهي والتوقيفات الواردة في الأحاديث النبوية،
١. موقفه من الأوامر في الأحاديث

يرى أحمد الدين أنّ الأوامر الواردة في الأحاديث النبوية ليست ملزمة شرعاً إذا لم يشهد لها القرآن. يعتبر أنّ النبي ﷺ لا يملك حق التشريع المستقل، وإنما وظيفته بيان القرآن فقط، ولذلك كل أمر يرد في الحديث يجب عرضه على القرآن، فإن وافقه فهو مقبول باعتباره من القرآن، لا من الحديث. مثال: في موضوع الصلاة، يرى أنّ أوامر النبي ﷺ بتفصيل الصلوات الخمس غير ملزمة لأنها لم ترد نصاً في القرآن. (١)

٢. موقفه من النواهي في الأحاديث

يرفض اعتبار النواهي النبوية مصدراً للتشريع إلا إذا كان لها أصل قرآني. يقول إنّ النهي النبوي لا يُنشئ تحريماً شرعياً جديداً، فالتحريم لا يكون إلا من عند الله في القرآن. لذلك يردّ كثيراً من الأحاديث التي تنهى عن بعض الأطعمة أو الأفعال، ويعتبرها اجتهاداً بشرياً أو روايات غير صحيحة. (٢)

٣. موقفه من التوقيفات النبوية

يقصد بالتوقيفات (كالأفعال والسنن التي وقّف عندها الصحابة) أنّها ليست حجة شرعية إلا إذا أيدها القرآن. يصرّح أنّ التوقيفات الواردة في الحديث لا تُعتبر ملزمة، لأنها ليست وحياً متلوّاً، بل هي اجتهاد أو عادة. مثال: التوقيفات المتعلقة بمناسك الحج (مثل رمي الجمار بعدد معين)، يعتبرها من قبيل العادات الموروثة، ولا يراها ملزمة شرعاً. (٣)

إذن أحمد الدين أمرتسري يقرّر أنّ الأوامر والنواهي والتوقيفات النبوية في الأحاديث لا تُعتبر تشريعاً ملزماً، ما لم يكن لها شاهد صريح في القرآن. يختلف بذلك عن الجمهور الذين يرون أنّ السنة النبوية مصدر مستقل للتشريع.

(١) المصدر: بيان للناس، ج ١، ص ٤٥-٤٦.

(٢) المصدر: بيان للناس، ج ٢، ص ١١٢-١١٣.

(٣) المصدر: بيان للناس، ج ٣، ص ٢١٥-٢١٦.

المقارنة بين موقف أحمد الدين أمرتسري والجمهور في مسألة الأوامر والنواهي والتوقيفات الواردة في الأحاديث،

أولاً: موقف أحمد الدين أمرتسري

١. الأوامر النبوية: ليست مُلزمة إلا إذا وافقها القرآن.^(١)
 ٢. النواهي النبوية: لا تُنشئ تحريماً جديداً، والتحريم لا يكون إلا من الله في القرآن.^(٢)
 ٣. التوقيفات النبوية: لا تُعتبر حجة إلا إذا دلّ عليها نص قرآني، وإلا فهي عادة أو اجتهاد.^(٣)
- خلاصة موقفه: الحديث ليس مصدراً مستقلاً للتشريع، بل دوره ثانوي يقتصر على ما أيده القرآن.

ثانياً: موقف جمهور العلماء

١. الأوامر النبوية: الأصل فيها الوجوب ما لم تصرفها قرينة.^(٤)
٢. النواهي النبوية: الأصل فيها التحريم ما لم تصرفها قرينة.^(٥)
٣. التوقيفات النبوية (الأفعال والسنن): ما صدر من النبي ﷺ على وجه العبادة أو البيان يُعتبر تشريعاً واجب الاتباع.^(٦)

خلاصة مقارنة نصية

أحمد الدين يقصر الحجية والتشريع على القرآن وحده، ويجعل الأوامر والنواهي والتوقيفات النبوية مجرد اجتهادات أو عادات إن لم يُعضدها نص قرآني. الجمهور يقرّر أنّ السنة النبوية مصدر مستقل للتشريع، وأنّ أوامرها ونواهيها وتوقيفاتُها حجة واجبة الاتباع. هل ترغب أن أخص لك هذه المقارنة النصية في جدول مرتب مع المراجع (بالعربية والهوامش) لتضعها مباشرة في فصل من الرسالة؟

موقف جمهور الأمة من طاعة الانبياء والرسل

ذكر كثير ابن كثير رحمه الله عدة الأحاديث التي تتعلق بطاعة الرسول حيث يقول تحت الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

(١) بيان للناس، ج ١، ص ٤٥-٤٦.

(٢) بيان للناس، ج ٢، ص ١١٢-١١٣.

(٣) بيان للناس، ج ٣، ص ٢١٥-٢١٦.

(٤) الجويني، البرهان في أصول الفقه، ج ١، ص ٩٢. / الغزالي، المستصفى، ج ١، ص ١٠٩.

(٥) الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، ج ٢، ص ٣٠٢. / ابن قدامة، روضة الناظر، ج ١، ص ١٧٤.

(٦) الشاطبي، الموافقات، ج ٣، ص ١٨. / ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج ٢٠، ص ٢٢١.

الآخرِ ذَلِكَ حَيْزٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا^(١) روى الإمام البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه "﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ قال: نزلت في عبد الله بن حذافة، إذ بعثه النبي في سرية"^(٢)

وورى الإمام أحمد بن حنبل عن علي رضي الله عنه قال: أرسل رسول الله سرية، واستعمل عليهم رجلا من أنصار، فلما خرجوا وجد عليهم في شيء، فقال لهم: أليس قد أمركم رسول الله أن تطيعوني؟ قالوا: بلى فقال: اجمعوا حطبا ثم دعا بنار فأضرمها فيه ثم قال: عزمت عليكم، لتدخلنها، فهم القوم أن يدخلوها فقال لهم شاب منهم، إنما فرتم إلى رسول الله من النار فلا تعجلوا حتى تلقوا النبي فإن أمركم أن تدخلوها فادخلوها فرجعوا إلى النبي فأخبروه فقال لهم: "لو دخلتموها ما خرجتم منها أبدا إنما الطاعة في المعروف"^(٣)

وعن عبد الله بن عمر عن رسول الله ﷺ قال: "السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية... الخ"^(٤) وعن عبادة بن الصامت^(٥) قال: "بايعنا رسول الله على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وألا ننازع الأمر أهله قال "إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم فيه من الله برهان"^(٦) وعن يحيى بن حصين^(٧) قال: سمعت جدي تحدث أنها سمعت النبي يخطب في حجة الوداع يقول: "ولو استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله اسمعوا له وأطيعوا" وفي لفظ: "عبدا حبشيا مجذوعا"^(٨)

وعن أبي هريرة أن رسول الله قال: "كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء..... الخ قال أوفوا ببيعة الأول فالأول وأعطوهم حقهم فإن الله سائلهم عما استرعاهم"^(٩) وعن ابن عباس رضي الله عنهما رضي الله عنهما قال: قال رسول الله "من رأى من أميره شيئا فكرهه فليصبر، فإنه ليس أحد يفارق الجماعة شرا فيموت إلا مات ميتة جاهلية"^(١٠)

(١) سورة النساء . ٥٩ .

(٢) صحيح البخاري ٤٦/٦ كتاب تفسير القرآن، باب قوله: (أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) [النساء: ٥٩]: ذوي الأمر.

(٣) مسند احمد ٥٦/٢، ٥٧ .

(٤) سنن أبو داود كتاب الجهاد، باب في الطاعة. ٤٠/٣ .

(٥) هو عبادة بن قيس بن أصرم... بن الخزرج الأنصاري أبو الوليد المدني أحد النقباء ليلة العقبة. شهد بدرًا فما بعدها. مات ٣٤ بالملة سنة ٣٤ هـ، وهو ابن ٧٢ سنة. قال ابن حبان: هو أول من ولى القضاء بفلسطين. وقال سعيد بن عفير: كان طوله عشرة أشبار. ينظر: تهذيب التهذيب ١١١/٥، ١١٢ .

(٦) متفق عليه: صحيح البخاري ٤٧/٩ كتاب الفتن، باب قول النبي : سترون بعدي أمورا تنكرونها، صحيح مسلم ١٤٧٠/٣ كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية.

(٧) هو يحيى بن حصين، البجلي، الأحمسي. سمع جدته أم حصين، وطارق بن شهاب. روى عنه: أبو إسحاق الهمداني، وشعبة. التاريخ الكبير ٢٦٦/٨ .

(٨) صحيح مسلم ١٤٦٥/٣ كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية.

(٩) متفق عليه: صحيح البخاري ١٦٩/٤ كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، وصحيح مسلم ١٤٧١/٣ كتاب الإمارة، باب الأمر بالوفاء ببيعة الخلفاء، الأول فالأول.

(١٠) صحيح البخاري ٦٢/٩ كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام.

وفي الحديث الصحيح المتفق عليه، عن أبي هريرة عن رسول الله أنه قال: من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني^(١). فهذه أوامر بطاعة العلماء والأمرء، ولهذا قال تعالى (أَطِيعُوا اللَّهَ) أي اتبعوا كتابه (وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ) أي خذوا بسنته (وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ) أي فيما أمروكم به من طاعة الله لا في معصية الله^(٢) وروى الإمام أحمد عن عمران بن حصين عن النبي قال "لا طاعة في معصية الله"^(٣) وقوله ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ قال مجاهد وغير واحد من السلف: أي إلى كتاب الله وسنة رسوله. وهذا أمر من الله بأن كل ما تنازع الناس فيه، أن يرد التنازع في ذلك إلى الكتاب والسنة الرسول، كما قال تعالى: (وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكِّمُوهُ إِلَى اللَّهِ)^(٤) فما حكم به كتاب الله وسنة رسوله، وشهدا له بالصحة فهو الحق وماذا بعد الحق إلا الضلال، ولهذا قال تعالى: (إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) أي: ردوا الخصومات والجهالات^(٥).

ويقول القاضي البيضاوي تحت الآية الكريمة بقوله "﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ﴾ أنتم، وأولو الأمر منكم (في شَيْءٍ) من أمور الدين، وهو يؤيد الوجه الأول إذ ليس للمقلد أن ينازع المجتهد في حكمه، والأمر على طريقة الالتفات (فَرُدُّوهُ) فراجعوا فيه (إلى الله) إلى كتابه (والرسول) بالسؤال عنه في زمانه والمراجعة إلى سنته بعده، ويؤيد ذلك الأمر به بعد الأمر بطاعة الله وطاعة رسوله فإنه يدل على أن الأحكام ثلاثة، مثبت بالكتاب ومثبت بالسنة ومثبت بالرد إليهما، على وجه القياس^(٦).

وهكذا يقول ابن عاشور^(٧) بقوله: أمر الله بطاعة الله ورسوله وذلك بأن الله هو منزل الشريعة والرسول مبلّغها، وإثما أعيد (وأطيعوا الرسول) لإظهاراً للاهتمام بتحصيل طاعة الرسول لتكون أعلى مرتبة وجوب طاعته فيما يأمر به، ولو كان أمره غير مقترن بقرائن تبليغ الوحي لئلا يتوهم السامع أنّ طاعة الرسول المأمور بها ترجع إلى طاعة الله فيما

(١) متفق عليه: صحيح البخاري ٦١/٩ كتاب الأحكام، باب قول الله تعالى و: (أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ) [النساء: ٥٩]. وصحيح مسلم ١٤٦٦/٣ كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمرء في غير معصية، وتحريمها في المعصية.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ٣/٤٥٥.

(٣) مسند أحمد ٢/١٢٨.

(٤) سورة الشورى - ١٠.

(٥) انظر: تفسير ابن كثير ٢/٣٤٥.

(٦) تفسير البيضاوي ص ٨٠.

(٧) هو محمد بن الطاهر بن الشيخ محمد الطاهر بن محمد، إيدكان عاشور الجد الأعلى لعائلة ابن عاشور أندلسي الأصل شريف النسب. ولد في جمادى الأولى سنة ١٢٩٦هـ ١٨٧٩م، وتوفي يوم الأحد ٣ رجب سنة ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م. من تصانيفه: كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ، والتحرير والتنوير وغيرهما. ينظر: الموسوعة العربية الميسرة الموسعة ١/٩٦).

يبلغه عن الله دون ما يأمر به في غير التشريع فإن امتثال أمره كله خير، كما أنّ النبي دعا أبا سعيد^(١) لما يصلي فلم يجبه فلما فرغ من صلاته جاءه فقال له "ما منعك أن تجيئني" فقال، كنت أصلي، فقال ألم يقل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾^(٢)

ولذلك كانوا إذا لم يعلموا مراد الرسول من أمره ربما سألوه أهو أمر تشريع أم هو الرأي، كما سأل الحباب بن المنذر حين نزل جيش المسلمين يوم بدر: أهذا منزل أنزلكه الله ..، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ وكما قالت بريدة في أن تراجع زوجها مغيثاً بعد أن عتقت قالت له: أتاؤم يا رسول الله أم تشفع، قال بل أشفع، قالت لا أبقي معه. ولذلك لم يُعَدَّ فعل (فُرِدَّوه) في قوله (والرسول) لأن ذلك في التحاكم بينهم، والتحاكم لا يكون إلا للأخذ بحكم الله في شرعه، ولذلك لا نجد تكريراً لفعل الطاعة في نظائر هذه الآية التي لم يعطف فيها أولو الأمر، مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾^(٣) وقوله ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا﴾^(٤) وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ^(٥) إذ طاعة الرسول مساوية لطاعة الله لأن الرسول هو المبلغ عن الله فلا يتلقى أمر الله إلا منه وهو منقذ أمر الله بنفسه فطاعته طاعة تلقى وطاعة امتثال لأنه مبلغ ومنقذ، بخلاف أولي الأمر .

ومعنى الردّ إلى الرسول، إنهاء الأمور إليه في حياته وحضرته، كما دلّ عليه قوله في نظيره (إِلَى الرَّسُولِ)^(٦) فأما بعد وفاته أو في غيبته فالردّ إليه الرجوع إلى أقواله وأفعاله والاحتذاء بسنته. روى أبو داود عن أبي رافع^(٧) عن النبي أنّه قال "لا أَلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ مَتَكِّئاً عَلَى أُرِيكْتِهِ يَأْتِيهِ الْأَمْرُ مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ فَيَقُولُ: لا ندري ما وجدنا في

(١) هو أبو سعيد بن المعلّى بن لؤذان حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم الأنصاري ثم الزرقى المدني نسبه الواقدي وقال ابن خثير حدثني رجل عن ولده أن اسمه رافع بن المعلّى سمع النبي روى عنه حفص بن عاصم في أول التفسير وسورة الأنفال وفضائل القرآن ويقال أنه أسن من محمود بن الربيع وقال الذهلي قال يحيى بن بكير وتوفي سنة ٧٤. الهداية والإرشاد، في معرفة أهل الثقة والسداد: ٨٣٠/٢، ٨٣١ لأحمد بن محمد بن الحسين بن الحسن، المتوفى: ٣٩٨هـ)، تحقيق، عبد الله الليثي، دار المعرفة بيروت، طبعة/الأولى / ١٤٠٧.

(٢) سورة الأنفال - ٢٤.

(٣) سورة الأنفال - ٢٠.

(٤) سورة الأنفال - ٤٦.

(٥) سورة النور - ٥٢.

(٦) سورة النساء - ٨٣.

(٧) هو عبيد الله بن أبي رافع المدني مولى النبي، واسم أبي رافع أسلم، وقيل: ثابت، وقيل: هرمز. روى عن: شقران مولى النبي، وعلي بن أبي طالب، وكان كاتبه، وأبيه أبي رافع، وأبي هريرة، وأمه أم رافع واسمها سلمى. تهذيب الكمال في أسماء الرجال / ٣٤/١٩ ليوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، المتوفى: ٧٤٢هـ)، تحقيق/د بشار عواد معروف، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ - ١٩٨٠.

كتاب الله اتبعناه" (١) وفي روايته عن العرياض ابن سارية (٢) أنه سمع رسول الله يخطب يقول: "أيجسب أحدكم وهو متكئ على أريكته وقد يظن أن الله لم يحرم شيئاً إلا ما في هذا القرآن ألا وإني والله قد أمرت ووعظت ونهيت عن أشياء، إنها لمثل القرآن أو أكثر" (٣).

وذكر الردّ إلى الله في هذا مقصود منه مراقبة الله تعالى في طلب انجلاء الحق في مواقع النزاع تعظيماً لله تعالى فإن الردّ إلى الرسول يحصل به الردّ إلى الله، إذ الرسول هو النبي عن مراد الله تعالى فذكر اسم الله هنا هو بمنزلة ذكره في قوله: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾ (٤).

ثم الردّ إلى الرسول في حياة الرسول وحضوره ظاهر، وهو المتبادر من الآية، وأما الردّ إليه في غيبته أو بعد وفاته فبالتحاكم إلى الحكام الذين أقامهم الرسول أو أمرهم بالتعيين وإلى الحكام الذين نصبهم ولاية الأمور للحكم بين الناس بالشرعية ممن يظنّ به العلم بوجوه الشريعة وتصاريقها فإن تعيين صفات الحكام وشروطهم وطرق توليتهم فيما ورد عن الرسول من أدلة صفات الحكام يقوم مقام تعيين أشخاصهم، وبالتأمل في تصرفاته، وسنته ثم الصدر على ما يتبين للمتأمل من حال يظنّها، هي مراد الرسول لو سئل عنها في جميع أحوال النزاع في فهم الشريعة، واستنباط أحكامها المسكوت عنها من الرسول، أو المجهول قوله فيها (٥).

أما اتباع النبوة: قال الإمام قرطبي: "وفرض الله طاعة الرسول في غير آية من كتابه وقرنها بطاعته عز وجل وقالت عالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ ذكر ابن عبد البر (٦) في كتاب العلم له عن عبد الرحمن بن زيد (٧) أنه رأى محرم عليه ثيابه، فنهى المحرم فقال: ايتني بآية من كتاب الله تنزع ثيابي قال: فقرأ عليه قول الله تعالى: ﴿وَمَا

(١) رواه أبو داود في سننه ١٧٠/٣ كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارات، و٢٠٠/٤ كتاب السنة، باب في لزوم السنة، وسنن الترمذي ٣٧/٥ باب ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبي من أبواب العلم عن رسول الله . قال الترمذي: هذا حديث حسن، وصححه الألباني.

(٢) هو عرياض بكسر أوله وسكون الراء بعدها موحدة وآخره معجمة بن سارية السلمى أبو نجيح صحابي كان من أهل الصفة ونزل حصص مات بعد السبعين. تقريب التهذيب لابن حجر ص ٣٨٨.

(٣) سنن أبي داود ١٧٠/٣ كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارات.

(٤) سورة الأنفال - ٤١.

(٥) انظر: التحرير والتنوير لمحمد الطاهر ... بن عاشور ٩٦/٥ - ١٠١ الدار التونسية للنشر، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

(٦) هو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي، من كبار حفاظ الحديث يقال له حافظ المغرب. ولد بقرطبة، وتوفي بشاطبة، ومن كتبه: الدرر في اختصار المغازي والسير، والعقل والعقلاء، والاستيعاب، مجلدان في تراجم الصحابة، وجامع بيان العلم، والمدخل في القراءات، والتمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، والاستذكار في شرح مذاهب علماء الأمصار وهو اختصار التمهيد وغير ذلك. وهداية القاري إلى تجويد كلام الباري / ٧٤١/٢ لعبد الفتاح بن السيد المصري الشافعي المتوفى: ١٤٠٩ هـ).

(٧) هو إبراهيم بن عبد الرحمن بن يزيد بن أمية المدني من كبار أتباع التابعين روى له الترمذي من الطبقة السابعة. انظر: تقريب التهذيب ٩١.

كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا^(١) قال الخطابي قول الرسول "أوتيت الكتاب ومثله معه"^(٢) يحتمل وجهين من التأويل.

أحدهما: أن معناه، أنه أوتي من الوحي الباطن غير المتلومثل ما أعطى من الظاهر المتلو.

والثاني: أنه أوتي الكتاب وحيًا يتلى، وأوتي من البيان مثله، أي أذن له أن يبين ما في الكتاب، ويخص ويزيد عليه، وما ورد في الكتاب فهو شرعي، فيجب اتباعه، والقبول به كما يتبين من تلاوة القرآن، ما ذهبت إليه الخوارج والروافض فإنهم تعلقوا بظاهر القرآن وتركوا السنن التي قد ضمن تبيان الكتاب، فتحيروا وضلوا. لان السنن بيان لمجمل في الكتاب بيان للصلوات الخمس فيمواقيتها وسجودها وركوعها وسائر احكامها وكبيانه لمقدار الزكاة ووقتها وما الذي تؤخذ منه من ال أموال وبيانه لمناسك الحج وقال إذ حجب الناس: "خذوا عني مناسككم"^(٣) وقال عليه الصلاة والسلام "صلوا كما رأيتموني أصلي"^(٤) وقال أبو السعود في قوله تعالى (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ) أي ما أعطاكموه من الفيء أو من الأمر (فَخُذُوهُ) فإنه حَقَّكم أو فتمسكوا به فإنه واجب عليكم (وَمَا تَأْكُمُ عَنْهُ) عن أخذه أو عن تعاطيه (فَأَنْتَهُوا) عَنْهُ (وَأَتَّقُوا اللَّهَ) فِي مَخَالَفَتِهِ (إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) فيعاقب من يخالف أمره ونهيه^(٥)

ويقول الزمخشري في الآية ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَأَنْتَهُوا﴾ منقسمة غنيمة، أوفيء فخذوه، وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَأَنْتَهُوا منها (فَأَنْتَهُوا) عنه ولا تتبعه أنفسكم، واتقوا الله أن تخالفوه وتتهاونوا بأوامره ونواهيه، إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ لمن خالف رسوله والأجود أن يكون عامًا في كلما أتى رسول الله ونهى عنه وأمر الفيء داخل في عمومه^(٦).

والنقطة الثانية: الوحي، وفيه مطلبان

المطلب الأول في تعريف الوحي لغةً واصطلاحاً، أقسامها واتباعها

الوحي لغة:

يدور معنى الوحي حول الإعلام الخفي السريع مهما اختلفت أسباب هذا الإعلام فتطلق على الإيماء وعلى الإشارة السريعة وعلى الكلام الخفي وعلى الكتابة وعلى إلقاء المعنى في النفس وعلى الإلهام سواء كان بدافع الغريزة أو بإشراقات الفطرة^(٧) والوحي بمعناه اللغوي يتناول الإلهام الفطري للإنسان كالوحي إلى أم موسى في قوله

(١) سورة الأحزاب . ٣٦ .

(٢) سنن أبي داود ٢٠٠/٤، كتاب السنة، باب في لزوم السنة. وانظر: التبيان في أقسام القرآن لابن القيم ص ٢٤٩.

(٣) السنن الكبرى للبيهقي ٢٠٤/٥.

(٤) سنن الدارقطني ١٠/٢، وانظر: تفسير القرطبي ٣٧/١ - ٣٩.

(٥) تفسير أبي السعود ٢٢٨/٨.

(٦) تفسير الزمخشري ٥٠٣/٤.

(٧) لسان العرب لابن منظور، ٢٣٠/١٥.

تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ^(١)﴾ والإلهام الغريزي للحيوان كالوحي إلى النحل في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ^(٢)﴾ والإشارة السريعة على سبيل الرمز والإيحاء كإيحاء زكريا فيما حكاه القرآن عنه ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا^(٣)﴾ وما يلقيه الله إلى الملائكة من أمر ليفعلوه: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنْ مَعَكُمْ فَتَيُّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ^(٤)﴾

وأما الوحي اصطلاحاً

هو كلام الله تعالى، المنزل على أنبيائه^(٥). وعرفه صاحب الإتيقان من كلام نقله للأزهري أنه سئل عن الوحي قال: "الوحي ما يوحى الله به إلى نبي من الأنبياء فيثبتته في قلبه فيتكلم به ويكتبه وهو كلام الله ومنه ما لا يتكلم به ولا يكتبه لأحد ولا يأمر بكتابته ولكنه يحدث به الناس ويبلغهم إياه"^(٦)

وعرفه الأستاذ محمد عبده^(٧) في رسالته التوحيد بأنه "عرفان يجد الشخص من نفسه مع اليقين، بأنه من قبل الله بواسطة أو بغير واسطة، والأول بصوت يتمثل لسامعه أو بغير صوت، ويفرق بينه وبين الإلهام، بأن الإلهام وجدان تستيقنه النفس فتتنساق إلى ما يطلب على غير شعور منها من أين أتى، وهو أشبه بوجودان الجوع، والعطش والحزن، والسرور"^(٨).

أقسام الوحي:

الوحي ثلاثة أنواع وهي مأخوذة من الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ^(٩)﴾

(١) سورة القصص . ٧.

(٢) سورة النحل . ٦٨.

(٣) سورة مريم . ١١.

(٤) سورة الأنفال . ١٢.

(٥) انظر: مباحث في علوم القرآن لمناع القطان، ص ٣٣، مؤسسة الرسالة.

(٦) انظر: إتيقان ما يحسن من الأخبار لمحمد بن محمد بن محمد العزي، ١٢٧/١، الفاروق الحديثة القاهرة الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ تحقيق محمد العربي.

(٧) هو محمد عبده بن حسن خير الله كان مفتياً للديار المصرية، ومن كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام. ولد سنة ١٢٦٦ هـ، وتوفي بمصر ١٣٢٦ هـ، وعمل في التعليم والصحف وسجن ونفي وتولى منصب القضاء. من مصنفاته: تفسير القرآن الكريم المسمى بتفسير المنار والذي لم يتم، والإسلام والنصرانية، ورسالة التوحيد. انظر: الأعلام ١٣١/٧.

(٨) انظر: الوحي المحمدي للشيوخ رشيد رضا، ص ٤٤.

(٩) سورة الشورى . ١٥.

القسم الأول: ما كان بلا واسطة: وذلك بالإلقاء في القلب يقظة أو مناما أو مثل صلصلة الجرس ومثله ما كان لسيدنا إبراهيم عليه السلام من رؤية ذبحه لولده إسماعيل عليه السلام. وما كان لرسول الله فعن عائشة رضي الله عنها قالت "أول ما بدء به الوحي، الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح" (١).

القسم الثاني: بواسطة السماع الإلهي من غير أن يرى السامع من يكلمه وهو ثابت لموسى لقوله تعالى: (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا) (٢) كما ثبت لرسولنا ليلة الإسراء والمعراج وهذا النوع هو المذكور بقوله تعالى: (أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ) (٣)

القسم الثالث: بواسطة الملك يتمثل له في صورة بشر

هذا من أنواع الوحي الثلاثة، حسب تفصيل الآية السابقة المذكورة، وفيما روى عن عائشة رضي الله عنها أن الحارث بن هشام (٤) سأل رسول الله "أحياناً يأتيني مثل صلصلة (٥) الجرس وهو أشد علي فيفصم (٦) عني وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول قالت عائشة رضي الله عنها: لقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وأن جبينه ليتفصد (٧) عرقاً (٨) والآيات الواردة في اتباع الوحي: هي كثيرة في القرآن منها قوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَبِعْ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٩) وقوله تعالى: (وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) (١٠) في هذه الآية الكريمة إشارة إلى اتباع الوحي فيرغب سبحانه عباده في كتابه ويأمرهم بتدبره والعمل به والدعوة إليه ووصفه بالبركة لمن تبعه وعمل به وأن رحمة الله تحيط بمن حضى بهذا الاتباع لأنه حبل الله المتين (١١) وقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (١٢)

(١) رواه البخاري، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله، ٤/١.

(٢) سورة النساء - ١٦٤.

(٣) سورة الشورى - ٥١.

(٤) هو الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم أبو عبد الرحمن القرشي المخزومي أخو أبي جهل وابن عم خالد بن الوليد. انظر:

الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ٣٠١/١، والفتاوى لمحمد بن حبان البستي، ٧٣/٣.

(٥) صلصلة: يصل صليل وهو صوت كل من سمع له ظنن عند القواعد، انظر: القاموس المحيط.

(٦) فيفصم: يقلع ويتجلى وينقطع، راجع القاموس المحيط، ص ١٤٧٨.

(٧) يتفصد: يسيل ويجري عرقه، انظر: المصدر السابق، ص ٣٩١.

(٨) صحيح البخاري ٦/١ مقدمة الدكتور مصطفى البغا على صحيح البخاري، باب بدء الوحي.

(٩) سورة البقرة - ٣٨.

(١٠) سورة الأنعام - ١٥٥.

(١١) انظر: تفسير ابن كثير ١٩٣/٢، وتفسير في ظلال القرآن ١٢٣٧/٣.

(١٢) سورة النساء - ١٧٠.

ومعنى الآية أن محمداً قد جاءكم بالهدى ودين الحق المتمثل في هذا القرآن، فآمنوا بما جاءكم به، واتبعوه يكن خيراً لكم.^(١) وقوله تعالى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾^(٢) الخطاب هنا لرسول الله إنا أنزلنا عليك القرآن لجميع الخلق من الإنس والجن لتتذرعهم به فمن اهتدى منهم لاتباعه فإنما يعود نفع ذلك إلى نفسه ومن ضل وابتعد عن اتباعه فإنما يرجع وبال ذلك على نفسه^(٣) فهذا القرآن الكريم هو الحق في ذاته لأنه وحي الله وهذا ما قاله نفر من الجن حين استمعوا إليه وآمنوا به وبلغوا ما سمعوا إلى قومهم مبشرين ومنذرين ﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(٤) أي يا قومنا آمنوا بهذا الكتاب الذي جاء، مصداقاً لما بين يديه من الكتب، المنزلة على الأنبياء، يهدي إلى الحق في الاعتقاد والإخبار وإلى طريق مستقيم في الأعمال وفي قوله: ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾ فيه دلالة على أنه الرسول أرسل إلى الثقلين الإنس والجن.^(٥)

وهكذا كان موقف نفر من الجن يستمعون القرآن فكان لهم أدبهم وحسن إنصاتهم وتبليغهم ما سمعوا لأقوامهم حيث قالوا: أجيبوا داعي الله والنتيجة يغفر لكم ويجركم من العذاب ثم قالوا: ومن لا يجب داعي الله فيكون مصيره الضلال المبين فهذا ما أوصى به بعضهم بعضاً وهم يحضرون إلى الرسول وفوداً وفوداً^(٦) الأحاديث الواردة في اتباع الوحي: عن النّوّاس بن سمعان^(٧) عن النبي قال: "ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً وعن جنّتي الصراط داع يقول يا أيها الناس هلم ادخلوا الصراط المستقيم جميعاً ولا تفرقوا وداع يدعو من فوق الصراط فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال: ويحك إن فتحة تلجه فالصراط الإسلام والصور ان حدود الله والأبواب المفتحة محارم الله وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله والداعي من فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم^(٨)

(١) انظر: تفسير البيضاوي ١٤٣/٢.

(٢) سورة الزمر - ٤١.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ٥٦/٤، وتفسير الظلال ٤٠٥٤/٥.

(٤) سورة الأحقاف - ٣٠ - ٣٢.

(٥) يراجع: تفسير ابن كثير ٧٨/٢، وتفسير الظلال ٢٣٧٤/٦، وتفسير الطبري ٣٤/٢٦.

(٦) لتفسير روح المعاني ٣٢/٢٦.

(٧) هو النّوّاس بن سمعان، بن خالد بن عمرو، بن قرط بن عبد الله بن أبي بكر. راجع الثقات ٣١١/٣.

(٨) رواه الترمذي في سننه في باب ما جاء في مثل الله لعباده من أبواب الأمثال عن رسول الله ١٣٣/٥. وقال حديث حسن صحيح.

وعن يزيد بن حيان^(١) قال: انطلقت أنا وبعض الأصحاب إلى زيد بن أرقم^(٢) فلما جلسنا إليه قلنا له: لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً رأيت رسول الله وسمعت حديثه وغزوت معه وصليت خلفه، حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله قال: والله كبرت سني وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت أعني من رسول الله قام يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خمسا^(٣) بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعد وعظ وذكر ثم قال: أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به" فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال: "وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي"^(٤) وعن أبي بن كعب^(٥) قال وهو يوصي رجلاً: "اتخذ كتاب الله إماماً وارض به قاضياً وحكماً فإنه الذي استخلف فيكم رسول الله شفيع مطاع وشاهد لا يتهم فيه ذكركم وذكر من قبلكم وحكم ما بينكم وخبركم وخبر ما بعدكم"^(٦)

ومن هذا الحديث نستطيع أن نصف القرآن بأنه وحي الله وكلامه قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٧) وهذا الوحي الإلهي هو وحده الخلق بالاتباع، لأنه هو وحده الحق، وما عداه باطل، ولهذا جاء في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: "ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أوتي من الآيات ما من على مثله البشر وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلى فارجو أن أكون أكثرهم تابعاً"^(٨)

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي

(١) هو يزيد بن حبان أخو مقاتل بن حيان من السابعة يروي عن أبي مجلز وابن بريدة وكان ممن يخطئ ويخالف. انظر: الثقات ٦١٩/٧، وتقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني ٦٠٠/١.

(٢) هو يزيد بن أرقم بن الحارث الأنصاري، كنيته أبو عمرو ويقال: أبو سعيد قتله أبو عامر وقال بعضهم: أو أنيسة سكن الكوفة، مات سنة خمس وستين وقيل ٦٨) وهو زيد بن أرقم بن ثابت بن زيد. انظر: الثقات ١٣٩/٣، والاستيعاب لابن عبد البر ٥٣٥/٢.

(٣) اسم لغبضة على بعد ثلاثة أميال من الجحفة.

(٤) رواه مسلم في صحيحه ١٨٧٣/٤ كتاب الفضائل باب من فضائل علي بن أبي طالب ع.

(٥) هو أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بني معاوية بن عمر بن مالك بن النجار الأنصاري البخاري أبو المنذر وأبو الطفيل سيد القراء كان أصحاب العقبة الثانية وشهد بدرًا والمشاهد كلها قال له النبي أن الله أمرني أن أقرأ عليك... ويقول له عمر اقرأ يا أبي وكان يسمى سيد المرسلين الحديث في الصحاح... أول من كنت، الاستيعاب ٦٨/١.

(٦) حلية الأولياء لأبي نعيم ٢٥٢/١ - ٢٥٣.

(٧) سورة يونس - ٣٧.

(٨) أخرجه مسلم في صحيحه ١٣٤/١ كتاب الإيمان باب وجوب الإيمان برسالة محمد .

الْأَرْضِ إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ^(١) وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً^(٢)﴾ والنجاة كل النجاة في اتباع القرآن وكل من أعرض عن كتاب الله فهو ضال وفي ذلك يقول الباري سبحانه وتعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى . وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى . قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا . قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى^(٣)﴾ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "من قرأ القرآن فاتبع ما فيه هداه الله من الضلالة في الدنيا ووقاه يوم القيامة الحساب لأن الله يقول: (فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى^(٤))"

المطلب الثاني: موقف أحمد الدين من الوحي وما عليه الإجماع

لا أجد فيما أعلم خلافاً بين الأمة الإسلامية في قسمي الوحي الجلي والخفي أو المتلو وغير المتلو إلا أن أحمد الدين شذ بقوله إن الوحي الحقيقي المنزل من الله على رسوله نوع واحد؛ وهو المسمى بالقرآن، يعني الوحي المتلو أو الجلي، أما ما سواه فليس بوحي عنده لما يلي:

لو كانت السنة القولية والفعلية والتقريرية للنبي وحياً، لكان مساوياً للقرآن، قوة وحفظاً، ولكن الأمر ليس كذلك إن السنة مغايرة القرآن، من حيث أن القرآن كله قطعي الثبوت خلافاً للسنة فإنها ظنية الوحي المتلو القرآن واجب العمل، وغيره ليس كذلك.

وفسير طاعة الرسول في القرآن بأنها ليست طاعته في جميع أقواله وأفعاله وتقريراته، بل المراد به في نظره طاعته كمتبع القرآن من الله فقط بدليل قوله: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ^(٥)﴾ وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا...^(٦)﴾ وقوله: ﴿أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ^(٧)﴾ وقوله: ﴿فَسِيرَى اللَّهِ عَمَلِكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ^(٨)﴾ وقوله: ﴿أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ^(٩)﴾ وإلي المصير^(١٠) وغيرها من الآيات فيه عموم وخصوص، ولكن المشترك واجب الاتباع هو الوحي الإلهي - القرآن - فقط وما هو خارج عن هذا الإشتراك - يعني ما ليس بوحي إلهي (القرآن). لا يجب التزامه

(١) سورة الشورى - ٥٢ - ٥٣.

(٢) سورة فصلت - ٤٤.

(٣) سورة طه - ١٢٣ - ١٢٦.

(٤) سورة طه - ١٢٣.

(٥) سورة المنافقون - ٨.

(٦) سورة المائدة - ٥٥ - ٥٦.

(٧) سورة لقمان - ١٤.

(٨) سورة التوبة - ١٠٥.

(٩) سورة لقمان - ١٤.

وتمسك في دعواه باحتمال صدور الخطأ عن رسول الله بدليل حاجته إلى التشاور فلو لم تكن إمكانية صدور الخطأ لما احتاج إلى التشاور ولم يؤمر به عن ربه. وأن الله هدده بقوله: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(١) فهذا يدل أن جميع كلام النبي وأفعاله ليس بوحى غير واجب الإتيان^(٢)

أما موقف جمهور العلماء من الوحي: فقال ابن عاشور ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾^(٣) وضمير هو عائد إلى المنطوق به المأخوذ من فعل ينطق كما جاء في قوله تعالى: (اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى)^(٤) أي العدل المأخوذ من فعل اعدلوا ويجوز أن يعود الضمير إلى معلوم من سياق الرد عليهم لأنهم زعموا في أقوالهم المردودة بقوله: (مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى)^(٥) زعموا القرآن سحراً أو شعراً أو كهانة أو أساطير الأولين أو إفكاً وإن كان النبي ينطق بغير القرآن عن وحى كما في حديث الحديبية في جوابه للذى سأله: ما يفعل المعتمر؟ وكقوله: "إن روح القدس، نفث في روعي، أن نفس لن تمت حتى تستكمل أجلها" ومثل جميع الأحاديث القدسية التي فيها قال الله تعالى. ومن حديث سنن أبي داود والترمذي قال رسول الله "إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرّموه" وقد ينطق عن اجتهاد كأمره بكسر القدور التي طبخت فيها الخمر الأهلية فقليل له: أو تُهريقها ونغسلها؟ فقال: أو ذاك فهذه الآية بمعزل عن إيرادها في الاحتجاج لجواز الاجتهاد للنبي لأنها كان نزولها في أول أمر الإسلام وإن كان الأصح أن يجوز له الاجتهاد وأنه وقع منه وهي من مسائل أصول الفقه والوحي تقدم عند قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ﴾^(٦) وجملة يوحى مؤكدة لجملة إن هو إلا وجميع دلالة المضارع على أن ما ينطق به متجدد وحيه غير منقطع^(٧)

ويقول السمرقندي في قوله تعالى: (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ) يعني ما ينطق بهذا القرآن والعرب تجعل عن مكان الباء تقول رميت عن القوس أي بالقوس وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ أي بالهوى إن هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى يعني ما هذا القرآن إلهي يوحى إليه^(٨) وجاء في تفسير فتح القدير: (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ) أي ما يصدر نطقه عن الهوى لا بالقرآن ولا بغيره وقال أبو عبيدة: إن عن بمعنى الباء أي بالهوى وقال قتادة أي ما ينطق بالقراءة عن هواه إن هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى

(١) سورة الزمر - ٦٥.

(٢) تفسير بيان للناس ٥٦٦/١ - ٥٦٧.

(٣) سورة النجم ٣ - ٤.

(٤) سورة المائدة - ٨.

(٥) سورة النجم - ٢.

(٦) سورة النساء - ١٦٣.

(٧) التحرير والتنوير لابن عاشور ٩٤/٢٧، ٩٥.

(٨) بحر العلوم، المعروف بتفسير السمرقندي ٣٥٨/٣.

أي ماهو الذي ينطق به إلّاوحى من الله يوحيه إليه وقوله: يُوحى صفة لוחي تفيد الاستمرار التجديدي وتفيد نفى المجاز أي هو وحي حقيقة لا مجرد التسمية^(١)

النقطة الثالثة: المعجزات، وفيه مطلبان

المطلب الأول: تعريف المعجزة لغةً واصطلاحاً، أنواعها وغايتها في الشريعة الإسلامية

أولاً: تعريف المعجزة لغةً: المعجزة وفيه أقوال

١- إسم جامع يعم كل خارق للعادة في اللغة وعرف الأئمة المتقدمين كالإمام أحمد بن حنبل وغيره ويسمونها الآيات، لكن كثير من المتأخرين يفرقون في اللفظ بينهما فيجعل المعجزة للنبي والكرامة للولي وجماعها الأمر خارق للعادة^(٢)

٢- قال ابن منظور في لسان العرب: "العجز نقيض الحزم يقال أعجزت فلاناً إذا ألفتته عاجزاً ومنه الضعف أيضاً تقول عجزت عن كذا أعجز والمعجزة بفتح الجيم وكسرهما مفعلة من العجز: عدم القدرة وفي الحديث: كل شيء بقدر حتى العجز والكيس"^(٣)

٣- قال صاحب تاج العروس: "أعجزه: صيره عاجزاً أي عن إدراكه والحق به ومعجزة النبي ما أعجز به الخصم عند التحدي والجمع معجزات"^(٤)

٤- وقال صاحب شرح المقاصد: "العجز المقابل للقدرة وحقيقة اثبات العجز ثم أسند مجازاً إلى ما هو سبب العجز وجعل له اسماً ثم زيدت التاء للنقل من الوصفية إلى الاسمية كما في الحقيقة وقيل للمبالغة كما في العلامة"^(٥)

٥- المعجزة مأخوذة لفظاً من العجز وهي عبارة شائعة على التوسع والاستعارة والتجوز فإن المعجز على التحقيق خالق العجز والذين يتعلق التحدي بهم لا يعجزون عن معارضة النبي ثم في تسمية الآية معجزة تجوز آخر أيضاً وهو إسناد الإعجاز إليه والرب تعالى هو معجز الخلائق بها ولكنها سميت معجزة لكونها سبباً في امتناع ظهور المعارضة على الخلائق^(٦)

٦- وقال الأمدي: "المعجز في وضع مأخوذ من العجز وهو في الحقيقة لا يطلق على غير الباري تعالى لكونه خالق العجز وإن سميناه غيره معجزاً كما في فلق البحر وإحياء الموتى فذلك إنما هو بطريق التجوز والتوسع من كونه سبب ظهور الإعجاز وهو الإنباء عن امتناع المعارضة لا الإنباء عن العجز عن الإتيان بمثل تلك المعجزة كما توهمه بعض

(١) تفسير فتح القدير للشوكاني ١٠٥/٥.

(٢) المعجزة وكرامات الأولياء، لابن تيمية، ص ٢٧.

(٣) لسان العرب لابن منظور ٣٦٩/٥.

(٤) تاج العروس من جواهر القاموس لزبيدي ٢١١/١٥.

(٥) شرح المقاصد في علم الكلام، سعد الدين التفتازاني، ١٧٦.١٧٥/٢.

(٦) كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، لإمام الحرمين الجويني، ص ٣٠٨.٣٠٧.

الناس فإن ذلك مما لا يتصور العجز عنه حقيقة فإن دخلت تحت قدرته فلا عجز وإن لم تدخل تحت قدرته فالعجز عما لا يدخل تحت القدرة أيضاً ممتنع"^(١)

٧- قال صاحب المفردات: "العجز أصله التأخر عن الشيء، وهو ضد القدرة"^(٢)

ثانياً: تعريف المعجزة اصطلاحاً: ههنا عدة تعريفات منها

١- يقول البغدادي^(٣) المعجزة هي ظهور أمر خلاف العادة في دار التكليف لإظهار صدق ذي النبوة من الأنبياء مع نكول من يتحدى به عن معارضة مثله"^(٤)

٢- قال الإمام الماوردي: "المعجز ما خرق عادة البشر من خصال لا تستطاع إلا بقدرة إلهية تدل على أن الله تعالى خصه بها تصديقاً على اختصاصه برسالته فيصير دليلاً على صدقه في ادعاء نبوته إذا وصل ذلك منه في زمان التكليف"^(٥)

٣- وذكر الإمام الحرمين الجويني^(٦): "المعجزة هي أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي تتعلق بتصديق دعوى من ظهرت على يديه"^(٧)

٤- أما الإمام الرازي فقد عرفها: "بأنها أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة"^(٨)

٥- وقال الآمدي: "المعجزة هي كل ما قصد به اظهار صدق المتحدى بالنبوة المدعي للرسالة"^(٩)

(١) غاية المرام في علم الكلام/ ص ٣٣٣/ لأبي الحسن سيد الدين علي بن أبي علي المتوفى: ٦٣١هـ، تحقيق لحسن محمود، المجلس الأعلى للشتون الإسلامية . القاهرة.

(٢) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ص ٥٤٧.

(٣) هو عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي، من أئمة الأصول. كان صدر الإسلام في عصره. ولد ونشأ في بغداد، ورحل إلى خراسان فاستقر في نيسابور. وفارقها على أثر فتنة التركمان. قال السبكي: ومن حسرات نيسابور اضطرار مثله إلى مفارقتها. ومات في اسفرائين ٤٢٩ هـ. ١٠٣٧ م. كان يدرس في سبعة عشر فناً. وكان ذا ثروة. من تصنيفه: أصول الدين، والناسخ والمنسوخ، وتفسير أسماء الله الحسنى، وفضائح القدريّة وغير ذلك. انظر: الأعلام لزركلي ٤/ ٤٨.

(٤) أصول الدين، لأبي منصور عبد القاهر البغدادي، ص ١٧٠.

(٥) أعلام النبوة ص ٤٢ لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي المتوفى: ٤٥٠ هـ، دار ومكتبة الهلال . بيروت، الطبعة: الأولى. ١٤٠٩ هـ.

(٦) هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني الشافعي، ابو المعالي، الملقب بضياء الدين. الشهير بإمام الحرمين، ولد سنة ٤١٩ هـ، وتوفي بنيسابور سنة ٤٧٨ هـ. من أشهر مصنفاته: نهاية المطلب في الفقه، والبرهان، في أصول الفقه، وغيث الأمم في الأحكام السلطانية وغيرها. يراجع: وفيات الأعيان ٢/ ٣٤١، الفوائد البهية ص ٢٤٦، وشذرات الذهب ٣/ ٣٨٥.

(٧) انظر: كتاب الرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، لإمام الحرمين الجويني، ص ٣٠٩ وما بعدها.

(٨) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين، فخر الدين حمد بن عمر الخطيب الأزدي، ص ٣٠١.

(٩) غاية المرام في علم الكلام، لسيف الدين الآمدي، ص ٣٣٣.

٦- وذكر الإيجي^(١): "المعجزة هي أمر خارق للعادة ويقصد به إظهار صدق من ادعى أنه رسول الله وموافقة لدعواه"^(٢)

٧- وعند القرطبي بأنها: "أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة"^(٣)

محترزات هذا التعريف: وإنما قال أمر ليتناول الفعل، كإنفجار الماء من بين الأصابع وعدمه كعدم إحراق الناروقيد المعارضة للتحدي يخرج كرامات الأولياء، فإنها غير مقرونة بالتحدي، بل ولا مقرونة بدعوى النبوة، وكذلك فإن اقتران الأمر الخارق بالتحدي يخرج العلامات الإرهاسية، التي تسبق البعثة النبوية ويخرج كذلك ما إذا اتخذ الكاذب معجزة من سبقه من الأنبياء حجة لنفسه. أما قيد مع عدم المعارضة فهو يخرج السحر والشعبدة، لأنها يمكن معارضتها لأنها يمكن تعلمها أي تدرك بالتعلم^(٤) قال الشيخ الزرقاني "المعجزة هي أمر خارق للعادة خارج عن حدود الأسباب المعروفة....."^(٥) وعرفها عبد الرحمن حبنكة الميداني: "بأنها أمر ممكن عقلاً خارق للعادة يجريه الله على يد من أراد أن يؤيده ليثبت بذلك صدق نبوته وصحة رسالته"^(٦)

ومن خلال التعريفات السابقة يظهر أن المعجزات هي دلالة قائمة على صدق من ادعى النبوة وهي ضرورة ما تقيد بقيد التحدي لإظهار صدق المدعي للنبوة على أنه مرسل من عند الله تعالى ولكن يلاحظ من أغلب التعريفات السابقة صبغة التحدي فيها رغم أن بعض الرسل لم يأتوا بمعجزات على قصد التحدي ولكن بقصد إظهار نبوته أو تطيب لقلوب متببعيه كما فعل رسول الله في معجزة نبع الماء من بين أصابعه الشريفة وإطعامه الجمع الكثير من الطعام القليل وكذلك كما فعل موسى لمعجزة شق البحر لنجى قومه من بطش فرعون وقومه قال تعالى: ﴿فَأَتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ • فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ، قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ. فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ • وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ﴾^(٧) أو تأتي المعجزات لطلب المؤمنين من النبي الإتيان لهم بآية تطمينا لقلوبهم وزيادة لإيمانهم كما طالب الحواريون من عيسى، أن ينزل الله عليهم مائدة من السماء ليأكلوا منها قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْخَوَارِثُونَ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم

(١) هو القاضي عضد الدين، عبد الرحمن بن أحمد الإيجي: عالم بالأصول والمعاني والعربية من أهل إيج بفارس، جرت له محنة مع صاحب كرمان، فحسبه بالقلعة، فمات مسجوناً سنة ٧٥٦ هـ، له: "المواقف"، "العقائد العضدية"، وغيرها. انظر: الأعلام لزركلي ٢٩٥/٣.

(٢) كتاب المواقف ٣٣٨/٣ لعضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، دار الحيل - بيروت الطبعة الأولى، ١٩٩٧، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة.

(٣) الإعلام في دين النصارى من الفساد والأوهام، وإظهار محاسن الإسلام ص ٢٣٩ لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الحزرجي شمس الدين القرطبي المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي - القاهرة.

(٤) شرح المقاصد في علم الكلام، للإمام سعد الدين التفتازاني، ١٧٥/٢.

(٥) مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ٧٣/١.

(٦) العقيدة الإسلامية وأسسها، لعبد الرحمن حبنكة الميداني، ص ٣٣٨.

(٧) سورة الشعراء ٦٠ - ٦٤.

أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونُ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ . قَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ . قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾

والتعريف الذي أراه جامعاً والله أعلم، هو تعريف البغدادي بأن "المعجزة هي ظهور أمر خلاف العادة في دار التكليف لإظهار صدق ذي النبوة من الأنبياء مع نكول من يتحدى به عن معارضة مثله" لأن هذا التعريف جامع.

أركان المعجزة وشروطها:

أن تكون فعلاً لله تعالى.

١- أن تكون خارقة للعادة.

٢- أن تكون ظاهرة على يد مدعي النبوة والرسالة.

٣- تعلقها بتصديق دعوى من ظهرت على يديه كان يتحدى النبي بالمعجزة وتظهر وفق دعواه لا مخالفة فتكذبه.

٤- أن تتعذر معارضته فيخرج السحر والشعبد.

٥- أن تكون مقرونة بدعوى الرسالة أو النبوة حقيقة أو حكماً بأن تأخرت بزمن يسير.

٦- أن تكون قولاً كالقرآن أو فعلاً كنبع الماء من أصابعه أو تركاً كعدم إحراق النار لسيدنا إبراهيم .

٧- أن لا تكون في زمن نقض العادة كعلامات الساعة.

أنواع المعجزات: تنقسم المعجزات إلى ما يلي

النوع الأول: وجود فعل غير معتاد مثله وذلك كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وقلب العصا حية وجعل اليد بيضاء من غير سوء كمعجزة موسى ولهذا النوع ضربان: أحدهما: لا يدخل تحت قدرة من هو معجزة له ولا تحت قدرة غيره من الخلق ولا يقدر عليه إلا الله وذلك كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص ولذلك جاءت كلمة (بإذني) بعد كل كلام يقوله المسيح عند ما يتكلم عن معجزته التي أيده الله بها تأكيداً على أن ذلك ليس من فعله بل من فعل العزيز الجبار القادر على كل شيء وهو الله المصطفى الثاني: لا تدخل تحت قدرة من هو معجزة فيه وله على الوجه الذي أظهره الله تعالى عليه وإن دخل مثل إبعاضه وجنسه وتحت قدرة العباد بأن يكتسبوه في أنفسهم ويستحيل فعله من غيرهم وهذا مثل القرآن الكريم فكلامه المنظوم في فصاحته وبلاغته التي أبهرت البلغاء وأهل الفصاحة والبيان وإن كانت جنس العبارات والمفردات اللفظية وبعض أنواع التراكيب منها مقدور للعباد

والنوع الثاني: من أنواع المعجزة وهو المنع من شيء ليال بعد أن كان معتاداً له وذلك للدلالة كمنع زكريا من الكلام ثلاث ليال بعد أن كان معتاداً له وذلك للدلالة على صحة ما بشر به من الولد قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾^(١) الآية^(٢) وتيه بني إسرائيل في قطع الطريق ومنع السحرة من التخيل وهذه الأنواع من المعجزات تكون على صنفين:

الأول: معجزات حسية وهي معجزات المعاينة التي يراها البشر بأعينهم وتكون أمام الحاضرون وهي التي صدرت عن أغلب الأنبياء مثل إحياء الموتى وإبراء الأكمه وإبراء الأبرص، وقلب العصا حية وغير ذلك من معجزات موسى ومعجزة الناقة الصالح ونبع الماء من بين أصابع نبينا الكريم وانشقاق القمر له وغير ذلك من المعجزات الحسية

ثانياً: معجزات عقلية وهي التي تكون بالعقل فقط بغير معاينة وهي معجزة نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم وهي القرآن الكريم تحدى بسورة واحدة منه الفصحاء والبلغاء فلم يستطيعوا إلى ذلك سبيلاً^(٣) وهو الذي ما إن سمعته الجن إلا أن قالوا إنا سمعنا قرءاناً عجبا يهدي إلى الرشd فأما به وهي المعجزة الدائمة إلى أبد الدهر من بين معجزات الأنبياء جميعاً لأنها تخاطب العقل والفكر في كل مكان وزمان والقول بأن المعجزات على هذين النوعين لا يعني أن أحداً يستطيع أن يأتي بمعجزة من عنده إذ أن المعجزات لا تكون إلا لمُدعي النبوة للبرهنة على صديق نبوته وأنه مؤيد من عند الله تعالى قرن بالتحدي أو لم يقترن بما ذلك لأنها محصورة في الرسل عليهم الصلاة والسلام والمعجزات التي أنعم الله بها على رسله وأنبيائه تندرج تحت ثلاثة أشياء، العلم، والقدرة، والغنى. فالإخبار بالمغيبات والماضية والمستقبل، كإخبار عيسى عن قومه وإخبار نبينا محمد بأخبار الأمم السابقة، وإخباره بالفتن، وعلامات يوم القيامة التي ستأتي في المستقبل كل هذا من باب العلم.

وتحويل العصا إلى ثعبان وإبراء الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى، وشق القمر وما شابه ذلك من باب القدرة. وعصمة الله ورسوله وحمايته ممن أراد به سوء ومواصلته للصيام مع عدم تأثير ذلك على حيويته ونشاطه من باب الغنى. فهذه الأمور الثلاثة في المعجزات لا بد لها أن تكون على وجه الكامل، ولذلك أمر الله ورسوله بالبراءة من دعوى هذه الأمور ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبُ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾^(٤)

(١) سورة مريم - ١٠

(٢) أصول الدين، لأبي منصور عبد القاهر البغدادي، ص ١٧١

(٣) سورة يونس، الآية: ٣٨

(٤) سورة الأنعام - ٥٠

فالرسول مبرأ من دعوى علم الغيب وملك الخزائن الأرض ومن كونه ملكاً مستغنياً عن الطعام والشراب والمال^(١)
غاية المعجزة في الشريعة الإسلامية: تحدث المعجزة لأهداف وغايات ومنها:

١- **العبرة:** قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأْيِ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بَصَرَهُ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾^(٢) وقال تعالى عن قصص الأنبياء: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^(٣) وقال تعالى عن فرعون بعد ما كذب معجزة موسى ﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى فَكَذَّبَ وَعَصَى . ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى . فَحَشَرَ فَنَادَى . فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى . فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى . إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَنْ يَخْشَى﴾^(٤)

٢- **الموعظة:** وكذلك تأتي المعجزة بهدف العظة والموعظة قال تعالى ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(٥) وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٦) وقال تعالى: ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٧) وقال تعالى ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(٨)

٣- **التطمين للقلوب:** ومن أهداف المعجزات التطمين لقلوب المؤمنين وزيادة لإيمانهم قال تعالى ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِثُونَ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ . قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَّقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ . قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ . قَالَ اللَّهُ إِلَيْنِ مَنَرُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾^(٩) وقال تعالى ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾^(١٠)

(١) الرسل والرسالات، د. عمر سليمان الأشقر، ص ١٢١.

(٢) سورة آل عمران - ١٣.

(٣) سورة يوسف - ١١١.

(٤) سورة النازعات ٢٠ - ٢٦.

(٥) سورة البقرة - ٦٦.

(٦) سورة يونس - ٥٧.

(٧) سورة هود - ١٢٠.

(٨) سورة النور - ٣٤.

(٩) سورة المائدة ١١٢ - ١١٥.

(١٠) سورة آل عمران - ١٢٦.

٤- لتأييد الله للمؤمنين: كما فعل موسى لمعجزة شق البحر لينجى قومه من بطش فرعون وقومه قال تعالى: ﴿فَأَتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ . فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ . قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ . فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ . وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ . وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ . ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾^(١) وكذلك أن الله تعالى أيد رسوله والمؤمنين بالملائكة يوم بدر قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ . وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٢)

٥- رحمة للناس: قال تعالى ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾^(٣)

٦- للتعقل: قال تعالى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(٤)

٧- للتخويف: قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأُولُونَ وَآتَيْنَا ثُمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾^(٥)

٨- تأييد للرسول وعلامة للمؤمنين: قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾^(٦)

فهذه هي خلاصة مفهوم المعجزات في الإسلام ومن المفارقات أن المعجزة وشروطها يتفق عليه المسلمون والنصارى إذ أنها خارقة للعادة ولا تصدر إلا ممن ادعى النبوة وبما أن معجزة المسيح داخلة تحت هذه الشروط لا محالة فدل على هذا أنه رسول مؤيد بالمعجزات من قبل الله تعالى للدلالة على صدق رسالته ولكن الهدف متغاير بين الديانتين في نسب المعجزات إلى المسيح فالمسلمون ينسبونها إليه نسبة جزئية أي بواسطة إذ أن المسيح وعاء لهذه المعجزة التي يجريها الله تعالى على يديه متى يريد لها ولكن المسيحيين نسبوا هذه المعجزات كلية إلى المسيح مصدراً وخالقاً ومبدعاً لها أنى شاء وكيف شاء.

(١) سورة الشعراء ٦٠ - ٦٦ .

(٢) سورة الأنفال ٩ - ١٠ .

(٣) سورة مريم - ٢١ .

(٤) سورة البقرة - ٧٣ .

(٥) سورة الإسراء - ٥٩ .

(٦) سورة آل عمران - ٤١ .

موقف أحمد الدين من المعجزات مع ذكرها عليه الإجماع

موقف أحمد الدين من المعجزات: لعدم اعتراف أحمد الدين بمعجزات الأنبياء تأول محكمات القرآن وأنكر الأحاديث تنص بوقوعها، فملخص مفاد قوله في هذا الصدد:

١- أن المعجزات . كانشقاق القمر وانفلاق البحر وما إلى ذلك . تخالف العقل تخرق العادات وتبدل فطرة الله التي فطر الخلق عليها والاعتراف بصدورها، تلزم تغيير سنة الله الكونية الثابتة ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾^(١)

٢- لا مصلحة أصلاً في إثبات الأشياء ما تخالف العقل لكونها غير مفيدة والله منزّه عن كل عبث غير مفيد فإذا انتفى المصلحة لزم مفسدة والعبث لأن رفع النقيضين باطل واجتماعهما محال^(٢)

ذكر بعض المعجزات الأنبياء وموقف أحمد الدين فيه مع ذكر موقف العلماء

انفلاق البحر:

توضيح الشيخ لإنفلاق البحر بضرب موسى بعصاه كمعجزة له لا يستقيم أبداً لقوله: أن الطريق كان موجوداً من قبل وكان موسى عالم به ومرّ به عدة مرات ولما غاب في الماء أمر الله موسى أن يأخذ عصاه ويبحث الطريق في الماء ففعل وهذا هو المراد بقوله تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾^(٣) الآية^(٤)

موقف المفسرين من انفلاق البحر

يقول أبو السعود عند تفسير قوله: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ. فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾^(٥) وروي أن رجلاً مؤمناً من آل فرعون أمام موسى فقال أين أمرت البحر أمامك وقد غشيك آل فرعون قال أمرت بالبحر ولعلي أومر بما أصنع فأمر بما أمر به وذلك قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾ الفلزم أوالنيل (فانفلق) الفاء فصيحة أي فضر فانفلق فصار اثني عشر فرقا ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ كالجبل المنيف الثابت في مقره فدخلوا في شعابها كل سبط في شعب منها (وَأَرْزَقْنَا) أي قربنا (ثُمَّ الْآخِرِينَ) أي فرعون وقومه حتى دخلوا على أثرهم^(٦)

(١) سورة فاطر . ٤٣ .

(٢) انظر: تفسير بيان للناس ٧ / ٤٠ - ٤١ .

(٣) سورة الشعراء . ٦٣ .

(٤) انظر: تفسير بيان للناس ٤ / ٩٤ .

(٥) سورة الشعراء . ٦٣ .

(٦) تفسير أبي السعود ٥ / ٢٤٥ وبعدها .

أما فخر الدين الرازي يقول "الإنفلاق باضرب معلوم من الكلام، إذ لا يجوز أن ينفلق من غير ضرب، يأمره الله بالضرب لأنه من معجزاته التي ظهرت بالعصا، ولأن انفلاقه بضرب أعظم في النعمة عليه وأقوى لعلمهم، أنذلك إنما حصل لمكان موسى واختلفوا في البحر روى عن ابن عباس رضي الله عنهم أن موسى لما انتهى إلى البحر مع بني إسرائيل أمرهم أن يخوضوا البحر فامتنعوا إلا يوشع بن نون فإنه ضرب دابته وخاض في البحر حتى عبر ثم رجع إليهم فأبوا أن يخوضوا فقال موسى للبحر ان فرق لي فقال ما أمرت بذلك ولا يعبر عن ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ بالعصاة فقال موسى يارب قد أبى البحر أن ينفرق، فقبل له اضرب بعصاك البحر فضربه فانفراق فكان كل فرق كالطود العظيم أي كالجبل العظيم وأصبح فيه اثنا عشر طريقاً، لكل سبط منهم طريق حتى نظربعضهم إلى بعض على أرض يابسة. وروي أن موسى عليه السلام قال يامن كان قبل كل شيء والمكون لكل شيء والكائن بعد كل شيء فأما قوله: (فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ) فالفرق الجزء المنفرد منه وقرىء كلفلق والمعنى واحد الطود الجبل المتطاول أي المرتفع في السماء وهو معجزة من وجهين.

أحدها: أن تفريق ذلك الماء معجزة.

وثانيها: أن اجتماع ذلك الماء من كل جانب كالجبل أيضاً من المعجزات^(١). قال الإمام الطبري في قول الله تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا ذَرَكُهُ الْغَرَقُ قَالَ أَفَأَمِنْتُ لَّهِ الْإِلَهِ الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٢) وهكذا قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾^(٣) قال أبو جعفر: إن قال لنا قائل وكيف غرق الله جل ثناؤه آل فرعون ونجى بني إسرائيل؟ قيل له ما حكي. عن شداد بن الهاد^(٤) قال: لقد ذكر لي أنه خرج فرعون فيطلب موسى على سبعين ألفاً من دهم الخيل..... ومعنى قوله: فرقتنا بكم: فصلنا بكم البحر لأنهم كانوا اثني عشر سبطاً ففرق البحر اثني عشر طريقاً فسلك كل سبط منهم طريقاً منها فذلك فرق الله بهم البحر وفصله بهم بتفريقهم في طرقها لاثني عشر كما روي عن السدي: لما أتى موسى..... فكان كل فرق كالطود العظيم فدخلت بنو إسرائيل وكان في البحر اثنا عشر طريقاً لكل سبط^(٥).

وفسر العلامة الشوكاني الآية ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾. وَأَرْفَقْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ. وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ. ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ بقوله: "فلما عظم البلاء على بني إسرائيل ورأوا من الجيوش ما لا طاقة لهم به أمر الله سبحانه موسى أن يضرب البحر بعصاه وذلك قوله: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ

(١) انظر: مفاتيح الغيب للرازي ٥٠٧/٢٤.

(٢) سورة يونس. ٩٠.

(٣) سورة البقرة. ٥٠.

(٤) سالم بن عبد الله النصري، أبو عبد الله المدني، وهو سالم مولى شداد بن الهاد، وهو سالم مولى مالك بن أوس بن الحدثان النصري، وهو سالم مولى النصريين، وهو سالم سبلان، وهو سالم مولى المهري، وهو سالم مولى دوس، وهو سالم أبو عبد الله الدوسي، وهو أبو عبد الله الذي روى عنه بكير بن الأشج، وذكر أنه كان شيخاً كبيراً. سير أعلام النبلاء ١٠/١٥٤.

(٥) انظر: تفسير الطبري ٥٠/٢.

الْبَحْرُ ﴿لَمَّا قَالَ مُوسَى: (إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينُ﴾ بَيَّنَّ اللهُ سبحانه له طريقاً لهداية فأمره بضرب البحر وبه نجابنو إسرائيل وهلك عدوهم والفاء في فانقلب فصيحة: أي فضرِب فانقلب فصار اثني عشر فلحقاً بعدد الأسباط، وقام الماء عن يمين الطريق وعن يساره كالجبل العظيم، وهو معنى قوله: (فَكَانَ كُلُّ فِزْقٍ كَالطُّودِ الْعَظِيمِ) والفرق: القطعة من البحر... ففي ذلك آية عظيمة وقدرة باهرة من أدل العلامات على قدرة الله سبحانه^(١)

إلقاء سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام في النار

قال الله تعالى عن مكيدة المشركين ضد إبراهيم: ﴿قَالُوا خَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلَهُتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾. قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ . وَأَزَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿١﴾ قال ابن كثير "لم اظهر عجزهم في الحق واندفع الباطل، فقاموا إلى استعمال جاء ملكهم فقالوا: (خَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلَهُتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ) فجمعوا حطباً كثيراً جداً... وأضرموها نارا فكان لها لب مرتفع لم توفد ناراً مثلها قط، وجعلوا إبراهيم في كفة المنجنيق بإشارة رجل من أعراب فارس من الأكراد وقال شعيب الجبائي^(٢) اسمه هيزن فخسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة، فلما ألقوه قال: حَسْبِيَ اللهُ وَنِعَمَ الْوَكِيلُ، كما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال "حَسْبِيَ اللهُ وَنِعَمَ الْوَكِيلُ" قالها إبراهيم حين ألقى في النار وقالها محمد . حين قالوا: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعَمَ الْوَكِيلُ﴾^(٣) وقال عطية العوفي "لما ألقى إبراهيم في النار فجاء اليه ملكهم لينظر إليه، فجاءت شرارة فوقعت في إبهامه، فأحرقته مثل الصوفة"^(٤)

قال الشوكاني رحمه الله ههنا: "عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما جمع لإبراهيم ما جمعوا، ألقى في النار، جعل خازن المطريقول: متى أومر بالمطر فأرسله؟ فكان أمر الله أسرع قال الله: كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا، فلم يبق في الأرض نار إلا طفتت وأخرج أحمد وابن ماجه وابن حبان وأبو يعلى^(٥)

(١) فتح القدير ١/٤٠١-١٠٢.

(٢) هو شعيب الجبائي، أخباري متروك، قاله الأزدي. حدث عنه سلمة ابن وهرام. وجباً: جبل من أعمال الجند باليمن، فكأنه شعيب بن الأسود صاحب الملاحم، تابعي. ميزان الاعتدال في نقد الرجال ٢٧٨/٢ لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قُتَيْبَةَ الذهبي المتوفى: ٧٤٨هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت . لبنان، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م.

(٣) صحيح البخاري برقم: ٤٥٦٣.

(٤) تفسير ابن كثير ٥/٣٥١-٣٥٣.

(٥) هو أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى التميمي الإمام، الحافظ، شيخ الإسلام، أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصل، محدث الموصل، وصاحب المسند والمعجم). ولد: في ثالث شوال، سنة عشر ومائتين، فهو أكبر من النسائي بخمس سنين، وأعلى إسناداً منه. لقي الكبار، وارتحل في حديثه إلى الأمصار باعتناء أبيه وخاله محمد بن أحمد بن أبي المثنى، ثم بهيمته العالية. يراجع: سير اعلام النبلاء ٢٧/١٩٠.

وابن أبي حاتم الطبراني^(١) عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: إن إبراهيم حين ألقي في النار، لم تكن دابة إلا تطفيء عنها النار، غير الوز فإنه كان ينفخ على إبراهيم فأمر رسول الله ﷺ بقتله وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف وابن المنذر عن ابن عمر قال: أول كلمة قالها إبراهيم حين ألقى في النار حسبنا الله ونعم الوكيل^(٢) وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن المنهال بن عمرو^(٣) قال: أخبرني أن إبراهيم ألقى في النار فكان فيها إما خمسين وإما أربعين قال: ما كنت أياها وليالي قط أطيبت عيشاً إذ كنت فيها ووددت أن عيشي وحياتي كلها مثل عيشي إذ كنت فيها^(٤)

النقد: إنكار شيخ أحمد الدين وجماعته للمعجزات ليس بغريب، بل هو حسب دأبه ينكر كل ما لا يعقله ولا يتبادر إلى ذهنه فهمه فيرده رداً مطلقاً أو يأوله تأويلاً حسب منهجه العقلاني، ولا يلتفت إلى السنة الثابتة ولا إجماع الأمة، أو آراء الجمهور المفسرين قط، ومن هنا يوجد لديه بكثرة إنكار القطعيات من القرآن، وتأويل المحكمات، لنزعه العقلاني والإستدلال بالمعقول وتركه المعقول حسب منهجه، وتقدم ذكره في ثنايا هذا البحث.

(١) هو سليمان بن أحمد الشامي، ولد بعكا، وسمع بالشام، والحجاز، واليمن، ومصر، وبغداد، والكوفة، والبصرة، وأصبهان، والجزيرة. صنف تصانيف كثيرة منها: المعجم الكبير، والمعجم الأوسط، والمعجم الصغير، ودلائل النبوة، والأوائل، والتفسير وغيرها. توفي سنة ٣٦٠هـ. انظر: ميزان الاعتدال ١٩٥/٢، والبداية والنهاية ٢٧٠/١١.

(٢) سورة آل عمران - ١٧٣.

(٣) هو المنهال بن عمرو الكوفي. عن زر بن حبیش، وزاذان، وابن أبي ليلى. ولا يحفظ له سماع من الصحابة، وإنما روايته عن التابعين الكبار. وعنه شعبة، والمسعودي، وحجاج بن أرطاة، ثم في الآخر ترك الرواية عنه شعبة فيما قيل، لأنه سمع من بيته صوت غناء، وهذا لا يوجب غمز الشيخ. قال ابن معين: المنهال ثقة. وقال أحمد العجلي: كوفي ثقة. وقال أحمد بن حنبل: أبو بشر أحب إلى من المنهال وأوثق. وقال الحاكم: غمزه يحيى بن سعيد. وقال الجوزجاني في الضعفاء: له سيئ المذهب. وكذا تكلم فيه ابن حزم، ولم يحتج بحديثه الطويل في فتان القبر. انظر: ميزان الإعتدال ١٩٢/٤.

(٤) تفسير فتح القدير للشوكاني ٤٥١/٣ - ٤١٦.

المبحث الثالث: آراؤه الاعتقادية في باب السمعيات

قد أشرت في مقدمة هذا الفصل أنني لم أعثر لأحمد أمرتسري على رأي في السمعيات، إلا قوله في الحياة البرزخية، والشفاعة، والجنة والنار، وهذا هو ما بحثناه هنا.

موقفه من الحياة البرزخية

حياة البرزخ هي حياة الإنسان من الموت إلى القيامة، وهي حياة القبر نعمة أو عذاباً، وهي النتيجة الأولية لأعماله في الحياة الأولى. وهي نظرية إسلامية مقبولة في الإسلام، واتفق أحمد الدين وجماعته (القرآنيون) كلهم على رفضها، كما قال حافظ الإسلام على لسان أصحابه: إن عالم البرزخ هو عالم المواطنين. فهو لا يحتوي على حياة أو أي شكل من أشكال الوعي، ويقول برويز إن القرآن ليس له معنى حقيقي للقبر لأنه مكان لدفن الموتى، يقي الجو الخارجي من عفونته ما لو بقي ذلك الجسم على ظهر الأرض، بارزاً، لا أنه موضع سؤال وعذاب، لأن^(١) الجسم المدفون في القبر لا حياة فيه ولا شعور^(٢) وقد استند القوم في معتقدهم هذا إلى أدلة عقلية ونقلية سنعرضها بإيجاز ونجيب عليها .

ودليلهم العقلي: أن الموت هو انفصال الروح عن الجسد، والجسد الذي انفصلت عنه الروح لا حياة فيه ولا روح فيه ولا وعي، فمن المستحيل تعذيب، ومن يشكك فيه، فليحفروا قبر يدفن فيه الميت، فإنه لا يرى إلا جسداً خالياً من الثواب والعقاب^(٣)

أقول: إنكار الحياة البرزخية، وما فيه من النعم وعذاب، قد ابتلي به الإسلام منذ القرن الأول الهجري، فقد أنكرها بعض المعتزلة والروافض، والخوارج^(٤) معتمدين على مثل هذا الدليل العقلي، ولنا أن نقول، ليس من المعقول أن ننكر كل ما خفي عن الأنظار ونحكم بعدم وجوده بداهة، فهل ننكر وجود الجن لعدم رؤيتنا لهم، أو ننكر الملائكة المقربين لعدم إبصارنا إياهم، وكم من الأشياء غير المرئية، نؤمن بها دون أن نراها الكشف عليهم، وأما كوننا لا نرى أثر التعذيب على المدفونين حين فتم الجائر ألا يعذب المدفون أثناء ذلك، أو يعذب على وجه لا تدركه الأبصار لمصلحة يعلمها الله، بل عذاب القبر ونعيمه له شبيه في حياة البشر، قل ما تنبهوا إليه. يقول الإمام الغزالي "إعلم أن المتيقظ بجنب النائم إن كان لا يشاهد الحية التي تلدغ النائم فذلك غير مانع من وجود الحية في حقه، وحصول

(١) القرآنيون وشبهاتهم حول السنة ج ١ ص ٣٣٣ ط ٢٠٢٢ وانظر علي بن إسماعيل الأشعري الإبانة عن أصول الديانة ص ٦٦ وتعليمات قرآن ص ١٩٠، وانظر نكات قرآن ص ١٥٧، وتاريخ نجد ص ٦٥، ومنهاج الحق ص ٦٨، وترجمة القرآن للجزء الثامن عشر ص ٥١، وللجزء الرابع ص ٥٤، وللجزء السابع ص ٩٥، ومجلة إشاعة السنة ج ١٩ ص ٢١٠ عام ١٩٠٢ م، ومجلة بلاغ القرآن ص ٢٧ و ٣٣ عدد يناير وفبراير ١٩٦٨ م.

(٢) تبويب القرآن لأحمد تاجر ج ٣ ص ١٣٠٤.

(٣) منهاج الحق لحب الحق عبد الرحمن بن ناصر السعدي . ص ٦٨ .

(٤) انظر مقالات الإسلاميين لعلي بن إسماعيل الأشعري ج ١٠٤ والفصل ج ٤ ص ٦٦ وانظر شرح الأصول الخمسة ص ٧٣٣.

الألم به، فكذاك حال الميت في القبر" (١) بل إن اليقظان قد يدرك ألماً، أو لذة لما يسمع أو يفكر فيه مما لا يدركه جليسه، وإنما وقع القرآنيون في هذا الخطأ من قياس الغائب على الشاهد، وقياس ما بعد الموت على ما قبله. أدلتهم النقلية: ذكر القرآنيون أن الكتاب المجيد لم يتطرق إلى ذكر الحياة البرزخية، وإنما نرى فيه ما يجعل تلك الفترة البرزخية فترة موت لا حراك فيها، قال تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ (٢) يقول الحافظ أسلم "الحياتان هما، حياة الدنيا وحياة يوم القيامة، أما القبور فلا حياة فيها. والإماتتان هما إماتة طور النطفة، وخروج النفس الأخير في هذه الحياة المعاصرة، فظهر أن فترة البرزخ لا حياة فيها وفق نص القرآن". (٣)

وتوضيح الآية على هذا المنوال شيء مسبق، فقد ذكر الرازي في تفسيره أن هذه الآية، مما يستدل به نفاة عذاب القبر على هذا الوجه، ثم أجاب عن ذلك فقال "المذكور في الآية أن الله أماتهم، ولفظ الإماتة مشروط بسبق حصول الحياة، إذ لو كان الموت حاصلًا قبل هذه الحالة امتنع كون هذا، إماتة وإلا لزم تحصيل الحاصل.

ثم إن هذه الآية فسرتها الآية الأخرى وهي قوله تعالى: كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أََمْْواتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٤) وهي وإن لم تدل على إثبات الحياة البرزخية فهي لم تنفها، وقد ألبتتها آيات أخرى وأحاديث ثابتة في السنة. كما أنه ليس من الصواب توهم طور النطفة طوراً ميتاً، إذ قد أثبت الطب الحديث أن الحيوانات المنوية الموجودة في النطفة تتخللها الحياة، فالقول بعدم وجود الحياة في هذه الفترة قول مخالف لما أثبتته الحقائق العلمية، وبذا يمكننا القول إن الحياتين أولاهما بتبدىء بنفخ الروح في الجنين وتنتهي بالموت وهي حياة الدنيا، والأخرى تبتدىء بالبرزخ وتنتهي بنفخة الصعق والإماتتان أولاهما عند خروج الروح من الجسد في الدنيا، والأخرى عند نفخة الصعق وهلاك العالم، ولم تتطرق الآية إلى ذكر حياة البشر يوم القيامة لأنهم متلبثون بها، ما لا داعي إلى الاعتراف والإقرار، وعلى هذا فالآية دليل على إثبات الحياة البرزخية لا عدمها، كما تصورها النافون، وبإضافة إلى ذلك نرى أن القرآن الكريم قد صرح في آيات أخرى بمثل هذه الحياة (٥) نص المولى جل ثناؤه على حياة الشهداء في سبيل العقيدة الإسلامية فقال: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَاءِ أَنَّهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٦) يقول ابن جرير في هذه الآية (ولا تحسبنهم) يا محمد أمواتا لا يحسون شيئاً ولا يلتذذون ولا يتنعمون، فإنهم أحياء عندي متنعمون

(١) الأربعين في أصول الدين الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله ص ٢٨٣.

(٢) سورة غافر آية ١١.

(٣) مجلة تعليمات قرآن ص ١

(٤) سورة البقرة آية ٢٨.

(٥) انظر شرح المواقف ٢٠١٢٠، شرح المواقف - الشريف الجرجاني - ط. العلمي ج ٣ ص ٢٤٢.

(٦) سورة آل عمران، آية ١٩٩، ١٧٠.

في رزقي... بعد الموت،^(١) فالخطاب القرآني صريح في حياة المقتولين في الجهاد، أن عبد الله جكر الوي انكر هذا المعنى الظاهر الصريحة للآية، لعدم اعترافه بحياة البرزخية، لأي فرد من البشر فقال " ليس المراد من (إحياء) أنهم أحياء الآن بل باعتبار ما سيكونون عليه القيامة، لقول الله عز وجل (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ)^(٢) أي إنك ستموت في الوقت الذي حدد لك، لا أنه قد مات وقت نزول الخطاب. وتفسير عبد الله هذا أيضا مأخوذ عن منكري الحياة البرزخية قبله، إذ أن فخر الدين الرازي قد أجاب عن هذا الاعتراض في خلال رده على المنكرين بما خلاصته. ظاهر قوله تعالى: (بل أحياء) يدل على حياة الشهداء عند نزول الآية، والحمل على أنهم سيصبرون أحياء بعد ذلك عدول بالنص عن ظاهره.

ب _ قد تحدث الله عن إحياء أهل العذاب (أَغْرِقُوا فَأَدْخِلُوا نَارًا)^(٣) ليدوقوا العذاب قبل يوم القيامة، فلو كان العصاة يحيون للتعذيب، كان إحياء المحسنين قبل القيامة للإحسان والمثوبة .

ج _ لو كان المراد إحيائهم عند البعث، لما حسن خطاب الرسول بـ (ولا تحسبن، لعلم الرسول بأن جميع المؤمنين سيشاركون الشهداء في ذلك، وأما إذا حملناه على الثواب في الحياة القبرية حسن في ذلك، وأما إذا حملناه على الثواب في الحياة القبرية، حسن قوله: (ولا تحسبن، لعله عليه الصلاة والسلام ما كان يعلم أن الله يشرف المطيعين والمخلصين من عباده بهذا التشريف.

د _ قوله تعالى ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ «فالقوم الذين لم يلحقوا، وأن يكونوا في الدنيا، فاستبشارهم بمن يكون في الدنيا لا بد، وأن يكون قبل القيامة، والاستبشار لا بد بهم^(٤)

ومن الأدلة الصريحة على عذاب القبر، قوله تعالى في آل فرعون ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ، النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾^(٥) يقول النص القرآني أن غرض آل فرعون صباحاً ومساءً سيكون بعد وفاته إلى يوم القيامة، وهذا الظهور للنار هو عذاب القبر نفسه، لأن عذابهم يوم القيامة. اجتمعوا وتفرقوا عنه، ويوم تقوم الساعة أدخلوا فتعين أنه عذاب القبر بعد الموت قبل يوم القيامة^(٦)

ويقال إن هذا خاص بفرعون وقومه، ويمكننا أن نقول، إنه بالمعنى العام للكلمة لا بخصوص السبب، لأن عقوبة الكفر لم تقتصر على فرعون وآل بيته فقط، بل يقع على كل كذاب وعنيد من يشبههم، لأن أوامر الله ليست

(١) تفسير الطبري ج ٤ ص ١٧٠.

(٢) سورة الزمر آية ٣٠.

(٣) سورة نوح آية ٢٥.

(٤) التفسير الكبير ج ١ ص ٨٩.

(٥) سورة غافر آية ٤٥ و ٤٦:

(٦) انظر محمد بن علي الشوكاني / فتح القدير ج ٤ ص ٤٩٥، والسيد قطب في ظلال القرآن ج ٧ ص ١٨٦.

خاصة بأشخاص معينين أو أحداث معينة، بل هي عامة شاملة إلى يوم القيامة. غير أن صاحب نكات القرآن لم يعجبه ظاهر الآية السابقة فاعتراض قائلا: «إن الناس جَعَلُوا مضارع يعرضون بمعنى الحال وهو خطأ بين، فالمضارع لا زال يدل على الاستقبال كما ورد في هود (يقدم قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأُورِدَهُمُ النَّارَ). والجواب على هذا الاعتراض أقول: اعتراض الحافظ أسلم نتج عن معتقد سابق، وهو إنكار الحياة البرزخية حتى ولو كان ثابتا بالقرآن. هلا نظر إلى ما قبل قوله تعالى : (النار يعرضون) إذ أن هذه الجملة تفسيرية لكيفية سوء العذاب الذي أصاب فرعون وقومه.

وخلاصة القول، إن الله ذكر عذاب فرعون وقومه في الدنيا بغير هذا العرض ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصِ الْمَمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾^(١) وذكر عذابهم يوم القيامة بغير هذا العرض أيضا، ويوم تقوم الساعة ... وهو ظاهر في المغايرة، فتعين كون المضارع للحال وليس للاستقبال، ويؤيد ذلك تقييده بظرف الزمان (غدوا وعشيا)، وبذلك بطلت دعوى الخصم على دلالة المضارع على الاستقبال، فضلا عن أن المضارع مشترك الدلالة بين وقوع الحدث في الحال والاستقبال. وثبت عذاب القبر من الأدلة القرآنية أيضا كقول الله تعالى في إهلاك قوم نوح ﴿بِمَا خَطِئْتُهُمْ أَغْرَقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾^(٢) قال امام الرازي "تمسك أصحابنا في إثبات عذاب القبر بقوله أغرقوا فأدخلوا نارا وذلك من وجهين.

الأول: أن الفاء في قوله فأدخلوا نارا تدل على أن تلك الحالة حصلت عقيب الإغراق فلا يمكن حملها على عذاب الآخرة، وإلا بطلت دلالة هذه الفاء.

الثاني: إنه قال فأدخلوا على سبيل الإخبار عن الماضي، وهذا إنما يصدق لو وقع ذلك^(٣) ومن الأدلة أيضا قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَمْوَاتٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾^(٤) هم أموات بل هم يقول الشوكاني أموات وأحياء مرتفعان على أنها خبران المحذوفين، أي لا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أحياء، ولكن لا تشعرون، بهذه الحياة عند مشاهدتكم، لأبدانهم بعد سلب أرواحهم، لأنكم تحكمون عليها بالموت في ظاهر الأمر، بحسب ما يبلغ إليه علمكم الذي هو بالنسبة إلى علم الله كما يأخذ الطير في منقاره من ماء البحر، وليسوا كذلك في الواقع بل هم أحياء في البرزخ، وفي الآية دليل على ثبوت عذاب القبر، ولا في ذلك فقد تواترت به الأحاديث الصحيحة ودلت عليه الآيات القرآنية^(٥) اعتداد بخلاف من خالف.

(١) سورة الاعراف آية ١٣٠.

(٢) سورة نوح، آية ٢٥.

(٣) تفسير الرازي ج ٣ ص ١٤٥.

(٤) سورة البقرة آية ١٥٤.

(٥) فتح القدير ج ١ ص ١٥٩.

ورد عن المعصوم في تفسير قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ..﴾^(١) انه قال (إذا اقعده المؤمن في قبره أتى ثم شهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فذلك قوله : ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا...﴾^(٢) عن أبي أيوب رضي الله عنه قال: خرج رسول الله بعدما غربت الشمس فسمع صوتاً فقال: (يهود تعذب في قبورها)^(٣). وروى مسلم، قوله عليه الصلاة والسلام إن هذه الأمة تبثلي في قبورها، فلولا أن لا تدافنوا، لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب الله الذي أسمع منه^(٤).

والأدلة ثابتة في عذاب القبر ونعيمه، فلذا قال بعض العلماء أن أحاديث عذاب القبر متواترة معني، وإن لم تتواتر الفاظها، وهذا ما حمل القاضي عبد الجبار أن يقول " لا خلاف في عذاب القبر بين الأمة إلا شيء يحكى عن ضرار بن عمرو "^(٥) ونظرا لهذه الأدلة أثبت سواد الأمة، ولم يخالف فيها إلا بعض المعتزلة والخوارج ممن لا يعتد بخلافهم .

موقفهم من الشفاعة يوم القيامة

تعريف الشفاعة لغة وأصطلاحاً:

تعريف الشفاعة لغة:

قال ابن منظور: الشفع خلاف الوتر، تقول، كان وترا فشفعته شفعا، وشفع الوتر من العدد شفعا: صيره زوجا والشفيع من الأعداد: ما كان زوجا تقول، كان وترا فشفعته بآخر وعين شافعة: تنظر نظرين والشفع: ما شفيع به سمي بالمصدر والجمع شفاع وناق شافع: في بطنها ولد أو يتبعها ولد يشفعها وقيل: في بطنها ولد يتبعها آخر ونحو ذلك تقول منه: شفعت الناقة شفعا. وعن المبرد^(٦)

(١) سورة إبراهيم آية ٢٧ .

(٢) الحديث رواه البخاري نقلا عن فتح الباري ج ٣ ص ٢٣٢ .

(٣) بخاري رقم الحديث ١٣٧٥ ومسلم ٢٨٦٩ .

(٤) راوي زيد ابن ثابت اسناده صحيح على شرط مسلم .

(٥) شرح الأصول الخمسة القاضي عبد الجبار ص: ٧٣٠ .

(٦) محمد بن يزيد الثمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد، إمام العربية ببغداد في زمنه، وأحد أئمة الأدب والأخبار. ولد بالبصرة ٢١٠ هـ - ٨٢٦ م) ووفاته ببغداد ٢٨٦ هـ - ٨٩٩ م). من كتبه: الكامل، المذكر والمؤنت، المقتضب، إعراب القرآن، وطبقات النحاة البصريين ونسب عدنان وقحطان وغير ذلك. قال الزبيدي في شرح خطبة القاموس: المبرد بفتح الراء المشددة عند الأكثر وبعضهم يكسر. انظر: الاعلام لزركلي ١٤٤/٧، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم/المكتبة العصرية/ لبنان.

وثعلب^(١) أنهما قالوا في قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ الشفاعة الدعاء هاهنا والشفاعة، كلام الشفيع للملك في حاجة يسألها لغيره وشفع إليه^(٢) والشفاعة: الانضمام إلى آخر، ناصر له، وسائله عنه، وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى حرمة ومرتبة إلى من هو أدنى، ومنه: الشفاعة في القيامة^(٣).

تعريف الشفاعة اصطلاحاً

عرفها التهانوي الشفاعة: "بالتفتح وتخفيف الفاء هي سؤال فعل الخير وترك الضرر عن الغير لأجل الغير على سبيل التضرع"^(٤) مذهب أهل السنة، جواز الشفاعة عقلاً ووجوبها سمعاً بصريح الآيات والأحاديث كما سنرى بعد وهي خمسة أقسام كالآتي:

مختصة بنبينا محمد: وهي الإراحة من هول الموقف وطول الوقوف وهي شفاعة عامة وعظمى تكون في المحشر حين تضرع الخلائق إليه في إدخال قوم الجنة بغير حساب الشفاعة لقوم استوجبوا النار فيمن أدخل النار من المذنبين الشفاعة في زيادة الدرجات لأهل الجنة في الجنة^(٥) وقد زاد بعض العلماء على ذلك وهي أنواع يتفرع من هذه الخمس فإذن لا حاجة إلى ذكرها^(٦) ومن شروطها أن تكون بعد الإذن كما جاء في قوله تعالى ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ وقوله تعالى ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾^(٧) وأن تكون عن رضاه عن المشفوع فيه لقوله ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى﴾^(٨) إذن الشفاعة ثابتة بالآيات والأحاديث الكثيرة ومن هذه الآيات الواردة في سورة البقرة ثلاث آيات وهي: قوله تعالى ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾^(٩)

(١) هو أبو العباس أحمد بن يحيى.. الشيباني النحوي فاروق النحويين، والمعايير على اللغويين من الكوفيين والبصريين، أصدقهم لساناً، وأعظمهم شأناً، وأبعدهم ذكراً، وأرفعهم قدراً، وأصحهم علماً، وأوسعهم حلماً، وأتقنهم حفظاً وأوفرهم حظاً من الدين والدنيا. انظر: معجم الأدياء إرشاد الأريب ٥٥١/٢ لشهاب الدين... الرومي الحموي المتوفى: ٦٢٦ هـ تحقيق: إحسان عباس، بيروت، ط ١/الأولى، ١٤١٤ هـ. ١٩٩٣ م.

(٢) لسان العرب لابن منظور ١٨٣/٨ وبعد، وتاج العروس ٢٧٩/٢١... لمحمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، ... المتوفى: ١٢٠٥ هـ.

(٣) انظر: المفردات في غريب القرآن للأصفهاني ٤٥٧. ٤٥٨.

(٤) كشاف اصطلاحات الفنونم حمد علي التهانوي ١١٧٦/١ للتهانوي.

(٥) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ٣/٣ لأبي زكريا يحيى الدين يحيى بن شرف النووي المتوفى: ٦٧٦ هـ، دار إحياء التراث العربي. بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢ بتصرف يسير.

(٦) انظر: شرح العقيدة الطحاوية لأبي العز الحنفي ص ٢٢٩، المكتب الإسلامي. بيروت.

(٧) سورة طه. ١٠٩.

(٨) سورة الأنبياء. ٢٨.

(٩) سورة البقرة. ٤٨.

سبب نزول الآية: وكان سبب نزول هذه الآية، أن بني إسرائيل قالوا "نحن أبناء الله وأحباؤه وأبناء أنبيائه وسيشفع لنا آبائنا، فأعلمهم الله تعالى عن يوم القيامة، أنه لا تقبل فيه الشفاعات ولا يؤخذ فيه فدية، وإنما خص الشفاعة، والفدية، والنصر بالذكر، لأنها هي المعاني التي اعتادها بنو آدم في الدنيا." (١)

قال راغب الأصفهاني (٢) "وقيل: الشَّفَاعَةُ هاهنا: أن يشرع الإنسان للآخر طريق خير أو طريق شرّ فيقتدي به فصار كأَنَّهُ شفع له" (٣)

المعنى الإجمالي: رأينا في سبب نزول الآية هذه، كانوا بني إسرائيل يقولون: نحن أبناء الله وأحباؤه وأولاده أنبيائه وهم سيشفعون لنا يوم القيامة فأخبرهم الله أن نفساً لا تجزي عن نفس شيئاً في يوم القيامة ولا يجزي فيه والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً، ولا يقبل منها شفاعة الشافع، ولا يؤخذ منهم بدل وفدية ولا ينصرهم ناصر ويستوفي لكل ذي حق منها حقه هكذا يصور القرآن هيبة ذاك اليوم وهو يوم رهيب بطلت هنا تلك المحابة واضمحلت الرشا والشفاعات فعلى كل الناس أن يقدم لنفسه في ذاك اليوم

المعنى التفصيلي: في هذه الآية تحذير من الله تعالى للناس من عذاب يوم القيامة الذي لا تجزي نفس عن نفس شيئاً فيه، ولا يقبل من أحد شفاعة، ولا يؤخذ من أحد عدل. فقلوه: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ أي واخشوا يوماً يقع فيه من الأحوال ما لا قدرة لكم على دفعه ولا مناجاة لكم منه إلا بتقوى الله في السر والعلن يوم لا تحمل نفس أوزار نفس أخرى بل يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه كما قال ﴿وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ (٤) وقال ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۚ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (٥) وقوله (وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ) أي لا تقبل الشفاعة إذا كانت النفس كافرة وذلك أن اليهود قالوا يشفع لنا آبائنا فرد الله عليهم ذلك بقوله ولا تقبل منها شفاعة.

وقوله (لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ) أي فدية وهو مماثلة الشيء بالشيء (وَلَا هُمْ يُصْرُونَ) أي، لا يمنعون من العذاب. (٦) قال أبو حيان الأندلسي رحمه الله "وفي معنى النصر للمفسرين هنا ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه لا يمنعون من عذاب

(١) تفسير الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ٣٨١/١.

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن محمود بن محمد بن عباد العجلي، الملقب بشمس الدين الأصفهاني، ولد بأصفهان سنة ٦١٦هـ، وتوفي بالقاهرة سنة ٦٨٨هـ. صنف في المنطق والخلاف وأصول الفقه منها: شرح المحصول للرازي، وغاية المطلب في المنطق، وشرح المختصر لابن الحاجب، شرح منهاج الأصول للبيضاوي في الأصول وغيرها. يراجع: الفتح المبين ٩٠/٢، بغية الوعاة ٢٤٠/١.

(٣) المفردات في غريب القرآن ص ٤٥٨ للأصفهاني.

(٤) سورة فاطر. ١٨.

(٥) سورة الشعراء. ٨٩.

(٦) انظر: تفسير الخازن علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيعي أبو الحسن، المعروف بالخازن ٤٣/١.

الله الثاني: لا يجدون ناصراً ينصرهم ولا شافعاً يشفع لهم الثالث: لا يعاونون على خلاصهم وفكاكهم من موبات أعماهم" (١)

وفسر الطبري الآية ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ يعني بذلك: من ذا الذي يشفع لمماليكه إن أراد عقوبتهم إلا أن يخليه ويأذن له بالشفاعة لهم وإنما قال ذلك تعالى ذكره لأن المشركين قالوا: ما نعبد أوثاناً هذه، إلا ليقربونا إلى الله زلفى، فقال الله تعالى ذكره لهم، لي ما في السموات وما في الأرض مع السموات والأرض ملكاً فلا ينبغي العبادة لغيري فلا تعبدوا الأوثان التي تزعمون أنها تقربكم مني زلفى فإنها لا تنفعكم عندي ولا تغني عنكم شيئاً ولا يشفع عندي أحد لأحد إلا بتخليتي إياه والشفاعة لمن يشفع له من رسلي وأوليائي وأهل طاعتي" (٢)

والمراد بها عند البيضاوي (٣) "مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ" هذا بيان لكبرياء شأنه، وأنه لا أحد يساويه أو يدانيه، يستقل بأن يدفع ما يريده شفاعة، واستكانة، فضلاً عن أن يعاوقه عناداً، أو مناصبة أي مخاصمة" (٤)

الخلاصة: أجمعت الأمة الإسلامية على صحة أصل الشفاعة وهي عند أهل السنة لأهل الكبائر من الأمة وأنكرها الخوارج وبعض المعتزلة (٥) وخلدوا المؤمنين من المذنبين الذين دخلوا النار وقال بعضهم إنما هي لزيادة الثواب لا لدرء العقاب فأهل السنة تمسكوا في إثباتها لأهل الكبائر بالأحاديث المتواترة (تواتراً معنوياً) من إدخار الشفاعة لأهل الكبائر وقالوا إن الشفاعة من مجوزات العقول وشهادات النصوص فقد شهدت له سنن بلغت الاستفاضة والتواتر بالمعنى ولا سيما في أهل الكبائر إذ قال رسول الله ﷺ "شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي" (٦) والدلائل من الآيات والسنة

(١) البحر المحيط في التفسير لمحمد بن يوسف، الشهير بأبي حيان الأندلسي ٣١٠/١.

(٢) جامع البيان للطبري ٣٩٥/٥.

(٣) هو عبد الله بن عمر بن محمد، ناصر الدين، البيضاوي الشافعي. قال الداودي "كان إماماً عارفاً بالفقه والتفسير والأصول، والعربية والمنطق نظاراً صالحاً". من أشهر مصنفاته: مختصر الكشاف في التفسير، والمنهاج في أصول الفقه، والإيضاح في أصول الدين، وشرح الكافية لابن الحاجب وغيرها. توفي سنة ٦٨٥ هـ. انظر: طبقات المفسرين للداودي ٢٤٢/١، وشذرات الذهب ٩٢٣/٥.

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي ص ١٥٤.

(٥) المعتزلة: هم أصحاب وأصل بن عطاء الغزالي، لما اعتزل عن مجلس الحسن البصري رضي الله تعالى عنه يقرر أن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر ويثبت المنزلة بين المنزلتين فقال الحسن البصري رضي الله تعالى عنه قد اعتزل عنا فسموا بالمعتزلة وقد مر نبذ من تحقيق هذا المرام في الكلام. ثم المعتزلة بعد اتفاقهم في إثبات الوساطة بين الإيمان والكفر اختلفوا في ورثتي كما بين في المطولات ألا ترى إن أكثر من معتزلة البصرة ومنهم أبو علي الجبائي وأتباعه ذهبوا إلى أن الأصلح أي الأنفع للعبد في الآخرة واجب على الله تعالى أي الواجب على الله تعالى أن يعطي العبد ما علم نفعه في الدين وقالوا في وجه وجوب هذا الأصلح على الله تعالى إن تركه بخل وجهل يجب تنزيه الله تعالى عن ذلك لأنه إن علم الله تعالى بما هو أنفع للعبد في دينه فتركه يكون بخلاً وإن لم يعلم يكون جهلاً. وما قيل إنه يكون سفهاً ليس بأولى كما لا يخفى حتى على السفيه. جامع العلوم في اصطلاحات الفنون ٢٠٦/٣ لقاضي عبد رب النبي، دار الكتب العلمية. لبنان / بيروت. ١٤٢١ هـ. ٢٠٠٠ م، الطبعة: الأولى، تحقيق: عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص.

(٦) أخرجه أبو داود في سننه ٢٣٦/٤ عن أنس بن مالك، كتاب السنة، باب في الشفاعة، وصححه الألباني، وسنن الترمذي ٦٢٥/٤ باب ما جاء في الشفاعة من أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله، قال أبو عيسى في الزوائد: "حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه"، وفي الباب عن جابر ". وصححه الألباني.

كثيرة ولكن نذكر بعضها على سبيل المثال: عموم قوله تعالى ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لَذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾^(١) أي لذنب المؤمنين لدلالة القرينة وطلب المغفرة شفاعته وقوله تعالى ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى﴾^(٢) وغير ذلك الأخبار في الشفاعة كثيرة وهي متواترة، منها:

ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ "لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته وإني اختبأت دعوتي شفاعه لأمتي يوم القيامة فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً"^(٣)

بين فخر الدين الرازي وجه الاستدلال به "أن الحديث صريح في أن شفاعته ثابتة لكل من مات من أمته، لا يشرك بالله شيئاً، وصاحب الكبيرة كذلك فوجب الشفاعه"^(٤) ولكن تمسك المعتزلة لنفي الشفاعه لأهل الكبائر بوجوه:

عمومات نفي الشفاعه مثل قوله تعالى ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ الخ قال الزمخشري في تفسيره "فإن قلت: هل فيه دليل على أن الشفاعه لا تقبل للعصاة؟ قلت: نعم"^(٥) وأيضاً قول الله تعالى ﴿مَنْ قَبِلَ أَنْ يَأْتِي يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ﴾ استدلو بظاهر الآية أنه يقتضي نفي الشفاعات بأسرها كما قال الزمخشري في معنى قوله (وَلَا خُلَّةٌ) حتى يسامحكم أخلاؤكم به....، لم تجدوا شافعاً يشفع لكم، لأن الشفاعه ثمة في زيادة الفضل لا غير"^(٦)

وآيات تنفي شفاعه صاحب الكبيرة كقوله ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ فنفت الشفاعه عمن لم يأذن في شفاعته، وإنه تعالى لم يأذن في الشفاعه في حق أصحاب الكبائر لأن هذا الإذن لو عرف لعرف إما بالعقل أبو بالنقل أما العقل فلا مجال له فيه وأما النقل فإما بالتواتر أو بالألحاد والألحاد لا مجال له فيه لأن رواية الآحاد لا تفيد إلا الظن والمسئلة علمية والتمسك في المسائل العلمية بالدلائل الظنية غير جائز..

وأما بالتواتر فباطل لأنه لو حصل ذلك لعرفه جمهور المسلمين ولو كان كذلك لما أنكروا هذه الشفاعه فحيث أطبق الأكثر على الإنكار أنه لم يوجد هذا الإذن^(٧) وآيات خلود الفساق كقوله ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى﴾ والفساق غير مرتضى. هكذا تمسكوا بالأخبار الدالة على أنه لا توجد الشفاعه في حق أصحاب الكبائر فمن هذه الأخبار ما روي عن أبي هريرة عن النبي قال "قال الله ثلاثة، أنا خصمهم يوم القيامة، رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع

(١) سورة محمد . ١٩

(٢) سورة الأنبياء . ٢٨ .

(٣) صحيح مسلم ١٨٩/١ كتاب الإيمان، باب اختباء النبي دعوة الشفاعه لأمته.

(٤) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير للرازي ٥٠٢/٣ .

(٥) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل المعروف بتفسير الكشف للزمخشري ١٣٧.١٣٦/١ .

(٦) نفس المصدر ٢٩٩/١ .

(٧) انظر: التفسير الكبير ٤٩٧/٣، بتصرف.

حرّاً فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فاستوفي منه، ولم يعط أجره"^(١) قال فخر الدين الرازي: "والاستدلال به أنه لما كان خصماً لهؤلاء استحال أن يكون شفيعاً لهم"^(٢)

وفي تفنيد ادلة المعتزلة يقول: "والجواب على جميع أدلة المعتزلة بحرف واحد وهو أن أدلتهم على نفي الشفاعة تفيد نفي جميع أقسام الشفاعات وأدلتنا على إثبات الشفاعة تفيد إثبات الشفاعة خاصة والعام والخاص إذا تعارضاً قدم الخاص على العام فكانت دلائلنا مقدمة على دلائلهم"^(٣) وأما بالتفصيل فقد أجيب عن الأول بعد تسليم عموم الأزمان والأحوال التخصيص بالكبائر جمعاً بين الأدلة على أن الظلم المطلق هو الكفر.

قال النسفي^(٤) في تفسيره "تشبث المعتزلة بالأدلة نفي الشفاعة في الآية للعصاة مردود، لأن المنفي شفاعة الكفار وقد قال "شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي من كذب بها لم ينلها"^(٥) وعن الثاني أن الفاسق مرتضى من جهة الإيمان والمراد تابوا عن الشرك لأن من تاب عن المعاصي وعمل صالحاً فطلب مغفرته عبث أو طلب لترك الظلم^(٦) فثبت أن الشفاعة نوع من أنواع الدعاء المستجاب لا غير.

وأخيراً نذكر أن في الآيات أعظم تحذير عن المعاصي وأقوى ترغيب في تلافي الإنسان لما يكون منه من المعصية بالتوبة لأنه إذا تصور أنه ليس بعد الموت استدراك ولا شفاعة ولا نصرة ولا فدية علم أنه لا خلاص له إلا بالطاعة^(٧) وأيضاً فيها إشارة إلى أن الأمور الآخرة لا تقاس على ما هو حاصل في الدنيا.

موقف أحمد الدين من الشفاعة

(١) صحيح البخاري ٨٢/٣ كتاب البيوع، باب إثم من باع حراً. و٩٠/٣ كتاب الإجارة، باب إثم من منع أجر الأجير.

(٢) التفسير الكبير ٤٩٨/٣.

(٣) نفس المصدر ٥٠٣/٣.

(٤) هو عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، أبو البركات، حافظ الدين: فقيه حنفي، مفسر، من أهل إيدج من كور أصبهان) وتوفي فيها سنة ٧١٠هـ، ١٣١٠م. نسبته إلى "نسف" ببلاد السند، بين جيحون وسمرقند. له مصنفات جليلة، منها: مدارك التنزيل، كنز الدقائق، المنار والوافي وغير ذلك. انظر: الاعلام لزركلي ٦٧/٤، وتاج التراجم ص ١٧٤ أبي الفداء زين الدين قاسم بن قُطْلُوبغا السوداني المتوفى ٨٧٩هـ)، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دار القلم دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، والجواهر المضية في طبقات الحنفية ٢٧١/١ لعبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، أبو محمد، محيي الدين الحنفي المتوفى: ٧٧٥هـ)، مير محمد كتب خانه. كراتشي.

(٥) تفسير النسفي مدارك التنزيل وحقائق التأويل ٨٧/١ لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي المتوفى: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

(٦) انظر: شرح المقاصد ٢٤٠/٢.

(٧) انظر: التفسير الكبير ٤٩٥/٣ بتصرف يسير.

أنكر أحمد الدين من الأحاديث الشفائية، ورد على البخاري الحديث الذي^(١) ثبت فيه شفاعته إبراهيم لأبيه بقوله إنه مختلف تماماً فلا شفاعته لأحد مطلقاً واستدل بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ يَوْمٌ لَا يَنْفَعُ فِيهِ وَلَا خَلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٢) وقوله: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُخْشَرُوا إِلَىٰ رَحْمَتِهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾^(٣)

موقف جمهور العلماء من الآيات الشفاعة

اختار جمهور موقفاً غير موقف أحمد الدين نذكر بعضاً منهم فيما يلي يقول: هذه الآية بأنه روى أبو هريرة قال: قال عليه الصلاة والسلام "رحم الله عبداً كان عنده لأخيه مظلمة في عرض أو مال أو جاه فاستحلها، قبل أن يؤخذ منه، وليس، ثم دينار ولا درهم فإن كانت له حسنات أخذ من حسناته وإن لم يكن له حسنات حمل من سيئاته"^(٤) ثم ذكر قول صاحب الكشاف: (وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ) فالشفاعة أن يستوهب أحداً لحدث شيئاً ويطلب له حاجة، وأصلها من الشفع الذي هو ضد الوتر، واعلم أن الضمير في قوله: (وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا) راجع إلى النفس الثانية العاصية وهي التي لا يؤخذ منها عدل ومعنى لا يقبل منها شفاعتها أنها إن جاءت بشفاعة شفيع لا يقبل منها ويجوز أن يرجع إلى النفس الأولى على أنها لو شفعت لها لمتقب لشفاعتها كما لا تجزى عنها شيئاً ما قوله تعالى: (وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ) فاعلم أن التناصر إنما يكون في الدنيا بالمخالطة والقرابة وقد أخبر الله تعالى أنه ليس يومئذ خلة ولا شفاعته وأنه لأنساب بينهم وإنما المرء يفر من أخيه وأمه وأبيه وقرابته^(٥)

وفسرها السمرقندي^(٦) وقوله تعالى: (وَاتَّقُوا يَوْمًا) أي واخشوا عذاب يوم لا تجزى نفس عن نفس شيئاً يعني لا تغني في ذلك اليوم نفس مؤمنة عن نفس كافرة وذلك أنهم كانوا يقولون: نحن من أولاد إبراهيم خليل الله ومن أولاد إسحاق والله تعالى قبل شفاعتهما فينزلت هذه الآية: ﴿لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ أي لا تغني نفس مؤمنة عن نفس مؤمنة ولا نفس كافرة عن نفس كافرة (وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ) أي من نفس كافرة يعني لا ينفع فيها شافع ولا ملك ولا رسول لغير أهل القبلة وقال ابن كثير وأبو عمرو (وَلَا تُقْبَلُوا) بالتاء، لأن الشفاعته مؤثثة. وقرأ الباقون بالياء، لأن

(١) ونص الحديث: "عن علي، قال: سمعت رجلاً يستغفر لأبيه وهما مشركان، فقلت له: أنتستغفر لأبيك وهما مشركان؟ فقال: أوليس استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك، فذكرت ذلك للنبي فنزلت: (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ التوبة: ١١٣) هذا حديث حسن. وفي الباب عن سعيد بن المسيب عن أبيه. سنن الترمذي ٢٨١/٥ باب ومن سورة التوبة من أبواب تفسير القرآن عن رسول الله .

(٢) انظر: تفسير بيان للناس ٢٥٨/١، و١٣٠/٢.

(٣) سورة الأنعام - ٥١.

(٤) تفسير الكبير للرازي ٤٩٤/٣، والحديث مروي في: مسند البزار لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق المعروف بالبزار المتوفى: ٢٩٢هـ، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، حقق الأجزاء من ١ إلى ٩)، - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٠.

(٥) تفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي ٤٩٤/٣، ٤٩٥.

(٦) هو نصر بن محمد بن أحمد، أبو الليث السمرقندي، "تفسير القرآن" وكتاب "النوازل" في الفقه و"خزانة الأكمال" و"تنبيه الغافلين" وكتاب "بستان العارفين". توفي ليلة الثلاثاء لإحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة، سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة. قلت: تفقه أبو الليث على أبي جعفر الهندواني. وله من المصنفات غير ما ذكر: كتاب "عيون المسائل" وكتاب "تأسيس النظائر" و"مقدمة الصلاة" المشهورة. يراجع: تاج التراجم ص ٣١٠.

تأنيثه ليس بحقيقي وما لم يكن تأنيثه حقيقياً جاز تذكيره، وكقوله عز وجل: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ (١) ثُمَّ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى (وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ)﴾. أي لا يقبل الفداء من نفس كافرة، كما قال في موضع آخر ﴿فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَخْدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا﴾ (٢) ويقال: لو جاءت بعدل نفسها رجلاً مكانها لا يقبل منها ولا هم يُنصرون يقول: ولا هم يمنعون من العذاب" (٣)

المقارنة مع النقد بين الموقفين

إنكار أحمد الدين الشفاعة منبثق عن إنكاره الأحاديث الواردة فيها وإدعاؤه أن الرواية الدالة بشفاعة إبراهيم لأبيه مختلفة وهكذا انكر الشفاعة لكل أحد لآخر تماماً كما تقدم ذكره عند بيان موقفه ولا يخفى مخالفته جمهور المفسرين في جواز الشفاعة للمسلمين وعدم استحقاقها للكفار الجنة والنار.

موقف أحمد الدين من الجنة والنار

الجنة والنار أماكن القرار جزاء لما يقدمه المكلفون من الأعمال الصالحة أو السيئة، ولا يعلم حقيقتهم إلا الله، وقد بين الله لنا شيئاً من وصفهما، فالجنة والنار مخلوقتان الآن عند جمهور المسلمين. أما أحمد الدين وجماعته "القرآنيون" وقد اتبعوا منهج المعتزلة والخوارج في أمر الجنة والنار فهم يبرزونها فرق ثلاث كما يلي:

- ١ - فيقول أحمد الدين وبرويز وجعفر شاه بلواري (٤) وأمثالهم، فهم يرون أن الجنة والنار هما وجهتا حياة الإنسان، وأن تقدم الحياة وازدهارها يعني حياة الجنة. وتوقفها وعدم الرقي فيها يعني الجحيم، كما أن الجنة والنار ليستا الحلقة الأخيرة من حياة البشر، ولا من الأشياء التي لا نجدها إلا بعد الموت، بل الحياة أمر أبدي والرقي من منزلة إلى أخرى، قائم فيها على قدم وساق، وسيبقى إلى الأبد، فالجنة والنار تعبيرات لكيفيات الحياة لا أنها أمكنة خاصة (٥)
- ب - فعبد الله، ومن ينحو نحوه، يرون أن الجنة والنار أمكنة حقيقية ستخلق يوم القيامة، وأنه لا وجود لها في الآونة المعاصرة، لأن وجودهما الآن يخلو عن الحكمة والمصلحة، وأفعال الله لا تعرى عنها. (٦)

(١) البقرة: ٢٧٥.

(٢) آل عمران: ٩١.

(٣) تفسير سمرقندي، المسمى ببحر العلوم ١/١١٤ لأبي اليث نصر بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي المتوفي سنة ٣٨٥هـ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، تحقيق الشيخ علي محمد مفوض.

(٤) هو أحد زعماء طلع إسلام وأحد المكثرين في الكتابة عن آراء القرآنيين في الآونة المعاصرة، تقلد عدة مناصب حكومية في باكستان وفي السبعينات من القرن العشرين كان أحد أعضاء إدارة الثقافة الإسلامية بلاهور، التي تعمل تحت إشراف الدولة التنقيية تراث الإسلام؟، وله مؤلفات عديدة منها: مقام سنت (رياض سنت) الدين.

(٥) تفسير بيان للناس لأحمد الدين ج ٢ - ص ٤٤٣ - ٤٤٧ وأسباب زوال أمة لبرويز ص ١٣٥ وانظر جعفر شاه بلواري حديث ص ٦٦، ومجلة طلوع إسلام ص ٢٤، عدد أكتوبر ١٩٥١م، وتبويب القرآن ج ٢ ص ٢٥٥ و ٥٥٠، وأسباب زوال أمت ص ١٣٥، وتفسير بيان للناس ج ٢ ص ٤٤٣.

(٦) ترجمة القرآن ج ٤ ص ٣٣

جـ— أما الحافظ أسلم والسيد مقبول أحمد ومن تبعهم فيرون أن الجنة والنار وما وصف بهما من النعيم والعذاب هما عندهم صورتان تمثيليتان نزلتا في القرآن في زمن البشرية وقد اختلف الحس البشري في النعيم والعذاب في العصر الحديث، وهناك فرق بين السعادة والعقاب، لذلك لا بد من وجود تعريفات جديدة للجنة والنار، بل هي تشير إلى المشقة والمعاناة. يشعر الشخص بالاحتراق في الداخل فلا يلزم من إحراق النار احتراق حسي للجسم، بل المراد المشقة والكرب التي تجعل الإنسان يحس بالاحتراق داخل نفسه^(١)

أقول: هذه النظريات كلها مخالفة لعقيدة السلف المسلمين، فعبد الله وشيعته لم يختلف قولهم في الجنة والنار عن قول أكثر معتزلة الذين وضعوا أسس الاستدلال العقلي في الدين، فقد ذهب عباد الضميري، وضرار بن عمرو، وأبو هاشم، والقاضي عبد الجبار، إلى أن الجنة والنار ستخلقان يوم الجزاء، لخلوها عن المصلحة الآن، وأنها لو خلقنا لهلكنا واللازم باطل، أما الملازمة فلقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾^(٢) وأما بطلان اللازم فللنص على دوام أكل الجنة وظلها وكذا خلودها^(٣). وبذا يمكننا ضم عبد الله وشيعته إلى معتزلة الإسلام، ورد العلماء على هؤلاء هو ردنا أيضا مع إضافات يسيرة.

وصاحب شرح المواقف قد أقام الدليل على وجود الجنة والنار ردا على المزاعم الاعتزالية فقال لنا وجهان: أ — قصة آدم وحواء وسكنهما الجنة وإخراجها عنها بالزلة على ما نطق به الكتاب، وإذا كانت الجنة مخلوقة فكذا النار لا قائل بالفصل^(٤)

ب — قوله تعالى في صفتها: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٥) و﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾^(٦) بلفظ الماضي، وهو صريح في وجودهما، ومن تتبع الأحاديث الصحيحة وجد فيها شيئا كثيرا مما يدل على وجودها دلالة ظاهرة.^(٧) منها ما رواه في صحيح المسلم عن النبي الله فيما يرويه عن ربه عز وجل قال: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وأضيف صاحب شرح المواقف "فأقول إن الألف واللام في جنة آدم (الجنة) معهود، ذهني ولا معهود إلا جنة الثواب، فتعين مكث آدم في تلك الجنة، فهي اذن مخلوقة لا محالة". أما دليل عبد الله في خلو الجنة والنار عن المصلحة الآن... فهو دليل مستعار أيضا من المعتزلة، وقد رد عليهم صاحب «غاية المرام» وصاحب «الإرشاد»:

(١) ينظر مطالعة حديث أسيد مقبول أحمد مكتبة عباس إله آباد، الهند، ط/ ٣ - ١٩٥٢ م ص: ١٧٦، وتعليمات قرآن للحافظ أسلم ص: ٢١٢، ٢٢٥.

(٢) سورة القصص، آية ٨٨ .

(٣) انظر شرح المواقف ج ٣ ص ٢٣٠.

(٤) وهذا مبني على أن جنة آدم هي دار الجزاء، وهو ما تشير إليه الآيات القرآنية وقيل إن هذه الجنة كانت على ربوة من أرض الدنيا.

(٥) سورة آل عمران آية.

(٦) سورة البقرة آية ٢٤.

(٧) شرح المواقف ج ٣ ص ٢٣٠.

بنفي وجوب الغرض في أفعال الله، وأن أفعاله عز وجل في الخلق لا يلزم أن تكون مبنية على الأهداف والمصالح على أصول أهل الحق، لأنه تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد^(١)، ولا شك أن أفعال الله لا تخلو عن الحكمة قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾^(٢)

وفي ضوء هذا أقول: ان في خلقهما احكام كثيرة، عرفنا بعضها وخفي علينا بعضها الآخر، وقد أخبرنا الله بشيء من ذلك في حكاية قول امرأة فرعون ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾^(٣) لندعو بمثله في التعمير والبناء، كما طلبت هذه المؤمنة، فالجنة مخلوقة عيكتمل بناؤها بأعمال الصالحة، ومن ذكر وجودها الآن أيضا الترغيب، والترهيب من عذابه، إذ ثبت أن الرغبة والرغبة في الموجود المخلوق أشد مما سيوجد ويخلق على حد قول الله حكاية عن إبراهيم: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾^(٤) وأخبرنا الرسول بمشاهدته لهما على منبره^(٥)، وفي ليلة ما أسري به، لنسعى إلى العمل بطاعة الله وننزجر عن نفيه. ومن الحكم أيضا ما أخبرنا عليه الصلاة والسلام عنه بقوله " من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة"^(٦) وما حكاها النبي عن أبيه إبراهيم عليهما السلام ليلة الإسراء بقوله: يا محمد أقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غرسها سبحان الله والحمد لله ولا إله الا الله والله أكبر^(٧).

وأقول، المناقشة الفريق الثاني القائل بالتشبيه وانتمثيل في بيان الجنة والنار ... لا نعرف لهذا الفريق سلفا يوافقه إلا الفلاسفة في مبدأ التمثيل، حيث يرى ابن سينا في (النجاة) ان المرسل يجب أن يقرر إلى من أرسل اليهم أمر المعاد على وجه يتصورون كلفيته، وتسكن إليه نفوسهم، ويضرب للسعادة والشقاوة أمثالا مما يفهمونه ويتصورونه، وأما الحق في ذلك فهو لا يلوح لهم منه إلا أمرا مجملا.

ولو نظرنا دقيقا في هذا التصور، نرى أن الرسل والأنبياء على لا يأتون لتقرير الحق، وبيان الأشياء على حقيقتها علي زعم هؤلاء، بل لتسيير الأمور في ضوء إدراك البشرية وفهمها، وهذا يقتضي أن الرسل دلسوا على الخلق، ولم يتورعوا عن الكذب فيما بلغوا عن وأنهم أخفوا حقائق الأشياء في التشبيه والتمثيل. الله^(٨) عليه الوتين، فالتقول منه عليه الصلاة والسلام على ربه وافتراء القول وهو الصادق الأمين، منفي عنه لعدم تحقق العقوبة، فثبت نقيضه، وهو قول الصدق، والحق وهل تأتي الرسل إلا لتمييز الحقيقة عما يلابسها، ورفع ما يناقضها، فقول الرسل هو المحك

(١) انظر غاية المرام الإمام سيف الدين الآمدي رحمه الله ص ٣٠٥ والإرشاد ص ٣٧٧.

(٢) سورة ص اية ٢٧.

(٣) سورة ص آية ٢٧.

(٤) سورة البقرة آية ٢٦٠.

(٥) انظر صحيح مسلم ج ٣ ص ٢٨.

(٦) الحديث رواه الترمذي ج ٥ من ٥١١ ترتيب إبراهيم.

(٧) الحديث رواه الترمذي ج ٥ ص ٥١٠.

(٨) القرآنيون وشبهاتهم حول السنة لحادم حسين الهي بخش ص ٣٥٧.

السليم لمعرفة الاشياء على وجهها الصحيح، لأنهم يخبرون عن الله، ولا ريب أن هذا التصور للرسل مخالف لصريح القرآن في عصمتهم وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ، لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ....) فالرسول بلغ عن الله ما أنزل إليه، ولذلك عرف الناس حقائق الأشياء وماهياتها، أمر الجنة والنار، انهما حقيقتان واقعتان محسوستان على ما وصفنا به في الكتاب والسنة.

وأما الحس البشري، فقد اختلف عن عهده السابق في النعيم والعذاب، فهو زعم لا حقيقة له؛ لأن البشرية منذ وجودها أدركت الفرق بين المشاهد المحسوس وبين الممكن المستور، من العذاب والنعيم وستظل مدركة لها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. وقد خوطب أبو البشر آدم بكل من المعنوي والمحسوس قال تعالى: ﴿يَا أَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ... فَمَنْ تَبَعَ هَذَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(١) فعدم لحوق الخوف والحزن نعيم معنوي وسكانه الجنة وأكله منها نعيم مشاهد محسوس ولا زالت البشرية على حالتها تلك دون تغيير، وستستمر عليه حتى حياتها الأبدية، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ كَذَلِكَ وَرَوَّجْنَهُمْ بِجُورِ عَيْنٍ﴾^(٢) فجمع الله لأهل الجنة بين السعادتين الأمن واللذات المحسوسة. وقال عز وجل عن عذاب (وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا، وَيَوْمَ يَعِضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ، يَقُولُ يَلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا)^(٣) وقال تعالى: ﴿تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ مَانِيَةٍ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾^(٤) فجمع لهم بين العذابين، الحسي والمعنوي، كما هو واضح من الآيات. وبناء على الآيات السابقة تعين أن النعيم والعذاب في الآخرة حسي ومعنوي، ولا يسع المؤمن بكتاب الله وسنة نبيه إنكار حسيتها والاقتصار على المعنوي منها فقط. لا زال على ما كان منذ ابتداء البشرية، وسيبقى معها حتى حياة الآخرة، سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا ويلوح من نص الخصم السابق أنه ينكر الجزاء الأخروي مطلقا، حسيا أو معنويا ثواباً أو. عذاباً، اذ يفسر ذلك بالآلام النفسية نتيجة المشقة والكر، ومعنى هذا أنه ينكر حقيقة الجنة والنار. وعلى ضوء هذا، فالرأيين الثاني والثالث، يشكلان اتجاه واحد. والفريق الأخير قد سبق تفسيره للجنة بالنمو والازدهار، وللنار بعدم الرقي، وكل ذلك في الحياة الدنيا التي يرونها أبدية، وقد، يقول عبيد الله بن الحسين القيرواني أحد دعاة الباطنية عن معاملة الرسول مع أصحابه "فكان أمره معهم نقدا وأمرهم. معه نسيئة، وقد استعجل منهم بذل أموالهم أرواحهم في الانتظار الموعود لا يكون، وهل الجنة الا هذه الدنيا ونعيمها؟ وهل النار وعذابها إلا ما فيه أصحاب الشرائع من التعب والنصب في الصلاة والصيام والجهاد والحج" (٥).

(١) سورة الملك، آية ١٤.

(٢) سورة الدخان، آية ٥١ إلى ٥٤.

(٣) سورة الفرقان، آية ٢٦، ٢٧.

(٤) سورة الغاشية، آية ٥، ٧، ٦.

(٥) الفرق بين الفرق عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي ص ٢٩٨.

وفي الواقع يمكن لأي شخص مطلع على الأفكار الغربية المعاصرة أن يقول إن هذه الأفكار حول الجنة والنار جاءت كنتيجة منطقية للتوفيق بين حقائق الإسلام والأفكار المادية الغربية وغيرها من فروع الفكر المادي التي تأثر بها هؤلاء. يقول سابراكوم وياكوت: "وبالتالي فإن الكون ليس له نهاية، وهذا العالم أبدي وليس له نهاية".^(١) والقول بأن الحياة ستستمر دون انقطاع ينفي الإيمان بالآخرة ويخدم الإلحاد بجميع أشكاله، وهو ما يتناقض أيضًا مع حقيقة نهاية العالم قبل يوم القيامة. في القرآن قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾^(٢) وقال ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾^(٣) وقال: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ اللَّبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا فَيَذَرُهَا فَاعًا صَفْصَفًا لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾^(٤)

وتشير الآيات إلى أن لهذا الكون المادي نهاية لا يخرج عنه. فكيف يتأتى الاستمرار والأبدية هذه النهاية، ثم إن علماء الفلك أخذوا يؤيدون هذه الحقيقة القرآنية في الآونة الأخيرة، بالدراسات والتجارب والمكتشفات العلمية الحديثة، يقول إدوارد لوثر كيسيل^(٥) فالعلوم تثبت بوضوح أن هذا الكون لا يمكن أن يكون أبدياً، لأن هناك انتقالاً مستمراً للحرارة من الأجسام الساخنة إلى الأجسام الباردة، ولا يمكن أن يحدث العكس من تلقاء نفسه، بحيث تعود الحرارة من الأجسام الباردة إلى الأجسام الساخنة وترتد. يتجه الكون نحو نقطة تصبح فيها درجة حرارة جميع الأجسام متساوية.، ويومئذ لن تكون عمليات كيميوية أو طبيعية، ولن يكون هنالك أثر للحياة نفسها في هذا الكون.

وقصارى القول أن النصوص الدينية المذكورة في الجنة ونعيمها والنار وعذابها كثيرة وواضحة بحيث لا يمكن تأويل ظاهرها، وإنكار هذا الظاهر، إنكار لما علم من الدين بالضرورة.^(٦)

المبحث الرابع: آراءه الاعتقادية المتعلقة بالملائكة

تعريف الملائكة لغة:

(١) المادية الديالتيكية ص ٢٩ ترجمة محمد الجندي طبع دار التقدم موسكو.

(٢) سورة الرحمن، آية ٢٧.

(٣) سورة ابراهيم آية ٤٨.

(٤) سورة طه، آيات ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧.

(٥) إدوارد إل. كيسيل بالإنجليزية (Edward L. Kessel) هو عالم أحياء وعالم حشرات وعالم حيوانات أمريكي، ولد في ٢٧ أبريل ١٩٠٤ في أوزبورن في الولايات المتحدة.

المتحدة، وتوفي ٣٠ سبتمبر ١٩٩٧ في ميلواوكي في الولايات المتحدة.

(٦) الله يتجلى في عصر العلم بالإنجليزية The Evidence of God in an Expanding Universe كتاب لمجموعة من كبار العلماء الأمريكيين في تخصصات

علمية مختلفة في علوم الكون والحياة من كيمياء وفيزياء وتشريح وأحياء، تذكر كلها أنواعاً من الأدلة العلمية على وجود الله ص ٢٧ ترجمة د. الدمرداش عبد المجيد سرحان.

أصله مَأْلَكٌ، حُفِّفَ بِحَذْفِ الهمزة، فقليل: مَلَكٌ، وأصله من المَلَكَةِ والمَلَائِكَةِ، وهي: الرِّسَالَةُ، سَمِيَ بذلك لأنه يُبَلِّغُ عن الله عَزَّ وَجَلَّ ما أُرْسِلَ به إلى مَنْ يشاء. (١)

الملائكة في الاصطلاح:

خَلَقَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى، خَلَقَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ نُورٍ، وَهُمْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ، لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ، وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ، لَا يُوصَفُونَ بِالذُّكُورِ وَلَا بِالْأُنُوثَةِ، وَلَا يَأْكُلُونَ، وَلَا يَشْرَبُونَ، وَلَا يَتَنَاجَحُونَ، وَلَا يَمْلُكُونَ، وَلَا يَتَعَبُونَ، وَلَا يَعْلَمُ عَدَدَهُمْ إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَهُ، وَقَدْ حَجَّهَهُمُ اللَّهُ عَنَّا فَلَا نَرَاهُمْ، وَتُبَّما كَشَفَهُمْ لِبَعْضِ عِبَادِهِ، وَهُمْ قَادِرُونَ عَلَى التَّشَكُّلِ وَالتَّمَثُّلِ، وَلَهُمْ قُوَى عَظِيمَةٌ وَقُدْرَةٌ كَبِيرَةٌ عَلَى التَّنْقُلِ وَغَيْرِهِ (٢)

موقف أحمد الدين من الملائكة

١. وجود الملائكة : أحمد الدين يقرّ بوجود الملائكة باعتبارهم من خلق الله الغيبي، لكنّه يفسّرهم تفسيراً عقلياً رمزياً أكثر من كونه غيبياً محضاً. فهو يرى أنّ كثيراً من أوصاف الملائكة في القرآن لها دلالات معنوية: كالقوى الطبيعية، أو السنن الإلهية، أو مظاهر الأمر الإلهي، وليس بالضرورة أن تكون مخلوقات ذات أجنحة وأجسام نورانية كما عند جمهور أهل السنة. (٣)

٢. وظيفة الملائكة: يذكر أنّهم منفذو أمر الله في الكون: بعضهم موكل بالوحي (جبريل). بعضهم موكل بالموت (ملك الموت). بعضهم موكل بالجبال والرياح (كما في السنن الكونية). لكنه يربط هذه الوظائف غالباً بالقوانين الكونية والطبيعية، لا بملائكة محسوسة بالمعنى التقليدي. (٤)

٣. الملائكة وكتابة الأعمال

عند ذكر قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ [الانفطار: ١٠-١١]، فسّر أحمد الدين ذلك بأن المقصود الوعي الإنساني والضمير وما يترتب عليه من آثار الأعمال، وليس ملائكة بأقلام وصحف يكتبون الأعمال حرفياً. (٥)

(١) مقاييس اللغة لابن فارس ج ١/ص ١٣٢، والتفسير البسيط، للواحي ج ٢/٣١٦، ولسان العرب لابن منظور ١٠/٤٨١، والمطلع على ألفاظ المقنع للبعلي ص ٣٤٥، والكليات للكفوي ص ٩٠٠.

(٢) انظر الباب في علوم الكتاب لابن عادل ١/٤٩٧، عمدة القاري للعيني (١٢٣/١٥)، أعلام السنة المنشورة لحافظ الحكمي ص: ٤١.

(٣) بيان للناس، ج ١، ص ١١٢-١١٣.

(٤) بيان للناس، ج ٢، ص ٥٥-٥٦.

(٥) بيان للناس، ج ٣، ص ٧٨.

٤. الملائكة في مشاهد القيامة

يفسّر حمل العرش، والملائكة الموكّلين بجهنم أو الجنة، تفسيراً رمزياً، أي أن هذه صور لتجسيد هيبة الموقف وعدل الله، وليست أوصافاً لكائنات محسوسة. أنكر أن يكون ثمة ثمانية ملائكة يحملون العرش بأجنحة وأجسام، وقال إنها رموز لقوى الله.^(١)

٥. مقارنة مع الجمهور

الجمهور: يثبتون الملائكة على حقيقتهم، خلق نوراني، لهم أجنحة، لا يعصون الله ما أمرهم، موكلون بوظائف محددة. أحمد الدين: يذهب إلى أن ما ورد عن الملائكة في القرآن أغلبه رمزي أو مجازي، يفسّر على أنه قوانين وسنن كونية أو قوى معنوية، مع إنكاره كثيراً من التفاصيل المروية في الأحاديث.

الملائكة عند العلماء السلف

قال ابن حزم: الملائكة بنص القرآن والسُنن وإجماع جميع من يُقرّ بالملائكة من أهل الأديان المختلفة: عُقلاء مُتَعَبِّدون، مَنهَيُّون مأمورون.

وقال ابن تيمية: إنَّ اسم الملائكة والمَلَكِ يتضمَّنُ أَمْرُ رُسُلِ اللَّهِ، كما قال تعالى: جَاعِلِ الْمَلَائِكَةَ رُسُلًا، وكما قال: وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا فَلِلْمَلَائِكَةِ رُسُلُ اللَّهِ فِي تَنْفِيزِ أَمْرِ الْكَوْنِ الَّذِي يُدَبِّرُ بِهِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ... وأَمْرُهُ الدِّينِ الَّذِي تَنْزِلُ بِهِ الْمَلَائِكَةُ^(٢) وقال أيضاً "من المعلوم بالاضطرار أنَّ الرُّسُلَ أَخْبَرَتْ بِالْمَلَائِكَةِ وَالْحَيِّ، وَأَنَّهَا أَحْيَاءُ نَاطِقَةٌ قَائِمَةٌ بَأَنْفُسِهَا لَيْسَتْ أَعْرَاضًا قَائِمَةً بغيرها"... وأيضاً فإنَّ اللَّهَ وَصَفَ الْمَلَائِكَةَ بِصِفَاتٍ تَقْتَضِي أَنَّهُمْ أَحْيَاءُ نَاطِقُونَ خَارِجُونَ عَنْ قَوَى الْبَشَرِ وَعَنِ الْعُقُولِ وَالنَّفُوسِ الَّتِي تُثَبِّتُهَا الْفَلَاسِفَةُ فَعَلِمَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ الَّتِي أَخْبَرَتْ عَنْهَا الْأَنْبِيَاءُ لَيْسُوا مُطَابِقِينَ لِمَا يَقُولُهُ هَؤُلَاءِ وَقَالَ أَيْضًا: الْمَلَائِكَةُ مِنَ الْأَعْيَانِ لَا مِنَ الْأَعْرَاضِ، فَهِيَ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَيْسَ بَيْنَ أَهْلِ الْمِلَلِ خِلَافٌ فِي أَنَّ الْمَلَائِكَةَ جَمِيعَهُمْ مَخْلُوقُونَ.

وقال الجرجاني: "الملك: جسم لطيف نوراني، يتشكّل بأشكالٍ مُخْتَلِفَةٍ"^(٣) وقال السفاريني الحَقُّ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ ذَوَاتٌ قَائِمَةٌ بَأَنْفُسِهَا، قَادِرَةٌ عَلَى التَّشَكُّلِ بِالْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ، كَمَا ثَبَتَ فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقال الألوسي: اختلف النَّاسُ فِي حَقِيقَتِهَا بَعْدَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَى أَنَّهَا مَوْجُودَةٌ سَمْعًا أَوْ عَقْلًا، فَذَهَبَ أَكْثَرُ الْمُسْلِمِينَ إِلَى أَنَّهَا أَجْسَامٌ نَوْرَانِيَّةٌ، وَقِيلَ: هَوَائِيَّةٌ قَادِرَةٌ عَلَى التَّشَكُّلِ وَالظُّهُورِ بِأَشْكَالٍ مُخْتَلِفَةٍ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى^(٤).

(١) بيان للناس، ج ٤، ص ٢٠٢-٢٠٣.

(٢) يُنظر: مجموع الفتاوى ١١٩/٤.

(٣) يُنظر: التعريفات ص: ٢٢٩.

(٤) انظر: تفسير الألوسي ٢٢٠/١.

وقال ابن عثيمين "الملائكة، عالمٌ غيبيٌّ مخلوقون، عابدون لله تعالى، وليس لهم من خصائص الرُّبُوبِيَّةِ والأُلُوهِيَّةِ شيءٌ، خلَقَهُمُ اللهُ تعالى من نورٍ، ومنَحَهُمُ الإِنْفِيَادَ التَّامَّ لِأَمْرِهِ، وَالْقُوَّةَ عَلَى تَنْفِيذِهِ... وهم عَدَدٌ كَثِيرٌ لَا يُحْصِيهِمْ إِلَّا اللهُ تعالى^(١) وقال عنهم أيضاً: ﴿لَا يَأْكُلُونَ، وَلَا يَشْرَبُونَ، يَسْبَحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ، هُمْ أَشْكَالٌ وَأَعْمَالٌ، وَوُظَائِفٌ مَذْكُورَةٌ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ﴾^(٢) الإيمانُ بالملائكة ركنٌ من أركانِ الإيمانِ وأصلٌ من أصوله، لا يصحُّ إيمانُ العبدِ إلَّا به. قال اللهُ تعالى: آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ^(٣)

قال ابنُ تيمية: لَمَّا كَانَ الرَّسُولُ الْمَلَكِيُّ، وَالرَّسُولُ الْبَشَرِيُّ، وَالذِّكْرُ الْمَنْزُلُ أَمُورًا متلازمةً يلزمُ من ثبوتِ واحدٍ ثبوتُ الآخرِينَ، ومن الإيمانِ بواحدِ الإيمانِ بالآخرينَ، فيلزمُ من كونِ القرآنِ حقًّا كونُ جبريلَ ومحمدٍ حقًّا، وكذلك يلزمُ من كونِ محمدٍ حقًّا كونُ جبريلَ والقرآنِ حقًّا، ويلزمُ من كونِ جبريلَ حقًّا كونُ القرآنِ ومحمدٍ حقًّا ولهذا جمع اللهُ بين الإيمانِ بالملائكةِ والكُتُبِ والرُّسُلِ في مِثْلِ قَوْلِهِ: آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ^(٤)

وقال السَّعْدِيُّ: يخبرُ تعالى عن إيمانِ الرُّسُولِ والمؤمنين معه، وانقيادِهِم وطاعتِهِم وسؤالِهِم مع ذلك المغفرةَ، فأخبر أنهم آمنوا باللهِ ومَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وهذا يتضمَّنُ الإيمانَ بِجَمِيعِ ما أخبر اللهُ به عن نَفْسِهِ، وأخبرت به عنه رُسُلُهُ من صفاتِ كَمَالِهِ ونُعُوتِ جَلَالِهِ على وَجْهِ الإجمالِ والتفصيلِ، وتنزيهِهِ عن التمثيلِ والتعطيلِ وعن جميعِ صفاتِ النَّقْصِ، ويتضمَّنُ الإيمانَ بالملائكةِ الذين نَصَّتْ عليهم الشرائعُ جملةً وتفصيلاً.^(٥) وقال اللهُ سبحانه: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾^(٦)

وقال ابنُ كثيرٍ "مَنْ اتَّصَفَ بهذه الآية، فقد دخل في غُرى الإسلام كُلِّهَا، وأخذ بمجامعِ الحَيْرِ كُلِّهِ، وهو الإيمانُ باللهِ، وهو أَنَّهُ لا إلهَ إِلَّا هو، وَصَدَّقَ بِوُجُودِ المَلَائِكَةِ الَّذِينَ هُمْ سَفَرَةٌ بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِمْ مِنْ أَنْكَرِ وُجُودِ المَلَائِكَةِ أو عَادَاهُمْ أو سَبَّهِمْ أو استهزأَ بِهِمْ فقد كَفَرَ"^(٧) قال اللهُ تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾^(٨)

(١) ينظر: نبذة في العقيدة ضمن مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١١٦/٥)

(٢) يُنظر: القول المفيد ٢/ ٢٨٥ مؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت ١٤٢١ هـ) الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية. الطبعة: الثانية، محرم ١٤٢٤ هـ.

(٣) البقرة: ٢٨٥.

(٤) البقرة: ٢٨٥. ويُنظر: الجواب الصحيح ٥/ ٣١٣.

(٥) انظر: تفسير السعدي ص: ١٢٠.

(٦) البقرة: ١٧٧.

(٧) يُنظر: تفسير ابن كثير ١/ ٤٨٦.

(٨) البقرة: ٩٨.

قال ابن جرير: هذا خبرٌ من الله جلَّ ثناؤه... وإعلامٌ منه أنَّ من عادى جريراً فقد عاداه وعادى ميكائيل وعادى جميع ملائكته ورُسُلِهِ لأنَّ الذين سَمَّاهم الله في هذه الآية هم أولياءُ الله وأهل طاعته، ومن عادى الله ولياً فقد عادى الله وبارزه بالمحاربة، ومن عادى الله فقد عادى جميع أهل طاعته وولايته لأنَّ العدوَّ لله عدوٌّ لأوليائه، والعدوُّ لأوليائه الله عدوٌّ له.^(١)

وقال ابن عُثيمين "قوله تعالى: ... لم يقل: فإنَّ الله عدوٌّ له، فأفاد هذا الإظهار... الحُكْم بالكُفْرِ على من كان عدوًّا لله وملائكته ورُسُلِهِ وجرير وميكايل^(٢) وقال الله عزَّ وجلَّ ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾^(٣) قال أبو بكر الإسماعيلي: (اعلموا، رحمنا الله وإياكم، أنَّ مذهب أهل الحديث أهل السنة والجماعة هو الإقرار بالله وملائكته وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ، وقبول ما نطق به كتابُ الله تعالى، وصحَّت به الرواية عن رسول الله ﷺ، لا معدِّل عمَّا ورد به، ولا سبيل إلى رده).^(٤) وقال ابن بطَّة "الإيمان بالملائكة واجبٌ مفترَض" ^(٥).

وقال ابن حزم "إنَّ الملائكة حقٌّ، وهم خلقٌ من خلقِ الله عزَّ وجلَّ، مُكرَّمون، كُلُّهم رُسُلُ الله قال الله تعالى: وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ^(٦) وقال تعالى: بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ^(٧) وقال تعالى: جَاعِلِ الْمَلَائِكَةَ رُسُلًا أُولِي أَجْنَحَةٍ^(٨) وقال أيضاً: "اتَّفَقُوا أَنَّ الْمَلَائِكَةَ حَقٌّ، وأنَّ جرير وميكائيل ملكانِ رسولانِ لله عزَّ وجلَّ مُقَرَّبانِ عَظِيمانِ عندَ الله تعالى، وأنَّ الملائكة كُلَّهم مُؤْمِنون"^(٩) وقال أيضاً: "صَحَّ بالنصِّ أنَّ كُلَّ من استهزأ بالله تعالى أو بمَلَكٍ من الملائكة أو بنبيٍّ من الأنبياء عليهم السَّلام أو بآيةٍ من القرآن أو بقريضةٍ من فرائضِ الدِّين -فهو كُلُّها آياتُ الله تعالى - بعد بلوغ الحُجَّة إليه فهو كافِرٌ"^(١٠)

وقال ابن تيمية "المسلمون سُنِّيهم وبدعيُّهم مُتَّفِقون على وجوبِ الإيمان بالله وملائكته وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ واليومِ الآخر. وقال أيضاً: "اعتقادُ الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة: الإيمان بالله، وملائكته، وكُتُبِهِ، ورُسُلِهِ،

(١) انظر: تفسير ابن جرير ٢/ ٣٠١.

(٢) انظر: المقدمة/ تفسير ابن عثيمين - والبقرة ٦٧.

(٣) النساء: ١٣٦.

(٤) انظر: اعتقاد أئمة الحديث ص: ٤٩ لأبو بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس بن مرداس الإسماعيلي الجرجاني (ت ٣٧١هـ) المحقق: محمد بن عبد الرحمن الخميس.

الناشر: دار العاصمة - الرياض. الطبعة: الأولى، ١٤١٢.

(٥) يُنظر: الشرح والإبانة لابن بطه ص: ٢٣.

(٦) الرعد: ٢٣.

(٧) الأنبياء: ٢٦.

(٨) فاطر: ١ يُنظر: المحلى لا بن حزم الأندلسي ١٣/١.

(٩) انظر: مراتب الإجماع لا بن حزم الأندلسي ص: ١٧٤.

(١٠) يُنظر: الفصل ٣/ ١٤٢.

والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خير وشّر^(١) يبسط الشيخ عبده معتقده في الملائكة فيقول "يثبت أحمد الدين مثل ما يثبت الشيخ محمد عبده في تفسيره قولين للعلماء في الملائكة.

الأول منهما: أما الملائكة فيقول السلف فيهم: أنهم خلق أخبرنا الله تع بوجودهم وبيعض عملهم فيجب علينا الإيمان بهم، ولا يتوقف ذلك معرفة حقيقتهم فنفوض علمها إلى الله تعالى، فإذا ورد أن لهم أجنحة بذلك، ولكننا نقول: إنها ليست أجنحة من الريش ونحوه كأجنحة الطيب لو كانت كذلك لرأيناها وإذا ورد أنهم موكلون بالعوالم الجسمانية كالبحار، فإننا نستدل بذلك على أن في الكون عالماً آخر الطف من العالم المحسوس، وأن له علاقة بنظامه وأحكامه، والعقل لا يحكم بأسه هذا بل يحكم بإمكانه لذاته، ويحكم بصدق الوحي الذي أخبر به. ثم قال معلقاً: وقد بحث أناس في جوهر الملائكة وحاولوا مع ولكن من وقفهم الله تعالى على هذا السر قليلون والدين إنما شرع. (٢)

ومصطفى المراغى مؤيداً له هذا الكلام، ثم لا يستبعد الشيخ عبده أن تكون الملائكة بها عندما نتردد بين فعل شيء أو تركه: «يشعر كل من بين خواطره عندما يهم بأمر فيه وجه للحق أو للخير، ووجه تلك النوارع التي تحير هي فكر في اللبطل أو للشرف نفسه ووارد بان في نفسه تنازعاً كان الأمر قد عرض فيها على مجلس شورى فهذا وذاك يدفع، واحد يقول: افعل وآخر يقول: لا تفعل حتى ينتصر أى بورد انفسنا، ونسميه أحد الخاطرين فهذا الشيء الذي أودع في قوة وفكرًا. وهو في الحقيقة معنى لا يدرك كنهه، وروح تعالى ملكاً أو الطرفين، ويترجح لا تكتنه حقيقتها. أسبابه (ملائكة أو ما شاء لا يبعد أن يسميه من يسمي الأسماء فإن التسمية لا حجر فيها على الناس فكيف يحجر فيها على صاحب) الإرادة المطلقة والسلطان النافذ والعلم الواسع (٣).

ثم يطبق الشيخ محمد عبده هذا المفهوم على قوله تعالى ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (٤) فيقول: فإذا صح الجري على هذا التفسير فلا يستبعد أن تكون الإشارة في الآية إلى أن الله تعالى لما خلق الأرض ودبرها بما شاء من القوى الروحانية التي بها قوامها، ونظامها وجعل كل صنف من القوى مخصوصاً النوع من أنواع المخلوقات لا يتعداه ولا يتعدى ما حدد له من الأثر الذي خص به خلق بعد ذلك الإنسان وأعطاه قوة يكون بها مستعداً للتصرف جميع هذه القوى وتسخيرها في عمارة الأرض، وعبر عن تسخير هذه القوى له بالسجود الذي يفيد معنى الخضوع والتسخير، وجعله بهذا استعداد الذي لا حد له والتصرف الذي لم يعط لغيره خليفة الله في كذبالة المصباح أو سلك الكهرباء؟ ومعنى قابلية التشكل وهل يمكن للشيء الواحد أن

(١) أنظر: مجموع الفتاوى (٧/٣٥٧).

(٢) رياض الجنة في الرد على المدرسة العقلية ومنكري السنة العفاني سيد حسن ص ١٥٠.

(٣) انظر تفسير المراغي لأحمد مصطفى المراغي ١/٨٦ - ٨٧ وتفسير المنارة ١/٢٦٨.

(٤) البقرة: ٣٤.

يتقلب في أشكال من الصور مختلفة حسبما يريد وكيف يكون ذلك؟ ألا يقع في حيرة، ولو سئل عما يعتقد من ذلك الا يحدث في لسانه شكام من العقد ما لا يستطيع حله؟ أليس مثل هذه الحيرة.

ويشكك في موضع آخر من غير تصريح بذلك في قوله تعالى فراز ذلك السماء؟ ﴿هل يتلقى المُنْتَاقِينَ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾^(١) ونحو من الآيات فيقول: ان الله ملائكة في الأرض وملائكة في تزعم عرفت أين تسكن ملائكة الأرض؟ وهل حددت أمكنتها ورسمت مساكنها وهل عرفت أين يجلس من يكون منهم عن يمينك؟ ومن يكون عن يسارك؟ هل ترى أجسامهم النورانية تضيء لك في الظلام أو تؤنسك إذا هجمن عليك الأوهام؟ فلو ركنت إلى أنها قوى أو أرواح منبثة فيما حولك، وما بين يديك وما خلفك وأن الله ذكرها لك بما كان يعرفها سلفك وبالعبرة التي يوحشك بما يدهشك، وترك لك النظر فيما تطمئن إليه نفسك من وجوه تعرفها. أفلا يكون لك أروح لنفسك، وأدعى إلى طمأنينة عقلك؟ أفلا تكون قد أبصرت شيئاً من وراء حجاب ووقفت على سر من تلقفتها عنهم كيلاً أسرار الكتاب^(٢) ماذا يريد الشيخ عبده بهذا التأويل وهذا المفهوم؟ هل يريد أن يؤكد لنا مرة أخرى تكذيبه للقرآن الكريم كما كذب قصصه بحملها على التمثيل لا على الحقيقة والواقع ماذا يريد بزعمه هذا؟ هل يريد أن يقول إن القرآن لم يخبرنا عن الحقيقة في أمر الملائكة بل أخبرنا بألفاظ كانت مألوفاً ومعروفاً على المدرسة العقلية ومنكري السنة هذه الأرض وانتفاعه به في استعمارها - وعرض الأسماء لعلم كل شيء في الملائكة وسؤالهم عنها وتنصلهم في الجواب تصوير لكون الشعور الذي يصاحب كل روح من الأرواح المديرة للعالم محدوداً لا يتعدى وظيفته على وسجود الملائكة لأدم عبارة عن تسخير هذه الأرواح والقوى له ينتفع بها في ترقية الكون بمعرفة سنن الله تعالى في ذلك وإباء إبليس واستكباره عن السجود تمثيل لعجز الإنسان عن إخضاع روح الشر وإبطال داعية خواطر السوء التي هي مثار التنازع والتخاصم والتعدي والإفساد في الأرض - ولو لا ذلك لجاء على الإنسان زمن يكون فيه أفراد كالملائكة بل أعظم أو يخرجون كونهم من هذا النوع البشري.

هذا ملخص ما تقدم في سياق آيات القصة، وأما التمثيل فيما نحن فيه منها فيصح عليه أن يراد بالجنة الراحة والنعيم فإن من شأن الإنسان أن يجد في الجنة التي هي الحديقة ذات الشجر الملتف ما يلذ له من مرأى ومأكول ومشروب ومشوم ومسموم^(٣) في ظل ظليل وهواء عليل وماء سلسبيل كما قال تعالى في القصة من سورة طه وَإِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى، ويصح أن يعبر عن السعادة بالكون في الجنة وهو مستعمل، ويصح أن يراد بآدم نوع الإنسان كما يطلق اسم أبي القبيلة الأكبر على القبيلة فيقال كلب فعلت كذا ويراد قبيلة كلب، وكان من قريش كذا يعني القبيلة التي أبوها، قريش وفي كلام العرب كثير من هذا. أن يراد بالشجرة معنى الشر والمخالفة كما عبر ويصح مقام التمثيل عن الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة وفسرت كلمة التوحيد

(١) ق : ١٧ .

(٢) تفسير المنارة (١/٢٧١) . (٢) تفسير المنارة (١/٢٧٣)

(٣) تفسير المنارة (١/٢٧٣) .

وعن الكلمة الخبيثة بالشجرة الخبيثة وفسرت بكلمة الكفر وفي الحديث تشبيه المؤمن الله تعالى فيتم يقول "أفلا إن الله ملائكة في الأرض وملائكة السماء؟ هل عرفت أين تسكن ملائكة الأرض؟ وهل حددت أمكنتها ورسمت مساكنها؟ وهل عرفت أين يجلس من يكون منهم عن يمينك؟ ومن يكون عن يسارك؟ هل ترى أجسامهم النوارنية تضيء لك في الظلام أو تؤنسك إذا هجمت عليك الأوهام؟ فلو ركنتم إلى أنها قوى أو أرواح منبثة فيما حولك، وما بين يديك وما خلفك، وأن الله ذكرها لك بما كان يعرفها سلفك وبالعبرة التي تلقفتها عنهم كيلا يوحشك بما يدهشك، وترك لك النظر فيما تطمئن إليه نفسك من وجوه تعرفها، أفلا يكون ذلك أروح لنفسك، وأدعى إلى طمأنينة عقلك؟ أفلا تكون قد أبصرت شيئا من وراء حجاب ووقعت على سر من أسرار الكتاب؟ فإن لم تجد في نفسك استعدادا لقبول أشعة هذه الحقائق وكنت ممن يؤمن بالغيب ويفوض في إدراك الحقيقة ويقول: آمنا) به كل من عند ربنا فلا ترم طلاب العرفان بالريب ما داموا يصدقون بالكتاب الذي آمنت به ويؤمنون بالرسول الذي صدقت برسالته وهم في إيمانهم أعلى منك كعبا، وأرضى برهم نفسا، ألا إن مؤمنا لو مالت نفسه إلى فهم ما أنزل إليه من ربه على النحو الذي يطمئن إليه قلبه كما قلنا كان من دينه في ثقة، ومن فضل منك ربه في سعة.^(١)

وما ذكرته المدرسة العقلية يخالف القرآن ويشكك في معتقد أولئك الأبرار الذين استمدوا عقيدتهم من القرآن الكريم فاعتقدوا أن الملائكة قابلة للتشكل والظهور بمظهر البشر كما أسلفنا حيث يقول: وهل النور وحده قوام يكون به شخصاً ممتازاً بدون أن يقوم بجرم آخر كثيف ثم ينعكس موقف أحمد الدين وعلى الرغم من أن خواجه أحمد الدين لا ينفي الملائكة، إلا أنه يفسرها ويشبها بنور الشمس أو الكهرباء، أو يفسرها على أنها عقول التطورية. يقول لقد خلق الله تعالى كل الأشياء تدريجاً في هذا الكون وجعل لها من الأسباب لاحتصانها، وبنفس الطريقة للحصول على الإلهام العقلاني، من الضروري أن تكون لها العقول متطورة وهذه العقول هي الملائكة. والعقول التي يسودها لون العصيان تسمى إبليس ومن هنا الملائكة والشياطين هما عبارتان عن العقول تماماً كما يعمل ضوء الشمس. وفقاً لترتيبه الخاص والملائكة مجرد وسائل أو العلل، تماماً مثل الدمى ليست حقيقية، مثل الصور لمشاهدة في التلفاز بدون الحقيقة لذا فإن الملائكة ليسوا حقيقيين يعني ذلك فقط إعطاء وظيفة النقل ولكن في الواقع مثل الصفر^(٢)

الخاتمة وأهم النتائج

في ختام هذا البحث أحمد الله تبارك وتعالى وأشكره على نعمه الظاهرة والباطنة على ما وفقني إليه من نعمة إكمال هذا البحث فإنه لا حول ولا قوة إلا به. وفيما يلي أعرض النتائج الهامة التي توصلت إليها أثناء دراسة هذا البحث:

(١) تفسير المنارة (١/٢٧١).

(٢) تفسير بيان الناس ج ١ ص ١٨٨، ١٨٢، ص ١٨٥.

ليس عند أحمد الدين منهج واضح قويم في باب العقائد، اتبعه في تفسيره أو كتبه، فنتيجة ذلك لا نجد عنده قدرة انسجام في تقديم المعلومات فأكثر كلامه مشتت غير مربوط يصعب القارئ فهم مرامه وأرى أن سبب هذا فقدان اهتمامه بمراجعة سياق الآيات ونظمها فيفسر الآيات منعزلة الصلة بما قبلها أو بعدها والغرض . والله أعلم . وراه تسهيل تأويل الآيات بما يتفق رأيه .

١ . المنهج المستنبط خلال قراءة آراءه في المسائل العقدية بعد الاستقراء والتتبع فيه، نرى أنه لم يحظ المنهج السليم الرصين المحكم وذلك لما يلي:

٢ . قلما يتطرق الشيخ إلى شرح الكلمات القرآنية دون ذكر اشتقاقها وتراكيبها اللغوية والنحوية كما لا يستشهد بالشعر العربي في توضيح معنى الكلمات الغامضة أو توضيح معنى العام للآية ولم يخوض في بيان النكات البلاغية في تفسيره فلذا يتجلى سوء فهمه في تحليل اللغات وشرح الكلمات حسب ظنه منها: الأقصى والمهبوط والجنة فأراد بهذه الكلمات . بالترتيب . الناحية البعيدة ونزول من حالة رفعية إلى حالة أدنى والمراد بالجنة عنده طمانينة القلب وليس الجنة في السماء التي أسكن الله فيها آدم وحواء وغير ذلك تقدم ذكرها في هذه الرسالة .

٣ . إنه ما اختار في تفسيره القرآن بالقرآن الطرق والأساليب التي سلكها جمهور المفسرين واتخذها نبراسا في تفاسيرهم بل أول الآيات . حتى المحكمات وما استنكف عن المتشابهات . حسب رأيه وعقله وأنكر المعجزات بدليل مخارقتها العادات وعدم مسايرتها مع السنن الكونية وهذا ما شاهدنا عند تفسيره انفلاق البحر وانشقاق القمر وضرب موسى البحر بعصاه وما إلى ذلك تقدم ذكرها في هذا البحث .

٤ . لا يعتبر أحمد الدين السنة النبوية الشريفة شارحة القرآن، بزعمه أن القرآن بيان وتفصيل كل شيء فلا حاجة إلى السنة أصلاً، فأثار حولها الشبهات الزائفة مريداً بها التشكيك في حجيتها ولذا أدى زعمه المذكور إلى إنكار السنة والأحكام التي ثبتت بها كما وكيفاً منها . ما تقدم ذكره . الصلاة وليلة القدر وغير ذلك تحدثنا عن هذه الناحية ثانياً هذه الرسالة .

٥ . أقوال الصحابة وإجماع الأمة غير معتبرة لديه ولذا تفسيره مملوء بمخالفات أقوال الصحابة وآراء تخالف إجماع الأمة .

٦ . عدم الدقة والإتقان في نقل المعلومات وإحالة العبارات إلى مصادرها والأقوال إلى قائلها بل يسترسل العبارات ولا يثق المعلومات ويدلس الحقائق وهذا ما لا يوافق منهج المحققين ولا يناسب بشأن العلماء الراسخين ودأبهم .

٧ . لم يكثر أحمد الدين ذكر المسائل الفقهية وأكثر ما تعرض لمسألة فقهية فأساء مفهومها وخالف فيها جمهور الأمة الإسلامية وقد مثلنا بالصلاة حيث أراد المؤلف بها الدعاء والتوجه إلى البيت والجمعة وما إلى ذلك تقدم ذكرها .

٨. إضافة إلى تعقيد اللغوي وركاكتها، أسلوب أحمد الدين في المسائل المختلفة مبني على التكلف متلبس بالتعقيدات مملوء بالمعضلات ومشتتل بالمتفرقات يصعب على القارئ فهمه يقدم الشيخ التفسير بالآية أو الآيات ثم ينقل الآية أو الآيات ثم يردفها بالترجمة وأحياناً يشرح الكلمات ويضيف بعض المعلومات بين القوسين كما هو تفرد في بيان معاني الكلمات حسب ذوقه وعقله البحث ولا يستدل استشهاده لتفرد من كلام العرب وذكر الأشعار والأمثال وغير ذلك.

٩. يتجلى بكل وضوح شذوذ أحمد الدين وتفرد في عدة أمور كتفسيره الآيات وتعليل الأحكام وبيانه المسائل العقديّة والفقهية المنقولة نقلاً متواتراً الثابتة بالأدلة القطعية من الكتاب والسنة وإجماع الأمة والبحث كله شاهد على ذلك ففسر الآيات على غير مرامها ولعل السبب الرئيسي . والله أعلم . عدم اهتمامه ببيان أسباب النزول الذي من أهم وأبرز طرق التفسير اعتمد عليها الأمة الإسلامية من غير خلاف في اعتبارها ولو تعددت أسباب نزول بعض الآيات.

١٠. التشديد في رد وتفنيد الآراء التي لا توافقه وخاصة أهل الحديث الذين يستدلون بالسنة ويعملون بها فانتقص الشيخ في هذه الناحية وغض قدر المفسرين والعلماء الربانيين وإلى هذا أشرنا عند بيان حقيقة السحر وقصة براءة موسى حتى عد بعض الأمور من عادة المشركين وأمور الجاهلية كذبح الهدي ورمي الجمار وحلق الرأس في الحج الذي اعتبره أهل الملة الإسلامية من مناسك الحج الثابت بالسنة القولية والفعلية وجزم شيخ أحمد الدين بأنه من عادات الجاهلية.

١١. ان المدرسة العقلية توسعت مجال العقل دون النقل في اثبات الاحكام الدينية

١٢. وقد قاموا باتباع الهواء وبالحرية الفكرية حتى تولوا في شعائر الدين والقصص القرآنية وآيات المعجزات تاويلاتاً فاسدة

١٣. خالفوا لمنهج العلماء أهل السنة والجماعة في اثبات الاحكام وفسروا بظاهر الالفاظ لاثبات اصولهم الخاصة

١٤. ان التاويلات لهاتين المدرستين ومناهجهما ومصادرها سواء اي ٩٠ في ١٠٠ الا في بعض الامور مختلفة

نحو في حجية الحديث النبوي. فالمدرسة العقلية لا يرفض جميع الاحاديث واما المدرسه القرانيو ترفض جميع السنة النبوية

١٥. ومقام الشيخ احمد الدين امام العلماء وامام عامة الناس ليس الا كمنكر الحديث وبهذا مشهور جدا

١٦- قد قام خواجه أحمد الدين الأمر تسري في المسائل العقديّة وأخرى في القرآن الكريم حسب رأيه وفكره وفهمه ويقدم عقله في تعيين مفهوم الآيات القرآنية ولم يعتمد فيه على السنة النبوية ولا على أقوال الرسول، ولا أقوال الصحابة والتابعين.

١٧- قام بالتطبيق بين كلام الله والفلسفة الكونية الغربية، وتأصل منهما، الفلسفة الكونية الغربية، فأول الكلام حتى يوافق بالفلسفة واستعان فيه بالأدب العربي الجاهلي، ولم يعتمد فيه على السلف.

١٨- وضع المسائل حسب أفكاره وآرائه، واختار فيه المنهج العقلاني عموماً.

١٩- اهتم ببيان أصول الدين ومسئلة وحدة الأديان والحسنات الأساسية في كل مذهب التي تُلهم في فطرة الإنسان وسماها بأصل الدين وأصول الحرام والحلال، ووجود التميز بين الحسن والقبح في فطرة الإنسان، وأصل الايمانيات، وسبب الأمن في الدنيا، وحقيقة الكون، والتطبيق بين كلام الله والفلسفة الكونية الغربية، وغيرها من المسائل. رأى في التمهيد أن الإنسان قد يتجنب عن التفرقة بأن يعمل على الحسنات الأساسية ورأها أصلاً، وليتوجه إلى الفروع فإذا الأمة لم تفرّق نفسها بين الفرق المختلفة

٢٠- بحث عن بعض المباحث بحثاً طويلاً مثل مسئلة وحدة الأديان، ومسئلة التطبيق بين كلام والفلسفة الكونية الغربية.

٢١- يكتفى بتقديم اللغة لاستدلال على آرائه ولم يتوجه إلى ذكر نص الآية إلا قليلاً جداً، واختار فيه أسلوباً جديداً.

٢٢- قد يوجد كثير من التفردات في كتبه وخاصة في تفسيره، بيان للناس، وهي التي جديرة للبحث بأن تقارن بأراء جمهور الأمة، ووالفلسفة الكونية الغربية، وكذا في بعض المباحث مثل تأويلاتهما في معجزات الأنبياء عليهم السلام. وأخيراً لا أدعي أنني أدت حق الموضوع كاملاً ولكن حاولت ما كان في وسعي فإن وفقت بمحض توفيق الله وفضل منه وإن كان غير ذلك فمني ومن الشيطان، والله ورسوله برئ منه، وأستغفر الله من ذلك.

وأسأل الله تعالى أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعني به جميع المسلمين وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم

الفهارس الفنية

فهرس الآيات

فهرس الأحاديث والآثار

فهرس الأعلام الغربية المترجم لهم

فهرس أهم المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

فهرس الآيات القرآنية

المسلسل	الآيات القرآنية	اسماء السورة	الصفحة
١.	إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا ورَأُوا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ	البقرة	١٠١
٢.	أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمْ..	//	١١٨
٣.	أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ.	//	٢٨٢
٤.	الْحُجَّ أَشْهَرُ مَعْلُومَاتٍ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ...	//	٣٣
٥.	الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ ...	//	١٣٩
٦.	رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُخَيِّمُ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ.	//	٣١٩
٧.	فَأَرْهَمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ ..	//	٢٠٢
٨.	قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.	//	٢٦٦
٩.	قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ.	//	٣٩
١٠.	كَذَلِكَ يُخَيِّمُ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ.	//	٣٠١
١١.	مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ.	//	٣١١
١٢.	مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ... وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ.	//	٣٢٥
١٣.	وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً.	//	١٥٢
١٤.	وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ ...	//	١٣٨
١٥.	وَإِذْ قَرَّبْنَا بِلْحِمِهِمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ.	//	٣٠٣
١٦.	وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ.	//	٢٥٧
١٧.	فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ..	//	٢٥٩

١٤٦	//	وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ.	١٨.
٢٢٣	//	وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ.	١٩.
١٧٦	//	وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةً....	٢٠.
٢٢٣	//	وَكُلًّا مِنْهَا رَعَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا.	٢١.
٣٢٤	//	وَلَكِنَّ الْإِبْرَءِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ.	٢٢.
٢٦٥	//	يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ	٢٣.
٢٢٨	آل عمران	كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا....	٢٤.
٣٠٠	//	قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنَتِ الثَّقَاتِ فِتْنَةُ تُفَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ.	٢٥.
١٧٤	//	كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ.	٢٦.
٢٣٠	//	إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ ..	٢٧.
٢٣٣	//	وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ ..	٢٨.
٣٠٧	//	وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ.	٢٩.
٢١٩	//	يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ...	٣٠.
٤٥	//	يَلُونِ أَلَسْتَنَّهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ...	٣١.
٢٢٩	//	يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، ..	٣٢.
٨٣	النساء	فَإِنْ تَنَارَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ..	٣٣.
٩٧	//	فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةٌ.	٣٤.
٢٩٤	//	إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ.	٣٥.
٩٧	//	وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُفْسِدُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِّنْ ...	٣٦.
٣٢	//	وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ ...	٣٧.
٧٢	//	وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ .	٣٨.
٢٩٠	//	يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِّنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ.	٣٩.
٢٦٧	//	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا...	٤٠.

٤١.	يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً....	//	٣٤
٤٢.	فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ.	المائدة	٧٩
٤٣.	قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا.	//	٣٠٠
٤٤.	قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ..	//	٣٣
٤٥.	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ.	//	٣١
٤٦.	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ ر..	//	٣٣
٤٧.	كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ ...	//	١١
٤٨.	حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ...	//	١٠٧
٤٩.	إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ، وَكَانُوا شِيعًا لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا ...	الأنعام	١٠٣
٥٠.	فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ.	//	٢٩٠
٥١.	مَا فَطَرْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ.	//	٢٠١
٥٢.	وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ.	//	٢١٨
٥٣.	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَنْبَغُ فِيهِ ...	//	١٨٩
٥٤.	قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ وَلَا أَقُولُ ...	//	٢٩٩
٥٥.	وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ.	الأعراف	٣٠٩
٥٦.	وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ.	//	٢٠٣
٥٧.	يَحْدُوثُهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ...	//	٦٠
٥٨.	إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنْ يَنْزِلُوا إِلَيْكَ فَأَنْزَلْنَاهُمْ إِلَيْكَ وَنَزَّلْنَا الْقُرْآنَ فَتِلْكَ الْآيَاتُ الْكَافِرِينَ.	الأنفال	٢٨٨
٥٩.	أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ.	//	٢٨٦
٦٠.	وَمَنْ لَّمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ.	//	٤٢
٦١.	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ.	//	٢٨٥
٦٢.	وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا.	//	٢٨٦
٦٣.	وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ ...ع	//	٣٠١

٦٤.	فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ...	التوبة	٢٧٠
٦٥.	فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ.	//	٢٩٣
٦٦.	قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا...	//	٦٠
٦٧.	هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ.	//	٩٤
٦٨.	وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُوهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ...	//	٣٠
٦٩.	وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ...	//	٩٤
٧٠.	وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي...	يونس	٢٩٢
٧١.	يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ.	يونس	٣٠٠
٧٢.	قَالَ يَأْتِيهِمْ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ.	هود	٢٣٢
٧٣.	وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ...	هود	٢٥٣
٧٤.	وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ.	يوسف	٧٤
٧٥.	لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ.	يوسف	٣٠٠
٧٦.	إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ	الرعد	١٥٤
٧٧.	اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ...	//	٢٠٣
٧٨.	يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ.	إبراهيم	٣٢١
٧٩.	يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ..	//	٣١٠
٨٠.	إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ.	الحجر	١١
٨١.	وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى..	النحل	٢٠١
٨٢.	إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا.	الإسراء	٢١٦
٨٣.	سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى...	//	١٤٦
٨٤.	وَأَتَيْنَا مُوَدَّ النَّاقَةِ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا.	//	٢٣٦
٨٥.	وَنُزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ...	//	٩٦
٨٦.	أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا.	الكهف	٢٣٨
٨٧.	وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ..	//	٣٢
٨٨.	وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لَيِّسَاءً لِّوَلِيَّتِهِمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ..	//	٢٣٩

٨٩.	وَلَا تُطْع مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبُهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا.	//	٢٦٦
٩٠.	فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا.	مریم	٢٣٠
٩١.	قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا.	//	٢٣٠
٩٢.	قَالَ آيَتُكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا.	//	٣٠١
٩٣.	قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا.	//	٢٩٩
٩٤.	قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ.	//	٢٣٠
٩٥.	وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا.	//	٢٠٧
٩٦.	قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُنْ بِعِيًّا.	//	٢٣٠
٩٧.	وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرِيًّا.	//	٢٠٧
٩٨.	وَلَنَجْعَلَنَّ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا.	//	٢٣٠
٩٩.	قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا.	//	٢٣٠
١٠٠.	وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ ..	//	٢٨٨
١٠١.	فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ..	طه	٢٥٣
١٠٢.	فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ..	//	٢٥٢
١٠٣.	وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٌ ..	//	٢١٥
١٠٤.	يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا	//	٣١١
١٠٥.	يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ..	//	٢١٥
١٠٦.	إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون.	الأنبياء	١٧٤
١٠٧.	وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُون.	المؤمنون	١٧٨
١٠٨.	أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَّاتٍ ...	النور	٢٤٧
١٠٩.	الرَّائِيَّةَ وَالرَّائِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا ..	//	٣٢
١١٠.	قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ.	//	٤٢
١١١.	الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبَعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا ...	//	٣٠
١١٢.	وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ ...	//	٢١٤
١١٣.	وَلِيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا ...	//	٣٤
١١٤.	وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا.	الفرقان	٢١٦

١١٥	..	فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ	الشعراء	١٨٦
١١٦	يوم لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بُنُونَ . إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ .	//		٣١٢
١١٧	إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ	النمل		١٥٢
١١٨	حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتُمْ مَلَّةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ...	//		٢٠٦
١١٩	وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى .	القصص		١٤٦
١٢٠	وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ .	//		٢٨٨
١٢١	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا .	العنكبوت		٢٤٥
١٢٢	فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا ..	الروم		٢٧١
١٢٣	لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ ..	الأحزاب		٧٦
١٢٤	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا	//		١٢
١٢٥	وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ	//		٢٨٧
١٢٦	يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ يُصَاعَفْ	//		٢٣٢
١٢٧	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى	//		٢١١
١٢٨	يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَرْوِجَنَّكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ ...	//		٣٣
١٢٩	فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ يَجِدَ ..	فاطر		٣٠٢
١٣٠	إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ ...	//		٢٨٢
١٣١	أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ .	يسن		٣٠
١٣٢	رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ .	ص		٣١٩
١٣٣	إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ...	الزمر		٢٩٠
١٣٤	وَحَاقَ بِالِالْفِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ، النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا ..	غافر		٣٠٨
١٣٥	حَمِّ تَنْزِيلٍ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ...	فصلت		٢٢١
١٣٦	وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ .	الشورى		٢٠٣
١٣٧	وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ .	//		٤٥
١٣٨	وَمَا كَانَ لَيْشَرَ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ .	//		٢٨٩
١٣٩	يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ ...	الأحقاف		٢٩١

١٤٠	محمد	٣٢	حَتَّى إِذَا أَتَخْتَمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فِيمَا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً..
١٤١	محمد	٣١٤	وَاسْتَغْفِرْ لِدُنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ.
١٤٢	الفتح	٣٨	لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ.
١٤٣	القمر	١٨٧	وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ.
١٤٤	//	١٨٦	افْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ.
١٤٥	الرحمن	٣٢١	كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.
١٤٦	الحشر	٩٤	لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ.
١٤٧	//	٣٩	مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أَصُولِهَا فَبِإِذْنٍ
١٤٨	الجمعة	٢٤٩	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا...
١٤٩	التحریم	٢٨٠	قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ.
١٥٠	الحاقة	١٨٩	وَالْمَلِكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ.
١٥١	//	٣٨	وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا..
١٥٢	//	١٣٧	فَأَمَّا مَنْ أُوِّيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ.
١٥٣	//	١٣٧	وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ .
١٥٤	نوح	٣٠٩	يَا حَاطِيَّاهُمْ أَعْرِفُوا فَأَدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا.
١٥٥	الجن	٤٢	وَمَنْ يَعَصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا.
١٥٦	القيامة	٢١٨	إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ. فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ. ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ
١٥٧	النباء	٢٨٠	عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ.
١٥٨	عبس	١٨٧	ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا.
١٥٩	القدر	١٤٦	إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ.
١٦٠	الفيل	٢٠٦	تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ.
١٦١	//	٢٠٦	وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ.
١٦٢	الناس	١٨٣	قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ.

فهرس الأحاديث

المسلسل	طرف الحديث	الصفحة
١.	أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشد علي فيفصم	٢٩٠
٢.	أخرجتنا من الجنة ولو كانت في الأرض منهم قد خرجوا من بساتين...	٢٢٥
٣.	إذا أعجله السير في السفر يؤخر صلاة المغرب حتى يجمع بينها وبين العشاء	٢٤٨
٤.	أُذِنَ لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش، إن ما...	٢٧٧
٥.	ألا أوتى برجل غير عالم، بلغات العرب يفسر ذلك، إلا جعلته نكالا	٢٣٥
٦.	أن أهل مكة سألوا رسول الله أن يريه مائة فأراه مانشقق القمر مرتين	١٨٧
٧.	أن رسول الله كان في سفر ومعه بلال فأراد أن يقيم فقال "أبرد"	٢٤٩
٨.	إن روح القدس، نفث في روعي، أن نفس لن تموت حتى تستكمل أجلها	٢٩٤
٩.	أن صلاة يوم الجمعة قد فرضت في مكة وأنزل الله حكمها إلى النبي فيها...	٢٥٠
١٠.	ان نوح أول نبي أرسل	٢٤٦
١١.	إن هذه الأمة تبتلي في قبورها، فلولا أن لا تدافنوا	٣١٠
١٢.	انشق القمر على عهد رسولا لله، فقالوا قريش "هذا سحر ابن أب كبشة"	١٨٨
١٣.	إني أوتيت الكتاب ومثله معه،	٢٩٤
١٤.	بعث نوح لأربعين سنة ولبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما وعاش بعد الغرق...	٢٤٦
١٥.	بلغنا أن رسول الله قال "هم اليوم أربعة" يعني حملة العرش "وإذا كان يوم القيامة..."	٢٧٨
١٦.	حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ "فأله إبراهيم حين ألقى في النار وأله محمد .	٣٠٤
١٧.	خذوا عني مناسككم	٢٨٨
١٨.	خطبنا رسول الله فقال: "يا أيها الناس... الخ الي، واعلموا أن الله قد افترض..."	٢٥٠
١٩.	رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حراً فأكل ثمنه، ورجل استأجر ...،	٣١٥
٢٠.	رحم الله موسى قد أؤذي بأكثر من هذا فصبر"	٢١٧
٢١.	الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح	٢٧٩
٢٢.	سحر رسول حتى إنه ليخيل إليه أنه فعل الشيء ولم يكن ...	٢١٨
٢٣.	السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية الخ	٢٨٤
٢٤.	شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي من كذب بها لم ينلها	٣١٥

٢٨٨	٢٥. صلوا كما رأيتموني أصلي
٢١٣	٢٦. فأذوه بذلك فأمر الله الملائكة، فحملته فمروا به على مجلس بنى إسرائيل...
٢٤٣	٢٧. فأرسل الله تعالى طيرا كل واحد في منقاره حجر وفي رجله حجران...
٢٦٠	٢٨. فإن غمي عليكم الشهر فعدوا ثلاثين
٢٤٥	٢٩. فعتب الله عليه إذ لم يُزِدْ الْعِلْمَ إِلَيْهِ...
٢٨٣	٣٠. فلما خرجوا وجد عليهم في شيء، فقال لهم: أليس قد أمركم رسول الله أن تطيعوني؟
٢١٦	٣١. قال وفيهم قال في مشط ومشاطة قال وأين؟.... أما الله فقد شفاني وأكره أن...
٢١٦	٣٢. قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ...
٢١٢	٣٣. كان بنو إسرائيل يغتسلون عراة ينظر...
٢١٥	٣٤. كان رسول الله ﷺ سُجِرَ حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن
٢٨٤	٣٥. كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء...
١٥٤	٣٦. كسف القمر على عهد رسول الله فقالوا "سحر القمر، فنزلت
٢٦١	٣٧. كل عمل ابن آدم له، إلا الصوم فإنه لي وأنا..
٢٤٨	٣٨. لا تجزئ صلاة الرجل حتى يقيم ظهره في الركوع والسجود
٢٨٢	٣٩. لا طاعة في معصية الله
٣٢٥	٤٠. لا مَعْدِلَ عَمَّا وَرَدَ بِهِ، وَلَا سَبِيلَ إِلَى رَدِّهِ
٣١٤	٤١. لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته وإني اختبأت دعوتي...
٢٧٧	٤٢. ما بين أظلافهم إلى ركبهم، مثل ما بين سماء، إلى سماء ثم فوق ظهورهم العرش
٢٩٢	٤٣. ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أوتي من الآيات ما من على مثله البشر...
٢٨٤	٤٤. من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع...
٢٨٤	٤٥. من رأى من أميره شيئا فكرهه فليصبر، فإنه ليس أحد يفارق...
٣١٩	٤٦. من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة
٢٩٢	٤٧. من قرأ القرآن فاتبع ما فيه هداه الله من الضلالة في الدنيا ووقاه يوم...
١٨٨	٤٨. نحن مع رسول الله ﷺ بمنى فانشق القمر فلقنتين، فلقة من وراء الجبل، وفلقة دونه
٢٤٣	٤٩. نحو قفيز مخططة بحمرة كالجزع الظفاري، فكان الحجريقع على رأسال...
٢٩٢	٥٠. وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله...

١٨٨	وقد كان ذلك في عهد رسول الله انشق فلقطين فلققة من دون الجبل ...	٥١.
٢١٧	وكان عنده أسنان من مشطه فأعطأها اليهود فسحروه فيها الخ ذكره حديث طويلا	٥٢.
٣١٩	يا محمد أقرىء أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء،	٥٣.
٢٤٨	يا معشر المسلمين لا صلاة لمن لا يقيم صلبه في الركوع والسجود	٥٤.
٢٢٤	يجمع الله تعالى الناس فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة..	٥٥.

فهرس الأعلام الغربية المترجم لهم

المسلسل	الأعلام	رقم الصفحة
١.	إبراهيم بن محمد بن اسماعيل بن صلاح الأمير	٣٦
٢.	إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي	٤٢
٣.	ابن جريج الأموي عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج،	٢٣٩
٤.	ابن دعامة بن عزيز أبو الخطاب السدوسي	٢٤٢
٥.	ابن هشام عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري	٢٤١
٦.	أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب المشهور بالماوردي	٢١٢
٧.	أبو العباس أحمد بن يحيى.. الشيباني النحوي	٣١١
٨.	أبو الوفاء ثناء الله بن محمد الكشميري الأمر تسري	١٦٩
٩.	أبو زكريا يحيى بن زياد الأسدي	٢٨١
١٠.	أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء	٢٨١
١١.	أبو سعيد بن المعلى بن لوذان	٢٨٥
١٢.	أبو عبد الله محمد بن محمود بن محمد بن عياد العجلي	٣١٢
١٣.	أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر المالكي	٢٠٥
١٤.	أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى التميمي	٣٠٤
١٥.	أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بني معاوية	٢٩٢
١٦.	أحمد بن شعيب بن علي بن سنان الخراساني النسائي	٢٥٢
١٧.	إدوارد إل. كيسيل	٣٢١
١٨.	أمية بن عبد الله أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي	٢٧٩
١٩.	إياس بن سلمة بن الأكوع الأسلمي	٢٥١
٢٠.	جراغ علي بن محمد	٥٦
٢١.	الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم	٢٩٠
٢٢.	الحافظ السيد محب الله	٢٥
٢٣.	الحسن بن أبي الحسن بن يسار البصري	٢١٧
٢٤.	حسن حنفي	١٠٢
٢٥.	الربيع بن أنس بن زياد البكري الخراساني.	٢٧٦

٨٨	٢٦. زهدي حسن جار الله
٣٠٣	٢٧. سالم بن عبد الله النصري،
٢٥٤	٢٨. سالم بن عبد الله بن عمر ذكر أبو زرعة
٤٨	٢٩. سرسيد أحمد خان
٢٧٥	٣٠. سعيد بن جبير الأسدي مولا هم الكوفي
٧٨	٣١. سلمان بن فهد بن عبد الله
٣٠٥	٣٢. سليمان بن أحمد الشامي
٢١٥	٣٣. سيد أبو الأعلى مودودي بن سيد أحمد حسن
٢٥٤	٣٤. سيد محمد رفيع الدين الملتاني
٢١٣	٣٥. شقيق بن سلمة، أبو وائل الأسدي الكوفي،
٣٦	٣٦. شمس الدين، أحمد بن الخليل بن سعادة بن جعفر
١٦٨	٣٧. صوفي غلام مصطفى تبسم،
٢٤٣	٣٨. الضحاك بن مزاحم الهلالي أبو القاسم
٢٧٥	٣٩. طهمان بن عمرو الكلابي
٢٨٤	٤٠. عبادة بن قيس بن أصرم... بن الخزرج الأنصاري
٢٨٦	٤١. عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر
٩٢	٤٢. عبد الستار عز الدين
١٠٥	٤٣. عبد العزيز خليل حسن جاويز
٣١٥	٤٤. عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، أبو البركات
٢٥	٤٥. عبد الله بن عبد الله الجكرالوي
٣١٣	٤٦. عبد الله بن عمر بن محمد، ناصر الدين، البيضاوي الشافعي
٢٩٦	٤٧. عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني الشافعي
٢٨٦	٤٨. عبيد الله بن أبي رافع المدني مولى النبي
٢٣٨	٤٩. عثمان بن جني الموصلي
٢٥٤	٥٠. عطية بن سعد، الكوفي، أبو الحسن، من مشاهير التابعين
٢١٩	٥١. علي بن إسماعيل، المعروف بابن سيده، أبو الحسن
٢١٢	٥٢. علي بن محمد بن إبراهيم الشيعي علاء الدين المعروف بالخازن

٩٦	علي مصطفى الغرابي	٥٣.
١٦٨	عنايت الله بن عطاء المشرقي	٥٤.
٥٤	غلام أحمد برويز	٥٥.
١٦٦	غلام أحمد بن غلام مرتضى بن عطا	٥٦.
١٦١	غلام علي بن داؤد بن مخدوم القصورى الأمر تسري	٥٧.
٩٥	قاضي صالح بن مهدي بن علي	٥٨.
٢٩٧	القاضي عضد الدين، عبد الرحمن بن أحمد الإيجي	٥٩.
٢٣٩	مجاهد بن جبر المكي المخزومي	٦٠.
٣٧	محمد الأمين بن محمد المختار عالم ومحقق ومفسر	٦١.
١٧٦	محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة الأزهرى	٦٢.
٢٧٥	محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري الشهير بان المنذر	٦٣.
٢٨٥	محمد بن الطاهر بن الشيخ محمد الطاهر بن محمد	٦٤.
٢٤٢	محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني	٦٥.
١٧١	محمد بن عمر بن الحسين القرشي،	٦٦.
٣٦	محمد بن كعب بن حبان بن أسد القرظي	٦٧.
٢٥١	محمد بن كعب بن سليم القرظي،	٦٨.
٢١٤	محمد بن محمد بن مصطفى العمادي المولى أبو السعود فقيه حنفي	٦٩.
٣١٠	محمد بن يزيد الثمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد،	٧٠.
٢٨٩	محمد عبده بن حسن خير الله	٧١.
٨٦	محمد محمد حسين أديب إسلامي مصري	٧٢.
٢٥٤	معمر بن راشد أبو عروة	٧٣.
٢٥٤	مقاتل بن سليمان البلخي أبو الحسن	٧٤.
٣٠٥	المنهال بن عمرو الكوفي.	٧٥.
١٦٩	مولوي جراغ علي،	٧٦.
٣١٦	نصر بن محمد بن أحمد، أبو الليث السمرقندي	٧٧.
٤٠	نور أحمد عرب	٧٨.
٢٨١	هشام بن محمد أبي النضر ابن السائب ابن بشر الكلبي	٧٩.

٢٨٤	يحيى بن حصين، البجلي	٨٠.
٢٩١	يزيد بن أرقم بن الحارث الأنصاري	٨١.
٢٨٧	يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي	٨٢.

فهرس أهم المصادر والمراجع

المصادر العربية

١. القرآن
٢. سنن ابن ماجه: لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.
٣. الاتجاهات العقلانية المعاصرة أصولها ومنهجها، لناصر بن عبد الكريم العلي العقل، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.
٤. الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر (في جزأين). ٢ - الإسلام والحضارة الغربية - ٣. أزمة العصر، وأصله ثلاثون حديثاً كتبت لتبث من إذاعة الرياض عام ١٣٩٧هـ. ٤ - حصوننا مهددة من داخلها، وأصله مجموعة مقالات شهرية نشرت في مجلة الأزهر المصرية في عامي ١٣٧٧هـ، ١٣٧٨هـ
٥. إتيقان ما يحسن من الأخبار لمحمد بن محمد بن محمد العزي، ١٢٧/١، الفاروق الحديثة القاهرة الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ تحقيق محمد العربي.
٦. أحكام القرآن، لأحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى: ٣٧٠هـ) محقق: عبد السلام محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.
٧. الإحكام في أصول الأحكام، لأبي محمد علي بن أحمد الأندلسي القرطبي، بتحقيق: الشيخ أحمد محمد شاكر بيروت، لبنان: دار الآفاق الجديدة.
٨. اختصار علوم الحديث، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية.
٩. معرفة أنواع علوم الحديث، ويُعرف بمقدمة ابن الصلاح، لعثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح (المتوفى: ٦٤٣هـ) المحقق: نور الدين عتر، الناشر: دار الفكر - سوريا، دار الفكر المعاصر - بيروت، سنة النشر: ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
١٠. أدلة الشرعية، لامام الشاطبي. هو إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، أبو إسحاق الشهير بالشاطبي، ولم يذكر أحد ممن ترجم له زمان ولادته ولا مكانها أما عام ولادته فقد اجتهد الأستاذ/ أبو الأجنان في تقديرها بعام ٧٢٠هـ، وأما مكان ولادته حيث قال: وبغرناطة نشأ الشاطبي وترعرع. مؤلفاته: كتاب الموافقات - كتاب الاعتصام: (وهو من أهم ما ألف في تعريف البدعة والتحذير منها، ومنهجهم) كتاب المجالس، شرح فيه كتاب البيوع من صحيح البخاري - الإفادات والإنشادات.
١١. كتاب الأربعين في أصول الدين، المؤلف للإمام الغزالي، الناشر دار المنهاج، تاريخ النشر ٢٠٠٩م.

١٢. الإسلام دين الفطرة، لأستاذ البصيرة عبدالوهاب حسني نش: دار الوفاء للثقافة وإلعالالم تصممي الغالف: أحمد يونسي الطبعة الول: نومفر ٢٠٢١م - ربيع الأول ١٤٤٣هـ البر يد اللكترون com.gmail@Mediaalwafa دار الوفاء للثقافة البحرن.

١٣. الإسلام عقيدة وشريعة، لمحمد شلتوت، الناشر: دار العالم العربن، تاريخ الإصدار: ٠١ يناير ٢٠١٨، تاريخ الإنشاء: ١٩ مارس ٢٠١١.

١٤. الإسلام والتجديد فف مصر تشارلز أدمز ترجمة عباس محمود لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية. الإسلام والنصرانية لمحمد عبده: فف مقارنة أديان_ الناشر مطبعة المنار بمصر، تاريخ النشر ١٩٢٢_ ١٩٢٣ عدد الصفحات ٢٣٨

١٥. أصول الدين للبغدادى، لعبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادى التميمي الأسفراييني، أبو منصور (المتوفى: ٤٢٩ هـ) الناشر: مدرسة الإلهيات بدار الفنون التركية، إسطنبول - تركيا. الطبعة: الأولى، ١٣٤٦ هـ. ١

١٦. الملل والنحل، لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: ٥٤٨ هـ) الناشر: مؤسسة الحلبي.

١٧. أضواء على السنة المحمدية، لمحمد أبو راية، تاريخ الإنشاء: ٠٣ نومفر.

١٨. الاعتصام، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت ٧٩٠ هـ) تحقيق: سليم بن عيد الهلالي. الناشر: دارن عفان، السعودية. الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م.

١٩. اعتقاد أئمة الحديث ص: ٤٩ لأبو بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس بن مرداس الإسماعيلي الجرجاني (ت ٣٧١ هـ) محقق: محمد بن عبد الرحمن الخميس. الناشر: دار العاصمة - الرياض. الطبعة: الأولى.

٢٠. إعلام الموقعين عن رب العالمين ١/٥٤. ٥٥ لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية المتوفى: ٧٥١ هـ) تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ. ١٩٩١م.

٢١. أعلام النبوة ص ٤٢ لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادى، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠ هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة: الأولى. ١٤٠٩ هـ.

٢٢. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١ هـ) الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ

٢٣. الانتصار لأصحاب الحديث: منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفى ثم الشافعي (ت ٤٨٩ هـ) تحقيق: محمد بن حسين بن حسن الجيزاني. ٨١/١.

٢٤. نصره الحديث. ص ٢ للشيخ حبيب الرحمن،
٢٥. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ) محقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ
٢٦. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، لجابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م
٢٧. باب التأويل في معاني التنزيل المعروف بتفسير الخازن ٤٣٧/٣ - ٤٣٨ لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيعي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ) تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ.
٢٨. الباعث على الخلاص عبد الرحيم بن الحسين العراقي هو أبو الفضل بن الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي (٨٠٦ هـ) الناشر: دار الوراق - دار النيرين الطبعة: الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م
٢٩. بحث للأمر شبيب أرسلان في حاضر العالم الإسلامي لوثروب ستودارد الأمريكي. الناشر دار الفكر ١٩٧١ عدد مجلدات ٢ عدد الصفحات ٨٤٩.
٣٠. بحر العلوم للسمرقندي، لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ) الناشر: دار الكتب العلمية سنة: ١٤١٣ - ١٩٩٣ عدد المجلدات: ٣ عدد الصفحات: ١٦٨٨
٣١. البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: ١٤٢٠.
٣٢. بداية المجتهد، لأبي الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد (المتوفى: ٥٩٥هـ) الناشر: دار الحديث - القاهرة، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
٣٣. البداية والنهاية لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م .
٣٤. بدائع الزهور في وقائع الدهور لأبي البركات محمد بن أحمد بن أياس الحنفي، مطبع شركة مكتبة مصطفى البابي، سنة ١٩٥٠م ط الثالثة.
٣٥. البرهان في علوم القرآن ١/١٦ (القاهرة، مكتبة دار التراث) محقق محمد أبو الفضل إبراهيم، بدون سنة.
٣٦. بيان تلبس الجهمية، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)

٣٧. تاج العروس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ) المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.
٣٨. تاريخ الأستاذ الإمام للسيد رشيد رضا. الناشر مطبعة المنار ١٩٠٦م مصر ج ٢
٣٩. التاريخ الإسلامي لشيخ إبراهيم الشريقي المصري. الناشر شركة المدينة للطباعة والنشر، جدة، السعودية ط الأولى عدد الصفحات ٢٨٠
٤٠. تاريخ الدعوة الإسماعيلية للدكتور مصطفى غالبو المذهب الإسماعيلي الشيعي المعاصر الناشر وار الاندلس ٢٠١٤ بيروت لبنان (يعتبر كتاب تاريخ الدعوة الاسماعيلية مصطفى غالب من المؤلفات الهامة للباحثين في مجال العقيدة بشكل خاص.
٤١. التاريخ السري لاحتلال إنجلترا مصر المستر بلنت وراجعه ووافق على ما فيه الشيخ محمد عبده. الناشر مطبعة البلاغ الاسبوعي القاهرة السنة ١٩٢٨ الموضوع ثلاثة مجلدات.
٤٢. تاريخ الشعوب الإسلامية كارل بروكلمان. الناشر دار العلم الملايين ١٩٦٨ الطبعة الاولى
٤٣. تاريخ الفرق الإسلامية لمحمد مصطفى بن محمد مصطفى ٢٠٠٣ /ص/ ١٠١.
٤٤. تأويل مختلف الحديث، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ) الناشر: المكتب الإسلامي - مؤسسة الإشراف، الطبعة: الطبعة الثانية- مزیده ومنقحة ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
٤٥. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) الناشر : الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ
٤٦. التراث والتجديد لحسن حنفي. الناشر الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع الطبعة الرابعة ١٩٩٢
٤٧. سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ) المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨م.
٤٨. تسع رسائل في الحكمة والطبيعية رسالة في النبوات. لابن سينا، ٩٨٠-١٠٣٧: الناشر مطبعة هندية، تاريخ النشر: ١٩٠٨
٤٩. تسهيل برهان القرآن از افادات خواجه احمد الدين. طبعته دوست ايسو سو ايتس الكريم ماركيت اردو بازار لاهور ط الاولى ١٩٨٣.
٥٠. تعدد الزوجات لعبد الناصر توفيق العطار. دار النشر المكتبة الأزهرية للتراث مصر ٢٠١٠ طبعة ١_ عدد الصفحات ٢٢٥
٥١. التعريفات لعلي بن محمد علي الجرجاني. (ت ٨١٦هـ) الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م عدد الصفحات: ٢٦٢.

٥٢. تفسير أبي سعود، لشيخ الإسلام أبي سعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى المتوفى سنة ٩٨٢هـ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٩م دار الكتب العلمية بيروت.

٥٣. تفسير البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٥٤. تفسير الجامع لأحكام القرآن، للأبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٥٥. تفسير الخازن علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيعي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت ٧٤١هـ). الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ ترقيم الكتاب موافق للمطبوع.

٥٦. الكشف، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧هـ.

٥٧. تفسير القرآن العظيم المعروف بتفسير ابن كثير، بو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) المحقق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٩هـ.

٥٨. تفسير القرآن الكريم مصادره واتجاهاته، لعبد الله الزبير بن عبد الرحمن، مكة، دار الشؤون الثقافية والنشر رابطة العالم الإسلامي، بدون سنة الطبعة.

٥٩. فسير الماوردي = النكت والعيون، لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ) المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان..

٦٠. التفسير والمفسرون الدكتور محمد السيد حسين الذهبي (المتوفى: ١٣٩٨هـ) الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة، عدد الأجزاء: ٣ (الجزء ٣ هو نُقول وُجدت في أوراق المؤلف بعد وفاته ونشرها د محمد البلتاجي)

٦١. تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ينسب، لعبد الله بن عباس رضي الله عنهم المتوفى: ٦٨هـ)، جمعه: محمد بن يعقوب الفيروزآبادي المتوفى ٨١٧هـ) دار الكتب العلمية/ لبنان.

٦٢. تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ) المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

٦٣. التوقيف على مهمات التعاريف لزين الدين محمد بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين، القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ). الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.

٦٤. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوي، لأيوب بن موسى الحسيني، الكفوي، أبو البقاء الحنفي المتوفى ١٠٩٤هـ) تحقيق لعدنان درويش. محمد المصري، مؤسس الرسالة بيروت.
٦٥. تيارات الفكر الإسلامي د. محمد عمارة. دار الشروق - القاهرة. الطبعة الرابعة.
٦٦. الثبات والشمول في الشريعة لعابد السفياي. النشر والتوصيح مكتبة المنارة مكة المكرمة ١٩٨٨ الطبعة الأولى عدد الصفحات ٦١٢
٦٧. جامع البيان، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
٦٨. كتاب القرآنيون نشأهم عقائدهم أدلتهم. علي محمد زينو الناشر: دار القبس، دمشق الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م
٦٩. جريدة الأخبار المصرية. هي جريدة تميل إلى اليسار وتنتمي إلى معسكر رافضي الهيمنة من قلب الولايات المتحدة الأميركية إلى أقاصي الشرق وأفريقيا
٧٠. الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) تحقيق: علي بن حسن - عبد العزيز بن إبراهيم - حمدان بن محمد، الناشر: دار العاصمة، السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م.
٧١. حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية المتوفى (٧٥١هـ)، طبعة المدني، القاهرة.
٧٢. المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (توفى: ٤٠٥هـ)، ت: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠.
٧٣. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (توفى: ٤٣٠هـ)، الناشر: السعادة - بجوار، محافظة مصر، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م، ثم صورتها عدة دور منها، ١ - دار الكتاب العربي - بيروت، ٢ - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٣ - دار الكتب العلمية - بيروت (طبعة ١٤٠٩ هـ بدون تحقيق)
٧٤. خاطرات جمال الدين الأفغاني جمع محمد المخزومي. الناشر: مكتبة الشروق الدولية، القاهرة - مصر الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٢ م

٧٥. الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي المتوفى: (٣٩٢هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: الرابعة.

٧٦. الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون محمد خليفة التونسي. المؤلف: محمد خليفة التونسي المحقق: عباس محمود العقاد حالة الفهرسة: مفهرس فهرسة كاملة الناشر: دار الكتاب العربي عدد المجلدات: ١ رقم الطبعة: عدد الصفحات: ٢٢٤

٧٧. اسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي) أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: ٢٥٥هـ) تحقيق: حسين سليم أسد الدارمي، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م.

٧٨. درء التعارض، القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.

٧٩. دراسات في الحديث النبوي للدكتور محمد مصطفى الأعظمي. النشر المكتب الإسلامي لبنان الطبعة الأولى ١٩٨٠ - ١٤٠٠ :

٨٠. التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع للإمام محمد الملطى. لأب الحسين، محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطى الشافعي (ت ٣٧٧ هـ) الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث - بالقاهرة، سنة ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م

٨١. دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية. لعبد الحميد عرفان الناشر مطبعة الارشاد بغداد ١٩٦٧ .

٨٢. دراسات في علوم الحديث لمحمد أنس سرميني. وسم لنشر والتوضيح استنبول ٢٠٢١ الطبعة الاولى

٨٣. دراسات في علوم القرآن لزاھر بن عواض الألمعي، (الرياض، فهرسات مكتبة الملك فهد الوطنية) ط ٢، سنة ١٤٢٣ هـ..

٨٤. دروس الشيخ سيد حسين العفاني بيان انحرافات محمد عبده.

٨٥. دعوة جمال الدين في الميزان وما بعدها لمصطفى فوزي، الجزء ١ النشر: دار الطيبة للنشر السعودية ١٤٠٣ هـ

٨٦. دفاع عن الحديث النبوي. المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠ هـ) مؤسسة ومكتبة الخافقين دمشق ١٣٩٧

٨٧. أطلس دول العالم الإسلامي د. شوقي أبو خليل ، دار الفكر دمشق طبعة الثانية ٢٠٠٣ عدد الصفحات ٢٥٧ .

٨٨. الدين الأفغاني عبد الرحمن الراجعي. الناشر: دار الكاتب العربي بالقاهرة تاريخ الإصدار ١٩٦١

٨٩. رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده. الناشر دار الشروق مصر ١٩٩٤ _ الموافق للمطبوع .

٩٠. الرسل والرسالات، لعمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر، مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة: الرابعة ١٩٨٩ م.

٩١. سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: ٢٧٥هـ) المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.

٩٢. صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٩٣. روح المعاني روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

٩٤. رياض الجنة في الرد، رياض الجنة في الرد علي المدرسة العقلية ومنكري السنة لسيد بن حسين العفاني.

٩٥. زاد المسير في علم التفسير، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي المتوفى: ٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى. ١٤٢٢ هـ.

٩٦. زعماء الإصلاح في العصر الحديث أحمد أمين. مكتبة النهضة المصرية ٢٠١٥ هـ صفحات ٢٩٤

٩٧. السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث، بيروت، دار الشروق، ١٤٠٩ هـ.

٩٨. السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي لمصطفى السباعي. دار الوراق للنشر والتوزيع. الطبعة الأولى: ١٤٢١ هـ.

٩٩. شبهات القرآنين حول السنة النبوية أ.د. محمود محمد مزروعة ٢٦ يناير ٢٠٢٠ على موقع.

١٠٠. شرح العقيدة الطحاوية لأبي العز الحنفي ت ٧٩٢ هـ المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان الطبعة: التاسعة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

١٠١. شرح السنة لأبي محمد الحسن بن علي بن خلف البرهاري (ت ٣٢٩ هـ).

١٠٢. شرح العقيدة الطحاوية لأبي العز الحنفي ص ٢٢٩، المكتب الإسلامي - بيروت.

١٠٣. شرح المقاصد في علم الكلام، للإمام سعد الدين التفتازاني. (المتوفى: ٧٩٣ هـ) الناشر دار المعارف النعمانية باكستان ١٩٨١ طبعة أولى عدد اوراق ٦٨١

١٠٤. شرح مقدمة في أصول التفسير، مساعد بن سليمان الطيار، (الرياض، دار ابن الجوزي) ط ١، ١٤٢٧ هـ.

١٠٥. الشرح والإبانة لابن بطه. العكبري المتوفى ٣٨٧ هـ الناشر: دار الآثار للنشر والتوزيع: سنة النشر: ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ الطبعة أولى

١٠٦. شعب الإيمان، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسرُو جردِي الخراساني، أبو بكر البيهقي (توفي: ٤٥٨هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخرج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي - الهند، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.
١٠٧. سير أعلام النبلاء ط الرسالة، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْمَاز الذهبي (توفي: ٧٤٨هـ) ت: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
١٠٨. الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الإنجليزي سامي عزيز. دار الكتاب العربي بالقاهرة، ١٩٦٨
١٠٩. الصواعق المرسلة، في الرد على الجهمية والمعتزلة لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية) ت ٧٥١ هـ الناشر: دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ عدد الأجزاء: ٤
١١٠. ضحى الإسلام لأحمد أمين. صدر هذا الكتاب عام ١٩٣٣ وصدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠١٢.
١١١. عرش الرحمن لابن تيمية المتوفي ١٣٢٨. الناشر مكتبة فهد السعودية ١٩٩٩ الطبعة الاولى
١١٢. العروة الوثقى، لسيد جمال الدين محمد بن صفدر الحسيني الأفغاني (المتوفي: ١٣١٥ هـ)
١١٣. العقلانية للبسيوني. الناشر دارالوفا للنشر القاهرة ١٩٢٢
١١٤. العقلانيون أفراخ المعتزلة العصريون علي حسن عبد الحميد. مكتبة الغرباء الإسلامية - المدينة
١١٥. العقيدة الإسلامية وأسسها، لعبد الرحمن حسن حبنكه الميداني. الناشر دارالقلم سوريا ١٩٧٩ هـ اوراق ٨٢١
١١٦. غاية المرام في علم الكلام، لأبي الحسن سيد الدين علي بن أبي علي المتوفى: (٦٣١هـ)، تحقيق لحسن محمود، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . القاهرة.
١١٧. غاية المرام في علم الكلام، لسيف الدين الآمدي. لمتوفى: ٦٣١ هـ) المحقق: أحمد فريد المزيدي الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ = ٢٠٠٤ م
١١٨. فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.
١١٩. أصول علم الحديث بين المنهج والمصطلح لدكتور أبو لبابة حسين. دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٧

١٢٠. فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ.
١٢١. تعليم الفارسية للجميع (دار القلم العربي - حلب وله ترجمات عن اللغتين الإنكليزية والفارسية منها: أديان العالم (دار الجسور الثقافية - حلب)، التخاطر عن بعد (دار النهج - حلب)
١٢٢. الفرق بين الفرق عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي. الأسفراييني، أبو منصور (ت ٤٢٩هـ) الناشر: دار الآفاق الجديدة - بيروت الطبعة: الثانية، ١٩٧٧ عدد الصفحات: ٣٥٥ موافق للمطبوع
١٢٣. فصول في أصول التفسير، مساعد الطيار، (دمام، دار ابن الجوزي) ط ١
١٢٤. شرح مقدمة في أصول التفسير (الرياض، دار ابن الجوزي) ط ١.
١٢٥. الفقه على المذاهب الأربعة، لعبد الرحمن بن محمد عوض الجزيري (المتوفى: ١٣٦٠هـ) الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
١٢٦. الفكر الإسلامي المعاصر غازي التوبة. عدد الأجزاء: ١. عدد الأوراق: ٢٢٤. رقم الطبعة: ٣. بلد النشر: لبنان. بيروت: دار القلم، ١٩٧٧ = ١٣٩٧
١٢٧. مفهوم تجديد الدين بسطامي محمد سعيد. الناشر: مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة - المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م عدد الصفحات: ٢٨٨
١٢٨. منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير فهد الرومي. الناشر: مؤسسة الرسالة ١٩٨٣
١٢٩. موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية. الأجزاء: ٢. عدد الأوراق: ١٠٩٧. رقم الطبعة: ١. بلد النشر: السعودية مكتبة الرشد ١٩٩٨ هـ
١٣٠. الفكر الإسلامي قراءة علمية لمحمد أركون. الناشر دارالساقبي بيروت لبنان طبعة الثانية ١٩٩٥
١٣١. الفكر الديني في مواجهة العصر لعفت الشرقاوي. الدكتور رفعت محمد الشرقاوي بيانات النشر القاهرة، مصر: دار العودة، ١٩٧٩
١٣٢. الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، لأبي الحسن علي الحسيني الندوي الناشر: دار القلم الكويت، سنة النشر: ١٤٠ - ١٩٨٣ طبعة ٤ _ عدد مجلدات ١ عدد الصفحات ٢٣٢
١٣٣. فلسفة العقل لعبد الستار الراوي. الناشر مكتبة التنوير دارالشؤون بغداد ١٩٨٦ الصفحات ١٥٥
١٣٤. علوم الكتاب لابن عادل. المحقق: عادل أحمد عبد الموجود - علي محمد معوض; عدد الأجزاء: ٢٠; الناشر: دار الكتب العلمية; سنة النشر: ١٤١٩ - ١٩٩٨، الطبعة: الأولى
١٣٥. عمدة القاري لبدر الدين العيني. المتوفى ٨٥٥هـ دارالكتب العلمية بيروت الطبعة جديدة

١٣٦. لوامع الأنوار البهية للسفاريني المتوفي ١١٨٨. الناشر: مؤسسة الخافقين دمشق - سنة النشر: ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢

١٣٧. أعلام السنة المنشورة لحافظ بن أحمد بن علي الحكمي (ت ١٣٧٧هـ) الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية الطبعة: الثانية، هـ.

١٣٨. القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

١٣٩. القرآنيون تاريخهم نشأتهم وآراؤهم لحيدر حب الله حجّة السنّة في الفكر: نشر مؤسسة الطبعة الأولى ٢٠١١م.

١٤٠. القرآنيون لخادم حسين إلهي بخش. الناشر: مكتبة الصديق للطبعة الثانية ٢٠٠٠م ١٤٢١هـ

١٤١. شبهات القرآنيون ومحمد مزروعة الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

١٤٢. الرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، لإمام الحرمين الجويني. الملقب بإمام الحرمين (المتوفى: ٤٧٨

الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر الطبعة: الأولى، ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م

١٤٣. السنة في مواجهة الأباطيل محمد طاهر حكيم. رابطة العالم الإسلامي السنة ١٤٠٢ المجلدات: ١ عدد الصفحات: ١٨٤

١٤٤. الصفدية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن

محمد ابن تيمية الحارثي الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) المحقق: محمد رشاد سالم، الناشر: مكتبة ابن

تيمية، مصر، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ.

١٤٥. القرآنيون، نشأهم عقائدهم أدلتهم علي محمد زينو. الناشر: دار القبس، دمشق الطبعة: الأولى، ١٤٣٢

هـ - ٢٠١١ م عدد الصفحات: ١٥٦

١٤٦. قصص الأنبياء عليهم السلام محمد بن عبد الله الكسائي المجلد الثاني، ط لندن، سنة ١٩٣٢م.

١٤٧. أعداء الإسلام ومناقشتها العماد السيد محمد إسماعيل الشرييني م الطبعة الأولى، عام ١٤٢٢هـ -

٢٠٠٢م. دار اليقين، مصر

١٤٨. كشاف اصطلاحات الفنون ومحمد علي التهانوي، للتهانوي. مكتبة لبنان بيروت ١٩٩٦ مجلدات ٢

الطبعة ١ الصفحات ٢١٨٥

١٤٩. كشف موقف الغزالي من السنة وأهلها. المدخلي ربيع بن هادي: مكتبة ابن القيم للنشر والتوزيع النشر

: ١٩٨٩

١٥٠. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ) المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٢ هـ.
١٥١. المادية الديالكتيكية، ترجمة محمد الجندي طبع دار التقدم موسكو.
١٥٢. الماسونية بلا قناع أبو صادق. نشر دار ومكتبة بيبليون باريس ٢٠٠٥.
١٥٣. مباحث في علوم القرآن لمناع القطان، مؤسسة الرسالة.
١٥٤. المجددون في الإسلام لعبد المتعال الصعيدي المتوفى ١٩٧١هـ. كتبة الآداب للنشر والتوزيع، ١٩٥٠.
١٥٥. طبقات الأصوليين لعبد الله مصطفى المراغي. الناشر: محمد علي عثمان مطبعة أنصار السنة المحمدية بمصر سنة النشر: ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م
١٥٦. مجموع الفتاوى لابن تيمية. المتوفى ٧٢٨هـ الناشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة
١٥٧. محاسن التأويل لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت ١٣٣٢ هـ) الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت. الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ
١٥٨. محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين، فخر الدين حمد بن عمر الخطيب الأزدي.
١٥٩. المحلى بالآثار، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ) الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.
١٦٠. المدرسة العصرية محمد بن حامد الناصر مكتبة الكوثر. ٢٠٠٤ ط ١ الأجزاء ١
١٦١. مذكرات السلطان عبد الحميد ترجمة محمد حرب عبد الحميد. ناشر: دار القلم - دمشق الطبعة: الثالثة ١٤١٢ هـ / ١٩٩١
١٦٢. مذكرة التوحيد، لعبد الرازق عفيفي، طبعة المكتبة الإسلامية، بيروت. ١٩٨٣م.
١٦٣. مراتب الإجماع لا بن حزم الأندلسي المتوفى: ٤٥٦هـ الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٩٨
١٦٤. المستصفى للغزالي. (ت ٥٠٥هـ) تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م عدد الصفحات ٣٧٣
١٦٥. مسند أبي داود الطيالسي، لأبي داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصري (المتوفى: ٢٠٤هـ)، تحقيق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر - مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ. ١٩٩٩م
١٦٦. مسند الإمام أحمد بن حنبل، للإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (توفى: ٢٤١هـ) ت: شعيب الأرناؤوط عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

١٦٧. المعتزلة بين القديم والحديث لمحمد العبد وطارق عبد الحليم. الناشر دار ابن حزم لبنان الطبعة الاولى ١٩٩٦
١٦٨. المعجزة وكرامات الأولياء، لابن تيمية. دار الكتب العلمية الطبعة الاولى ١٤٠٥ هـ
١٦٩. المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، لمفتي محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، الصدف بيلشرز.
١٧٠. مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ. شمس الدين، محمد بن أحمد، الشافعي (المتوفى: ٩٧٧ هـ)، دار الكتب العلمية، ط الأولى، ١٤١٥ هـ. ١٩٩٤ م، بلفظ "لا يفتى ومالك بالمدينة".
١٧١. مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦ هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.
١٧٢. التوقيف على مهمات التعريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١ هـ) الناشر: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.
١٧٣. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢ هـ) المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ.
١٧٤. مقالات الإسلاميين لعلي ابن إسماعيل الأشعري المتوفى: ٣٢٤ هـ. الناشر: دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن (ألمانيا) الطبعة: الثالثة، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠
١٧٥. العقلانيون ومشكلتهم مع أحاديث الفتن لمبارك البراك. دار الإيمان - الإسكندرية سنة النشر: ١٤٢٠ - ١٩٩٩ عدد المجلدات: ١ رقم الطبعة: ٢ عدد الصفحات: ٧٦
١٧٦. مقام حديث للحافظ أسلم. ولد في جراجبور عام ١٨٨٠ م بالهند في أسرة أهل الحديث وحفظ القرآن قبل أن يناهز التاسعة من عمره ولذلك لُقِبَ بالحافظ. ثم درس الفارسية والإنجليزية ثم الرياضيات كما أنه درس العربية على مولانا فتح الله.
١٧٧. مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥ هـ) محقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
١٧٨. التفسير البسيط، للواحد أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي واحدي الشافعي النسابوري (ت ٤٦٨ هـ) الناشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الطبعة الاولى ١٤٣٠ هـ
١٧٩. المطالع على ألفاظ المقنع محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلبي، أبو عبد الله، شمس الدين (ت ٧٠٩ هـ) الناشر: مكتبة السوادي للتوزيع الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٣ م عدد الصفحات: ٥٨٨

١٨٠. مقدمة تفسير بيان للناس الخواجه أحمد الدين.
١٨١. مقدمة في أصول التفسير، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، الحنبلي الدمشقي المتوفى: ٧٢٨هـ)، دار مكتبة الحياة، بيروت، شالطبعة: ١٤٩٠هـ / ١٩٨٠م.
١٨٢. مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ) الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة: الطبعة الثالثة.
١٨٣. منهاج السنة، قي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحاراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) المحقق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
١٨٤. الصواعق المرسله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) المحقق: علي بن محمد الدخيل الله، الناشر: دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ.
١٨٥. المطالب العالية للإمام فخر الدين الرازي المتوفى ٦٠٦هـ الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة الاولى .
١٨٦. منهج الشيخ الشينقيطي في تفسير آيات الأحكام من أضواء البيان، لعبد الرحمن بن عبد العزيز السديس. رسالة ماجستير مقدمة لجامعة أم القرى مكة المكرمة، سنة ١٤١٠هـ، تحت إشراف عبد المجيد بن محمود.
١٨٧. منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير لدكتور فهد رومي. الناشر مؤسسة الرسالة السعودية الطبعة الثانية ١٩٨٣
١٨٨. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، المؤلف: الندوة العالمية للشباب الإسلامي. إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني. الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة.
١٨٩. موقع الموسوعة الحرة (ويكيبيديا): (لاهور ar.wikipedia.org/wiki).
١٩٠. موقف العقل والعلم والعالم من الله رب العالمين وعباده المرسلين لمصطفى صبري الناشر دارالاحياء التراث العربي بيروت لبنان الطبعة الثانية ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
١٩١. موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية لأمين الصادق الامين مكتبة الرشد، الرياض ط ١، ١٩٩٧م.
١٩٢. موقف المعتزلة من السنة النبوية ومواطن انحرافهم عنها حسين، أبو لبابة دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض.
١٩٣. نابغة الشرق السيد جمال الدين الأفغاني عبد المجيد محمد سعيد "سعيد الأفغاني: دار الكاتب العربي للطباعة و النشر، لقاهرة، مصر ١٩٦٧.

١٩٤. نبذة في العقيدة ضمن مجموع فتاوى ورسائل لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت ١٤٢١هـ) الناشر: دار الثقة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م
١٩٥. نقد الخطاب الديني لدكتور نصر حامد أبو زيد. نشره من طرف المركز الثقافي العربي بالمغرب وبيروت الطبعة الثالثة، ١٩٩٠ .
١٩٦. نهاية الأرب في فنون الأدب لأحمد بن عبد الوهاب، شهاب الدين النويري المتوفى: ٧٣٣هـ)، دار الكتب القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ.
١٩٧. نيل الأوطار، لمحمد بن علي الشوكاني المتوفى: (١٢٥٠هـ)، تحقيق: عصام الدين، دار الحديث مصر، ط: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.
١٩٨. وجود الله ليوسف القرضاوي المتوفى ٢٠٢٢ مكتبة وهبة ١٤ شارع الجمهورية القاهرة ، الطبعة السادسة ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م
١٩٩. الوحي الحمدي للشيخ محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت ١٣٥٤هـ) الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ الكتاب موافق للمطبوع.
٢٠٠. السراجي في علم الميراث لسراج الدين محمد الحنفي. الناشر مكتبة البشري باكستان الطبعة الثانية ٢٠١١ - ١٤٣٢ .

المصادر الأردنية

١. إبليس وآدم لبرويز، نقلاً عن فرقة أهل القرآن وموقف الإسلام منها.
٢. إنكار حديث ايك فتنة ايك شازش. للبروفسير محمد فرمان، ص ١٧٩.
٣. تفسير بيان للناس لخواجه أحمد الدين الطبعة الأولى.
٤. نظام ربوبيت لبرويز. المتوفى ١٩٨٥ _ الناشر اداره علمية حييدر اباد
٥. سنت كي اءيني حيثيت لشيخ مودوي. الناشر اسلامك بيليكيشر لاهور ١٩٦٣.
٦. شاهكار رسالت لبرويز ومعناها فارس الرسول. الناشر منهاج الصالحين ١٩٧٣ لاهور باكستان .
٧. تفهيم القرآن. مولانا ابو الاعلى المودودي، اداره ترجمان القرآن لاهور..

فهرس المجلات

١. مجلة إشاعة السنة. العدد العاشر، سنة (١٩٠٢) في مصر نقلاً من كتاب القرآنيون شبهاتهم حول السُّنة
٢. مجلة البيان. ص ٣٢ عدد أغسطس ١٩٥١ م
٣. مجلة العربي الكويتية العدد ٢٢٦
٤. مجلة بلاغ القرآن. عدد يناير ١٩٧٥ م
٥. مجلة بلاغ خواجه. نمبر، ١٩٣٦ م، ص ٧
٦. مجلة بلاغ ضياء الله عدد سبتمبر ١٩٣٦ م
٧. مجلة حضارة الإسلام. جامعة وهران ١ أحمد بن بلة كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية. العدد ٥ ص /
- ٢٥
٨. مجلة طلوع إسلام. لبرويز ١٩٣٨ م
٩. مجلة إشاعة القرآن. ص ٣٥ العدد الرابع ١٩٠٣ م

فهرست الموضوعات

١	المقدمة.....
٢	أهمية الموضوع.....
٣	وأما أسباب اختياري للموضوع فتتلخص في النقاط التالية.....
٣	الدراسات السابقة في الموضوع.....
٤	أهداف البحث.....
٤	إشكالية البحث.....
٥	منهج البحث.....
٥	خطوات البحث.....
٦	خطة البحث الإجمالية.....
٨	الباب الأول.....
٨	التعريف بالمدرسة القرآنية (القرآنيون) في شبه القارة الهندية، وفيه فصلان.....
١٠	الفصل الأول.....
١٠	المدرسة القرآنية (القرآنيون) في شبه القارة الهندية، وفيه مباحث.....
١١	المبحث الأول: نشأة المدرسة القرآنية (القرآنيون) و جذورها التاريخية.....
٢٥	المبحث الثاني: ظهورها في شبه القارة الهندية وانتشارها.....
٢٩	المبحث الثالث: أصول المدرسة القرآنية (القرآنيون) و مناهجها.....
٤٧	المبحث الرابع: أبرز رجالاتها في شبه القارة الهندية.....
٥٨	الفصل الثاني.....
٥٩	المبحث الأول: آراء المدرسة القرآنية (القرآنيون) الاعتقادية جملة.....
٧٦	المبحث الثاني: علاقة القرآنيين بالمدرسة العقلانية في المناهج و المصادر الاعتقادية.....
١٤٠	المبحث الثالث: أوجه التوافق بين المدرسة العقلانية والقرآنيين في الآراء الاعتقادية.....
١٤٨	المبحث الرابع: أوجه التباين بين المدرسة العقلانية والقرآنيين في الآراء الاعتقادية.....
١٥١	الباب الثاني.....
١٥١	خواجه أحمد الدين الأمرتسري وعوامل بناء شخصيته الفكرية وفيه فصلان:.....
١٥٢	الفصل الأول.....
١٥٢	نبذة مختصرة عن خواجه أحمد الدين الأمرتسري، وفيه مباحث.....
١٥٣	المبحث الأول: نبذة يسيرة عن حياته الشخصية.....

المبحث الثالث: حالته الدينية والفكرية في شبه القارة الهندية.....	١٦٠
المبحث الرابع: الدعوتة الفكرية والحركية في شبه القارة الهندية.....	١٦٣
الفصل الثاني.....	١٧١
عوامل بناء شخصية أحمد الدين الفكرية؛ وفيه مباحث.....	١٧١
المبحث الأول: علاقة أحمد الدين بالإنجليز المحتلين لشبه القارة الهندية.....	١٧٢
المبحث الثالث: أهم رجال الفكر الذين تتلمذوا على أحمد الدين وتأثروا به.....	١٩١
المبحث الرابع: منهجه في نشر فكره وعقيدته في شبه القارة الهندية.....	١٩٢
الباب الثالث.....	١٩٥
آراء خواجه أحمد الدين الأمرتسري الاعتقادية، وفيه فصلان.....	١٩٥
الفصل الأول.....	١٩٦
آراء أحمد الدين الدينية عموماً، وفيه مباحث.....	١٩٦
المبحث الأول: منهجه في تقرير المسائل الاعتقادية.....	١٩٧
المبحث الثاني: موقفه من المسائل الاعتقادية عموماً ومصادره في ذلك (العقل اللغة الرأي) مع ذكر النماذج.....	٢٠٥
المبحث الثالث: موقفه من أركان الإسلام.....	٢٤٢
المبحث الرابع: تفردات اعتقادية أخرى لأحمد الدين.....	٢٦٠
الفصل الثاني.....	٢٦٦
آراء أحمد الدين الإعتقادية في أبواب العقيدة الرئيسة، وفيه مباحث.....	٢٦٦
المبحث الأول: آراؤه الاعتقادية في باب الإلهيات.....	٢٦٧
المبحث الثاني: آراؤه الاعتقادية في باب النبوات.....	٢٧٧
المبحث الثالث: آراؤه الاعتقادية في باب السمعيات.....	٣٠٥
المبحث الرابع: آراؤه الاعتقادية المتعلقة بالملائكة.....	٣٢٠
الفهارس الفنية.....	٣٣١
فهرس الآيات القرآنية.....	٣٣٢
فهرس الأحاديث.....	٣٣٩
فهرس الأعلام الغربية المترجم لهم.....	٣٤٢
فهرس أهم المصادر والمراجع.....	٣٤٦